المملكة العربية السعودية
وزارة التعـليم العـالـي
جامـعـة أم القـــرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قســم الكـــتاب والسنة



آراء الإمام ابن قتيبة في التفسير
من سورة الحج إلى نهاية سورة الناس
جمعًا ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في قسم الكتاب والسنة

إعداد الطالب

عبد الماجد بن محمد ولي بن محمد علي إبراهيم

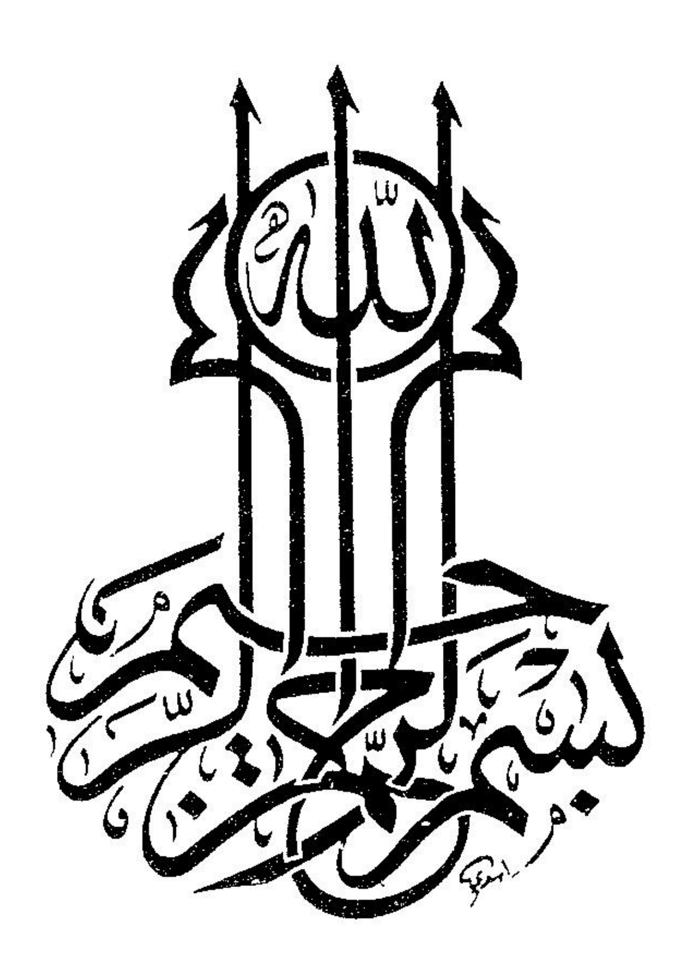
الرقم الجامعي: 42570023

إشراف: الأستاذ الدكتور

أمين بن محمد عطية باشا

الأستاذ بقسم الكتاب والسنة

العام الجامعي: 1429 – 1430هـ



ملخص رسالة الدكتوراة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذا ملخص عن رسالتي للدكتوراة ، والتي بعنوان: **أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير – من أول سورة الحج إلى نهاية القرآن الكريم – جمعا ودراسة.**

ولقد تكون البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة: فيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره والخطة ومنهج كتابته.

القسم الأول: واشتمل على فصلين: الأول: عن عصر الإمام ابن قتيبة وفيه دراسة للأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية في تلك الحقبة الزمنية التي عاش فيها الإمام ابن قتيبة – رحمه الله – . والفصل الثاني: اشتمل على دراسة عن حياة الإمام ابن قتيبة الشخصية والعلمية ، تطرقت فيها لطلبه للعلم، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره ومكانته العلمية، وغير ذلك.

والقسم الثاني: هو صلب الرسالة؛ دراسة أقوال الإمام بن قتيبة في التفسير ، فأضع عنواناً للمسألة، ثم أذكر الآية كاملة أو موضع الشاهد منها، وبعدها أذكر نص كلام ابن قتيبة رحمه الله، ثم أقوم بدراسة المسألة بذكر الموافقين لابن قتيبة ثم المخالفين ، وذكر أدلة كل قول إن وجد ، ثم ذكر القول الراجح في بيان المعنى على ضوء الدراسة التي تمت للأدلة ، حسب أقوى الأدلة وأوجه الاستدلال منها.

وقد أبان البحث عن طول باع ابن قتيبة – رحمه الله – في فن التفسير وتبحره وسعة اطلاعه فيه، وتبين من خلال البحث صفاء عقيدته ، واتباعه لمعتقد أهل السنة والجماعة ، وعنايته باللغة العربية وتضلعه فيها، وظهور أثر ذلك في تفسيره للقرآن الكريم.

والخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وعقبتها بفهارس فنية كاشفة عن مضامين الرسالة.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

الباحث:

عبد الماجد بن محمد ولي إبراهيم

Summary of Doctorate Research

Praise be to God alone, and prayer and peace be upon the Prophet.
This is the summary of my doctorate research which entitled by **"Sayings Of Al-Imam Ibn Qotaiba In Explanation From The Beginning of Surat Al-Hajj Up To The End Of The Holy Quran"**, collecting and studying.

The research contains an introduction, two sections and the conclusion.

Introduction: Includes the statement of the importance of the subject, the reasons why it is selected, the plan, and the methodology of writing.

First Section: Consists of two chapters: The first one about the era of Al-Imam Ibn Qotaiba; in it the study of political, sociable and scientific statement in that era which he lived during. The second consists of the study of the life of Al-Iman Ibn Qotiaba in which I showed his interest to study and his teachers and students beside his effects and his scientific position and other things.

Second Section: It is the main body of the research; the study of his sayings in explanation. I put a title for the issue, then mention the complete verse "Ayah" and the position of witness, then mention Ibn Qotaiba speech, then study the issue by mentioning the agrees and disagrees beside the evidence of each speech if found, then show the most probable speech to explain the meaning according to the study by the strongest evidence and the position of witnesses from it.

The research shows the long hand of Ibn Qotaiba (God bless his soul) in his technique of explanation and his wide knowledge. From the research showed that his strong believe and his followers to Sunnah, his care of the Arabic Language and its Grammar, and the effects of that in his explanation to the Holy Quran.

The Conclusion: I mentioned the most important results I found during the research; and followed by technical indexes showing the contents of the research.

Praise be to God.

Researcher
Abdul-Majed Bin Mohammed Wali Ibrahim

إضاءة

إلهي سامع النجوى	#	إلـهي خـــالق الأكـوان
ببابـك جئت يا ربي	#	ذليل الطرف والعيـنان
ندائي سـوف أبعثه	#	مـدى الأوقات والأزمان
قويـاً يمـــلأ الدنيا	#	وتـشـتاق له الأذنــان
تبــاركَ ربّي العالـي	#	تبـــاركَ ربّي الرحمان
يمــين الله لا أرضى	#	بـغـير محـــبة القـرآن
بآيـــات لـه تُـتلى	#	يفسـرها أولو الأذهان
هنيـئاً نلتَ ما ترجو	#	وفزتَ بجنة الرضــوان

عبدالماجد بن محمد ولي

ملحوظة: خذ الحرف الأول من كل بيت تجد عبارة مفيدة.

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـــه، ومن يضلل فلا هادي لـــه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [سورة آل عمران: 102].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [سورة النساء: 1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [سورة الأحزاب : 70-71].

أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق ليُعْبَدَ وحده، ولـــيُعْبَدَ بما ش ـــرع، وأقام الدلائل على ذلك بإرسال الرسل وإنـــزال الكتب، وكان آخر الكتب: القرآنُ العظيم الكريم المجيد، أنـــزله الله تعالى ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا

عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة: 48] ، وأنــزله ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل : 89]، وجعله الله عز وجل نوراً مبيناً، وذكراً حكيماً، وهدى وبشرى للمسلمين، وذكرى ورحمة للمؤمنين، وهدى وموعظةً للمتقين، وبرهاناً وشفاءً لما في الصدور، ومباركاً[1].

وإن أفضل ما يشتغل به الباحثون، ويتسابق فيه المتسابقون؛ مدارسة كتاب الله ﷻ ، وإذا كان كل علم يشرف بموضوعه؛ فإن التفسير هو أفضل علم، إذ هو العلم الخاص بكتاب الله ﷻ[2] « الذي يعتبر هو مصدر الهدى والشفاء للناس عامة وللمؤمنين خاصة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: 57]، وهو الكتاب الجامع لأصول الدين وفروعه، نصاً أو استنباطاً، عقيدة وشريعة ونظام حياة أودع الله فيه من كنوز المعرفة وأصول العدل ومناهج الخير ما يسعد الإنسانية، ويفتح أمامها آفاقاً رحبة في عمارة الكون، والتعارف والتعامل في ظل دستور قرآني خالد »[3] فالقرآن الكريم قد « حظي بما لم يحظ به -أو بقريب منه- غيره من الكتب قديماً وحديثاً، بل واستقبالاً: حفظاً للفظه، ومدارسة لنصه، ولا عجب في ذلك؛ فهو كلام الله الحق، وحديثه الصدق، الذي تكفل بحفظه، بقولــه ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: 9] ، تلقاه الرسول ﷺ وحياً من ربه فبلغه، وبيّنه، كما قال سبحانه ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [سورة العنكبوت: 18]، وقال جل وعلا : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : 44]

---

(1) دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عواض الألمعي، ص(5) بتصرف.

(2) تفسير سورة الروم، د. محمود بسيوني فودة، ص(3) بتصرف.

(3) دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عواض الألمعي، ص(5) بتصرف.

»[1]، وقد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم ومعانيه عن رسول الله ﷺ ، وقد كانوا أعلم الناس بكتاب الله ﷻ ، وعن الصحابة أخذ التابعون التفسير، وعن التابعين أخذ أتباعهم، وهكذا استمر الاهتمام بعلم القرآن الكريم وتفسيره، حتى أضحت المكتبة التفسيرية من أوسع المكتبات، وأكثرها إنتاجاً وأعمقها فكراً

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لا يخفي على طالب علم فضلا عن عالم أهمية جمع أقوال العلماء، وحصر أرائهم في تفسير كتاب الله، وتزداد أهمية هذا الأمر إذا كان العالم ممن له عناية بالغة بكتاب الله تعالى، مع علو كعبه في هذا الفن، ثم تزداد الأهمية إذا كان كلام ذاك العالم مفرقا في بطون كتبه، ما يجعل في الوصول إلى كلامه في الآية ومعرفة رأيه فيها نوع تعسر وصعوبة. وهذه الأمور سائرها في الإمام ابن قتيبة، فهو عالم جهبذ رأس ليس في فن واحد، بل في فنون متعددة، وعلوم متباينة، مع عنايته بالأصلين الأصيلين، والوحيين الشريفين – كتاب الله عز و جل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم – ولا أدل على هذا من تصنيفه في مشكل القرآن وغريبة وهكذا في السنة المطهرة، فله فيها عدة مصنفات، فهو من الأئمة الذين يستحقون دراسة أقاويلهم، واستخراج ما تضمنته من علم غزير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعددة. قال فيه صاحب كتاب (التحديث بمناقب أهل الحديث): وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، أجودهم تصنيفا، وأحسنهم ترصيفا، له زهاء ثلاثمائة مصنف، وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق، وكان معاصرا لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي، وكان أهل المغرب يعظمونه،

(1) أسباب اختلاف المفسرين، د. محمد بن عبدالرحمن الشايع، ص(5) بتصرف.

ويقولون: من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة، ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه، فلا خير فيه، قلت: ويقال: هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة"[1].

وكلامه رحمه الله تعالى متفرق في بطون كتبه، فمن المعلوم أن ابن قتيبة رحمه الله تعالى لم يصنف في التفسير مصنفا مستقلا، فهذه الأمور متضافرة تؤكد الحاجة إلى جمع كلامه في التفسير وترتيبه.

وفي هذا العمل المبارك – إن شاء الله تعالى – إثراء للمكتبة الإسلامية، وبالأخص علم التفسير.

وفي دراسة أقوال العلماء وقوف على الجهد الذي بذلوه، والمشقة التي ركبوها في سبيل تأويل القرآن الكريم، الأمر الذي يحفز الهمم ويحدوها إلى خدمة كتاب الله تعالى، ومحاولة الإقتداء بالأسلاف الكرام والجري معهم في هذا المضمار.

كما أن في دراسة أقوال العلماء وفحص مذاهبهم إطلاع على القواعد التي فسروا بها كتاب الله تعالى، والمنهج الذي ساروا عليه في تأويل الكتاب العزيز، وكيفية تعاملهم مع الأقاويل التي قيلت في التفسير.

ولأن دراسة أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير لم يتعرض لها أحد من قبل ، إلا أنه عن طريق هذا القسم الموقر – قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى – قام الأخ الفاضل / علي بن جريد العنـــزي بالبدء في مشروع دراسة أقوال ابن قتيبة من أول القرآن إلى نهاية سورة الأنبياء ... ومنّ الله تعالى وتفضل بكرمه عليّ فقدمت رسالتي هذه بعنوان (**أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير من سورة الحج إلى نهاية سورة الناس – جمعاً ودراسة**) والتي سأتناول فيها المسائل المتعلقة بالتفسير فقط من أقوال الإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى.

---

(1) دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عواض الألمعي، ص(5) بتصرف.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس

المقدمـــــة:

وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره والخطة ومنهج كتابته

القسم الأول:

عصر الإمام ابن قتيبة وحياته، وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر ابن قتيبة بإيجاز، ومدى تأثره به. وفيه مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.

الفصل الثاني: حياة ابن قتيبة الشخصية والعلمية باختصار. وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: طلبه للعلم ورحلاته فيه.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: تلاميذه .

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: آثاره العلمية ومؤلفاته.

المبحث الثامن: عقيدته.

المبحث التاسع: وفاته.

القسم الثاني:

دراسة أقوال الإمام ابن قتيبة – رحمه الله – في التفسير من أول سورة الحج إلى نهاية القرآن الكريم

وطريقتي في دراسة المسائل على النحو الآتي:

ك- ترتيب الآيات مواضع الدراسة حسب ورودها في المصحف

ك- أضع عنواناً مختصراً لكل مسألة يدل على مضمونها

ك- أذكر نص الآية القرآنية التي فسرها ابن قتيبة كاملاً، وربما أكتفي في بعض الأحيان بموضع الشاهد منها

ك- ذكر نص عبارة ابن قتيبة في المسألة

ك- ذكر الموافقين له، مرتبين حسب الوفاة

ك- ذكر المخالفين لــه، مرتبين كذلك

ك- الدراسة والتعقيب في نهاية المسألة؛ بدراسة حجج كل قول – إن وجد- ، مستنيراً بأقوال أهل العلم، مع بيان الراجح حسب قواعد الترجيح وضوابطه المعتبرة عند العلماء

8- أوسع دائرة اطلاعي على أقوال المفسرين، فربما أطّلع في المسألة الواحدة على ما يقارب ثلاثين تفسيراً.

ل- جعلت عزو الآيات بجوار الآية مباشرة تخفيفاً للحواشي.

ككـ- سلامة لها من الخطأ؛ نُقلت الآيات بخط المصحف والحمد لله ﷻ ، عن طريق برنامج مصحف المدينة النبوية، من إنتاج مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ككـ- ترد في أثناء الكلام كلمة أو مقطع صغير من آية، فيكتفى بكتابته بالرسم الإملائي دون رسم المصحف ويوضع بين قوسين مكررين ((....))، ويكون من الآية محور الدراسة، أو يكون سبق قريباً ذكر الآية كاملة معزوة

ككـ-التزمت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء أو وفياتهم في صلب الرسالة وهوامشها، و لم أخالف ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام، كأن يكون النص المنقول لمتأخر ونحوه.

ككـ- قد أحتاج أحياناً إلى إدخال بعض كلامي أثناء نصٍ منقول بلفظه لأحد العلماء لإيضاح غامض ونحوه، فأميزه بوضعه معترضاً ومحصوراً بين معقوفتين [...]، وإذا حذفت شيئاً من النص المنقول وضعت مكانه نقطاً هكذا.. .

- عند الإحالة إلى صفحة النص المنقول، فإن الإحالة تكون للصفحة التي فيها بدايته، وإن كان هذا النص من صفحات عدة
- ضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط مما تُشْكِلُ قراءَتُه ويلتبِس نُطْقُه
- وضعت في نهاية كل موضع شكلاً من أشكال الزخرفة الإسلامية، للدلالة على نهاية الكلام في ذلك الموضع
- توثيق المادة العلمية على النحو الآتي:

أ- عزو الآيات القرآنية.

ب- عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها الأصلية، مع بيان المتواتر منها والشاذ

جـ- تخريج الأحاديث النبوية.

د- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.

هـ- عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها، وتوثيقها من مصادرها

و- شرح غريب الألفاظ والمصطلحات.

ز- التعريف بالأعلام

حـ- التعريف بالفرق والمذاهب والأماكن والبلدان

الخاتمة:

وفيها بيان أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة

الفهارس:

فهارس متنوعة فنية كاشفة عن مضامين البحث

وبعد ... أشكر الله عز جل وأحمده، فقد احتاج هذا العمل لكي يتم إلى عافية، وتوفيق وتسديد، وتيسير، وكل ذلك قد منّ الله تباركوتعالى به، فله وحده – لا شريك له– الحمد كله والثناء كله، أن خلقني ورزقني، ورباني بنعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وله الحمد أن هداني ومنّ عليّ بالانتساب إلى هذا الدين، ثم له الحمد أن وفقني وهداني لأكون ممن يسعون في علوم شريعته بسبب، ثم له الحمد على التيسير والتسديد، وتذليل الصعوبات، وحفظ الوقت، فلولا كل ذلك لما تم شيء، فلربنا الحمد على ذلك كله، له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، له الحمد حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة النحل: ٥٣]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [سورة إبراهيم: ٧].

والشكر والامتنان إلى الوالدين الكريمين، اللذين أعاناني وسعيا في تعليمي وبذلا جهدهما في ذلك بالدعاء الخالص، فرحمهما الله رحمة واسعة، وجزاهما عني أحسن الجزاء وأوفره، ورفع درجتهما في عليين، ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٤].

وكذا الشكر لكل من الزوجة والأولاد على مراعاةالانشغال والتنازل عن كثير من الحقوق، بل والمساعدة كلما دعت الحاجة

وللإخوان وعلى رأسهم أخي الأكبر أبي غازي فقد كان في مقام الوالد بالنسبة لي؛ أقدم شكري ودعائي، ولبقية الأهل والأصدقاءالذين انشغلت عنهم مدة من الزمن.

والشكر لأحباب ومشايخ كانت منهم المشورة والسؤال والمتابعة والمساعدة

والشكر ثم الشكر لجامعة أم القرى، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وأخص عميدها الفاضل، ووكلاءه، ومشايخي الأفاضل الذين حملت عنهم علم الشرع المطهر في قسم الكتاب والسنة، فجزى الله تعالى الجميع خير الجزاء وجعل ذلك في موازين حسناتهم.

والشكر العظيم لفضيلة شيخي الأستاذ الدكتور: أمين بن محمد عطية باشا، الأستاذ بقسم الكتاب والسنة الذي وافق مشكوراً أن يتلى الإشراف على رسالتي، ورعاية هذا الموضوع، أشكره شكرا جزيلا، فلقد كنت أرضى منه بالقليل، غير أنه لنبله، وكريم أصله، وطيب معدنه، أبى إلا أن يعطي فيوفِّي، فلطالما قرأ فأنجز، وعلّق فابلغ، ولطالما شحذ منّي الهمة، وقوّى العزيمة، إذا رآهما تفتران، وكم أعطاني من خلاصة فكره، وثمين وقته، وقدّمني على رأس مهامّه، وكم أتعب نفسه، وأضنى نظره، وهو يقرأ ويصوّب، رحمةً بي وشفقةً عليّ، فله منّي موفور التقدير، وأبلغ الشكر والثناء، رب اغفر له واحفظه، وبارك له في علمه وأهله وماله، واجزه عنّي خير م ا تجزي به عبادك الصالحين

ولـــمّا كان عمل البشر عرضةً للخلل والتقصير، لانفراد المولى سبحانه بالكمال المطلق ومُتقَن التدبير، كان هذا الموضوع لايخرج عن هذا الأصل بحال، وقد أردت – عَلِم الله – التدقيق ما استطعت، والتمحيص ما قدرت، والعلم أمانة من تحملها فقد تحمّل إدّاً وتجشّم بُهْرًا، فإن كنت قد أصبت؛ فبتوفيق الله وحده أصبت، ولله المنة والفضل من قبل ومن بعد ... ، وإن كان سهمي قد طاش، فكم من فتىً حام وما ورد، وأمّل وما بلغ، ولكن قد يشفع لي اجتهادي، وأستغفر الله تعالى أن أقول في القرآن برأيي، أو أركن إلى ما تقاصر من فهمي، ورحم الله العلماء البقلين والأئمة المفسرين، فللفضل كل الفضل للمتقدّم، وجعلنا الله تعالى ممن يرعى لهم حرمتهم،

ويعرف فضلهم وسابقتهم، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَدّ إلاّ محمد صلى الله عليه وسلم، والكمال لله وحده

ولا أقول إلا كما قال الأول:

أخـــــي أيها المجتاز نظمي ببابه ينادى عليه لكاسد السوق أجمـــــلا

وظُـــــنَّ به خيراً وسامح نسيجه بالإغضاء والحسنى وإن كان هلهلا

وسلّم لإحدى الحسنيين إصابةٌ والاخرى اجتهادٌ رام صوباً فأمـــحلا

وإن كان خَرقٌ فادّركْه بفضلةٍ من الحِلم وليصلحه من جاد مِقولا[1]

وفي الختام؛ أسأله سبحانه وتعالى أن يحتسب لي هذا العمل عنده، وأن يحقق نسبتي لأهل القرآن العظيم الذين هم أهله وخاصته، وأن يجعله من الثلاث التي تنفع ابن آدم بعد موته، واسأله سبحانه وهو القريب المجيب أن يجمعنا مع من أحببنا في مستقر رحمته، وأن يغفر لإمامنا ابن قتيبة، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر: ١٠]، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(1) قالها الإمام الشاطبي في مقدمة متن الشاطبية(حرز الأماني ووجه التهاني) ص(7).

القسم الأول

عصر الإمام ابن قتيبة – رحمه الله – وحياته الشخصية والعلمية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر الإمام ابن قتيبة بإيجاز، ومدى تأثره به.

الفصل الثاني: حياة ابن قتيبة الشخصية والعلمية باختصار.

الفصل الأول:

عصر الإمام ابن قتيبة بإيجاز، ومدى تأثره به، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.

الفصل الأول:
عصر الإمام ابن قتيبة بإيجاز، ومدى تأثره به.

المبحث الأول: الحالة السياسية:

الإنسان ابن بيئته، تؤثر فيه الأحداث التي تمر به وبمجتمعه سلباً وإيجاباً، ومن أشد ما يؤثر في بناء علمية المرء وتكوين عقليته الحالة الس ياسية التي تعيشها بلاده، وتقلبها في خوف وأمن، واجتماع وفرقة، ولقد عاش الإمام ابن قتيبة – رحمه الله- في الفترة ما بين عام (213) وعام (176) للهجرة النبوية[1]، في مدينة الخلافة وعاصمة الدولة العباسية، وفي هذه الأعوام توالى على الحكم والخلافة عدد من الحكام، بدءاً من الخليفة المأمون؛ وانتهاء بالخليفة المعتمد.

وهذا الجدول يوضح الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم الإمام ابن قتيبة – رحمه الله – ومدة حكم كل واحد منهم:

علماً أن رقم التسلسل المذكور هو حسب مجمل حكام الدولة العباسية.

م	الحاكم	مدة حكمه	
		من	إلى
7	أبو العباس عبد الله المأمون	198	217
8	أبو إسحاق محمد المعتصم بالله	217	227
9	أبو جعفر هارون الواثق بالله	227	232

(1) ستأتي تفصيل الأقوال في تاريخ ولادة الإمام ابن قتيبة ووفاته عند الكلام على ترجمته في الفصل الثاني

10	أبو الفضل جعفر المتوكل على الله	232	247
11	أبو جعفر محمد المنتصر بالله	247	248
12	أبو العباس أحمد المستعين بالله	248	251
13	أبو عبد الله محمد المعتز بالله	251	255
14	أبو إسحاق محمد المهتدي بالله	255	256
15	أبو العباس أحمد المعتمد على الله	256	279

وفي هذه الحقبة الزمنية كان هناك عدد من الأحداث والوقائع العظيمة التي كان لها أثرها في حياة الناس، فمنها:

في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثار رجلان بمصر -وهما عبد السلام وابن جليس- فخلعا المأمون واستحوذا على الديار المصرية، وبايعهما طائفة من الناس، فولى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام ومصر، وأعطاه مالاً كثيراً للقضاء عليهما، فدخل أبو إسحاق الديار المصرية واستعادها إلى السمع والطاعة، وظفر بعبد السلام وابن جليس وقتلهما[1].

في سنة ست عشرة ومائتين عدا ملك الروم -وهو توفيل بن ميخائيل- فقتل جماعة من المسلمين في أرض طرسوس، نحواً من ألف وستمائة إنسان، فركب الخليفة المأمون بالجيوش إلى بلاد الروم وصحبه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر، فافتتح بلداناً كثيرة، صلحاً وعنوة، وأسر خلقاً، وحرق حصوناً عدة، ثم وثب رجل يقال له عبدوس الفهري ببلاد مصر، وقويت شوكته، واتبعه خلق

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري(179/5) والبداية والنهاية لابن كثير(2113/2).

كثير، فركب المأمون حتى دخل الديار المصرية وظفر بعبدوس الفهري، فأمر بضرب عنقه[1].

في سنة سبع عشر ومائتين ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً، فحاصر لؤل ؤة مائة يوم، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عجيفاً، فخدعته الروم فأسروه، فأقام في أيديهم ثمانية أيام، ثم انفلت منهم، واستمر محاصراً لهم، فجاء ملك الروم بنفسه، فأحاط بجيشه من ورائه، فبلغ المأمون فسار إليه، فلما أحس توفيل بقدومه انصرف هارباً من وجهه[2].

اشتداد فتنة بابك الخرمي، ففي سنة عشرين ومائتين عقد المعتصم[3] للأفشين – واسمه حيدر بن كاوس– على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي، وكان قد استفحل أمره جداً، وقويت شوكته، وانتشرت أتباعه في أذربيجان وما والاها، وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيماً، فسار الأفشين وقد أحكم صناعة الحرب في الأرصاد وعمارة الحصون وإرصاد المدد، فالتقى هو وبابك، فاقتتلا قتالاً شديداً، فقَتل الأفشين من أصحاب بابك خلقاً كثيراً، أزيد من مائة ألف، وهرب هو إلى مدينته، فأوى فيها مكسوراً، فكان هذا أول ما تضعضع من أمر بابك، وجرت بينهما حروب يطول ذكرها[4].

---

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري(5/182) والبداية والنهاية لابن كثير(2/2116).

(2) انظر: تاريخ الأمم والرسل والهوك للطبري (5/185) والبداية والنهاية لابن كثير(2/2117).

(3) وكان سكناه "سر من رأى"، وهو أول من تجند بالعبيد، وضعف أجناد الأحرار. انظر: أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم لابن حزم(2/165).

(4) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري (5/210) والبداية والنهاية لابن كثير (2/2125) ومقدمة ابن خلدون (3/258).

وفي سنة ثنتين وعشرين ومائتين جهز المعتصم جيشاً كبيراً مدداً للأفشين على محاربة الخرمية، واقتتلوا قتالاً عظيماً، وافتتح الأفشين البذّ – مدينة بابك– واستباح ما فيها، ولله الحمد، وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، فلما احتوى المسلمين على بلده المسمى بالبذ وهي دار ملكه ومقر سلطانه– هرب بمن معه من أهله وولده ومعه أمه وامرأته، ثم وقع في أسر جنود الأفشين، ونقل بعدها إلى المعتصم، فلما كان يوم دخوله عليه تأهب المعتصم، واصطف الناس سماطين، وأمر ببابك أن يركب على فيل ليشهر أمره ويعرفوه، ولما أحضر بين يدي المعتصم أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان، وصلب جثته على خشبة بسامرا، وكان ذلك في أوائل سنة ثلاث وعشرين ومائتين[1].

وفي نفس هذه السنة أيضاً، سنة ثلاث وعشرين ومائتين، أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية من المسلمين وما والاها م لحمة عظيمة قتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات، وسبب هجوم ملك الروم أنه لما انشغلت جيوش الخليفة واجتمعت على بابك في مدينته لاستئصاله، أرسل إلى ملك الروم يغريه بغزو بلاد المسلمين من جهته، فركب توفيل في مائة ألف فوصلوا إلى زبطرة، فقتلوا من رجالها خلقاً كثيراً، وأسروا من حريمها أمة كثيرة، فبلغ ذلك المعتصم فا نـــز عج لذلك جداً، وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره وأمر بتعبئة الجيوش، وجهز جيشاً كبيراً للانتقام لأهل الإسلام، لكن ملك الروم لم يلبث أن فر هارباً إلى بلده، فقرر المعتصم غزوهم في ديارهم، فسأل : أي بلاد الروم أمنع؟ قالوا : عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام وهي أشرف عندهم من القسطنطينية ، وكانت

(1) انظر: المراجع السابقة.

مدينة منيعة عظيمة الأسوار، فسار إليها، وحاصرها، حتى أمكنه الله منها، فتم هذا الفتح بحمد الله تعالى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين[1].

و لم يكن هذا نهاية أمر الروم، بل لم يزالوا يحاولون انتهاز الفرص للانتقام من أهل الإسلام ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ففي سنة ثنتين وأربعين ومائتين أغارت الروم على بلاد الجزيرة فانتهبوا شيئاً كثيراً، وأسروا نحواً من عشرة آلاف من الذراري، فإنا لله وإنا إليه راجعون[2].

وكذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين التقى جمع من المسلمين وخلق من الروم، بالقرب من ملطية، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من الفريقين خلق كثير[3].

ومن الأحداث أيضاً أن الخليفة المتوكل قتل على يد ولده المنتصر في مطلع شهر شوال من سنة سبع وأربعين ومائتين، و لم يستكمل بعد قتل أبيه سوى ستة أشهر فقط[4].

وبويع بعده بالخلافة للمستعين بالله وهو أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم، بايعه عموم الناس ثم خرجت عليه شرذمة من الأتراك معارضين، وقام الجيش بنصر المستعين بالله، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً، فقتل منهم خلق من الفريقين، وانتهبت أماكن كثيرة من بغداد، وجرت فتن كثيرة جداً، ثم استقر الأمر للمستعين، فعزل وولى، وقطع ووصل، وأمر ونهى[5].

---

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري (235/5) والبداية والنهاية لابن كثير (2127/2) ومقدمة ابن خلدون (228/2 و177/3).

(2) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري(325/5) والبداية والنهاية لابن كثير (2165/2).

(3) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري(357/5) والبداية والنهاية لابن كثير(2173/2).

(4) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري(334/5) والبداية والنهاية لابن كثير(2169/2).

(5) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري(463/5) والبداية والنهاية لابن كثير(2172/2).

ومن الأحداث أيضاً أنه في سنة إحدى وخمسين ومائتين وقعت فتنة شنعاء بين جند بغداد وجند سامرا، ودعا أهل سامرا إلى بيعة المعتز، واستقر أمر أهل بغداد على المستعين بالله، وجرت بينهم حروب طويلة، وفتن مهولة جداً، وقتل من الفريقين خلق كثير، في وقعات متعددات، وأيام نحسات، انتهى بعدها أمر الخلافة للمعتز بالله، وذلك في مستهل سنة اثنتين وخمسين ومائتين[1].

وفي منتصف سنة خمس وخمسين ومائتين خلع الخليفة المعتز بالله بإجبار من الجند، وبطريقة هي غاية في الذلة والمهانة[2].

وولي بعده المهتدي بالله، وحدثت فتنة هائلة ببغداد في تلك الفترة، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامرا من بيعة المهتدي بالله بن الواثق، وقتل من أهل بغداد وغرق منهم خلق كثير ثم لما بلغهم بيعة المهتدي في سابع شعبان سكنوا واستقرت الأمور، ولم تدم خلافة المهتدي بالله سوى سنة واحدة إلا خمسة أيام، حتى خلع بطريقة بشعة دنيئة خسيسة، وقتل على يد الجند الغادرين، ثم بويع بعده بالخلافة للمعتمد على الله لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، واستمرت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وأياماً، وكانت وفاته في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين[3].

ومما يذكر من أحداث في تلك الفترة ما حدث من فتنة الخبيث صاحب الزنج، الذي كان ظهوره سنة خمس وخمسين ومائتين واستمرت حتى قتل في صفر سنة

---

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري (5/403) والبداية والنهاية لابن كثير (2/2175) ومقدمة ابن خلدون (3/290).

(2) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري(5/432) والبداية والنهاية لابن كثير(2/2181).

(3) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري (5/604-605)، والبداية والنهاية لابن كثير (2/2213)، وأسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم لابن حزم(2/153).

سبعين ومائتين، وكان قد استولى على بلاد واسط، وأراضي دجلة، وكان بينه وبين جيوش الخليفة معارك عنيفة وقتال شديد، وبلاء عظيم حتى أذن الله تعالى بالقضاء عليه وإخماد فتنته[1].

فما ذكر من وقائع تبين الحال السياسية لتلك الحقبة الزمنية، فقد كان فيها عدد من الوقائع الكبار، وكانت بين دا خلية وخارجية، غير أن هذا لا يعني ضعف الخلافة كل تلك الفترة، خصوصاً في أيام المأمون والمعتصم[2]، وإن نالها شيئ من الضعف في آخرها، غير أنه لم يكن شديداً، بل كانت متماسكة إلى حدٍّ لا بأس به، وإنما دخلت الدولة العباسية في عهود الضعف، مع استلام المتوكل 232هـ الموافق 847م[3].

والعجيب في أمر الدولة العباسية التي عاشت أكثر من خمسة قرون . . أستاذاً وقائداً زمنياً وروحياً - مع اختلاف في الدرجة - العجيب أن هذه الدولة قد اشتملت على باب كامل من أبواب تاريخنا تكاملت له البداية . . والعقدة . . والنهاية[4].

إن قيام هذه الدولة كان حركة سياسية قامت على تخطيط ، لعله لم يتوفر للمسلمين في كل تاريخهم . . دقة وعمقاً . . وصبراً على النتائج ، واستغلالاً لكل القوى وسرية، وتوافراً لكل مقومات النجاح.

---

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري(582/5) والبداية والنهاية لابن كثير(2199/2).

(2) انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك ص(113).

(3) انظر: مقدمة ابن خلدون (280/3 ، 419)، شذرات الذهب للعكري (252/2)، الذاكرة التاريخية للأمة، د. جاسم سلطان ص(72).

(4) انظر: دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية،د. عبد الحليم عويس، ص(23).

ثم كان السير التاريخي لهذه الدولة معجزة عجيبة ، فوسط بحار متلاطمة الأمواج، وعالم إسلامي فسيح لا يمكن، بل يتعذر استمرار تماسكه . . وأعداء خارجيين من عناصر متباينة المذاهب والجنس والميول.

وسط هذا كله شقت الدولة طريقها.. [1] وفي هذه الظروف السياسية ولد الإمام ابن قتيبة وفيها نشأ وترعرع، ومن اضطرابها هرب فلم يتدخل، ولزم طريق العلم والأدب، على منهج أحمد وإسحاق وغيرهم من أهل السنة والجماعة آنذاك.

(1) انظر: المرجع السابق، ص36.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية:

تتمثل الحالة الاجتماعية في العصر العباسي حول محورين أساسيين:

المحور الأول: الحياة الاجتماعية من خلال بنية المجتمع وطبقاته ككل.

المحور الثاني: أهم الظواهر الاجتماعية في هذا العصر.

كان المجتمع العباسي ينهض على دعامتين رئيسيتين، هما : علية القوم من قادة الدولة وخلفائها وأشرافها، والشريحة الاجتماعية التي تحيط بها، وتعتبر المجال الحيوي لها، وقد تفاوتت هذه الشريحة في مستوياتها بين وزراء وكتاب وتجار، وهي على الرغم من هذا التفاوت أخذت بنصيب وافر من سلوكياتها وممارساتها، إذ كان البذخ والترف هو القاسم المشترك بينها، حيث كانت تحمل إليهم الأموال والموارد من مختلف الأقاليم... وكانت هذه الثروة الضخمة يغدق منها على تلك الشريحة الملازمة للخلفاء والحكام، كالكتاب والشعراء والوزراء والمغ نين والعلماء والأطباء، ولذلك أدرجت هذه الفئات ضمن الطبقة الأرستقراطية الحاكمة، وكان لهذه الثروة أثرها في الانقلاب الاجتماعي الذي أحدثته الثروة العمرانية والحضارية، حيث الدور المزخرفة والفرش الوثيرة والثياب الأنيقة والمآكل المتنوعة، فقد كانت هناك طبقة دنيا تتكون من شرائح متعددة من أصحاب المهن والحرف الصغيرة ورقيق الأرض، وهذه الطبقة بشرائحها المتعددة لم تكن معدمة كما يحلو لبعض الباحثين أن يصفها، ولكنها كانت ذات نمط خاص في معيشتها.

وإلى جانب هاتين الطبقتين كانت هناك طبقة متوسطة تتكون من مجموعة من صغار التجار ومتوسطيهم ومن عامة الموظفين ورجال الشرطة والجيش من صغار القواد.

هذا من الناحية الاقتصادية، إذ إن التقسيم الطبقي ينهض أساساً على الجانب الاقتصادي في الدرجة الأولى، أما من الناحية العرقية؛ فإن ثمة عناصر مختلفة كان لها هوياتها المتميزة وثقافاتها المورثة، فقد جمع بينها هذا الزمن التاريخي في إطار الحضارة الإسلامية، وكانت هذه العناصر فاعلة ومؤثرة في إطار الحياة الاجتماعية والأدبية والسياسية أيضاً، ومنها:

الزنج: وقد وُصفت هذه الطائفة بأنها تمثل رقيق الأرض، وأنهم أطبع خلق الله على الرقص، والطرب حلوقاً بالطبل، على ا لإيقاع الموزون، من غير تأديب ولا تعليم، مع أخلاق حسنة فيهم.

أما الصينيون: فهم أصحاب الصباغة والنحت والتصوير والنسيج.

أما اليونانيون: فهم يتميزون بالحكم والآداب.

أما الفرس: فهم يتميزون بالملك والسياسة.

وبرع الأتراك في مجال الحروب.

أما أهل الهند: فقد اشتهروا بالصيرفة والعلم والعقاقير.

وكان لكل بلد وإقليم ما يميزه عن غيره.

وقد كان الثراء الاقتصادي والمعاملة السيئة سبباً من أسباب نشوء ظاهرة الشعوبية، ولعل البعض يظن أن ترفّع العرب على الموالي أورثهم الحقد وسوء الطوية، ولكن الحقيقة أن هذه الظاهرة لم تبرز على نحو واضح إلا بعد سيطرة الموالي على مقاليد الأمور، فأصل الحقد موجود عند من أسلم مكرهاً من هذه الشعوب وهو يضمر حب دينه الأول وشعبه على العرب حملة الإسلام وأهله.

ومن الظواهر الاجتماعية البارزة في العصر العباسي الجواري والقيان، فقد أدى تكاثرها إلى روح من التحلل و العبث في الحياة العباسية، وكان لهن أثر حضاري تمثل في نبذ الكثير من جفاوة الأعراب، والتحلي برقة الحديث وسهولة التعامل، وكان لهن أثرهن في الشعر، فقد كن أديبات، فضلاً عن أن أغلبهن كن من المغنيات اللواتي ذاع صيت بعضهن ... وقد اكتظت حانات الكرخ ودور النخاسة بالجواري والإماء، وبرز نتيجة ذلك ظاهرة اجتماعية مناقضة لها تمثلت في وجود طائفة من العباد والنساك وأهل التقوى والصلاح، وكان الزهاد يستخدمون أسلوب القصة للوعظ، وظهر إلى جانب الوعاظِ النساكُ المنقطعون للعبادة، مما أدى إلى انتشار ظاهرة التصوف[1].

وانقسم الشعب ثلاث طبقات:

- طبقة الخلفاء وحواشيهم، من البيت العباسي والوزراء والقادة وكبار رجال الدولة، وهؤلاء كانوا يتمتعون بجميع أسباب النعيم.
- طبقة التجار والصناع، الذين كان مركزهم في الأسواق، وهم الطبقة الوسطى.
- طبقة الشعب، وهي الطبقة الكادحة التي كانت تحيا حياة البؤ س لينعم الخلفاء والوزراء والولاة والقادة وكبار رجال الدولة وأمراء البيت العباسي بحياة رغيدة وعيش هنيء.

كانت خزائن الدولة هي المعين المغدق الذي هيأ لكل هذا الترف، فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض.

كان الخلفاء والوزراء والولاة والقادة يغد قون على العلماء والأطباء والشعراء والمغنين، عم ببغداد لبس الثياب الفارسية.

---

(1) انظر: العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص(44 – 88) بتصرف.

كانت كل طائفة من طوائف الموظفين ورجال الدولة تلبس زياً خاصاً بها يميزها عن الطوائف الأخرى.

استكثروا من العطور وأنواع الطيب من الغالية والكافور والمسك والعنبر ... والناس على دين ملوكهم، فلما دخل المأمون بزوجته بوران، أشعلت بين يديه شموع العنبر، ونثر على رأسه الدر والجوهر، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر...

هذا البذخ وما صحبه من اعتصار الشعب كان سبباً حقيقياً في ظهور بعض الثورات، وخاصة في بلاد فارس.

وظهرت بشدة نـــزعة اللهو، فقد كانت هناك أدوات للترويح واللعب كثيرة، من ذلك سباق الخيل وسباق الحمام الزاجل ولعبة الصولجان.

شغف المعتصم بالرقيق التركي، ومازال يشريهم من أيدي مواليهم حتى اجتمعوا له بالآلاف، وحتى اضطر أن يبني لهم (سرّ من رأى) كي يجنب العامة شرهم وأذاهم[1].

كثر الرقيق في العصر العباسي كثرة مفرطة بسبب من كانوا يؤسرون في الحروب... ونتيجة لتسري الإماء كثر المولّدون في المجتمع العباسي، بل وفي الخلفاء أيضاً، فنجد المأمون أمّه أمَة ؛ تسمى مراجل، والمعتصم أمّه أمَة تسمى ماردة، والواثق أمّه أمَة تسمى قراطيس[2].

وكثرة الجواري والتسري بهنّ ينبئك عن حالة الترف والغنى الذي يعيشه أهل بغداد.

(1) انظر: العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ص(53 – 114) بتصرف.

(2) انظر: المعارف لابن قتيبة، ص(217)، (220)، (221).

غير أن التمسك بالدين وبتعاليمه الرشيدة كانت سمة ظاهرة عند كثير من حكام هذه الفترة الزمنية التي عاشها الإمام ابن قتيبة، فقد أمر المتوكل أهل الذمة بالتميز عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وثيابهم، ولا يركبوا خيلاً ، ولا يُستَعملوا في شيء من دواوين المسلمين[1].

وأمر الخليفة المهتدي بالله بنفي القيان والمغنين من سامراء، وقتل السباع والنمور التي في دار السلطان، وقتل الكلاب المعدة للصيد، وما كان الخليفة ليأمر بهذا، ويذرها في بغداد، فهذا دليل على خلو دار الخلافة منها[2].

وعلى وجه العموم؛ فقد اتفق في تلك الفترة خلفاء من خلفاء بني العباس اشتهر مجونهم وإهمالهم لرعيتهم ولحكم دولتهم حتى آل بهم الأمر إلى ما لا تحمد عقباه، وخلفاء آخرون اشتهر بين الناس فضلهم وعلمهم ونصرهم للسنة والدين ورفعهم لشأن العلماء والزهاد وفاض خيرهم على البعيد قبل القريب، فهي حقبة مذبذبة الأوضاع، مضطربة الأمور، متنازعة الأحداث.

---

(1) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، طبعة جديدة منقحة، (2145/2).

(2) المرجع السابق، (2183/2).

المبحث الثالث: الحالة العلمية:

شهدت الحياة العلمية في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً في شتى الميادين، يعود سببه إلى ظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة الترجمة، واهتمام الخلفاء بها، إضافة إلى التوسع في التعليم العام، وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية، مثل دور العلم والربط، فضلاً عن المساجد.

وقد اهتم الخلفاء بالعلم والعلماء، فقربوهم وشجعوهم، فكان لذلك أثره الكبير على الرقي الفكري في هذا العصر، وأبرزهم الخليفة هارون الرشيد الذي اشتهر بتقريبه العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والكتاب، وتشجيعهم على البحث والتأليف، وتوفير كل ما يحتاجون إليه في بحوثهم ودراساتهم.

غير أن بعضهم بالغ في الدعوة إلى مذهب الاعتزال كما حدث في عهد المأمون وغيره[1].

والدولة العباسية -عموماً- كانت على المذهب الحنفي[2].

وكان بعض السلف يقول: لا يزال الإسلام مُشيد الأركان ما بقي له ثلاثة أشياء: الكعبة، والدولة العباسية، والفتيا على مذهب أبي حنيفة . فلولا الموافقة بين الدولة العباسية ومذهب أبي حنيفة ما قرن بينهما.

ومن الظواهر التي برزت في هذا العصر أيضاً دور الوراقين المعروفة اليوم بالمكتبات، ومن أهمها مكتبة دار الحكمة أو بيت الحكمة التي أنشأها الخليفة هارون

(1) انظر: أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة – دراسة نقدية تحليلية هادفة– د. خالد كبير علال، ص(204).

(2) المرجع السابق.

الرشيد، وعمل ابنه المأمون من بعده على إمدادها بمختلف الكتب؛ في الطب والفلسفة والرياضيات، ومختلف المخطوطات الآرامية واليونانية والهندية، والمصرفات المختلفة، فصارت تحتوي على جميع الكتب في العلوم [1]، كما كان للعلماء والكتاب الذين يتقاضون وزن الكتب ذهباً، والمترجمين الذين ينقلون الكتب من وإلى اللغة العربية، والأدباء الذين كانوا يرتادونها أكبر الأثر في تقدم الحركة العلمية ونشر الثقافة الإسلامية والعربية، وقد وضعت المؤلفات في مختلف فروع المعرفة، في التاريخ والجغرافيا، والفلك والرياضيات، والطب والكيمياء والصيدلة، والصرف والنحو، واللغة والنقد والشعر، والقصص والدين، والفلسفة والسياسة، والأخلاق والاجتماع، وغير ذلك .. ويكفي أن نقرأ كتاب الفهرست لابن النديم لنعرف إلى أي مدى كانت حركة التأليف مزدهرة آنذاك.. وأقبل الأدباء على الثقافات الجديدة يكتسبون منها معطيات عقلية، وقدرة على التعليل والاستنباط وتوليد المعاني، والمقارنة والاستنتاج.. ولكن أكثر هذه العلوم كانت بيد العجم في ذلك العهد، وانشغل عنها العرب بالحكم والسياسة[2].

كما كان للخلفاء العباسيين اهتمام متميز ببناء المساجد وتشييدها وترميمها[3].

وهناك عدة عوامل أذكت التطور العلمي الكبير الذي شهده العصر العباسي، وهي:

1- ازدهار الثقافة الدينية من تفسير للقرآن، وجمع للحديث، وظهور المذاهب الفقهية.

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص(113).

(2) انظر: أبجد العلوم للقنوجي (230/1).

(3) انظر: تاريخ المساجد الشهيرة، عبدالله سالم نجيب، ص(81).

2- العناية بالعلوم اللغوية، وظهور مدرستين للنحو؛ واحدة في الكوفة، وأخرى في البصرة.

3- تشجيع الحكام والخلفاء للأدب وللشعراء وكثرة العطايا لهم.

4- الرقى الثقافي والحضاري الذي شهده هذا العصر بسبب حركة الترجمة والتأليف ومجالس العلم

5- الرقي الثقافي الذي اتسعت آفاقه عن طريق التأليف والترجمة ومجالس العلم والثقافة.

6- تشجيع الحكام والخلفاء للأدب وتقديرهم للأدباء والشعراء وإعطائهم الأموال الكثيرة.

7- تنافس الأدباء والشعراء فيما بينهم لنيل المكانة والحظوة لدى الحكام والخلفاء.

8- التطور العقلي، والتأثر بالثقافات المختلفة من فرس وهند وإغريق، وبخاصة في علوم الفلسفة الطب والفلك والرياضيات.

9- البدء في ترجمة الكتب الفلسفية من يونانية، ورومانية، وفارسية، وهندية، بدعم من الولاة.

10- نتج من جراء هذا: انتشار البدع في عقائد الناس، وعباداتهم بشكل سريع.

11- انتشرت الرافضة والمعتزلة، ودعم الولاة المذهب الاعتزالي خاصة، والقول بخلق القرآن، وأصاب المسلمين منه محنة وبلاء.

12- الطغيان الماديّ الجامح، ليس في قصور الولاة والأمراء فحسب، بل حتى عند عامة الناس.

و لم يقتصر تأثير حركة الترجمة العلمية على إثراء المكتبات والمدارس بجل تراث القدماء، ولكن التأثير ظهر في صورة أهم من ذلك، وهى استيعاب القديم، والانطلاق بخطى سريعة إلى عهد جديد في التأليف. وبلغ التأليف بعد ذلك قمته كمًا وكيفًا، بفضل عدد كبير من المبرزين في مختلف العلوم، تميزوا بغزارة إنتاجهم، وعظمة ابتكاراهم، وسلامة منهجهم وتفكيرهم.

ووصل التقدم إلى مرحلة النضوج الفكري والعلمي، والمقدرة على الابتكار واستخلاص النظريات السليمة بعد بحث ونقد وتجربة ... وتعد الدولة العباسية – كما يقول ابن طباطبا– كثيرة المحاسن، جمة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافقة، وشعائر الدين فيها معظمة، والخيرا ت فيها دائرة، والدنيا عامرة، والحرمات مرعية، والثغور محصنة، ومازالت على ذلك حتى أواخر أيامها، فانتشر الشر، واضطرب الأمر.

وكان تطور الفكر العربي في العصر العباسي نتيجة لما مر عليه من أحداث سياسية واجتماعية، ومن مظاهر تطور الفكر في العصر العباسي أن أصبحت الترجمة عملاً رسمياً بعدما كان في العصر الأموي عملاً فردياً يقوم به بعض الراغبين فيه، و هذا ما أدى إلى اكتساب كثير من العلوم والآداب من البلاد المترجم عنها بفضل الرحلات والبعثات العلمية، وأول من عني بالترجمة من الخلفاءِ العباسيين أبو جعفر المنصور ثم نشطت الترجمة في عهد هارون الرشيد وخاصة في عهد المأمون.

وفي العصر العباسي الثاني لم يكتف المسلمون بمجرد الترجمة بل كانوا يبدعون ويضيفون إلى كل علم يترجمونه . فلعب المسلمون بهذا دوراً كبيراً في خدمة الثقافة العالمية، فقد أنقذوا هذه العلوم من فناء محقق، إذ تسلموا هذه الكتب في عصور الظلام لدى الأمم الأخرى، فبعثوا فيها الحياة.

ويلخص لنا المقريزيّ رحمه الله تعالى الآثار الناتجة من ترجمة كتب الفلسفة فيقول:

وبتعريب المأمون لكتب الفلسفة انتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت مذاهب الفرق من: القدرية والجهمية والمعتزلة والأشعري ة والكرّامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية، حتى ملأت الأرض، وما منهم إلا من نظر في الفلسفة، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره، فانجر بذلك على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين.اهـ[1]

وكان العصر العباسي بصورة عامة يموج بالحركة العلمية، والنشاط الثقافي، الذي لم يتأثر بالانقلابات السياسية التي كانت تحدث في حركة الدولة، وكان الازدهار العلمي يمشى قُدماً إلى الإمام، يموج بالحركة والنشاط، وتَألّق عدد كبير من الناهين في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والحديث، وعند النظ ر إلى أسماء العلماء الذين عاشوا في هذه الحقبة الزمنية يتضح لنا وفرة العلم وسعته، بل لا نبعد لو قلنا إنه أشد العصور ازدهاراً بعد عصر النبي ﷺ، ويأتي في طليعة أولئك العلماء: إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو عبيد القاسم بن سلام والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود، وغير هؤلاء كثير، ومعلوم أن لهم أثرهم في تدوين العلم، بل وحفظ أصوله، فالإمام أحمد صنف كتابه "المسند"، والبخاري صنف كتابه "الصحيح"، وكذا مسلم، وابن معين كان له أثره في "الجرح والتعديل"، ومنهم كذلك أيضاُ الحافظ ابن أبي الدنيا، والمبر د؛ اللغوي المشهور إمام النحاة في عصره، وصاحب كتاب "الأمل"، وابن واضح اليعقوبي، وكان من أكابر مؤرخي عصره، ونبغ ثابت بن قرة الرياضي المشهور، وابن الفقيه الهمداني الجغرافي، وفي مجال الشعر كان مثل: ابن الرومي، والبحتري، وغيرهم، وخذ دلالة على كثرة العلماء أن الخ طيب البغدادي لما ترجم لأهلها، ولمن وردها مستفيداً ومفيداً، بلغت عدد تراجمه (7831) ترجمة.

---

(1) انظر: التاريخ الإسلامي- الدولة العباسية، لمحمود شاكر (5/34،13).

ومن آثار امتداد الفتوحات الإسلامية السابقة لعهد الدولة العباسية [1] واطلاع المسلمين على حضارات الأمم السابقة ترجم المسلمون في عهد الدولة العباسية ما استطاعوا إليه سبيلاً، فألفوا وأبدعوا حتى أنتجوا للعالم أجمع حضارة لا يزال العلم الحديث يرتكز على قواعدها والمبادئ التي سارت عليها، وكان نتيجة ذلك ازدهار حركة التأليف والترجمة وإنشاء المكتبات في مختلف أرجاء العالم الإسلامي لأغراض مختلفة، وأصبحت المكتبات تحوي عشرات الآلاف من المجلدات والمخطوطات، وفي هذا الصدد تقول (زيغريد هونكه) في عام 891م بلغ عدد دور الكتب في بغداد وحدها أكثر من مائه دار.

ولذا قالوا في بغداد: "إنها وسط الدنيا، وسرة الأرض، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها؛ سعة وكبراً وعمارة، سكنها أصن اف الناس، وانتقلوا إليها من جميع البلدان، وهي مدينة بني هاشم، ودار ملكهم، ومحل سلطانهم. وباعتدال هوائها وعذوبة مائها حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم، حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتمييز ... فليس عالم أعلم من عالمهم، ولا أ روى من راويتهم، ولا أجدل من متكلمهم، ولا أعرب من نحوييهم، ولا أصح من قارئهم، ولا أمهر من متطببهم ..." .

وعلى كلٍ فإن الحقبة الزمنية التي عاشها الإمام ابن قتيبة كانت مليئة بالعلم والعلماء، على تنوع شعبه وتشعب أقسامه، ولا شك أنَّ بيئة تزدحم بهؤلاء لابد أن

(1) لكن الفتوحات توقفت منذ أواخر الدولة الأموية وانشغل الناس في عهد الدولة العباسية بالصراعات الداخلية، وقصروا جداً في شأن الفتوحات في تلك الفترة انظر: التاريخ الإسلامي–الدولة العباسية، محمود شاكر (5/6، 39) .

يخرج منها الأكابر ويتخرج منها الأماجد، فلا عجب أن يخرج لنا أمثال ابن قتيبة – رحمه الله – ممن يحوون علوماً شتى، ويشاركون في فنون عدة.

ولكن الجو العلمي الذي عاش فيه كان الناس فيه بأمس الحاجة إلى ثبات أئمة السنة وتبيين الحق المبين، وذلك لانتشار العصبيات العرقية المقيتة، وانتشار منهج المعتزلة في الملوك والقواد وفتنة العلماء لأجله، فكان فيما ألفه ابن قتيبة وغيره من أهل السنة والجماعة في ذلك العصر وثباتهم على منهج الحق رغم عجز الأعوان ومضادة السلطان أكبر الأثر في ثبوت منهج أهل السنة والجماعة وانحدار منهج المعتزلة والإسماعيلية وغيرهم من أهل البدع الردية حتى عاد منهج الدولة العباسية إلى التمسك بمنهج الكتاب والسنة والدعوة إليها، وكانت من أثر ذلك ما قام به الخليفة القادر بالله عام 408هـ حيث استتاب فقهاء المعتزلة فأظهروا الرجوع وتبرؤوا من الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام[1].

(1) انظر: الكامل في التاريخ للشيباني (305/9).

الفصل الثاني

حياة ابن قتيبة الشخصية والعلمية باختصار

وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: طلبه للعلم ورحلاته فيه.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: تلاميذه.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: آثاره العلمية ومؤلفاته.

المبحث الثامن: عقيدة الإمام ابن قتيبة.

المبحث التاسع: وفاته – رحمه الله –.

الفصل الثاني

حياة ابن قتيبة الشخصية والعلمية باختصار[1]

المبحث الأول: اسمه ونسبه – رحمه الله – :

هو الحافظ الذكي الثقة النبيل اللغوي النحوي الأديب العلامة الكبير ذو الفنون: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي الدينوري الكاتب، صاحب التصانيف[2].

لم يقع خلاف في اسمه وكنيته وأسماء آبائه، وهو من أسرة فارسية الأصل، سكن أبوه مرو فنسبوه إليها المروزي [1].

---

(1) انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ص(١١٥)، والإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (627/2)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (170/10)، والأنساب للسمعاني (451/4)، والمنتظم لابن الجوزي (276/12)، واللباب في تهذيب الأنساب للجزري (15/3)، والكامل في التاريخ للشيباني (359/6)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (555/2)، وتوضيح المشتبه للقيسي (99/7)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (631/2)، والمغني في الضعفاء للذهبي (357/1)، وميزان الاعتدال للذهبي (198/4) والعبر في خبر من غبر للذهبي (62/2)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (297/13)، وتاريخ الإسلام للذهبي (382/20) والبداية والنهاية لابن كثير (2202/2)، والوافي بالوفيات للصفدي (326/17)، ومرآة الجنان لليافعي (191/2)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي ص(31)، ولسان الميزان لابن حجر (357/3)، والنجوم الزاهرة لابن تغري (75/3)، وبغية الوعاة للسيوطي (63/2)، وأسماء الكتب لعبداللطيف زاده ص(28)، وشذرات الذهب للعكري (169/2)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (441/5)، والأعلام للزركلي (137/4).

(2) ستأتي إحالة هذه الأوصاف إلى قائليها في الإمام ابن قتيبة عند الكلام على ثناء العلماء عليه

وأما نسبته إلى دينور –وهي بكسر الدال على الصحيح[2]–؛ فلأنه عمل فيها قاضيًا مدة[3].

واشتهر عند العلماء بنسبته إلى جده، فيقال: ابن قتيبة كما يقال ابن حنبل للإمام أحمد محمد بن حنبل، ويقال: "القُتَبي، بضم القاف، وفتح التاء المنقوطة من فوقها باثنتين، وكسر الباء المنقوطة بواحدة"[4].

وربما قالوا: القتيبي، قال النووي – رحمه الله – : "وقد يزيدون فيه ياء مثناة من تحت بين التاء والياء، والأول هو الفصيح المشهور الجاري على القواعد"[5].

وقتيبة: تصغير قِتبة بكسر القاف، وهي واحدة الأقتاب، وهي الأمعاء، وبها سمي الرجل[6].

ويعرف بهذه النسبة (ابن قتيبة) آخرون: كابنه القاضي أحمد أبي جعفر العلامة المالكي[7]، وابن ابنه أيضاً عبد الواحد، و أبي العباس محمد بن الحسن بن قتيبة بن زيادة اللخمي العسقلاني ويميز بابن قتيبة اللخمي أو العسقلاني[8]، وغيرهم، ولذلك يميز العلماء الإمام صاحب الترجمة عند ذكره غالباً بقولهم: أبو محمد بن قتيبة.

---

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (170/10)، والمنتظم لابن الجوزي (276/12)، وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، وتاريخ الإسلام للذهبي (382/20)، والوافي بالوفيات للصفدي (326/17).

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3).

(3) انظر: المنتظم لابن الجوزي (276/12)، والكامل في التاريخ للشيباني (359/6)، وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3) شذرات الذهب للعكري (169/2)، والأعلام للزركلي (137/4).

(4) الأنساب للسمعاني (451/4).

(5) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (555/2).

(6) وفيات الأعيان لابن خلكان (43/3).

(7) سير أعلام النبلاء للذهبي (565/14) ترجمة رقم (324).

(8) المرجع السابق (292/14) ترجمة رقم (189).

بل قد يخشى من اختلاط اسمه مع اسم رافضي خبيث، قال الألوسي : "وعبد الله بن قتيبة رافضي غالٍ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتاباً سماه بـــ (المعارف)، فصنف ذلك الرافضي كتاباً وسماه (المعارف) أيضاً قصداً للإضلال.اهـــ[1]

(1) مختصر التحفة الاثني عشرية ص(37) لمحمود شكري الألوسي – وهو حفيد الألوسي المفسر صاحب (روح المعاني).

المبحث الثاني : مولده ونشأته:

مولده:

اختلف العلماء في تحديد تاريخ ولادة الإمام ابن قتيبة والبلد الذي ولد فيه، فقال بعضهم: إنه ولد في الكوفة[1].

بينما قال الخطيب البغدادي والسمعاني وغيرهما: إنه ولد في ببغداد[2].

ولذلك نسبه إليها ابن كثير فقال: البغدادي[3].

أما تاريخ ولادته؛ فنص ابن النديم أنه كان " في مستهل رجب "[4].

واختلفوا في السنة التي ولد فيها، فقيل: سنة اثنتي عشرة ومائتين[5].

والأكثر على أن مولده كان سنة ثلاث عشرة ومائتين[6].

وهذا ما اختاره الزركلي حين حدد مولده ووفاته بقوله : (213-276هـ = 828-889م)[7]

(1) الكامل في التاريخ للشيباني (359/6).

(2) تاريخ بغداد (170/10)، الأنساب (451/4) الأعلام للزركلي (137/4).

(3) في البداية والنهاية (57/11).

(4) انظر: الفهرست ص(١١٥).

(5) الكامل في التاريخ للشيباني (359/6).

(6) وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، والعبر في خبر من غبر للذهبي(62/2)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (297/13)، وتاريخ الإسلام للذهبي(382/20).

(7) الأعلام للزركلي (137/4).

نشأته:

رغم اختلاف العلماء في ولادة ابن قتيبة في الكوفة أو في بغداد إلا أنهم متفقون على أن نشأته كانت في بغداد عاصمة العلم والعلماء آنذاك، ومن الطبيعي أن يتلقى مثل ابن قتيبة عن أئمة أهلها والواردين إليها فالتقى فيها بأعلام الأمة وأئمة الدين من الفقهاء واللغويين والنحويين والمحدثين والمفسرين، وأخذ عنهم من العلوم ما جعل منه علامة متبحراً في شتى الفنون، غير أن الذي كان يستهويه منها علوم اللغة والأدب كما هو ظاهر في كتبه التي صنفها، يقول قاسم بن أصبغ: كنا عند ابن قتيبة، فأتوه بأيديهم المحابر، فقال: اللهم سلمنا منهم، فقعدوا، ثم قالوا: حدثنا رحمك الله، قال: ليس أنا ممن يحدث، إنما هذه الأوضاع، فمن أحب، قالوا له: ما يحل لك هذا، فحدثنا بما عندك عن إسحاق بن راهويه، فإنا لا نجد فيه إلا طبقتك، وأنت عندنا أوثق، قال: لست أحدث، ثم قال لهم: تسألوني أن أحدث، وببغداد ثمان مئة محدث، كلهم مثل مشايخي، لست أفعل، فلم يحدثهم بشيء[1].

وهذا لا يعني أنه ترك التحديث بالكلية، إنما تركه في آونة معينة فقط، فقد نقلت عنه أحاديث من روايته حدث بها، يقول ابن خلكان: كان فاضلاً ثقة سكن بغداد، وحدث بها[2].

وقد خالط -كغيره- بعض رجال الدولة، فعرف منهم في ذلك الوقت الوزير أبا الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وأهدى إليه كتابه أدب الكاتب[3].

---

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي (301/13).

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، وانظر: المنتظم لابن الجوزي (276/12)، ومرآة الجنان لليافعي (191/2).

(3) انظر: " ابن قتيبة " للدكتور محمد زغلول سلام ص(21)، ومقدمة أدب الكاتب ص(5).

ولا تفيدنا المصادر التي ترجمت له أنه أقام في غير بغداد إلا ما ذكروه عن خروجه رحمه الله إلى دينور لتولي القضاء فيها، ولأجل ذا نسب إليها -كما تقدم-

المبحث الثالث: طلبه للعلم ورحلاته فيه:

الرحلة في طلب العلم مفيدة، وسبب ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحك اماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها، والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم، وتنهض قواه إلى الرسوخ والإحكام في الملكات، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ومن تشوق بفطرته إلى العلم ممن نشأ في القرى ولا يجد فيها التعليم لابد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار[1].

والإمام البخاري رحمه الله تعالى بوّب بقوله: باب الرحلة في العلم، في كتاب العلم من "صحيحه".

وليس في شيء من المصادر أن ابن قتيبة كانت له رحلات في طلب العلم والحديث، ولا ضير عليه في ذلك كما يظن البعض، فقد قال الخطيب البغدادي رحمه الله: "المقصود في الرحلة في الحديث أمران: أحدهما: تحصيل علو الإسناد وقدم السماع، والثاني: لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم.

(1) الحطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان (1/13).

فإذا كان الأمران موجودين في بلد الطالب ومعدومين في غيره ؛ فلا فائدة في الرحلة، والاقتصارُ على ما في البلد أولى"[1].

وكانت بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الإسلام ومجمع الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف وبها أرباب الغايات في كل فن وآحاد الدهر في كل نوع[2].

ولذلك لم أر من نص على أن الإمام ابن قتيبة لم يرحل، رغم أنهم انتقدوا بذلك جماعة من العلماء غيره ونصوا على ذلك في تراجمهم، ولعلهم راعوا ما ذكرته آنفاً.

على أن هناك أمراً آخر يمكن اعتباره سبباً مهماً في تركه الرحلة أيضاً، ذلك أن الرحلة كانت شائعة بين طلبة الحديث وأهله، طلباً للغرا ئب والعوالي، ولما لم يكن لابن قتيبة به كبير اهتمام - كما ذكرت قصته في المبحث السابق- كان ما حصله -ممن كان في بغداد أو دخلها من العلماء في عصره- ما يكفيه من ذلك، وهذا من حيث الرواية، لكنه كان شديد الحرص على التفقه في مختلف علوم الدين كما توحي بذلك مصنفاته وك تاباته، كقوله: ..ونعوذُ بالله من حَيْرة الجَهْل وفتنة العلم وإفراط التعمّق وأنْ يشغلنا التكاثُر بالعلم عن التفقّه فيه فكم من طالب حظُّه العَناء وضاربٍ في الأرض غنيمتُه الإياب يَجُوب البلاد ويغني التّلاد[3] ويقطع الرحم ويضيع العيال صابراً على جَفا الغربة وطُول العزْبة وخُشونة المطعم ورثاثة الهيئة مبيته المساجد ومصباحه القمر وطعامه قَفَار وهجوعُه غِرار وهمُّه الجمع دون التَّفقُّه

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (2/223).

(2) معجم البلدان لياقوت الحموي (1/461).

(3) هكذا وجدتها، ولعل الأصح (ويفني [بالفاء] التّلاد) لأن التلاد هو: المال. انظر: لسان العرب لابن منظور (3/99).

فيه، والطُرق دون المُتون، والغرائب دون السُّنَن، والاستكثار من أسماء الرجال حتى يعود كما بدأ، لم يحل ممّا طَلَب إلا بأسفار حملها و لم ينفعه علمها[1].

والظاهر أنه أخذ الكثير من فقهه عن إمام عصره ومصره في الفقه إسحاق بن راهويه عالم خراسان وصديق الإمام أحمد وشيخ البخاري، يظهر ذلك من خلال ما نقله عنه من الفقه في ثنايا كتبه، والله أعلم.

وقد جمع رحمه الله من العلوم ما جعله عمدة لمن بعده في الكثير منها وبخاصة ما يتعلق منها بالتاريخ وعلوم اللغة، وكان أهل العلم يتهمون من ليس في بيته شيء من تصانيفه[2].

(1) غريب الحديث لابن قتيبة(147/1).

(2) البداية والنهاية لابن كثير(2202/2).

المبحث الرابع: شيوخه:

إن مجرد نظرة عابرة في شيوخ الإمام ابن قتيبة – رحمه الله – لتوحي بعلو شأنه وتقدم تحصيله، فبينه وبين بعضهم بضع وعشرون سنة فقط، مما يدل على أنه تلقى عنهم في العشرينات من عمره، ومن شيوخه:

1. *أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه:* الإمام الجليل الثقة، أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين، الجامع بين الفقه والحديث والورع والتقوى، نـــز يل نيسابور وعالمها، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين[1].

2. *يحيى بن أكثم أبو محمد التميمي المروزي القاضي:* كان عالمًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، ولاه المأمون قضاء القضاة ببغداد، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين[2].

3. *أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي:* كان نحويًا لغويًا راويًة، وكان شاعرًا مات سنة تسع وأربعين ومائتين[3].

4. *معد بن زياد بن عبيد الله بن زياد الزيادي :* روى له البخاري في صحيحه كالمقرون بغيره، مات في حدود سنة خمسين ومئتين. وأورده ابن حبان في "الثقات" وقال: ربما أخطأ[4].

---

(1) انظر ترجمته في: بغية الطلب في تاريخ حلب لابن أبي جرادة (3/1406)، سير أعلام النبلاء للذهبي (11/358).

(2) انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (1/411)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (14/191)، وتاريخ مدينة دمشق لابن هبة الله(64/62)، الكاشف للذهبي (2/361).

(3) انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي(1/100)، والوافي بالوفيات للصفدي(5/233).

(4) انظر ترجمته في: الثقات لابن حبان (9/114)، وتهذيب الكمال للمزي(25/217).

5. *أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني:* من رجال الكتب الستة، مات سنة أربع وخمسين ومائتين[1].

6. *أبو حاتم السجستاني:* سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني، النحوي، المقري، البصري، مات سنة خمس وخمسين ومائتين[2].

7. *زيد بن أخزم الطائي النبهاني:* أبو طالب البصري الحافظ الثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة عدا مسلم، مات بعد دخول الزنج البصرة، وذبح ذبحًا، ذبحه الزنج سنة سبع وخمسين ومائتين[3].

8. *محمد بن سلام الجمحي البصري:* صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء وفنه الذي برع فيه الأخبار والأدب، يقول الذهبي: أخباري موثق، سمع حماد بن سلمة، قال أبو خيثمة: خذوا منه الشعر، فأما الحديث فلا، كان قدريًا[4].

ومنهم: أحمد بن سعيد اللحياني صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبو الحسين بن الفراء، وعبدة الصفار، والرياشي والبجلي، وأبو وائل خالد بن محمد، وعبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي، وغير هؤلاء من العلماء، وقد جمع عدداً منهم الشيخ الدكتور: علي بن نفيع العلياني في كتابه: عقيدة الإمام ابن قتيبة[5]، ونور الله بيكر في مقدمته لكتاب ابن قتيبة "تأويل مختلف الحديث"[1].

---

(1) انظر ترجمته في: تسمية من أخرج لهم البخاري ومسلم للحاكم ص(114)، وتهذيب الكمال للمزي (523/9).

(2) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار للذهبي (219/1)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (226/4).

(3) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(446/8)، وتهذيب الكمال للمزي(5/10).

(4) انظر ترجمته في: المغني في الضعفاء للذهبي (587/2)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (278/7)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي(345/5)، ولسان الميزان لابن حجر (182/5).

(5) انظر ص(50-63) منه.

(1) انظر ص(36) منه.

المبحث الخامس: تلاميذه:

إن من بركة العلم نشره، وبثه بين الناس، ومن إرادة الله تعالى بعبده الخير أن يهيئ له من يحفظ له علمه، وينشر له فضله، وقد وفق الله ابن قتيبة فهيأ له طلابًا يحفظون علمه، وينقلونه إلى من بعدهم، وكان له طلبة مهتمون به وبعلومه، ومن ذلك ما سبق من إصرارهم عليه ليحدثهم لعلو إسناده، ومنه كذلك مما يبين حرص طلبته على ما عنده ما ذكره في مقدمة كتابه غريب الحديث إذ يقول : كنت حين ابتدأت في عمل الكتاب أطْلعت عليه قوماً من حَمَلة ا لعلم والطَّالبين له وأعجلَهمْ الرغبة فيه والحِرْصُ على تدوينه عن انْتظار فراغي منه وسألوا أنْ أخرج لهم من العمل ما يرتفع في كلّ أسبوع ففعلْتُ ذلك حتى تمَّ لهم الكتاب وسَمِعُوه وحَمَلَهُ قوم منهم إلى الأمصار.اهـ[1]

فكان من جملة هؤلاء:

1. *إبراهيم بن موسى بن جميل الأموي*، مولاهم، أبو إسحاق الأندلسي، نـزيل مصر، كان ثقة، مات في جمادى الأولى، سنة ثلاث مئة بمصر[2].

2. *إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير أبو القاسم الصائغ:* روى عن ابن قتيبة مصنفاته، وكان ثقة، مات في جمادى من سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة[3].

3. *ابنه أحمد*: القاضي، كان مالكي المذهب، وهو من أهل العلم والحفظ والإتقان لكتب أبيه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن، ويرد فيها من حفظه النقطة

---

(1) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (1/151).

(2) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي (2/218).

(3) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (6/157).

والشكلة، وما معه نسخة، كان أبوه أبو محمد حفظه إياها في اللوح، توفي بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة[1].

4. *عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير أبو القاسم التميمي:* كان ثقة، مات في ذي الحجة من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة[2].

5. *أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي :* الحافظ المحدث الثقة الأديب محدث ما وراء النهر، ومؤلف المسند الكبير، أصله من مرو، توفي سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة[3].

6. *قاسم بن أصبغ بن* محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى الوليد بن عبدالملك بن مروان: من علماء الأندلس، كان ثبتًا صادقًا حليمًا مأمونًا بصيرًا بالحديث والرجال، نبيلاً في النحو والغريب، طال عمره، فلحق الأصاغر فيه الأكابر، وشارك الآباء فيه الأبناء، وكانت الرحلة إليه بالأندلس ، معدود في علماء المالكية، توفي سنة أربعين وثلاثمائة، وكان قد تغير ذهنه آخر عمره[4].

7. *عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي*، النحوي، أبو محمد، صاحب يعقوب الفسوي صاحب التاريخ، كان فسويًا[5] سكن بغداد إلى حين

---

(1) انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (1/394)، والوافي بالوفيات للصفدي (7/52)، الديباج المذهب لابن فرحون ص(35)، ورفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر ص(54).

(2) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(10/353).

(3) انظر ترجمته في: التقييد لأبي بكر البغدادي ص(479)، تذكرة الحفاظ لل ذهبي (3/849)، الوافي بالوفيات للصفدي (27/239).

(4) انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (4/581)، طبقات الحفاظ للذهبي (1/354) تاريخ العلماء بالأندلس للأزدي(1/405)، الديباج المذهب لابن فرحون ص(222).

(5) رجل فسوي: منسوب إلى فسا، بلد بفارس انظر: لسان العرب لابن منظور (15/155).

وفاته، ولازم ابن قتيبة، وحمل عنه من علوم الأدب، كان عالمًا فاضلاً، وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان. مات في صفر، سنة سبع وأربعين وثلاث مائة[1].

هذه بعض أسماء من أخذ عن الإمام ابن قتيبة رحمه الله، وقد استقصاهم الشيخان الدكتور: السيد أحمد صقر[2] والدكتور: علي بن نفيع العلياني[3].

---

(1) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(9/428)، ولسان الميزان لابن حجر(3/267).

(2) في مقدمة تحقيقه لمشكل القرآن ص(35).

(3) في كتابه عقيدة الإمام ابن قتيبة ص(97).

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

إنما يعرف الرجال بآثارهم، ولقد حظي الإمام ابن قتيبة رحمه الله بمكانة مرموقة جداً بين أهل العلم بمختلف تخصصاتهم؛ مفسرين ومحدثين ومؤرخين ونحويين ولغويين وأدباءِ ومصنفين، لقد كان لمؤلفاته رحمه الله من القبول ما جعل كتبه تنتشر في مختلف نواحي المعمورة، ويجذب إليها اهتمام أهل العلم وطلبته، وقد سبق إيراد مثال على ذلك مما ذكره في بعض مقدماته، ومما يجدر إيراده هنا أيضاً ما ذكره أبو الحسن القطان رحمه الله عن نفسه إذ يقول: رأيته في أول رحلتي ببغداد، و لم يتبين لي محلُّه، فلم أكتب عنه، فلما رجعت من اليمن، ورأيت كتبه؛ ندمت على ذلك، فكتبتها عن أبي بكر المفسر عنه.اهـ[1]

ثم تتابعت ألسنة النقاد الأئمة بالثناء على إمامنا ابن قتيبة بمختلف عبارات المدح والإطراء:

قال ابن النديم: "كان صادقاً فيما كان يرويه، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، والشعر، والفقه، كثير التصنيف والتأليف، وكتبه بالجبل مرغوب فيها"[2].

وقال الخطيب البغدادي: "كان ثقة ديناً فاضلاً، وهو صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة"[3].

---

(1) ذكره الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث(2/627).

(2) انظر: الفهرست ص(85).

(3) انظر: تاريخ بغداد (10/170).

وقال أبو البركات الأنباري: "كان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر، متفنناً في العلوم"[1].

وقال ابن الجوزي: "كان عالماً ثقة ديناً فاضلاً، وله التصانيف المشهورة"[2].

وقال ابن خلكان: "كان فاضلاً ثقة، وتصانيفه كلها مفيدة"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة"[4].

وقال الذهبي: "ابن قتيبة من أوعية العلم، لكنه قليل العلم في الحديث، فلم أذكره"[5].

وقال أيضاً: "صاحب التصانيف صدوق قليل الرواية"[6].

وقال أيضاً: "كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار"[7].

وقال أيضاً: "والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة، وعلوم مهمة"[8].

وقال أيضاً: "وكان عالمًا في اللغة العربية والأخبار وأيام الناس"[9].

---

(1) انظر: نـــزهة الألباء (ص 209).

(2) انظر: المنتظم (5/102).

(3) انظر: وفيات الأعيان (3/42).

(4) انظر: تفسير سورة الإخلاص (ص 252).

(5) انظر: تذكرة الحفاظ (2/633).

(6) انظر: ميزان الاعتدال (2/503).

(7) انظر: سير أعلام النبلاء (13/298).

(8) المرجع السابق (13/300).

(9) انظر: تاريخ الإسلام (20/382).

وقال ابن كثير: "صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة"[1].

وقال أيضاً: "أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء وكان ثقة نبيلاً، وكان أهل العلم يتهمون من ليس في منـــزله شيء من تصانيفه"[2].

وقال مسلمة بن قاسم: "كان لغوياً كثير التأليف، عالماً بالتصنيف، صدوقاً من أهل السنة، يقال: كان يذهب إلى قول إسحاق بن راهويه"[3].

وقال نفطويه: "كان إذا خلا في بيته وعمل شيئاً جوده، وما أعلمه حكى شيئاً في اللغة إلا صدق فيه"[4].

وقال ابن حزم: "كان ثقة في دينه وعلمه"[5].

وقال الحافظ السلفي: "كان ابن قتيبة من الثقات، ومن أهل السنة"[6].

فهذه جملة من آراء العلماء الأفاضل في ابن قتيبة رحمه الله.

لكنه –كغيره– لم يسلم من طعن ونقد، لسبب أو لآخر، فأنا أذكر هنا ما طُعن به على ابن قتيبة وأعقبه برد أئمة العلماء عليه، ليتبين لنا سلامة ابن قتيبة مما رمي به، وأنه لا مأخذ عليه – إن شاء الله – إلا بالهوى والعصبية التي لا تنفق في البحث العلمي النـــزيه.

---

(1) انظر: البداية والنهاية (11/48).

(2) المرجع السابق (11/57).

(3) نقله ابن حجر في لسان الميزان (3/358).

(4) المرجع السابق.

(5) المرجع السابق.

(6) المرجع السابق.

التهُّم التي أطلقت في حق ابن قتيبة وأجوبة العلماء عنها:

1- نقل الذهبي[1] عن الحاكم أنه قال: أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب.

وهذا من أغرب ما ينقل في القدح بإمام مثل ابن قتيبة، إذ لا يعرف فيمن سلف إمام واحد أطلق مثل هذه التهمة في حق ابن قتيبة، حتى جاء الحاكم بعد قرون ليقذفه بها، ولذلك قال الذهبي: "وهذه مجازفة بشعة من الحاكم، وما علمت أحدًا اتهم ابن قتيبة في نقل، مع أن أبا بكر الخطيب قد وثقه، وما أعلم أحدًا اجتمعت الأمة على كذبه إلا مسيلمة والدجال، غير أن ابن قتيبة كثير النقل من الصحف كدأب الإخباريين، وقل ما روى من الحديث"[2].

وقال في موضع آخر: "قلت: هذه مجازفة قبيحة، وكلام من لم يخف الله"[3].

وقال أيضاً: "هذا بغي وتخرص، بل قال الخطيب: هو ثقة"[4].

يقول الباحث: ولقد – والله – كان يدور في خلدي أن في الأمر تصحيفاً عن العتبي، لأنني استبعدت جداً صدور مثل هذا القول من الحاكم في حق ابن قتيبة، إلى أن وفقني الله للوقوف على ما يؤيد ذلك من كلام أئمة أهل العلم، فقد نقل ابن الجزري[5] كلام الحاكم هذا في جملة ما انتقد عليه، ثم أعقبه برد الذهبي في الميزان ثم قال : وسألت شيخنا الحافظ ابن كثير عن ذلك فقال: هذا تصحيف وإنما هو العتبي بالعين فإنهم أجمعوا على ضعفه.اهـ فالحمد لله على توفيقه.

---

(1) في سير أعلام النبلاء(13/299).

(2) انظر: تاريخ الإسلام (2/383).

(3) انظر: ميزان الاعتدال (2/503).

(4) انظر: المغني في الضعفاء (1/357).

(5) في غاية النهاية في طبقات القراء ص(358) في ترجمة الحاكم.

2- أنه كان يعتقد تشبيه صفات الله تعا لى بصفات المخلوقين، وهو رأي الكرامية.

قال الذهبي رحمه الله: "ورأيت في مرآة الزمان أن الدارقطني قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرف عن العترة، وكلامه يدل عليه، وقال البيهقي: كان يرى رأي الكرامية"[1].

يقول الباحث: يكفي لرد هذه الفرية أن الإمام ابن قتيبة – رحمه الله – مصنف كتاب "الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة" على طريقة أهل السنة والجماعة، ومن قوله في هذا الكتاب: "وعدل القول في هذه الأخبار: أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها، فنؤمن بالرؤية والتجلي وإنه يعجب وينـزل إلى السماء الدنيا، وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين، من غير أن نقول في ذلك بكيفية، أو بحدٍّ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدًا إن شاء الله تعالى"[2].اهـ

وكان قد قال قبل ذلك: "لما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالإفراط في التمثيل، فقالوا بالتشبيه المحض، وبالأقطار والحدود، وحملوا الألفاظ الجائية في الحديث على ظاهرها، وقالوا بالكيفية فيها[3].

ومما يدل على أن هذا منهج مستقر عنده وليس كلمة عابرة ما قاله في كتابٍ آخر له، يقول فيه: "فإن قالوا لنا – يعني المعطلة – : كيف ذلك النظر والمنظور إليه؟ قلنا: نحن لا ننتهي في صفاته إلا إلى حيث انتهى إليه رسول الله ولا ندفع ما صح عنه؛ لأنه لا يقوم في أوهامنا، ولا يستقيم على نظرنا، بل نؤمن بذلك من غير

(1) ميزان الاعتدال (2/503)، وتاريخ الإسلام (20/383).

(2) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص(53).

(3) المرجع السابق ص(52).

أن نقول فيه بكيفية، أو حد، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، ونرجو أن يكون في ذلك من القول والعقد سبيل النجاة والتخلص من الأهواء كلها غدًا إن شاء الله تعالى"[1].

ثم يقول: "ولا نقول: أصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضاتنا؛ لأنَّ كل شيء منه لا يشبه شيئاً منا"[2].

فهذا وغيره كثير- أوضح برهان على أن ابن قتيبة إمام سنة ثقة في د ينه كما تقدم في المبحث السابق.

يقول الذهبي: "والذي قيل عنه في التشبيه لم يصح، وإن صح فالنار أولى به، فما في الدين محاباة"[3].

وقد نقل ابن حجر عن السِّلفي قوله: "كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ولكن الحاكم بضده من أجل المذهب. [ثم قال ابن حجر:] وفسر الصلاح العلائي كلام السلفي أنه أراد بالمذهب ما نقل عن البيهقي: أنه كان كراميًا، وما نقل عن الدارقطني مما تقدم، قال العلائي: وهذا لا يصح عنه، وليس في كلامه ما يدل عليه، ولكنه جار على طريقة أهل الحديث في عدم التأويل"[4].

وعده شيخ الإسلام ابن تيمية " من الأئمة الذين كانوا يأتمون بالإمام أحمد في الأصول والفروع"[5].

---

(1) تأويل مختلف الحديث ص(208).

(2) المرجع السابق ص(210).

(3) تاريخ الإسلام (383/20).

(4) لسان الميزان (358/3).

(5) مجموع الفتاوى (87/12).

وقال شيخ الإسلام أيضاً : الراسخون في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده وهو التفسير في لغة السلف. ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف إن في القرآن آيات لا يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ولا غيره معناها بل يتلون لفظاً لا يعرفون معناه، وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما . وابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ، [وقد بسط الكلام على ذلك في كتابه في "المشكل" وغيره وله في ذلك مصنفات متعددة [1]] قال فيه صاحب "كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث" : وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفا وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق وكان معاصراً لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه ، قلت: ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة[2].

وقال في موضع آخر: "وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم وابن قتيبة وغير هؤلاء من أئمة السلف والسنة والحديث وكانوا يتفقهون على مذهب أحمد وإسحاق يقدمون قولهما على أقوال غيرهما"[3].

3-مسألة التلفظ بالقرآن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وقع بين أبي ذر الهروي وأبي نصر السجزي في ذلك حتى صنف أبو نصر السجزي كتابه الك بير في ذلك المعروف

---

(1) مجموع الفتاوى (367/17).

(2) مجموع الفتاوى (391/17).

(3) مجموع الفتاوى (232/25).

بالإبانة وذكر فيه من الفوائد والآثار والانتصار للسنة وأهلها أموراً عظيمة المنفعة لكنه نصر فيه قول من يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق وأنكر على ابن قتيبة وغيره ما ذكروه من التفصيل ورجح طريقة من هجر البخاري وزعم أن أحمد بن حنبل كان يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق وأنه رجع إلى ذلك وأنكر ما نقله الناس عن أحمد من إنكاره على الطائفتين وهي مسألة أبي طالب المشهورة"[1].

وقد كفانا شيخ الإسلام رحمه الله مؤنة الإجابة عن هذه الملاحظة هناك فقال : "وليس الأمر كما ذكره فإن الإنكار على الطائفتين مستفيض عن أحمد عند أخص الناس به من أهل بيته وأصحابه الذين اعتنوا بجمع كلام الإمام أحمد كالمروزي والخلال وأبي بكر عبدالعزيز وأبي عبدالله بن بطة وأمثالهم وقد ذكروا من ذلك ما يعلم كل عارف له أنه من أثبت الأمور عن أحمد وهؤلاء العراقيون أعلم بأقوال أحمد من المنتسبين إلى السنة و الحديث من أهل خراسان الذين كان ابن منده وأبو نصر وأبو إسماعيل الهروي وأمثالهم يسلكون حذوهم[2].

4- النصب، ويراد به مناصبة العداء لآل بيت النبوة:

قال الذهبي رحمه الله: "ورأيت في مرآة الزمان أن الدارقطني قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرف عن العترة، وكلامه يدل عليه"[3].

يقول ابن قتيبة عائبًا على النواصب: "وقد رأيت هؤلاء أيضًا حين رأوا غلو الرافضة في حب علي رضي الله عنه وتقديمه على ما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته عليه، وادعاءهم له شركة النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته، وعلم الغيب للأئمة من ولده، وتلك الأقاويل والأمور السرية، التي جمعت إلى

---

(1) درء تعارض العقل والنقل(1/268).

(2) المرجع السابق (1/269).

(3)ميزان الاعتدال (2/503)، وتاريخ الإسلام (20/383).

الكذب والكفر، إفراط الجهل والغباوة، ورأوا شتمهم خيار السلف، وبغضهم وتبرأهم منهم، قابلوا ذلك أيضًا بالغلو في تأخير علي رضي الله عنه، وبخسه حقه، ولحنوا في القول، وإن لم يعرضوا إلى ظلمه، واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق، ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان رضي الله عنه وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن، ولم يوجبوا له اسم الخلافة؛ لاختلاف الناس عليه، وأوجبوها ليزيد بن معاوية؛ لإجماع الناس عليه، واتهموا من ذكره بغير خير، وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله رضي الله عنه أو أن يظهروا ما يجب له، وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح، وجعلوا ابنه الحسين رضي الله عنه خارجيًا شاقًا لعصا المسلمين حلال الدم... والسلامة لك أن لا تملك بمحبته، ولا تملك ببغضه، وأن لا تحتمل ضغنًا عليه بجناية غيره، فإن فعلت، فأنت جاهل مفرط في بغضه، وأن تعرف له مكانه من رسول الله بالتربية والأخوة والصهر، والصبر في مجاهدة أعدائه، وبذل مهجته في الحروب بين يديه، مع مكانه في العلم والدين والبأس والفضل، من غير أن تتجاوز به الموضع الذي وصفه به خيار السلف، لما تسمعه من كثير من فضائله، فهم كانوا أعلم به وبغيره، ولأن ما أجمعوا عليه هو العيان الذي لا يشك فيه"[1].

فهذا نص ظاهر جلي من الإمام ابن قتيبة رحمه الله يدلك على مدى اعتداله في التعامل مع آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط.

ونحن إنما نجيب عن هذه الافتراءات على فرض صحة نسبتها إلى أصحابها وثبوت صدورها عنهم، وإلا فإن في ثبوتها نظراً، فإن الناقل لها عنهم هو سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، ولم يسند هذه الأقوال إلى قائليها، وهذا لو كان هو ثقة

(1) الاختلاف في اللفظ ص(54-56).

فيما ينقله فكيف وقد قال الذهبي عنه: "ألف مرآة الزمان فتراه يأتي فيه بم ناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض"[1].

يقول الباحث: وفي كلمة الذهبي الأخيرة في حق صاحب مرآة الزمان أنه ترفّض جواب كاف عن سبب اتهامه لابن قتيبة على اعتداله بأنه يميل عن العترة!!

و لم ينفرد الذهبي فيما قاله عن سبط ابن الجوزي بل قال الصفدي أيضًا: "إلا أن في المرآة – يعني مرآة الزمان له – صدأ المجازفة منه رحمه الله تعالى في أماكن معروفة"[2].

يقول الباحث: فهذا منها.

5-أنه خلط وتسرع في كتبه حتى أزري به بسببه عند العلماء:

يقول أبو الطيب – وهو يذكر بعض شيوخ ابن قتيبة – : "أخذ عن أبي حاتم ... وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الأشنانداني؛ إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات؛ وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو، وكتابه في تعبير الرؤيا، وكتابه في معجزات النبي ﷺ، وعيون الأخبار، والمعارف، والشعراء، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء، وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له"[3].

وهذا بالطبع كلام ساقط مردود عند أهل العلم، فقد انفرد أبو الطيب في طعنه بكتب ابن قتيبة من جهة، وعورض بمن هم أعلم منه وأكثر عدداً في نقلهم ثقةَ الناس بكتب ابن قتيبة وإقبالهم عليها واحتفالهم بها.

(1) ميزان الاعتدال (304/7).

(2) الوافي بالوفيات (122/29).

(3) مراتب النحويين ص (136).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه، قلت: ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة"[1].

قال أبو الحسن القطان رحمه الله عن نفسه: "رأيته في أول رحلتي ببغداد، و لم يتبين لي محلُّه، فلم أكتب عنه، فلما رجعت من اليمن، ورأيت كتبه؛ ندمت على ذلك، فكتبتها عن أبي بكر المفسر عنه" [2].

قال ابن النديم: "كثير التصنيف والتأليف، وكتبه بالجبل مرغوب فيها"[3].

وقال ابن خلكان: "تصانيفه كلها مفيدة"[4].

وقال ابن كثير: "كان أهل العلم يتهمون من ليس في م نـــز له شيء من تصانيفه"[5].

وقال مسلمة بن قاسم: "كثير التأليف، عالماً بالتصنيف"[6].

وقال نفطويه: "كان إذا خلا في بيته وعمل شيئاً جوده، وما أعلمه حكى شيئاً في اللغة إلا صدق فيه"[7].

أفهذه حال رجل أزري عليه في كتبه، فماذا لو أثني عليه لأجلها؟!!

---

(1) مجموع الفتاوى (17/391).

(2) ذكره الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث(2/627).

(3) الفهرست ص (85).

(4) وفيات الأعيان (3/42).

(5) البداية والنهاية (11/57).

(6) نقله ابن حجر في لسان الميزان (3/358).

(7) المرجع السابق.

المبحث السابع: آثاره العلمية ومؤلفاته:

يقول الإمام النووي رحمه الله: "وله مصنفات كثيرة جداً، رأيت فهرستها، ونسيت عددها، أظنها تزيد على ستين مصنفاً في أنواع العلوم"[1].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صاحب كتاب "التحديث بمناقب أهل الحديث" قوله عن ابن قتيبة: "هو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، أجودهم تصنيفًا، وأحسنهم ترصيفًا، له زهاء ثلاثمائة مصنف"[2].

ومنه تعلم ما في قول المسبحي الذي نقله الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة قاضي مصر أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة: "حدث بكتب أبيه كلها من حفظه بمصر، و لم يكن معه كتاب، وهي أحد وعشرون مصنفًا"[3].

فإن في قوله (كلها) مجازفة كبيرة ظاهرة لمن اطلع على ما سبق نقله عن النووي وصاحب كتاب التحديث والكتب المعروفة مشهورة النسبة لابن قتيبة والتي تقترب جداً مما ذكره النووي رحمه الله، وإليك سرد ما وقفت عليه منها[4]:

1. الإبل[5].
2. آداب العشرة[1].

---

(1) تهذيب الأسماء (2/555).

(2) مجموع الفتاوى (17/391).

(3) سير أعلام النبلاء (14/566).

(4) مرتباً إياها بحسب حروف الهجاء ليسهل الوقوف على أي كتاب منها، وذكرت معها بعض الكتب التي نسبت لابن قتيبة وليست من تأليفه ثم بينت تلك الكتب بعد السرد المجو.

(5) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (13/297)، والوافي بالوفيات للصفدي (17/326).

3. آداب القراءة.
4. أدب القاضي[2].
5. أدب الكاتب[3].
6. استماع الغناء بالألحان.
7. الاشتقاق[4].
8. الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها[5].
9. إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث[6].
10. أعلام النبوة[7].
11. النبات[8].
12. تأويل مختلف الحديث[9].
13. تأويل مشكل القرآن[1].

---

(1) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115).

(2) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(13/297)، والوافي بالوفيات (17/326).

(3) طبع بتحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1420هـ.

(4) انظر: الأعلام للزركلي (4/137).

(5) طبع بتحقيق الدكتور حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق -القاهرة.

(6) استدرك فيه ابن قتيبة على أبي عبيد في نيف وخمسين موضعًا، طبع بتحقيق عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، 1403هـ.

(7) انظر: الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون ص(35)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (13/297).

(8) فصول منه مخطوطة كما في الأعلام(4/137)، وسيأتي أن صاحب النبات غيره

(9) طبع بتحقيق سليم الهلالي، دار ابن عفان القاهرة 1427هـ.

14. تعبير الرؤيا[2].
15. جامع الفقه[3].
16. جامع النحو الصغير[4].
17. الجوابات الحاضرة[5].
18. الحجامة[6].
19. الحكاية والمحكي[7].
20. حكم الأمثال[8].

---

(1) وقد قام الأستاذ السيد صقر بتحقيقه، وإخراجه إخراجاً علمياً يشكر عليه، وانظر الأعلام للزركلي (137/4).

(2) ذكره ابن قتيبة في مقدمة عيون الأخيار، طبع بتقديم مشهور حسن وعمر بن إبراهيم، دار غراس- الكويت، 1422هـ، وانظر: فهرسة ابن خير الأشبيلي ص (233)، وسماه: (كتاب عبارة الرؤيا) وذكر سنده إلى مؤلفه.

(3) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115)، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لباشا (356/3)، قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) (301/13): (قال قاسم- يعني: ابن أصبغ - وله في الفقه كتاب، وله عن ابن راهويه شيء كثير. قيل لابن أصبغ: فكتابه في الفقه، كان ينفق عنه؟ قال : لا والله، لقد ذاكرت الطبري وابن سريج، وكلا من أهل النظر، وقلت: كيف كتاب ابن قتيبة في الفقه؟ فقالا: ليس بشيء، ولا كتاب أبي عبيد في الفقه، أما ترى كتابه في الأموال، وهو أحسن كتبه، كيف بني على غير أصل، واحتج بغير صحيح، ثم قالا: ليس لهؤلاء لهذا بالحري، أن لهما اللغة، فإذا أردت الفقه، فكتب الشافعي وداود ونظرائهما).

(4) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي(326/17).

(5) المرجع السابق.

(6) المرجع السابق.

(7) انظر: الفهرست لابن النديم (ص115).

(8) المرجع السابق.

21. خلق الإنسان[1].

22. الخيل[2].

23. ديوان الكتاب[3].

24. ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ومولده ووفاته[4].

25. الرحل والمنـزل[5].

26. الرد على الشعوبية[6].

27. الرد على القائل بخلق القرآن[7].

28. الشعر والشعراء[8].

29. طبقات الشعراء[9].

30. عيون الأخبار[10].

31. عيون الشعر[1].

---

(1) المرجع السابق، والوافي بالوفيات للصفدي(17/326).

(2) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان(3/42)، وسماه الذهبي في السير (13/297): الفرس.

(3) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115).

(4) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي(17/326).

(5) الإعلام 4/137.

(6) المرجع السابق.

(7) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي(17/326)، وسير أعلام النبلاء للذهبي(13/297).

(8) طبع بتحقيق الشيخ الأستاذ أحمد شاكر، وقد طبعته دار الحديث، القاهرة1417هـ.

(9) انظر: الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون ص(35)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (13/297)، والوافي بالوفيات للصفدي(17/326).

(10) طبع بتحقيق الدكتور محمد الاسكندراني، نشر دار الكتاب العربي، في مجلدين

32. غريب الحديث[2].

33. غريب القرآن[3].

34. فرائد الدر[4].

35. القراءات[5].

36. كتاب إعراب القرآن[6].

37. كتاب الأبنية[7].

38. كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة[8].

39. كتاب الإمامة والسياسة[9].

40. كتاب الأنواء[10].

41. كتاب آلة الكاتب.

---

(1) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115)، وإيضاح المكنون (134/4).

(2) وهو من أعظم ما صنف، وقد طبع في مطبعة العاني -بغداد- 1397، الطبعة الأولى، بتحقيق : د. عبد الله الجبوري.

(3) طبع (تفسير غريب القرآن) بعناية إبراهيم رمضان، ونشرته دار الهلال ببيروت، وهي النسخ ة التي اعتمدتها، وطبع بتحقيق أحمد صقر.

(4) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115).

(5) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(297/13).

(6) انظر: الفهرست ص (115)، ووفيات الأعيان لابن خلكان(42/3) وسماه: إعراب القراءات.

(7) الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون ص(35).

(8) طبع بتحقيق عمر بن محمود، دار الراية– الرياض، 1412هـ.

(9) وللعلماء نظر في نسبته إليه، انظر: الأعلام للزركلي (137/4).

(10) وقد صنف هذا الكتاب في علوم النجوم، انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (326/17)، وسير أعلام النبلاء للذهبي(297/13)، وفهرسة ابن خير الأشبيلي ص (236) وساق سنده إلى مؤلفه.

42. كتاب التسوية بين العرب والعجم[1].

43. كتاب التفسير.

44. كتاب التقفية[2].

45. كتاب الجراثيم.

46. كتاب العلم.

47. كتاب القلم[3].

48. كتاب المراتب والمناقب[4].

49. كتاب المعارف[5].

50. كتاب الميسر والقداح[6].

51. كتاب النفس[7].

52. كتاب الوحش[8].

53. كتاب الوزراء[1].

---

(1) انظر: الفهرست ص (115)، والوافي بالوفيات للصفدي (326/17)، والسير للذهبي (297/13).

(2) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، والفهرست لابن النديم ص(115) وقال : (كتاب التقفية: هذا كتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة).

(3) الوافي بالوفيات للصفدي(326/17).

(4) المرجع السابق.

(5) وقد طبع في دار المعارف – القاهرة، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة 1353هـ / 1934م.

(6) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115)، وسير أعلام النبلاء للذهبي(297/13).

(7) الوافي بالوفيات للصفدي(326/17).

(8) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(297/13).

54. كتاب جامع النحو الكبير[2].
55. كتاب دلائل النبوة[3].
56. كتاب صناعة الكتابة.
57. كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها[4].
58. كتاب معاني القرآن[5].
59. المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير[6].
60. المطر والرواد[7].
61. المعاني الكبير في أبيات المعاني[8].
62. معجزات النبي ﷺ.
63. ملح الأخبار[9].

---

(1) لم يذكره أحد ممن ترجم له، ولكن أشار إليه ابن منظور في لسان العرب(220/11).

(2) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115).

(3) انظر: فهرسة ابن خير الأشبيلي ص (128) وساق سنده إلى مؤلفه باسم كتاب أعلام النبوة، والفهرست لابن النديم ص (115)، ونقل منه القزويني في التدوين في أخبار قزوين(81/1).

(4) ذكره ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء (65/1).

(5) انظر: المعجم المفهرس لابن حجر ص(113)، وساق إسناده إليه.

(6) طبع بتحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، 1410هـ، وانظر الأعلام (173/4).

(7) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي(326/17).

(8) طبع بتحقيق المستشرق الدكتور كرنكو وقدم له العلامة عبد الرحمن المعلمي في مطبعة دائرة المعارف العثمانية ثم صورته ونشرته دار الكتب العلمية– لبنان 1405هـ.

(9) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (326/17).

ويجدر هنا التنبيه على خطأ الزركلي في نسبة كتاب النبات لابن قتيبة فإن الصحيح أنه للدينوري أبي حنيفة[1]، ولذلك وقع الخطأ لأن كلاهما دينوري، ويبدو ويبدو أن الخطأ انعكس على الذهبي فعزا كتاب الأنواء الذي ألفه ابن قتيبة إلى أبي حنيفة[2]، والله أعلم.

وكذلك الحال بالنسبة لكتاب الإمامة والسياسة، نسبة الزركلي هذا الكتاب لابن قتيبة خطأ أيضاً لأكثر من سبب:

منها أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألّف كتاباً يدعى الإمامة والسياسة.

ومنها أنه مناقض تماماً للمعروف من منهج ابن قتيبة السلفي من عدة أوجه، فكتاب الإمامة والسياسة محشو بالرفض المقيت.

ومنها أن الكتاب يشتمل على أخطاء تاريخية فادحة تخالف المعلومات التاريخية الثابتة والتي ساقها ابن قتيبة في كتابه المعارف.

ويحوي كتاب (الإمامة) طعناً في الصحابة يخالف ما قرره ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) من الذبّ عن الصحابة والرد على مطاعن المبتدعة في الصحابة.

ولذلك نفى صحة نسبته إليه جماعة من العلماء[3].

---

(1) وقد عزا هذا الكتاب لأبي حنيفة جماعة وعرفوا أبا حنيفة بأنه صاحب كتاب النبات، انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي(13/422)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي(1/353).

(2) انظر: سير أعلام النبلاء (13/422).

(3) انظر: مقالة في بطلان نسبة كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة للدكتور عبد الله عسيلان في (مجلة كلية اللغة العربية) بجامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثاني – ثم طبعت في رسالة مفردة – ، وكتاب (عقيدة الإمام ابن قتيبة) للدكتور علي العلياني ص (88-93).

المبحث الثامن: عقيدة الإمام ابن قتيبة:

إن نظرة فاحصة في كتب الإمام ابن قتيبة – رحمه الله – السابق ذكرها لتعطي فكرة واضحة حول عقيدة ابن قتيبة ومنهجه، فإنه ألّف في موافقة مذهب أهل السنة كتباً خاصة لبيان عقيدتهم ومنهجهم، نصر فيها أقوالهم ورد على مخالفيهم في مسائل تعد الفيصل بين أهل السنة والجماعة وبين مخالفيهم، ككتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمعطلة، وكتاب تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث، والرد على القائل بخلق القرآن، والرد على الشعوبية، وغيرها.

وقد شهد لإمامنا ابن قتيبة بأنه على منهج أهل السنة والجماعة جماعة من الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: "وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة، منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهم، وابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعددة، قال فيه صاحب كتاب "التحديث بمناقب أهل الحديث": وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، أجودهم تصنيفًا، وأحسنهم ترصيفًا، له زهاء ثلاثمائة مصنف، وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق، وكان معاصرًا لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي، وكان أهل المغرب يعظمونه، ويقولون من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة، ويقولون :كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه، فلا خير فيه. قلت: ويقال: هو لأهل السنة، مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة"[1].

(1) مجموع الفتاوى (17/34).

وحسبك حكمًا من هذا الإمام البصير، والناقد الخبير، وتزكيته لابن قتيبة، ووصفه له بأنه من أهل السنة والجماعة، وابن تيمية من أعلم الناس بمقالات الناس، ومن أكثر العلماء إحاطة بكتب العلماء ومناهجهم.

وخذ هذا المثال الصريح في وقوف ابن قتيبة عند النصوص الشرعية على منهج أهل السنة والجماعة إذ يقول: "إن الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفاته، أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم ولا نـــزيل اللفظ عما تعرفه العرب، ونضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك"[(1)].

ويقول في موضع آخر: "فإن قالوا لنا: كيف ذلك النظر والمنظور إليه؟ قلنا : نحن لا ننتهي في صفاته إلا إلى حيث انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ندفع ما صح عنه؛ لأنه لا يقوم في أوهامنا، ولا يستقيم على نظرنا، بل نؤمن بذلك من غير أن نقول فيه بكيفية أو حدّ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، ونرجو أن يكون في ذلك من القول والعقد سبيل النجاة والتخلص من الأهواء كلها غدًا إن شاء الله تعالى"[(2)].

وقد كفانا الشيخ علي العلياني مؤنة الإكثار من الأمثلة على عقيدة ابن قتيبة السلفية من خلال كتبه؛ بالدراسة المفصلة التي قام بها لاعتقاد الإمام ابن قتيبة في كتابه "عقيدة الإمام ابن قتيبة "[(3)].

---

(1) اختلاف اللفظ ص(44).

(2) تأويل مختلف الحديث ص(208).

(3) حيث عقد بابًا في "توضيحه لعقيدة السلف ورده على المخالفين" وجعل "المبحث الأول" في "منهجه في توضيح العقيدة" ذكر فيه سبع قواعد كلها على عقيدة السلف الصالح، وختم بحثه بعد دراسة فاحصة بأن ابن قتيبة سلفي المعتقد.

المبحث التاسع: وفاته:

قضى الله أن يجعل لكل شيء أجلاً محتوماً يبلغه لا محالة، وهاهو الإمام ابن قتيبة يوافيه الأجل بسبب أكل هريسة حارة، حدّث تلميذه أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ أن ابن قتيبة أكل هريسة، فأصابه حرارة، فصاح صيحة شديدة، ثم أغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات[1].

وكان ذلك في خلافة المعتمد، لكن اختلف العلماء في تحديد السنة التي مات فيها، وأكثر من ترجم له على أنها سنة ست وسبعين بعد المائتين[2]، وكان هذا في أول ليلة من رجب[3]، وله ثلاث وستون سنة[4].

وذهب ابن النديم[5] إلى أنه رحمه الله توفي سنة سبعين ومائتين، قال السمعاني: "وقيل مات في ذي القعدة سنة سبعين ومائتين"[6].

---

(1) انظر: المرتظم لابن الجوزي (276/12)، ووفيات الأعيان لابن خلكان(43/3).

(2) انظر: المنتظم لابن الجوزي (276/12)، والكامل في التاريخ للشيباني (359/6)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (43/3)، والأعلام للزركلي (137/4).

(3) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(170/10)، والأنساب للسمعاني (452/4)، والمنتظم لابن الجوزي (276/12)، و الكامل في التاريخ للشيباني (359/6)، والعبر في خبر من غبر للذهبي (62/2)، وميزان الاعتدال للذهبي (198/4)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (43/3).

(4) نص عليه الذهبي في العبر في خبر من غبر(62/2).

(5) في الفهرست ص(115)، وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(170/10).

(6) الأنساب للسمعاني (452/4).

يقول الباحث: وقد قيل في تاريخ موته أقوال أخرى بعيدة، كقول بعضهم : إنه توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين[1].

وأبعد منه قول من قال : سنة ست وتسعين ومائتين . نقله الأدنووي[2] عن ابن خلكان. والذي عند ابن خلكان قوله: توفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل إحدى وسبعين وقيل أول ليلة في رجب وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين، والأخير أصح الأقوال[3].

وبهذا طويت صفحة إمام همام من أئمة السنة واللغة والأدب، بعد تاريخ حافل بالتأليف والتصنيف، نسأل الله أن يجعله في صحيفة عمله، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(1) ذكره الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث(627/2).

(2) في طبقات المفسرين ص(44).

(3) وفيات الأعيان (44/3).

القسم الثاني

دراسة أقوال
الإمام ابن قتيبة – رحمه الله –
في التفسير
من سورة الحج إلى نهاية سورة الناس

المراد بالذهول في: ﴿ تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ ﴾

1- قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [سورة الحج: 2].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: ﴿تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ﴾ أي: تسلو عن ولدها وتتركه » [1]، وبنفس العبارة وافقه النحاس[2].

أما غيرهما من أئمة التفسير؛ فمن عباراتهم في بيان معنى الآية:

قال الطبري[3]: «ويعني بقوله ﴿ تَذۡهَلُ﴾ تنسى وتترك من شدة كربها»[4].

وقال السمرقندي: «﴿ تَذۡهَلُ﴾ أي: تشتغل »[5].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(247).

(2) معاني القرآن (372/4). والنحاس هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، كان واسع العلم غزير الرواية، واشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب، من مصنفاته (الناسخ والمنسوخ) توفي سنة 337هـ. طبقات المفسرين (67/1).

(3) الطبري: الإمام العلم المجتهد، كان من أفراد الدهر علماً وذكاء وكثرة تصانيف، قال الذهبي: كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علاّمة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات واللغة وغير ذلك، توفي سنة 310هـ. نزهة الفضلاء (1037/2).

(4) جامع البيان (113/17).

(5) بحر العلوم (447/2).

الواحدي[1]: «﴿تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ تترك كل امرأة ترضع ولدها الرضيع اشتغالاً بنفسها وخوفًا »[2].

ابن عطية[3]: « والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه من همّ أو وجع »[4].

الآلوسي[5]: « والذهول شغل يورث حزنًا ونسيانًا »[6].

---

(١) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، كان أوحد عصره في التفسير، صنف التفاسير الثلاثة (البسيط والوسيط والوجيز)، توفي سنة 648هـ. طبقات المفسرين (387/1).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (727/2).

(٣) القاضي أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي، كان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو والأدب، مقيِّدا حسن التقييد، من مؤلفاته (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، توفي سنة 541هـ. طبقات المفسرين (260/1).

(٤) المحرر الوجيز (106/4).

(٥) محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، مفسر محدّث، أديب، من المجددين من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً، من مؤلفاته المشهورة (روح المعاني) في التفسير، توفي سنة 1270هـ. الأعلام (176/7).

(٦) روح المعاني (112/17).

وبنحو ما ذكر جاءت عبارات كل من: السمعاني [1]، والزمخشري[2]، والفخر الرازي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي [5]، وابن جزي[6]، وابن كثير[7]، والثعالبي[8]، وأبي السعود[9].

والذي يظهر -والله أعلم- أنه لا خلاف بين الأئمة المفسرين فيها،

---

(١) تفسير القرآن (416/3).

(٢) الكشاف (143/3).

(٣) التفسير الكبير (5/23).

(٤) أنوار التنزيل (113/4).

(٥) مدارك التنزيل (94/3).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (34/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (206/3). وابن كثير هو: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، كان له خصوصية بالشيخ تقي الدين ابن تيمية، ومناضلة عنه واتباع له في كثير من آرائه، فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقاد، توفي سنة 74هـ. طبقات المفسرين (110/1).

(٨) الجواهر الحسان (69/3). والثعالبي هو: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مفسر، من أعيان الجزائر، توفي سنة 875هـ. الأعلام (331/3).

(٩) إرشاد العقل السليم (92/6). وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، وهو صاحب لتفسير المعروف باسمه، وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، تقلد القضاء في عدد من البلاد التركية، توفي سنة 982هـ. الأعلام (59/7).

فكل ما ذكروه يصلح بيانًا لمعنى الآية، فكل الألفاظ « معانيها متقاربة، وراجعة إلى ما ذُكر من الأقوال » كما صرّح بذلك القرطبي[1]، والشوكاني[2]، والشوكاني[2]، والشنقيطي[3]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (4/12). والقرطبي هو: محمد بن أحمد بن فرْح القرطبي، إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة من أهمها (الجامع لأحكام القرآن) وهو من أجلّ التفاسير ولأعظمها نفعاً، توفي سنة 671هـ. طبقات المفسرين (66/2).

(2) انظر: فتح القدير (435/3). والشوكاني هو: محمد بن علي الشوكاني اليمني، مجتهد مفسر أصولي، من أشهر كتبه (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير)، توفي سنة 1250هـ. حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر ص(31).

(3) انظر: أضواء البيان (255/4). والشنقيطي هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، كان عالماً بالتفسير والفقه والأصول واللغة، متبحراً في العلوم، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في أول تشكيل له، سكن المدينة النبوية، وتوفي بمكة سنة 1393هـ.

معنى: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾

2- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة الحج: 5].

يرى الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أن معنى: « ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ تامة ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ غير تامة، يعني السقط »[1].

ووافقه في اختياره هذا كل من الإمام الطبري: حيث قال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: المخلقة: المصورة خلقًا تامًا، وغير مخلقة: السقط قبل تمام خلقه »[2].

وابن عطية قال: « وقوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ معناه متممة البنية، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ غير متممة أي التي ستسقط »[3].

وابن جزي[1] قال: « المخلقة التامة الخلقة، وغير المخلقة الغير التامة كالسقط »[2].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(247).

(2) جامع البيان (117/17).

(3) المحرر الوجيز (108/4).

ويشبه ما ذكروه قول من قال في معنى ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: «مصورة وغير مصورة يعني السقط »[3].

ويشبهه أيضًا قول من قال: « المخلقة هو الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، وغير المخلقة هو السقط »[4].

وقيل في بيان المعنى: « المخلقة وغير المخلقة السقط؛ تارة يسقط نطفة وعلقة، وتارة قد صور بعضها وتارة قد صور كله »[5].

وقال الآلوسي: « المشهور والمتبادر أن المخلقة المستبينة الخلق أي مضغة مستبينة الخلق مصورة، ومضغة لم يستبن خلقها وصورها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئًا فشيئًا »[6].

---

(١) محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها كان - رحمه الله- على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر والتقييد فقيها حافظا قائما على التدريس، حُفَظَةً للتفسير، مستوعباً للأقوال، ألّف الكثير في فنون شتى، توفي سنة 741هـ. طبقات المفسرين (81/2).

(٢) التسهيل لعلوم التنـزيل (35/3)..

(٣) حكاه البغوي عن مجاهد، انظر: معالم التنـزيل (275/3)، واختاره بيانًا لمعنى الآية السعدي، انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(534).

(٤) حكاه كل من السمعاني والبغوي وابن الجوزي و لم يرجّحوه، انظر: تفسير القرآن (419/3)، ومعالم التنـزيل (275/3)، وزاد المسير (406/5)، واختاره الشوكاني ونسبه إلى (أكثر) المفسرين، انظر: فتح القدير (438/3).

(٥) حكاه ابن الجوزي عن السدي، انظر: زاد المسير (406/5)، واختاره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (207/3).

(٦) روح المعاني (116/17).

وقيل: « المخلقة: ما خلق سويًا، وغير المخلقة: ما ألقته الأرحام من النطف وهو دم قبل أن يكون خلقًا » [1].. وهذا القول ردّه الشنقيطي بقوله: « ولا يخفى بُعد هذا القول، لأن المخلقة وغير المخلقة من صفة المضغة كما هو ظاهر » [2].

وأما ما قيل من أن « المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إن كانت ملساء، كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم » [3].

أيّد الفخر الرازي [4] هذا القول بأنه « الأقرب، لأنه تعالى قال في أول الآية ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ وأشار إلى الناس، فيجب أن تحمل ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ على من سيصير إنسانًا وذلك يبعد في السقط لأنه قد يكون سقطًا و لم يتكامل فيه الخلقة » [5].

---

(١) حكاه ابن الجوزي عن ابن مسعود، انظر: زاد المسير (406/5).

(٢) أضواء البيان (266/4).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (145/3)، والنسفي في مدارك التنزيل (96/3).

(٤) الفخر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي، الأصولي المفسر، قال عنه الذهبي: كان يتوقد ذكاءً وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم، والله عز وجل يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر، توفي سنة 606هـ. نزهة الفضلاء (1525/3).

(٥) انظر: التفسير الكبير (8/23)

وقال عنه الشنقيطي إنه: « أولى الأقوال بالصواب؛ لجريانه على اللغة التي نــزل بها القرآن وسلامته من التناقض، فمن ما هو معروف في كلام العرب قولهم: حجر أخلق أي أملس مصمت لا يؤثر فيه شيء، وصخرة خلقاء بينة الخلق أي ليس فيها وصم ولا كسر.. ومنه قول الأعشى:

قد يترك الدهر في خلقاء راسية   وهيًا وينــزل منها الأعصم الصدعا

والدهر في البيت فاعل يترك، والمفعول به وهيا، يعني أن صرف الدهر قد يؤثر في الحجارة الصم السالمة من الكسر والوصم فيكسرها ويوهيها، ويؤثر في العصم من الأوعال برؤوس الجبال فينــزلها من معاقلها»[1].

ثم ردّ القول بأن غير المخلقة يراد بها السقط بأنه: « لا يظهر صوابه وفي نفس الآية الكريمة قرينة تدل على ذلك وهي قوله جل وعلا في أول الآية ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ لأنه على هذا القول المذكور يصير المعنى ثم خلقناكم من مضغة مخلقة وخلقناكم من مضغة غير مخلقة، وخطاب الناس بأن الله تعالى خلق بعضهم من مضغة غير مصورة فيه من التناقض كما ترى فا فهم.

فإن قيل: في نفس الآية قرينة تدل على أن المراد بغير المخلقة السقط لأن قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يفهم منه أن هناك قسمًا آخر لا يقره الله في الأرحام إلى ذلك الأجل المسمى وهو السقط .. فالجواب أنه لا يتعين فهم السقط من الآية؛ لأن الله تعالى يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره إلى أجل مسمى فقد يقره ستة أشهر وقد يقره تسعة وقد يقره أكثر من ذلك كيف شاء، أما السقط

(1) انظر: أضواء البيان (266/4)، بتصرف يسير.

فقد دلت الآية على أنه غير مراد بدليل قوله : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ لأن السقط الذي تلقيه أمه ميتًا ولو بعد التشكيل والتخطيط لم يخلق الله منه إنسانًا واحدًا من المخاطبين بقوله ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ فظاهر القرآن يقتضي أن كلاً من المخلقة وغير المخلقة يخلق منه بعض المخاطبين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المرجع السابق (268/4).

معنى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾

3 – قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [سورة الحج: 5].

قال ابن قتيبة في بيان معنى ﴿هَامِدَةً﴾: « أي ميتة يابسة، ومثل ذلك همود النار: إذا طَفئت وذهبت »(1).

وبنحو هذه الألفاظ عبّر الأئمة: الطبري(2)، والنحاس(3)، والسمرقندي(4)، والبيضاوي(5)، والنسفي(6)،

(1) تفسير غريب القرآن ص(247).

(2) جامع البيان (119/17).

(3) معاني القرآن (380/4).

(4) بحر العلوم (449/2).

(5) أنوار التنـزيل (115/4). والبيضاوي هو: الإمام ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، كان علاّمة عارفاً بالفقه والتفسير واللغة والمنطقن من مصنفاته (أنوار التنـزيل وأسرار التأويل) في التفسير، ولِيَ القضاء بشيراز، توفي سنة 691هـ. طبقات المفسرين (242/1).

(6) مدارك التنـزيل (96/3). والنسفي هو: أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، فقيه حنفي مفسر، له مصنفات جليلة منها: (مدارك التنـزيل) في التفسير، توفي سنة 710هـ. الأعلام (67/4).

.... والمحلي[1]، وأبو السعود[2]، والألوسي[3].

وجاء في بيان معنى الآية أقوال أخرى ، فقد رُوي عن قتادة [4] قال: « أي أي غبراء متهشمة » [5].

وقيل: « هامدة: دارسة »[6].

وقال ابن عطية: « وهامدة معناها ساكنة دارسة بالية، ومنه قيل همد الثوب إذا بلى، قال الأعشى[7]:

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبًا   وأرى ثيابك باليات همدًا »[8].

---

(1) تفسير الجلالين ص(433). والمحلي هو: محمد بن أحمد بن محمد، جلال الدين المحلي، كان علاّمة آية في الذكاء والفهم، ومن أجلّ كتبه التي لم يكملها (تفسير القرآن) كتب منه من أول الكهف إلى آخر القرآن، توفي سنة 684هـ. طبقات المفسرين (80/2).

(2) إرشاد العقل السليم (95/6).

(3) روح المعني (119/17).

(4) قتادة بن دعامة السدوسي، أبوالخطاب البصري، ثقة ثبت، كان عالمًا حافظًا وعاملاً واعظًا وكان يقول: ما سمعت أذناي شيئًا قط إلا وعاه قلبي، توفي سنة سبع عشرة ومائة. تقريب التهذيب لابن حجر ص(453)، وصفة الصفوة لأبي الفرج (259/3)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (333/2).

(5) حكاه النحاس في معاني القرآن (380/4).

(6) حكاه السمعاني في تفسير القرآن (421/3) ولم ينسبه.

(7) البيت في ديوان الأعشى ص(53) ولكن قال (سائيًا) بدل (شاحبًا) والأعشى هو: ميمون بن قيس بن جندل، أبوبصير، شاعر جاهلي، لقبوه: بصناجة العرب. تاريخ مدينة دمشق (329/61).

(8) المحرر الوجيز (109/4).

وقال ابن كثير: « وقوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيي الأرض الميتة الهامدة؛ وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شيء »[1].

وقال السعدي[2]: « ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أي: خاشعة مغبرة لا نبات فيها ولا خضرة »[3].

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأقوال الواردة في بيان معنى الآية متقاربة، فقد قال في القاموس المحيط: « الهمود: الموت: وطفوء النار، أو ذهاب حرارتها، وتقطعُ الثوب من طول الطيّ، كالهمد، والهمود في الأرض: أن لا يكون بها حياة ولا عود ولا نبت ولا مطر »[4].

وقد أكد الشوكاني هذا الأمر -بعد أن سرد عددًا من الأقوال- فقال: « ومعنى هذه الأقوال متقاربة »[5]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (209/3).

(٢) عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي، نشأ يتيماً، حفظ القرآن الكريم واشتغل بالعلم، أعطاه الله تعالى محبة في القلوب وثقة في النفوس، فصار مرجع بلاده -عنيزة- وعمدتهم، فهو مدرسهم ومفتيهم وواعظهم وإمام الجامع وخطيبه، من أشهر مؤلفاته: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان). توفي سنة 1376هـ. علماء نجد خلال ستة قرون (422/2).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(534).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(419) باب الدال فصل الهاء.

(٥) فتح القدير (437/3).

مرجع الضمير في: ﴿يَنصُرَهُ﴾

4- قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [سورة الحج: 15].

يرى ابن قتيبة عود الضمير إلى النبي محمد ﷺ فقال: « وقال المفسرون: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا »[1].

وافق ابن قتيبة في اختياره هذا المروي عن ابن عباس وعطاء وقتادة[2] وقول ابن جرير الطبري فقال: « وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله ﷺ ودينه »[3].

ووافقهم أبوجعفر النحاس[4]، والسمرقندي[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، والفخر الرازي[1]، والقرطبي[2]، والبيضاوي[3]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(248).

(2) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (412/5).

(3) جامع البيان (125/17).

(4) معاني القرآن (387/4).

(5) بحر العلوم (452/2).

(6) معالم التنزيل (278/3).

(7) الكشاف (148/3).

(8) المحرر الوجيز (111/4).

والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، والمحلى[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9]، والآلوسي[10]، والسعدي[11]، والشنقيطي[12].

« وقال آخرون: الهاء في ﴿يَنصُرَهُ﴾ من ذكر ﴿مَن﴾ »[13].

والذي يظهر –والله أعلم– عود الضمير إلى النبي محمد ﷺ، وهو ما قاله الإمام ابن قتيبة ومَنْ وافقه، يدل لذلك عدة أمور:

1- قال أبوجعفر النحاس: « الأولى أن تكون الهاء تعود على النبي ﷺ لأن الله جل وعز ذكر قومًا يعبدونه على حرف، ثم أتبع ذلك هذه الآية في قوم يظنون أن الله لا يوسع على محمد وأمته ولا يرزقهم في الآخرة من سنيّ عطاياه »[14].

---

(١) التفسير الكبير (15/23).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (21/12).

(٣) أنوار التنـزيل (118/4).

(٤) مدارك التنـزيل (98/3).

(٥) التسهيل (37/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (211/3).

(٧) تفسير الجلالين ص(435).

(٨) إرشاد العقل السليم (99/6).

(٩) فتح القدير (441/3).

(١٠) روح المعاني (126/17).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(535).

(١٢) أضواء البيان (287/4).

(١٣) انظر: جامع البيان للطبري (125/17) وحكاه عن مجاهد.

(١٤) معاني القرآن (387/4).

2- أنه « يجوز في اللغة للإضمار في الكناية وإن لم تكن مذكورة، إذا كان الأمر ظاهرًا كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [سورة فاطر: 45]. يعني على ظهر الأرض، وكقوله -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [سورة ص: 32] يعني الشمس» [1] وهو « قول معروف في اللغة» [2] « والرسول ﷺ وإن لم يجر له ذكر في الآية، ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان في قوله﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الحج: 14] والإيمان لا يتم إلا بالله ورسوله»[3].

3- أنه « قول أكثر أهل التفسير »[4] وهذه قاعدة معتبرة في الترجيح بين الأقوال الأقوال لدى أهل التفسير[5].

فائدة:

قال الشنقيطي: « والذين قالوا إن الضمير في قوله: ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾ راجع إلى الدين أو الكتاب لا يخالف قولهم قول من قال: إن الضمير للنبي ﷺ لأن نصر الدين والكتاب هو نصره ﷺ كما لا يخفى »[6]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) بحر العلوم (452/2).
(2) معاني القرآن (387/4).
(3) التفسير الكبير (15/23)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (21/12).
(4) معاني القرآني (387/4).
(5) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (288/1).
(6) أضواء البيان (287/4).

معنى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾

5- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ [سورة الحج: 25].

قال ابن قتيبة في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾ « أي من يرد فيه إلحادًا، وهو الظلم والميل عن الحق »[1].

ووافقه في اختياره بألفاظ مقاربة كل من الإمام الطبري[2]، والنحاس[3]، والسمرقندي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، ....

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(248).

(2) جامع البيان (139/17).

(3) معاني القرآن (394/4).

(4) بحر العلوم (455/2).

(5) تفسير القرآن (432/3). والسمعاني هو: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني التميمي، صنّف في الفقه والتفسير والحديث والأصول، توفي سنة 489هـ. طبقات المفسرين (399/2).

(6) معالم التنزيل (283/3). والبغوي هو: العلاّمة الحافظ محيي السنّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي المفسّر، من تصانيفه (معالم التنزيل) كان له القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه. توفي سنة 516هـ. نزهة الفضلاء (1370/3).

والزمخشري[1]، وابن عطية[2]، والفخر الرازي[3]، والقرطبي[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، والمحلي[7]، والألوسي[8].

قال الإمام الطبري: « إنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عمّ بقوله ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ و لم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل فهو على عمومه، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم فيعصي الله فيه نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له »[9].

وقد ذكر المفسرون في تفسير الإلحاد أقوالاً: « فقيل: هو الشرك وقيل: الشرك والقتل، وقيل: صيد حيواناته وقطع أشجاره، وقيل: هو الحلف فيه بالأيمان الفاجرة، وقيل: المراد المعاصي فيه على العموم، وقيل: المراد بهذه الآية أنه يعاقب بمجرد الإرادة للمعصية في ذلك المكان »[10].

---

(١) الكشاف (152/3). والزمخشري هو: جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، العلاّمة الغوي المعتزلي، المفسِّر، كان متفنناً في كل علم، صنّف تصانيف كثيرة، منها: (الكشاف) في التفسير، وغيرها، توفي سنة 538هـ. طبقات المفسرين (314/2).

(٢) المحرر الوجيز (116/4).

(٣) التفسير الكبير (23/23).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (34/12).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (39/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (215/3).

(٧) تفسير الجلالين ص(436).

(٨) روح المعاني (140/17).

(٩) جامع البيان (139/17).

(١٠) انظر: فتح القدير (449/3).

ومع ورود عدة أقوال تفصيلية في المراد بالإلحاد، إلا أن أقوال الأئمة المفسرين دلت على إرادة العموم.

قال الزمخشري: « ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال: ومن يرد فيه مرادًا ما عادلاً عن القصد ظالمًا نذقه من عذاب أليم يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق الصراط والعدل في جميع ما يهم به ويقصده»[1].

وقال ابن عطية: « وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر »[2].

والفخر الرازي – بعد عرضه لعدد من الأقوال الواردة، ختمها بذكر ما اختار ونسبه إلى أنه قول المحققين – فقال: « وهو قول المحققين أن الإلحاد بظلم عام في كل المعاصي »[3].

وكذلك القرطبي –بعد عرض الأقوال– قال: « والعموم يأتي على هذا كله »[4].

فائدة:

قال السعدي: « في هذه الآية الكريمة وجوب احترام الحرم وشدة تعظيمه والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها »[5].

---

(١) الكشاف (152/3).

(٢) المحرر الوجيز (116/4).

(٣) التفسير الكبير (23/23).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (34/12).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(536).

فائدة :

قال الشنقيطي: « والظاهر أن الضمير في قوله « فيه » راجع إلى المسجد الحرام، ولكن حكم الحرم كله في تغليظ الذنب المذكور كذلك »، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿طَرَآئِقَ﴾

6- قال تعالى: ﴿خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ١٧﴾ [سورة المؤمنون: 17].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ سبع سماوات لكل سماء طريقة وإنما سميت طرائق بالتطارق، لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض »[1].

ووافقه في هذا جمهور المفسرين، منهم: الإمام الطبري[2]، والنحاس[3]، والسمرقندي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والفخر الرازي[7]، والقرطبي[8]، والقرطبي[8]، والبيضاوي[9].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(253).

(2) جامع البيان (12/18).

(3) معاني القرآن (450/4).

(4) بحر العلوم (476/2).

(5) تفسير القرآن (468/3).

(6) معالم التنزيل (305/3).

(7) التفسير الكبير (76/23).

(8) الجامع لأحكام القرآن (111/12).

(9) أنوار التنزيل (150/4).

.... والنسفي[1]، وابن كثير[2]، والمحلي[3]، والشوكاني[4]، والألوسي[5]، والسعدي[6].

وبهذا يتبين اتفاقهم على بيان المراد بالطرائق المذكورة في الآية، واستنادهم إلى ما هو معروف من كلام العرب، فإن « العرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة، وإنما قيل للسموات السبع الطرائق لأن بعضهن فوق بعض فكل سماء منهم طريقة »[7]، وقاعدة: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب » قاعدة معتبرة في الترجيح عند أئمة التفسير[8]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) مدارك التنزيل (118/3).

(2) تفسير القرآن العظيم (243/3).

(3) تفسير الجلالين ص(447).

(4) فتح القدير (477/3).

(5) روح المعاني (73/18).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(549).

(7) انظر: جامع البيان للطبري (12/18)، وبحر العلوم للسمرقندي (476/2)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (111/12).

(8) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءً﴾

7- قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة المؤمنون: 41].

يرى الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أن معنى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءً﴾: « أي: هلكى كالغثاء، وهو ما علا السيل من الزبد والقمش[1] لأنه يذهب ويتفرق »[2].

وإلى مثل اختيار ابن قتيبة ذهب جمهور المفسرين كالإمام ابن جرير الطبري[3]، والنحاس[4]، والسمرقندي[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن وابن عطية[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]، والنسفي[1]، وابن جزي[2]،

---

(1) القمش: (القَمْش) جمع الشيء من هنا وهنا وقماش البيت: متاعه. انظر: مختار الصحاح ص(550).

(2) تفسير غريب القرآن ص(254).

(3) جامع البيان (22/18).

(4) معاني القرآن (458/4).

(5) بحر العلوم (480/2).

(6) معالم التنـزيل (309/3).

(7) الكشاف (190/3).

(8) المحرر الوجيز (144/4).

(9) التفسير الكبير (87/23).

(10) الجامع لأحكام القرآن (124/12).

جزي[2]، وابن كثير[3]، وأبي السعود[4]، والشوكاني[5]، والألوسي[6]، والسعدي[7].

ولإجماع جمهور المفسرين على المعنى المذكور، وعدم وجود مخالف، صح حمل الآية عليه بيانًا لمعناها.

قال الطبري: « ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ يقول فصيرناهم بمنـزلة الغثاء وهو ما ارتفع على السيل ونحوه كما لا ينتفع به في شيء، فإنما هذا مَثِل، والمعنى فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه »[8]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) مدارك التنـزيل (123/3).

(2) التسهيل لعلوم التنـزيل (51/3).

(3) تفسير القرآن العظيم (246/3).

(4) إرشاد العقل السليم (135/6).

(5) فتح القدير (483/3).

(6) روح المعاني (34/18).

(7) تيسير الكريم الرحمن ص(552).

(8) جامع البيان (22/18).

معنى: ﴿تَتۡرَا﴾

8- قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤﴾ [سورة المؤمنون: 44].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- إن معنى ﴿تَتۡرَا﴾: « أي تتابع بفترة بين كل رسولين وهو من التواتر »(1).

ووافقه في اختياره هذا كل من البغوي(2)، والقرطبي(3)، والمحلي(4)، والشوكاني(5)، والألوسي(6).

قال الإمام البغوي: « ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا﴾ يعني مترادفين يتبع بعضهم غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زمانًا طويلاً »(7).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(254).

(2) معالم التنزيل (309/3).

(3) الجامع لأحكام القرآن (125/12).

(4) تفسير الجلالين ص(450).

(5) فتح القدير (485/3).

(6) روح المعاني (34/18).

(7) معالم التنزيل (309/3).

واختار غيرهم من المفسرين أن معنى ﴿تَتْرَا﴾ أي يتبع بعضهم بعضًا، قال الإمام الطبري: « ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود رسلنا تترا يعني يتبع بعضها بعضا وبعضها في أثر بعض »[1].

ومثله قال النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والسمعاني[4]، والزمخشري[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي[7]، وابن جزي[8]، وابو السعود[9]، والسعدي[10]، والشنقيطي[11].

وإن كان استدلال أصحاب القولين على ما جاء في لغة العرب، فاستدلال أصحاب القول الأول هو ما قاله ابن قتيبة ومن وافقه، على ما حُكي عن الأصمعي[1] أنه قال: « واترت الخبر: اتبعتُ وبين الخبرين هنيهة »[2].

---

(1) جامع البيان (23/18).
(2) معاني القرآن (459/4).
(3) بحر العلوم (481/2).
(4) تفسير القرآن (476/3).
(5) الكشاف (190/3).
(6) أنوار التنزيل (155/4).
(7) مدارك التنزيل (123/3).
(8) التسهيل لعلوم التنزيل (51/3).
(9) إرشاد العقل السليم (135/6).
(10) تيسير الكريم الرحمن ص(552).
(11) أضواء البيان (332/5).

والقول الآخر: وهو أن معنى ﴿تَتْرَا﴾ أي: يتبع بعضها بعضا وبعضها في أثر بعض، وهو ما قال عنه النحاس إنه « قول أكثر أهل اللغة »(3) فإنهم قالوا:

« التواتر: التتابع، وقيل: هو تتابع الأشياء بينها فجوات وفترات، وتواترت الإبل والقطا وكل شيء إذا جاء بعضه في أثر بعض ولم تجئ مصطفّة، والمتواتر: الشيء يكون هنيهة ثم يجيء الآخر، فإذا تتابعت فليست بمتواترة إنما هي متداركة ومتتابعة »(4).

والذي يظهر من دراسة ما اختاره أصحاب القول الثاني وهو أن معنى ﴿تَتْرَا﴾ أي بعضها في أثر بعض، أنهم لم يشيروا إلى أمر الفترة، في حين أن اختيار ابن قتيبة ومن وافقه أكّدوا فيه أن ﴿تَتْرَا﴾ في هذه الآية مشتملة على الفترة استنادًا إلى اللغة أيضًا وتفريقًا بين المواترة والتتابع، وقد سبق بيانه قريبًا

---

(1) الأصمعي: هو عبدالملك بن قريب بن عبدالملك أبوسعيد الأصمعي، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والمُلح، وكان بحرًا في اللغة لا يُعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية، قال ابن حجر: صدوق سنّي، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ليس فيما يروي من الحديث عن الثقات تخليط إذا كان دونه ثقة، مات سنة خمس عشرة ومائتين. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (410/10)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص(364)، والثقات لابن حبان (389/8).

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور (275/5)، وتاج العروس للزبيدي (339/14).

(3) معاني القرآن (459/4).

(4) انظر: لسان العرب لابن منظور (275/5)، وتاج العروس للزبيدي (339/14).

والذي يظهر –والله أعلم– أن الراجح هو ما اختاره ابن قتيبة ومن وافقه لدلالة آية من كتاب الله تعالى على الفترة بين إرسال الرسل وهي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [سورة المائدة: 19]، فهذا يدخل في تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أعلى وأحسن درجات التفسير(1)، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (363/13)، وشرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾

9- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ [سورة المؤمنون: 50].

يرى الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أن المعنى: « ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ يستقر بها للعمارة، ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء ظاهر »[1].

و لم تبعد أقوال أئمة المفسرين عن اختياره، فقد قال الطبري: « وقوله تعالى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جار »[2].

وقال الزمخشري: « والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض »[3].

وقال ابن عطية: « ومعنى الآية أنها من البقاع التي كملت خصالها فهي أهل أن يستقر فيها والمعين الظاهر الجري للعين »[4].

(1) تفسير غريب القرآن ص(254).

(2) جامع البيان (26/18).

(3) الكشاف (192/3).

(4) المحرر الوجيز (145/4).

وقال الفخر الرازي: « والقرار المستقر من كل أرض مستوية مبسوطة والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض »[1].

وقال القرطبي: « ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي مستوية يستقر عليها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار ظاهر للعيون »[2].

وقال البيضاوي: « ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من الأرض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيه يستقرون فيها لأجلها،﴿وَمَعِينٍ﴾ وماء ظاهر جار»[3].

وقال ابن جزي: « القرار المستوي من الأرض فمعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل: إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجاري »[4].

وقال أبوالسعود: « ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها، وقيل: ذات ثمار وزروع لأجلها يستقر فيها ساكنوها، ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: ماء معين »[5].

---

(١) التفسير الكبير (90/23).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (126/12).
(٣) أنوار التنزيل (157/4).
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (52/3).
(٥) إرشاد العقل السليم (137/6).

وقال الشوكاني: « ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: ذات مستقر يستقر عليه ساكنوه ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: وماء معين »[1].

وقال الألوسي: « والمراد أنها محل صالح لقرار الناس فيه لما فيه من الزروع والثمار وهو أنسب بقوله تعالى: ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي وماء معين أي جارٍ »[2].

وقال السعدي: « ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي مستقر وراحة ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي ماء جار »[3].

لقد أجمع جمهور المفسرين على المعنى المذكور وقد عرضت أقوالهم – ليتبين اتفاقهم، وإجماعهم قاعدة في الترجيح معتبرة[4].

ومن دلائل إجماعهم ما ذكره ابن كثير في بيان معنى الآية حين قال: « المعين: الماء الجاري وهو النهر الذي قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة

---

(١) فتح القدير (486/3).

(٢) روح المعاني (38/18).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(553).

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (288/1).

مريم: 24] [1]، فهذا والله أعلم هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضًا »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) واجتمعت أقوال المفسرين على أن معنى ﴿ سَرِيًّا ﴾ النهر الصغير. انظر: جامع البيان للطبري (17/16)، ومعالم التنزيل للبغوي (192/3)، والمحرر الوجيز لابن عطية (11/4)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (11/4)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (118/3).

(٢) تفسير القرآن العظيم (247/3).

من المراد بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾

10- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: 51].

يرى الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أن الخطاب موجه للنبيﷺ فقال: « خوطب به النبيﷺ وحده، على مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجمع»[1].

ووافقه في اختياره هذا من الأئمة النحاس[2]، والسمعاني[3]، وابن عطية[4]، وابن الجوزي[5]، والقرطبي[6].

وانفرد الإمام الطبري[7] بأن المراد بالأمة نبي الله عيسى -عليه السلام-.

واختار عدد من المفسرين أن المراد: جميع عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام[8]،..

..

(1) تفسر غريب القرآن ص(254).

(2) معاني القرآن (465/4).

(3) تفسير القرآن (478/3).

(4) المحرر الوجيز (146/4).

(5) زاد المسير (477/5).

(6) الجامع لأحكام القرآن (127/12).

(7) جامع البيان (28/18).

(8) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (247/3).

منهم الزمخشري[1]، والفخر الرازي[2]، والنسفي[3]، وابن جزي[4]، وابن كثير[5]، والسعدي[6].

ومن المفسرين مَن جمع الأقوال الثلاثة دون ترجيح بينها على اعتبارها كلها بيانًا لمعنى الآية، كأبي السعود[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9].

فأما القائلون بأن الخطاب موجه للنبي ﷺ وهو ما قاله ابن قتيبة ومن وافقه؛ فقد استدلوا على ذلك بدليلين:

الأول: أن « الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسل، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [سورة آل عمران: 173] **يعني نعيم بن مسعود**[10] -رضي الله عنه- »[11].

(1) الكشاف (192/3).

(2) التفسير الكبير (91/23).

(3) مدارك التنزيل (124/3).

(4) التسهيل لعلوم التنزيل (52/3).

(5) تفسير القرآن العظيم (247/3)،

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(553).

(7) إرشاد العقل السليم (138/6).

(8) فتح القدير (486/3).

(9) روح المعاني (39/18).

(10) نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف، يكنى أبا سلمة الأشجعي، صحابي مشهور، أسلم ليالي الخندق، وهو الذي أوقع الخلف بين الحيين قريظة وغطفان في وقعة الخندق فخالف بعضهم بعضًا ورحلوا عن المدينة، مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل أول خلافة علي -رضي الله عنه-. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (568/3)، والاستيعاب لابن عبدالبر (557/3) بهامش الإصابة.

(11) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (127/12).

الثاني: أن « العرب تذكر الجمع وتريد به الواحد، فإنهم يقولون للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا أذاكم »[1].

وبنفس الدليلين استدل الإمام الطبري على اختياره وهو أن المراد عيسى عليه السلام[2].

وأما القائلون بأن المراد بالآية جميع المرسلين عليهم السلام، فبينوا أن « هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما، وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة، وإنما المعنى: الإعلان بأن كل رسول في زمان نُودي بذلك ووصّيَ به ليعتقد السامع أن أمرًا نودي له جميع الرسل ووُصّوا به حقيق أن يؤخذ ويعمل عليه »[3].

وعليه يظهر -والله أعلم- أن الأصح ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه من كون الخطاب موجّه للنبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسل، واستدلالهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [سورة آل عمران173] ومعروف أن المراد بلفظ«الناس» المذكور في الآية هو الصحابي: نعيم بن مسعود -رضي الله عنه- وحده. فاستدلالهم هذا ضمن القاعدة الترجيحية: « القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره »[4].

---

(1) انظر: جامع البيان للطبري (28/18)، وتفسير القرآن للسمعاني (478/3).

(2) انظر: جامع البيان للطبري (28/18).

(3) انظر: الكشاف للزمخشري (192/3)، ومدارك التنـزيل للنسفي (124/3).

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (312/1).

وكذلك كون هذا الأسلوب معروفًا في اللغة، فهو ضمن القاعدة الترجيحية: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب أولى »[1]، والله أعلم بالصواب.

(1) المرجع السابق (369/2).

معنى: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾

11- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [سورة النور: 15].

يرى الإمام ابن قتيبة –رحمه الله– أن معنى ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾: « أي تقبلونه »[1].

وقد وافق ابن قتيبة في اختياره مع زيادة في المعنى؛ كل من الطبري حينما بيّن أن المراد بـــ ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ أي: «تقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض»[2]. والبقاعي[3] بقوله: « أي تجتهدون في تلقي أي قبول هذا الكلام الفاحش وإلقائه »[4].

وذهب الأكثر من أئمة التفسير إلى أن معنى﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ أي: « يأخذه بعضكم من بعض، قال به الإمام مجاهد[5]، ومقاتل[1]، . والنحاس[2]، والجصاص[3]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(258).

(٢) جامع البيان (178/18).

(٣) برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، أصله من البقاع في سورية، نـــزيل القاهرة ثم دمشق، من مؤلفاته: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) و (مصرع التصوف). توفي سنة 885هـــ. الضوء اللامع (101/1).

(٤) نظم الدرر (171/5).

(٥) تفسير مجاهد (438/2). وهو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولاهم، المقريء المفسر أحد الأعلام، صح عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه عند كل

والسمرقندي([4])، وابن أبي زمنين([5])، والواحدي([6])، والسمعاني([7])، والزمخشري([8])، والفخر الرازي([9])، والنسفي([10])، وابن جزي([11])، وأبوحيان([12])، .... وابن كثير([1])، والمحلي([2])، وأبوالسعود([3]).

آية أسأله فيم نـزلت وكيف كانت، توفي سنة 103هـ وهو ساجد. معرفة القراء الكبار (66/1)، وطبقات الحفاظ ص(42).

(١) تفسير مقاتل (412/2). وهو: مقاتل بن سليمان بن كثير الخراساني، المفسر، قال عنه الشافعي: الناس عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. توفي سنة (150هـ). طبقات المفسرين (330/2).

(٢) معاني القرآن (163/5).

(٣) أحكام القرآن (163/5). والجصاص هو: أبوبكر أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص، سكن بغداد؛ وعنه أخذ فقهاؤها، قال الخطيب: كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته، وكان مشهوراً بالزهد. توفي سنة 370هـ. طبقات المفسرين (55/1).

(٤) بحر العلوم (503/2).

(٥) تفسير القرآن العزيز (162/3). وابن أبي زمنين هو: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن أبي زمنين المري، وهو من المفاخر الغرناطية من كبار المحدثين والعلماء والراسخين متفنناً في العلم والآداب، حسن التأليف مليح التصنيف، توفي سنة 399هـ الديباج المذهب ص(270).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (759/2).

(٧) تفسير القرآن (511/3).

(٨) الكشاف (223/3).

(٩) التفسير الكبير (156/23).

(١٠) مدارك التنـزيل (138/3).

(١١) التسهيل لعلوم التنـزيل (61/3).

(١٢) البحر المحيط (162/6). وأبو حيان هو: الإمام محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أبوحيان الأندلسي، نحوي عصره، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، كان حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية، من تصانيفه المشهورة: البحر المحيط في التفسير. توفي سنة (745هـ). طبقات المفسرين (286/2).

وذهب البغوي إلى أن معنى﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ أي: « تقولونه »[4].

والسعدي ذهب إلى أن ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ معناها: « تتلقونه ويلقيه بعضكم إلى بعض »[5]، فيظهر أن السعدي قد جمع في بيانه ولقد أحسن الماوردي[6] وسَبَقَ في زيادة إيضاح المعنى حين جمع المراد بمعنى الآية فقال: « قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: هو أن تتحدث به وتلقيه بين الناس حتى ينتشر الثاني: أن يتلقاه بالقبول إذا حدث به ولا ينكره »[7].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (275/3).

(٢) تفسير الجلالين ص(459).

(٣) إرشاد العقل السليم (162/6).

(٤) معالم التنـزيل (332/3).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(564).

(٦) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين، وليَ القضاء، وله مصنفات كثيرة في الفقه وأصوله والتفسير والأدب، توفي سنة 450هـ، طبقات المفسرين (423/1).

(٧) النكت والعيون (171/4).

والذي يظهر -والله أعلم- من خلال استعراض أقوال الأئمة المفسرين أن كل ما ذكر يصح اعتباره بيانًا لمعنى الآية، فمجرد القول والتلفظ بالإفك على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها وعن أبيها - إثم، وقبول هذا القول وتصديقه إثم، ونقله وتناقله بالألسن إثم.

فائدة:

قال القرطبي عند تفسيره للآية في المسألة السابعة عشر: قال هشام بن عمار سمعت مالكًا يقول: من سب أبا بكر وعمر أُدِّب ومن سب عائشة قتل، لأن الله تعالى قوله: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة النور: 17] فمن سب عائشة فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل، قال ابن العربي: قال أصحاب الشافعي من سب عائشة -رضي الله عنها- أدب كما في سائر المؤمنين وليس قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في عائشة لأن ذلك كفر، وإنما هو كما قال -عليه السلام- : « **لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** » ولو كان سلب الإيمان في سب من سب عائشة حقيقة لكان سلبه في قوله: « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** » حقيقة.. قلنا: ليس كما زعمتم فإن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله تعالى فكل من سبها بما برأها الله منه مكذب لله ومن كذب الله فهو كافر، فهذا طريق قول مالك وهو سبيل لائحة لأهل البصائر ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب »[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (206/12).

معنى: ﴿مَا زَكَىٰ﴾

12- قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور: 21].

يرى الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أن معنى ﴿مَا زَكَىٰ﴾: أي: « ما طهر »(1).

ولقد وافقه فيما ذهب إليه من أئمة التفسير كل من:

- الطبري، قال: « يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ما تطهر منكم من أحد أبدًا من دنس ذنوبه وشركه، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه »(2).

- السمرقندي: « ولكن الله يزكي، أي يطهر »(3).

- الزمخشري: « ولولا أن الله تعالى تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك، ولكن الله تعالى يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها، وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم وإخلاصهم »(4).

- الألوسي: ﴿مَا زَكَىٰ﴾ أي ما طهر أي ما طهر من دنس الذنوب »(5).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(259).

(2) جامع البيان (101/18).

(3) بحر العلوم (504/2).

(4) الكشاف (226/3).

(5) روح المعاني (124/18).

– السعدي: « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا » أي: ما تطهر من اتباع خطوات الشيطان، لأن الشيطان يسعى هو وجنده في الدعوة إليها وتحسينها، والنفس ميالة إلى السوء أمّارة به، والنقص مستولٍ على العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، فلو خلي وهذه الدواعي؛ ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب والسيئات »[1].

– الشرقيطي: « فالزكاة في هذه الآيات ونحوها يراد بها الطهارة من أدناس الذنوب والمعاصي »[2].

ومما ورد في معنى ﴿مَا زَكَىٰ﴾ أقوال؛ منها: « ما اهتدى، وقيل: ما أسلم، وقيل: ما صلح »[3].

وعليه نجد أن بعض المفسرين يورد قولين أو أكثر عند تفسيره للآية، وقد يكون منها القول الذي اختاره ابن قتيبة، أو يقتصر على قول واحد غير اختيار ابن قتيبة، فمنهم: السمعاني؛ قال: « ﴿مَا زَكَىٰ﴾ أي ما صلح »[4]، وابن عطية قال: « أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدًا »[5]. وتبعه القرطبي[6] بنفس الألفاظ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(564).

(٢) أضواء البيان (227/3).

(٣) الأقوال الثلاثة أوردها ابن الجوزي الأول عن ابن عباس، والثاني عن ابن زيد، والثالث عن مقاتل انظر: زاد المسير بتصرف (23/6).

(٤) تفسير القرآن (513/3).

(٥) المحرر الوجيز (172/4).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (207/12).

والمحلي قال: « أي ما صلح وطهر »[1].

والذي يظهر -والله أعلم- صحة حمل الآية على جميع المعاني المذكورة، لكون الهداية والصلاح والطهارة من الذنوب كلها لا تتم إلا بتوفيق من الله تعالى، وقد قال الإمام البغوي مبينًا احتمال الألفاظ المذكورة لمعنى الآية: « والآية على العموم عند بعض المفسرين »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تفسير الجلالين ص(460).

(2) معالم التنزيل (333/3).

معنى: ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾

13- قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [سورة النور: 22].

قال الإمام ابن قتيبة عند بيانه لمعنى الآية: « ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ أراد أن لا يؤتوا، فحذف (لا) »[1].

ولقد وافقه في اختياره المذكور عدد غير قليل من أئمة التفسير؛ منهم: النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، وابن الجوزي[5]، والقرطبي[6]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(259).

(2) معاني القرآن (512/4).

(3) بحر العلوم (504/2).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (760/2).

(5) زاد المسير (24/6). وابن الجوزي هو: الإمام الحافظ المفسر أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي الحنبلي، صاحب التصانيف، كان بحراً في التفسير، علاّمة في السيرة والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهاً عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار. توفي سنة (597هـ). نـزهة الفضلاء (1502/3).

(6) الجامع لأحكام القرآن (209/12).

والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، وابن كثير[3]، وأبوالسعود[4]، والشوكاني[5]، والآلوسي[6].

وفريق آخر من المفسرين اكتفى عند تفسيره للآية بذكر سبب النــزول فقط شرحاً وبياناً لمعناها، كالإمام الثوري[7]، والبغوي[8]، وابن جزي[9]، والسيوطي[10]، والسعدي[11]، والشنقيطي[12].

---

(1) أنوار التنــزيل (179/4).

(2) مدارك التنــزيل (140/3).

(3) تفسير القرآن العظيم (276/3).

(4) إرشاد العقل السليم (165/6).

(5) فتح القدير (16/4).

(6) روح المعاني (125/18).

(7) تفسير الثوري (222/1). وهو: سفيان بن سعيد الإمام أبو عبد الله الثوري أحد الأعلام علما وزهدا، قال ابن المبارك: ما كتبت عن أفضل منه توفي في شعبان 161هـ. الكاشف (449/1).

(8) معالم التنــزيل (334/3).

(9) التسهيل لعلوم التنــزيل (63/3).

(10) الدر المنثور (143/6). والسيوطي هو: أبوالفضل عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (أو الأسيوطي) الشافعي، الحبر البحر أعجوبة الدهر، شيخ الإسلام صاحب المؤلفات الحافلة الجامعة النافعة، نشأ يتيماً وحفظ القرآن وهو دون ثمان سنين، ثم شرع بالاشتغال بالعلم، رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع. وتوفي عام 911هـ. حسن المحاضرة (335/1)، ومعجم المطبوعات العربية ص(1073).

(11) تيسير الكريم الرحمن ص (564).

(12) أضواء البيان (485/5).

والذي يظهر -والله أعلم- أنه لا خلاف جوهريًا بين الفريقين، فمن ذكر سبب النــزول مكتفيًا به بياناً لمعنى الآية فقد تضمن المعنى الذي بينه الفريق الأول وأن المراد بـــ ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ يعني: أن لا يؤتوا، على حذف لفظ « لا »، فإن أبا بكر قد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد ما قاله ضمن من تحدث في الإفك، فتبين اتفاق الفريقين في المعنى، والله أعلم بالصواب.

المراد بـ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾

14- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [سورة النور: 35].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله– في بيان معنى الآية: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ وهي: الكوة غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي سراج »[1].

ولقد وافقه فيما ذهب إليه من بيان أن (المشكاة) يراد بها: الكوة غير النافذة، كل من السمرقندي[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، وابن جزي[5]، جزي[5]، وابن كثير[6].

ومما قيل في بيان معنى المشكاة: « أنها في موضع الفتيلة الذي هو كالأنبوب »[1] و « أنها القنديل والمصباح الفتيلة »[2] ومنهم من قال: « المشكاة المشكاة هي الحديدة التي يعلق بها القنديل »[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(261).

(2) بحر العلوم (512/2).

(3) تفسير القرآن (530/3).

(4) معالم التنزيل (345/3).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (67/3).

(6) تفسير القرآن العظيم (291/3).

ومع وجود أقوال عدة في بيان معنى المشكاة، إلا أن أقوال الأئمة المفسرين قد تضافرت على وصف القول الذي اختاره ابن قتيبة بأنه: « أظهر الأقاويل وأَوْلَى »[4].

وأنه قول « جمهور المفسـرين »[5]، وبأنه هو: « أصح وأشـهر »[6]، وأنه « القول الأولى »[7]، والله أعلم بالصواب.

(١) حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس، انظر: زاد المسير (40/6).

(٢) حكاه ابن الجوزي عن مجاهد. المرجع السابق.

(٣) أورده السمعاني و لم يرجحه، انظر: تفسير القرآن (530/3).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (257/12).

(٦) التسهيل لعلوم التنـزيل لابن جزي (67/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (291/3).

معنى: ﴿كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾

15 – قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ [سورة النور: 35].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله– في بيان المراد بالكوكب الدري: « إنه من الكواكب الدراري، وهو اللاتي يدرأن أي يطلعن »[1].

ورُوي أنه « مأخوذ من درأ يدرأ إذا اندفع منقضًا فضاعف نوره، يقال: تدارأ الرجلان إذا تدافعا »[2].

وثَمَّ رأي آخر أن « الدرّي منسوب إلى أنه كالدر في صفائه وحُسنه »[3].

»[3].

الغالبية العظمي من المفسرين اتفقوا مع ابن قتيبة في أن المراد بـــ ﴿كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾: « أي أحد الدراري المضيئة»[4] من « الكواكب العظيمة»[5]، منهم:

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(261).

(2) حكاه ابن الجوزي عن الزجاج. انظر: زاد المسير (41/6).

(3) حكاه ابن الجوزي عن الزجاج. المرجع السابق.

(4) انظر: التسهيل لعلوم التنـزيل (68/3).

(5) إرشاد العقل السليم (176/6).

الطبري[1]، وابن عطية[2]، والقرطبي[3]، والنسفي[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، والثعالبي[7]، وأبو السعود[8]، والشوكاني[9].

ثم زاد بعضهم في إيضاح معنى الآية بيان معنى ﴿دُرِّيٌّ﴾ فقال الطبري: « درئ الكوكب أي دفع ورجم به الشيطان من قوله ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [سورة النور: 8] أي يدفع، والعرب تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري »[10].

وقال ابن عطية: « إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه، وإما أن يكون أصله درئ مهموز من الدرء وهو الدفع »[11].

وقال ابن جزي: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبّه الزجاجة في إنارتها بكوكب دري، وذلك يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها تضيئ بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها

---

(1) جامع البيان (14/18).
(2) المحرر الوجيز (184/4).
(3) الجامع لأحكام القرآن (258/2).
(4) مدارك التنزيل (147/3).
(5) التسهيل لعلوم التنزيل (68/3).
(6) تفسير القرآن العظيم (291/3).
(7) الجواهر الحسان (121/3).
(8) إرشاد العقل السليم (176/6).
(9) فتح القدير (33/4).
(10) جامع البيان (140/18).
(11) المحرر الوجيز (184/4).

في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدري أحد الدراري المضيئة كالمشتري والزهرة، وسهيل ونحوها »[1].

وقال ابن كثير: « ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدر أي كأنها كوكب من در، وقرأ آخرون دريء ودُريء بكسر الدال وضمها مع الهمزة من الدرء وهو الدفع؛ وذلك أن النجم إذا رُمي به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال، والعرب تُسمى ما لا يعرف من الكواكب دراري »[2].

وقال أبوالسعود: « ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ متلألئ، وقد شُبِّه بالدرّي صفائه وزهرته، ودراري الكواكب عظامها المشهورة، وقرئ دِرِّئ بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع؛ أي مبالغ في دفع الظلام بضوئه، أو في دفع بعض أجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان»[3].
واللمعان»[3].

وبعد استعراض أقوال المفسرين يظهر -والله أعلم- أنه لا خلاف تضاد بينهم في بيان الآية إنما هو خلاف لفظي والمعنى واحد هو الدلالة على شدة الإضاءة وصفائها وتشبيه النور المعنوي الحاصل من اتباع الهدى والقرآن بالنور الحسي، وهذا الاختلاف اللفظي مردّه إلى اختلاف القراءة في لفظ ﴿دُرِّيّٞ﴾ ولقد أحسن الإمام ابن الجوزي حيث جمع كل القراءات الواردة في اللفظة والمعاني المترتبة

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (68/3)

(2) تفسير القرآن العظيم (291/3).

(3) إرشاد العقل السليم (176/6).

عليها، حيث قال: « أما الدري فقرأ أبوعمرو والكسائي وأبان عن عاصم (دِريء) بكسر الدال وتخفيف الياء ممدودًا مهموزًا، قال ابن قتيبة المعنى على هذا: إنه من الكواكب الدراري وهي اللاتي يدرأن عليك أي يطلعن. وقال الزجاج: هو مأخوذ من درأ يدرأ إذا اندفع منقضًا فتضاعف نوره، يقال: تدرأ الرجلان إذا تدافعا.

وروى المفضل عن عاصم كسر الدال وتشديد الياء من غير همز ولا مد [دِرّيّ] وهي قراءة عبدالله بن عمر والزهري. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم (دُرِيّ) بضم الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مد ولا همز. وقرأ عثمان بن عفان وابن عباس وعاصم الجحدري (دَرِيء) بفتح الدال وكسر الراء ممدودًا مهموزًا. وقرأ أبي بن كعب وسعيد بن المسيب وقتادة بفتح الدال وتشديد الراء والياء من غير مد ولا همز [دَرّيّ] وقرأ ابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وابن يعمر بفتح الدال وكسر الراء مهموزًا مقصورًا [دَرِيء] قال الزجاج: الدري منسوب إلى أنه كالدر في صفائه وحسنه »[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: زاد المسير (41/6)، بتصرف.

معنى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾

16- قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النور: 39].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في بيان معنى الآية: « السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار »[1]. فابن قتيبة -رحمه الله- بيّن معنى السراب لغةً فقط، بينما توسّع غيره في البيان بذكر أركان التشبيه المذكورة في الآية ودلالتها على عدم انتفاع الكافر بعمله الصالح يوم القيامة كعدم انتفاع الظمآن من السراب.

قال البغوي: «السراب: الشعاع الذي يُرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه انفش[2] فلم يَرَ شيئًا، والقيعة جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض وفيه يكون السراب ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾ أي يتوهمه العطشان ﴿مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ أي جاء ما قد رأى أنه ماء، وقيل جاء موضع السراب ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ على ما قدّر وحَسِبَه، كذلك

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(261).

(2) قال في القاموس المحيط: « الفش كالفشوش، ومناقع الماء، وقرارته ». انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ص(775) باب الشين فصل الفاء، بتصرف يسير.

الكافر يحسب أن عمله نافع فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى منه شيئًا ولا نفعه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي عند عمله أي وجد الله تعالى بالمرصاد، وقيل قدم على الله تعالى»[1].

وبعبارات لا تختلف كثيرًا وتشير إلى المعنى الذي ذكره البغوي جاءت عبارات كل من: الزمخشري[2]، وابن الجوزي[3]، والبيضاوي[4]، وابن جزي[5]، والمحلي[6]، والثعالبي[7]، والشوكاني[8].

بل منهم من اكتفى بذكر ما قصدت إليه الآية من بيان عدم انتفاع الكافر بعمله الصالح الذي عمله في الدنيا، دون التوسع في بيان المعنى اللغوي للسراب والقيعة، قال الصنعاني: « ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ﴾ قال بقيعة من الأرض يحسبه الظمآن ماء، فهو مثل ضربه الله تعالى لعمل الكافر يحسب أنه في شيء، كما يحسب هذا السراب ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئًا[9].

---

(1) معالم التنزيل (349/3).
(2) الكشاف (248/3).
(3) زاد المسير (49/6).
(4) أنوار التنزيل (192/4).
(5) التسهيل لعلوم التنزيل (69/3).
(6) تفسير الجلالين ص(465).
(7) الجواهر الحسان (123/3).
(8) فتح القدير (38/4).
(9) تفسير القرآن (61/3).

وبنحو قوله قال كل من الطبري[1]، والسمرقندي[2]، والقرطبي[3]، والشرقيطي[4].

وعليه يظهر -والله أعلم- اتفاقهم في بيان معنى الآية، وإن طالت أو قصرت العبارات، فالمقصود بيان عدم انتفاع الكافر في الآخرة بما قدم من أعمال صالحة في الدنيا كالبر والصدقة والصلة والإحسان وغيرها كعدم انتفاع الظمآن بما يراه من سراب في البراري، والله أعلم بالصواب.

---

(١) جامع البيان (150/18).

(٢) بحر العلوم (515/2).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (282/12).

(٤) أضواء البيان (549/5).

المراد بـ ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾

17- قال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ [سورة النور: 60].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في بيان المراد بـــ ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: « يعني العجز، واحدها قاعد، ويقال: إنما قيل لها قاعد لقعودها عن المحيض والولد، وقد تقعد عن الحيض والولد ومثلها يرجو النكاح، ولا أراها سميت قاعدًا إلا بالقعود؛ لأنها إذا أسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعود؛ فقيل لها: قاعدً؛ بلا هاء ليدل حذف الهاء على أنه قعود كِبَر، كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذف الهاء على أنه حمل حَبَل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها »[1]. فابن قتيبة -رحمه الله- يرى أن قوله تعالى ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ليس مجرد قعودها عن الحيض والولد، وإنما أيضا نتيجه لكبر سنها وعجزها عن التصرف وكثرة الحركة تطيل القعود فسميت قاعدًا.

ولقد وافق ابنَ قتيبة على نفس الرأي الذي سار عليه وبنفس الألفاظ أو قريبًا منها كلٌّ من: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، ......

(1) تفسير غريب القرآن ص(263).

(2) جامع البيان (165/18).

(3) بحر العلوم (523/2).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (770/2).

والسمعاني[1]، والبغوي[2]، وابن عطية[3]، والفخر الرازي[4]، والقرطبي[5]، والثعالبي[6]، والسعدي[7]، والشنقيطي[8].

وفريق آخر من المفسرين شرحوا المراد بالقواعد من النساء بأنهن اللاتي قعدن عن الحيض والحمل، كالزمخشري[9]، والبيضاوي[10]، والنسفي[11]، والمحلي[12]، وأبي السعود[13].

والذي يظهر –والله أعلم– أن الراجح في بيان معنى ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه، وأنها ما سميت قاعدًا إلا بالقعود لأنها إذا أسنت –وبالطبع انقطع حيضها وحملها– عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعود فقيل لها قاعد، بدليل ما يعرف ويشاهد من واقع بعض النساء اللاتي قعدن

---

(١) تفسير القرآن (548/3).
(٢) معالم التنزيل (356/3).
(٣) المحرر الوجيز (195/4).
(٤) التفسير الكبير (30/24).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (309/12).
(٦) الجواهر الحسان (126/3).
(٧) تيسير الكريم الرحمن ص(574).
(٨) أضواء البيان (248/6).
(٩) الكشاف (260/3).
(١٠) أنوار التنزيل (200/4).
(١١) مدارك التنزيل (156/3).
(١٢) تفسير الجلالين ص(468).
(١٣) إرشاد العقل السليم (195/6).

عن الحيض والحمل، ولا يزال فيهن جمال وترجو النكاح ويرغبهن الرجال، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾

18- قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [سورة الفرقان: 12].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في بيان معنى الآية: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ أي: تغيظًا عليهم. كذلك قال المفسرون.

وقال قوم: بل يسمعون فيها تغيُّظ المعذبين وزفيرهم، واعتبروا ذلك بقول الله جل ثناؤه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [سورة هود: 106].

واعتبر الأولون قولهم بقوله تعالى في سورة الملك: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾؛ وهذا أشبه التفسيرين -إن شاء الله- بما أُريد، لأنه قال سبحانه: ﴿سَمِعُواْ لَهَا﴾، و لم يقل: سمعوا فيها، ولا: منها »[1].

فابن قتيبة يرى أن ما يسمعه الكفار من تغيظ هو صوت النار أي صوت الغليان الناتج عن الإحراق من شدة غيظها على الكفار.

ولقد وافقه فيما ذهب إليه جمهور المفسدين، منهم: الطبري: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقول: إذا رأت هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان

(1) تفسير غريب القرآن ص(266).

بعيد تغيظت عليهم، وذلك أن تغلي وتفور، يقال: فلان تغيظ على فلان وذلك إذا غضب عليه فغلى صدره من الغضب عليه وتبين في كلامه، وزفيرًا وهو صوتها. فإن قال قائل: وكيف قيل: سمعوا لها تغيظًا والتغيظ لا يُسمع، قيل: معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد »[1].

ابن عطية: « وقوله تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾، لفظ فيه تجوز، وذلك أن التغيظ لا يُسمع، وإنما المسموع أصوات دالة على التغيظ، وهي لا شك احتدامات في النار كالذي يُسمع في نار الدنيا، فَنِسْبَةُ هذا المسموع الذي في الدنيا من ذلك نسبة الإحراق من الإحراق وهي سبعون درجة كما ورد في الصحيح »[2].

القرطبي: « ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ قيل: المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم وقيل: المعنى إذا رأتهم خُزّانها سمعوا لهم تغيظًا وزفيرًا حرصًا على عذابهم، والأول أصح »[3].

البقاعي: « ﴿سَمِعُواْ لَهَا﴾ أي: خاصة ﴿تَغَيُّظًا﴾ أي صوتًا في غليانها وفورانها كصوت المتغيظ في تحرقه ونكارته إذا غلا صدره من الغضب، ﴿وَزَفِيرًا﴾ أي صوتًا يدل على تناهي الغضب، وأصله صوت يسمع من الجوف »[1].

---

(1) جامع البيان (186/18).

(2) المحرر الوجيز (202/4)، والحديث الذي أشار إليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب صفة النار (1191/3)، الحديث رقم (3092).

(3) الجامع لأحكام القرآن (7/13).

الشوكاني: « ومعنى التغيظ أن لها صوتًا يدل على التغيظ على الكفار أو لغليانها صوتًا يشبه صوت المغتاظ. والزفير: هو الصوت الذي يُسمع من الجوف »[2].

سيد قطب[3]: « ونحن هنا أمام مشهد السعير المتسعرة، وقد دبّت فيها الحياة! فإذا هي تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة، تراهم من بعيد، فإذا هي تتغيظ وتزفر فيسمعون زفيرها وتغيظها، وهي تتحرق عليهم وتُصعد الزفرات غيظًا منهم؛ وهي تتميز من النقمة، وهم إليها في الطريق مشهد رهيب يزلزل الأقدام والقلوب »[4].

ابن عاشور[5]: « والتغيظ: شدة الغيظ. والغيظ: الغضب الشديد، فصيغة التفعل هنا الموضوعة في الأصل لتكلف الفعل مستعملة مجازًا في قوته، لأن المتكلف لفعل يأتي به كأشد ما يكون، والمراد به هنا صوت المتغيظ، بقرينة تعلقه بفعل ﴿سَمِعُوا﴾ فهو

---

(١) نظم الدرر (303/5).

(٢) فتح القدير (64/4).

(٣) سيد قطب إبراهيم، ولد في صعيد مصر عام (1324هـ)، وصل في النقد والأدب إلى القمة، من أبرز رواد الفكر الإسلامي المعاصر، كانت عقيدته عقيدة السلف الصالح، وفكره سلفي خالٍ من الشوائب تركز حول موضوع التوحيد الخالص وبيان المعنى الحقيقي لـ (لا إله إلا الله)، لـه الكثير من المؤلفات؛ من أهمها تفسير (في ظلال القرآن الكريم). توفي سنة 1386هـ. من أعلام الحركة الإسلامية ص(337).

(٤) في ظلال القرآن (2555/5).

(٥) الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ولد عام (1296هـ) أحد علماء تونس المشهورين، من أشهر مؤلفاته: (التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم). توفي سنة (1393هـ). تراجم المؤلفين التونسيين (304/3).

تشبيه بليغ.. والزفير: امتداد النَفَس من شدة الغيظ وضيق الصدر، أي صوتًا كالزفير فهو تشبيه بليغ أيضًا.

ويجوز أن يكون تعالى قد خلف لجهنم إدراكًا للمرئيات بحيث تشتد أحوالها عند انطباع المرئيات فيها فتضطرب وتفيض وتتهيأ لالتهام بعثها فتحصل منها أصوات التغيظ والزفير، فيكون إسناد الرؤية والتغيظ والزفير حقيقة، وأمور العالم الأخروي لا تقاس على الأحوال المتعارفة في الدنيا»[1].

الشنقيطي: « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن النار يوم القيامة إذا رأت الكفار من مكان بعيد، أي من عرصات المحشر اشتد غيظها على من كفر بربها وعلا زفيرها، فسمع الكفار صوتها من شدة غيظها وسمعوا زفيرها.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة بيّن بعضه في سورة الملك، وأوضح فيها شدة غيظها على من كفر بربها، وأنهم يسمعون لها أيضًا شهيقًا مع الزفير الذي ذكره في آية الفرقان هذه، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ [سورة الملك: 7-8] أي يكاد بعضها ينفصل عن بعض من شدة غيظها على من كفر بالله تعالى.

والأظهر أن معنى قوله تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا﴾ أي: سمعوا غليانها من شدة غيظها، ولما كان سبب الغليان التغيظ أطلقه عليه، وذلك أسلوب عربي معروف

(1) التحرير والتنوير (333/18).

[1]، وقال بعض أهل العلم: سمعوا لها تغيظًا أي: أدركوه، والإدراك يشمل الرؤية والسمع، وعلى هذا فالسمع مضمن معنى الإدراك، وما ذكرنا أظهر »[2].

وذهب إلى مثل ذلك أيضًا كل من الإمام الفراء[3]، والبغوي[4]، والزمخشري[5]، وابن كثير[6]، والسعدي[7].

ولم أجد أحدًا رجّح أو اختار قولاً آخر، وإنما يذكرون أكثر من قول عند تفسيرهم للآية، مع ملاحظة أن أول قول يذكرونه هو القول الذي رآه ابن قتيبة – وكذلك من وافقه – واعتبره الأولى لبيان معنى الآية، ، وسأشير باختصار إلى الأقوال الأخرى ومَنْ ذكرها:

فقيل: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ أي: سمعوا صوت غليانها، وشبه ذلك بصوت المتغيظ الزافر، أو إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبًا على الكفار »، وحكى

---

(1) وهي إحدى علاقات المجاز المرسل، تسمية الشيء باسم سبب له. انظر: عقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي (44/2).

(2) أضواء البيان 24/06).

(3) معاني القرآن (263/2). والفراء هو: أبوزكريا يحيى بن زياد عبدالله الأسدي الفراء، كان ثقة، بحراً في النحو، عارفاً بالفقه، خبيراً بالطب، وبأيام العرب، وغيرها من العلوم. توفي سنة 207هـ. نزهة الفضلاء (745/2).

(4) معالم التنزيل (363/3).

(5) الكشاف (272/3).

(6) تفسير القرآن العظيم (310/3).

(7) تيسير الكريم الرحمن ص(579).

هذين القولين كل من: أبي حيان[1]، والبيضاوي[2]، والنسفي[3]، وأبي السعود[4].

وقال ابن الجوزي: « قوله تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: غليان تغيظ. قال المفسرون: والمعنى أنها تتغيظ عليهم، فيسمعون صوت تغيظها وزفيرها كالغضبان إذا غلى صدره من الغيظ.

الثاني: يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم »[5].

وقال المحلي: « ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غليانًا كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب، ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه »[6].

والذي يظهر -والله أعلم- أن ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه هو الواجح في بيان معنى الآية، وهو أن الذي يسمعه الكفار هو صوت النار -والعياذ بالله- وذلك لأمور:

1- سياق الآية يدل عليه، فإن التاء في ﴿رَأَتْهُم﴾ والهاء في ﴿لَهَا﴾ عائدة على السعير، ولو كان المراد صوت الزبانية لاختلفت الضمائر، فإن « إدخال الكلام

---

(١) البحر المحيط (87/8).

(٢) أنوار التنزيل (208/4).

(٣) مدارك التنزيل (162/3).

(٤) إرشاد العقل السليم (206/6).

(٥) زاد المسير (75/6) بتصرف يسير.

(٦) تفسير الجلالين ص(471).

في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسـليم له »(1) قاعدة في الترجيح معتبرة عند أئمة التفسير.

2- وجود آيات من القرآن الكريم تؤيد القول الراجح، وهي الآيات التي في سورة الملك، وهي قوله تعالى: ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [سورة الملك: 7-8]، وتفسير القرآن بالقرآن أحسن أنواع التفسير(2).

3- إجماع المفسرين من المتقدمين والمتأخرين عليه.

4- كونه أسلوبًا معروفًا في اللغة العربية، كما ذكر ذلك الشنقيطي(3).

5- عدم وجود مرجح لقول آخر، بل ومن ذكر أكثر من قول يبدأ بذكر القول الراجح عند المفسرين، ثم يذكر بعده القول أو الأقوال الأخرى.

والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (125/1).

(2) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(3) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (24/6).

معنى: ﴿بُورًا﴾

19- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [سورة الفرقان: 18].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في بيان معنى ﴿بُورًا﴾: « أي: هلكى، وهو من بار يبور: إذا هلك وبطل، يقال: بار الطعام؛ إذا كسد »(1).

وقد وافقه فيما ذهب إليه عدد غير قليل من أئمة التفسير منهم:

الطبري: قال: « وكانوا قومًا هلكى قد غلب عليهم الشقاء والخذلان »(2).

البغوي: «﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ يعني: هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل يقال له بائر، وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد، وقيل: هو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث »(3).

ابن عطية: « ﴿بُورًا﴾ معناه: هلكى، والبوار: الهلاك، واختلف في لفظه، فقالت فرقة: هي مصدر يوصف به الجمع والواحد، وقالت فرقة: هي جمع باير،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(266).

(2) جامع البيان (190/18).

(3) معالم التنزيل (364/3).

وهو الذي قد فـارقه الخـــير فحصل بذلك في حكم الهلاك، باشـــره الهلاك بعد أو لم يباشر »[1].

البقاعي: « ﴿وَكَانُوا﴾ في علمك بما قضيت عليهم في الأزل ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى »[2].

الشوكاني: « ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ أي: وكان هؤلاء الذين أشركوا بك وعبدوا غيرك في قضائك الأزلي قومًا بورا، أي هلكى، مأخوذ من البوار وهو الهلاك »[3].

سيد قطب: « ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ فهذا المتاع الطويل الموروث –على غير معرفة بواهب النعمة ولا توجه ولا شكر– قد ألهاهم وأنساهم ذلك المنعم، فانتهت قلوبهم إلى الجدب والبوار، كالأرض البور لا حياة فيها ولا زرع ولا ثمار، والبوار: الهلاك، ولكن اللفظ يوحي كذلك بالجدب والخواء، جدب القلوب، وخواء الحياة »[4].

---

(١) المحرر الوجيز (204/4).

(٢) نظم الدرر (307/5).

(٣) فتح القدير (67/4).

(٤) في ظلال القرآن (2555/2).

ابن عاشور: « والبور جمع بائر كالعوذ جمع عائذ، والبائر: هو الذي أصابه البوار أي الهلاك، وقد استعملوا البور لشدة سوء الحالة بناء على العرف الذي يَعُدُّ الهلاك آخر ما يبلغ إليه الحي من سوء الحال »[1].

وممن قال بمثل ذلك أيضًا: الزمخشري[2]، والفخر الرازي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والخازن[6]، وابن جزي[7]، وغيرهم[8].

وقيل أيضًا في بيان معنى﴿بُورًا﴾: أي الذي لا خير فيه، وممن ذكر هذا المعنى:

الفراء: « ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ والبور مصدر واحد جمع؛ والبائر الذي لا شيء فيه، تقول: أصبحت منازلهم بورا، أي لا شيء فيها، فكذلك أعمال الكفار باطل، ويقال: رجل بور وقوم بور »[9].

السعدي: « ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ أي: بائرين لا خير فيهم، ولا يصلحون لصالح، لا يصلحون إلا للهلاك والبوار، فذكروا المانع من اتباعهم الهدى، وهو التمتع في

---

(١) التحرير والتنوير (341/18).
(٢) الكشاف (273/3).
(٣) التفسير الكبير (56/24).
(٤) أنوار التنزيل (211/4).
(٥) مدارك التنزيل (164/3).
(٦) لباب التأويل (96/5).
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (76/3).
(٨) جلال الدين المحلي في الجلالين ص(472)، وأبوالسعود في إرشاد العقل السليم (209/6).
(٩) معاني القرآن (264/2).

الدنيا، الذي صرفهم عن الهدى وعدم المقتضي للهدى، وهو أنهم لا خير فيهم، فإذا عدم المقتضي، ووجد المانع، فلا تشاء من شر وهلاك إلا وجدته فيهم »[1].

في حين وُجد عدد آخر من المفسرين ذكروا القولين: (هلكى – وفاسدين لا خير فيهم) عند تفسيرهم للآية واعتبروها بيانًا لمعنى ﴿بُورًا﴾، فمنهم: ابن الجوزي[2]، والقرطبي[3]، وأبو حيان[4]، والسمين الحلبي[5]، وابن كثير[6]. كثير[6].

والذي يظهر –والله أعلم– من خلال استعراض أقوال المفسرين في معنى ﴿بُورًا﴾ أنه لا تعارض بين القولين، فكلاهما يصح معنى للآية، فكون الكفار هالكين تساوي أنهم فاسدين ولا خير فيهم، ولو نظرت فيما قاله البغوي والسعديوقد ذكرتُ كلامهما آنفًا– لاتضح الترابط بين المعنيين، فإن البغوي فسَّر﴿بُورًا﴾ أي هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان؛ فإنه شرح البوار بأنه الفساد. وأما السعدي فقد فسَّر ﴿بُورًا﴾ أي لا خير فيهم ثم شرح المراد بعدم وجود الخير فيهم بأنهم لا يصلحون إلا للهلاك والبوار، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(580).

(٢) زاد المسير (78/6).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (11/13).

(٤) البحر المحيط (448/6).

(٥) الدر المصون (466/8).

(٦) تفسير القرآن العظيم (312/3).

معنى: ﴿صَرْفًا﴾

20- قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الفرقان: 19].

يرى الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أن « الصرف » في الآية يراد به: « الحيلة؛ من قولهم: إنه ليتصرف، أي يحتال »[1].

لقد وردت في لفظ ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ قراءتان، بالتاء الفوقية، وبالياء التحتية[2].. وبناء عليه جاء بيان معنى الآية عند أئمة التفسير شاملاً، لاحتماله للقراءتين.

قال الإمام الطبري: « وقوله جل ثناؤه ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نـــزل بهم عن أنفسهم، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها »[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(267).

(2) قرأ حفص بالتاء الفوقية (تستطيعون)، وقرأ الباقون بالياء التحتية (يستطيعون).

انظر: القراءات العشر المتواترة، لمحمد كريّم راجح ص(361)، عند الآية رقم (19) من سورة الفرقان.

(3) جامع البيان (193/18).

وبيّن النحاس أن الصرف يراد به: « الحيلة؛ من قولهم فلان يتصرف في الأشياء، أي فما يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم العذاب ولا ينصروها »[1].

وقال الواحدي: « ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم إنهم كانوا آلهة ((فما يستطيعون)) يعني الآلهة ﴿صَرْفًا﴾ للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لكم »[2].

وقال البغوي: « ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ هذا خطاب مع المشركين؛ أي كذبكم المعبودون ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ إنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ قرأ حفص بالتاء يعني العابدين، وقرأ الآخرون بالياء يعني الآلهة ﴿صَرْفًا﴾ يعني صرفًا من العذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعني ولا نصر أنفسهم، وقيل: ولا تضركم أيها العابدون من عذاب الله تعالى بدفع العذاب عنكم »[3].

الزمخشري: « وقريء ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء والياء أيضًا. يعني: فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم »[4].

---

(١) معاني القرآن (15/5).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (776/2).

(٣) معالم التنزيل (364/3).

(٤) الكشاف (276/3).

الفخر الرازي: « أما قوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ فاعلم أنه قرئ يستطيعون بالياء والتاء أيضًا يعني فما تستطيعون أنتم يا أيها الكفار صرف العذاب عنكم، وقيل: الصرف التوبة، وقيل: الحيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال، أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب وأن يحتالوا لكم »[1].

البيضاوي: « ((فما يستطيعون)) أي المعبودون، وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم، وقيل: حيلة، من قولهم: إنه لينصرف أي يحتال ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعينكم عليه »[2].

النسفي: « ((فما يستطيعون صرفا ولا نصرا)) أي فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالتاء حفص؛ أي فما تستطيعون أنتم يا كفارُ صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم »[3].

ابن كثير: « وقوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ أي لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم »[4].

المحلي: « ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية والفوقانية أي لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ منعًا لكم منه »[1].

---

(١) التفسير الكبير (56/24).

(٢) أنوار التنزيل (211/4).

(٣) مدارك التنزيل (164/3).

(٤) تفسير القرآن العظيم (313/3).

الشوكاني: « ((فما يستطيعون)) أي الآلهة ﴿صَرْفًا﴾ أي دفعًا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه، وقيل: حيلة ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ أي لا يستطيعون نصركم، وقيل المعنى: فما يستطيع هؤلاء الكفار لما عذبهم المعبودون صرفًا للعذاب الذي عذبهم الله به ولا نصرًا من الله، وهذا الوجه مستقيم على قراءة من قرأ تستطيعون بالفوقية وهي قراءة حفص، وقرأ الباقون بالتحتية »[2].

الآلوسي: « ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: فما تملكون أيها العبدة ﴿صَرْفًا﴾ أي: دفعًا للعذاب عن أنفسكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير أي: لا بالذات ولا بالواسطة »[3].

السعدي: « ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ للعذاب عنكم بفعلكم أو بفداء أو غير ذلك ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لعجزكم وعدم ناصركم، هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين؛ كما رأيت أسوأ حكم وشر مصير، وأما المعاند منهم الذي عرف الحق وصرف عنه فقال في حقه ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ بترك الحق ظلمًا وعنادًا﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ لا يقادر قدره ولا يبلغ أمره »[4].

---

(١) تفسير الجلالين ص(472).

(٢) فتح القدير (68/4).

(٣) روح المعاني (252/18).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(580).

وانظر نحو كلام من ذكرتُ عبارات كل من: السمرقندي[1]، وابن عطية[2]، والقرطبي[3]، وابن جزي[4]، والثعالبي[5]، وأبي السعود[6].

وهكذا نجد بعد النظر في أقوال المفسرين من ابن قتيبة وغيره من الأئمة اجتماعهم على اشتمال معنى الآية بناء على القراءتين المذكورتين، وسواء كان المراد المعبودين أو العابدين، فلا أحد يمكنه التصرف ولا الاحتيال على عذاب الله تعالى إن وقع، لا يحتال الشخص لنفسه، ولا يمكنه نصر غيره أيًّا كان وكيف كان وأين كان، والله أعلم بالصواب.

---

(١) بحر العلوم (532/2).

(٢) المحرر الوجيز (204/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (12/13).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (76/3).

(٥) الجواهر الحسان (132/3).

(٦) إرشاد العقل السليم (209/6).

معنى: ﴿مَهۡجُورٗا﴾

21- قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [سورة الفرقان: 30].

قال الإمام ابن قتيبة في بيان معنى ﴿مَهۡجُورٗا﴾: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾: هجروا فيه، أي: جعلوه كالهذيان -والهُجر الاسم. يقال: فلان يهجر في منامه أي يهذي »[1].

وورد في معنى ﴿مَهۡجُورٗا﴾: « يعني متروكًا، لا يؤمنون به ولا يعملون بما فيه »[2]، وهذا المعنى قال به واختاره بيانًا لمعنى الآية عدد غير قليل من المفسرين،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(268).

(2) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (536/2).

منهم: الواحدي[1]، والنسفي[2]، وابن جزي[3]، وابن كثير[4]، والمحلي[5]، والألوسي[6]، والسعدي [7]، والشنقيطي[8].

بل إن عددًا أكبر من المفسرين ذكروا القولين معًا بيانًا لمعنى الآية –ما قاله ابن قتيبة، والقول الآخر– على اعتبار صحة حمل الآية عليهما، فمنهم: النحاس[9]، والسمرقندي[10]، والسمعاني[11]، والبغوي[12]، والزمخشري[13]، والزمخشري[13]، وابن عطية[14]، وابن الجوزي[15]، والقرطبي [16]، والبيضاوي[17]، والثعالبي[1]، وأبوالسعود[2]، والشوكاني[3].

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (778/2).

(٢) مدارك التنـزيل (167/3).

(٣) التسهيل لعلوم التنـزيل (78/3).

(٤) تفسير القرآن العظيم (318/3).

(٥) تفسير الجلالين ص(474).

(٦) روح المعاني (13/19).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص(582).

(٨) أضواء البيان (48/6).

(٩) معاني القرآن (23/5).

(١٠) بحر العلوم (536/2).

(١١) تفسير القرآن (18/4).

(١٢) معالم التنـزيل (368/3).

(١٣) الكشاف (282/3).

(١٤) المحرر الوجيز (209/4).

(١٥) زاد المسير (87/6).

(١٦) الجامع لأحكام القرآن (27/13).

(١٧) أنوار التنـزيل (216/4).

(١) الجواهر الحسان (134/3).

(٢) إرشاد العقل السليم (215/6).

(٣) فتح القدير (73/4).

والذي يظهر – والله أعلم – صحة حمل الآية على المعنيين لاشتمال (الهجر) لغة[1] على المعنيين، مع كون المعنى الذي لم يرجحه ابن قتيبة قال عنه المفسرون: إنه هو « الأظهر »[2] و « الظاهر »[3]، والله أعلم بالصواب.

(١) فإن (الهجر) يفيد معنى الترك والاعتزال، وبالضم: القبيح من الكلام. انظر: القاموس المحيط ص(637)، باب الراء فصل الهاء.

(٢) التسهيل لعلوم التنـزيل (78/3).

(٣) روح المعاني للألوسي (13/19)، وأضواء البيان للشنقيطي (48/6).

معنى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾

22- قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الفرقان: 43].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في بيان معنى الآية: « ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ يقول: يتبع هواه ويدع الحق، فهو له كالإله »[1].

وقد وافقه فيما ذهب إليه الإمام: النحاس[2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وأبوالسعود[5]، والشوكاني[6]، والسعدي[7].

قال البيضاوي: « ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً »[8].

(١) تفسير غريب القرآن ص(269).
(٢) معاني القرآن (29/5).
(٣) أنوار التنزيل (219/4).
(٤) مدارك التنزيل (170/3).
(٥) إرشاد العقل السليم (220/6).
(٦) فتح القدير (77/4).
(٧) تيسير الكريم الرحمن ص(584).
(٨) أنوار التنزيل (219/4).

وقال النسفي: « ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي من أطاع هواه فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه »[1].

وثَمَّ قول آخر خلاصته أنه « كان من اتخاذهم أهواءهم آلهتهم أن الواحد منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى حجرًا أحسن منه طرح الأول وأخذ الثاني وعبده، فهم يعبدون ما تهواه أنفسهم »[2]، وقال بهذا الإمام الطبري[3] والواحدي[4]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، وابن عطية[7].

وقيل إن الآية « نـــزلت في الحرث بن قيس السهمي كان كلما هوى حجرًا عبده »[8].

والذي يظهر –والله أعلم– أن الراجح هو ما ذهب إليه الإمام ابن قتيبة ومن وافقه من أن المراد بالآية هو من يجعل هواه كالإله له فيتبعه ويدع الحق، وقد دلت آية أخرى من القرآن على ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [سورة فاطر: 8]، وأشار إلى هذه الدلالة الإمام ابن كثير في

---

(1) مدارك التنـزيل (170/3).

(2) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (780/2)، وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (21/4).

(3) جامع البيان (17/19).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (780/2).

(5) تفسير القرآن (21/4).

(6) معالم التنـزيل (370/3).

(7) المحرر الوجيز (211/4).

(8) انظر: روح المعاني للآلوسي (23/19).

تفسيره[1]، والمقرر لدى أئمة التفسير أن تفسير القرآن بالقرآن أفضل وأحسن طرق التفسير[2].

ولا يمنع هذا من إرادة المعنى الآخر، فتنقل أهل الجاهلية بين أحجار ونحوها يختاروها ويعبدوها هو استحسان للهوى واتباع له، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (321/3).

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿أُجَاجٌ﴾

23- قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الفرقان: 53].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله– في بيان معنى الأجاج إنه: «أشد المياه ملوحة» ثم حكى القول الآخر بصيغة التمريض: «وقيل: هو الذي يخالطه مرارة»[1].

فلعله يُفهم من هذا أن ابن قتيبة يرى أن معنى الأجاج أشد المياه ملوحة، وإيراده للرأي الآخر على سبيل الاستئناس، وتعداد ما ورد من معان للمفسرين في معنى الآية، وعليه نجد أن جمهور المفسرين وافقوه في أن الأجاج يعني: أشد المياه ملوحة، فمنهم النحاس[2]، والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، والبيضاوي[7]، والنسفي[8]،

---

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ص(269).

(٢) معاني القرآن (37/5).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (782/2).

(٤) تفسير القرآن (26/4).

(٥) معالم التنزيل (373/3).

(٦) الكشاف (292/3).

(٧) أنوار التنزيل (224/4).

(٨) مدارك التنزيل (173/3).

......................................وابن جزي[1]، والمحلي[2]، والثعالبي[3]، وأبوالسعود[4]، والألوسي[5].

في حين أن فريقًا آخر من المفسرين جمع بين المعنيين بيانًا لمعنى الأجاج، فقال السمرقندي: « ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي مرّ مالح » [6] ونحو قوله قال ابن الجوزي[7]، والقرطبي[8]، وابن كثير[9]، والشنقيطي[10].

والذي يظهر -والله أعلم أن ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه هو الراجح في بيان معنى الأجاج، يؤيد ذلك أمور:

الأول: قاعدة تفسير جمهور السلف مقدم على غيره[11]، وقد ظهر من خلال استعراض أقوال المفسرين ودراستها كثرة القائلين بأن الأجاج يراد به شدة الملوحة.

الثاني: دلالة سياق الآية على المعنى الراجح، وقد قال الإمام أبوجعفر النحاس:

---

(1) التسهيل لعلوم التنـزيل (80/3).

(2) تفسير الجلالين ص(477).

(3) الجواهر الحسان (137/3).

(4) إرشاد العقل السليم (225/6).

(5) روح المعاني (34/19).

(6) بحر العلوم (542/2).

(7) زاد المسير (95/6).

(8) الجامع لأحكام القرآن (59/13).

(9) تفسير القرآن العظيم (323/3).

(10) أضواء البيان (66/6).

(11) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (288/1).

«والمعروف عند أهل اللغة أن الأجاج الشديد الملوحة »[1]، فإن سياق الآيات يدل على إرادة الملوحة الشديدة معنى للأجاج المذكورة في الآية.

نعم قد قال الشوكاني في تفسيره: « ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي بليغ الملوحة هذا معنى الأجاج، وقيل: الأجاج البليغ في الحرارة، وقيل: البليغ في المرارة »[2].

وفي لسان العرب أن الماء الأجاج الشديد الملوحة، أو الشديد المرارة، أو الشديد الحرارة[3]. وكذلك في تاج العروس [4]. فكون هذه المعاني في اللغة لا يعني انطباقها بثلاثتها في وقت واحد على ماء البحر، ومعلوم من واقع معايشة ماء البحر من قِبَل البحارة والصيادين ونحوهم أن الصفة الغالبة لماء البحر هي الملوحة، نعم قد تتفاوت نسبة شدة الملوحة من بحر إلى بحر، وعلى كل ما ذكر يتضح أن الأَوْلى اعتبار صفة شدة الملوحة بيانًا راجحًا لمعنى الأجاج، والله أعلم بالصواب.

---

(1) معاني القرآن (37/5).

(2) فتح القدير (81/4).

(3) انظر: لسان العرب لابن منظور (207/2) مادة: أجج، بتصرف.

(4) انظر: تاج العروس للزبيدي (399/5).

معنى: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرًا﴾

24- قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرًاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ [سورة الفرقان: 54].

يرى الإمام ابن قتيبة أن المعنى: « ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ يعني قرابة النسب، ﴿وَصِهۡرًا﴾ يعني قرابة النكاح »[1].

وقد وافقه على هذا المعنى بنفس الألفاظ المذكورة أو قريبًا منها من أئمة التفسير: الطبري[2]، والنحاس[3]، والسمرقندي[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، وابن عطية[7]، وابن كثير[8]، والمحلي [9]، والشوكاني[10].

وفريق آخر رأوا في معنى الآية أن« البشر قسمين: ذوي نسب أي ذكورًا ينسب إليهم فيقال: فلان بن فلان وفلانة بنت فلان، وذوات صهر أي إناثًا يصاهر بهن »[1].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(269).

(٢) جامع البيان (26/19).

(٣) معاني القرآن (38/5).

(٤) بحر العلوم (542/2).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (782/2).

(٦) تفسير القرآن (26/4).

(٧) المحرر الوجيز (214/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (323/3).

(٩) تفسير الجلالين ص(477).

(١٠) فتح القدير (82/4).

قال به الزمخشري[2]، والفخر الرازي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وأبوالسعود[6]، والألوسي[7]، والشنقيطي[8].

وأما ابن الجوزي[9]، وابن جزي[10] فذكرا القولين عند تفسير الآية دون ترجيح لأحدهما على الآخر؛ قال ابن جزي: « النسب والصهر يعمان كل قربى أي كل قرابة، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قرب ذلك أو بَعُد، والصهر هو الاختلاط بالنكاح، وقيل: أراد بالنسب الذكور أي ذوي نسب ينتسب إليهم، وأراد بالصهر الإناث أي ذوات صهر يصاهر بهن »[11].

---

(١) انظر: الكشاف (293/3).

(٢) المرجع السابق.

(٣) التفسير الكبير (88/24).

(٤) أنوار التنزيل (224/4).

(٥) مدارك التنزيل (173/3).

(٦) إرشاد العقل السليم (226/6).

(٧) روح المعاني (36/19).

(٨) أضواء البيان (66/6).

(٩) زاد المسير (97/6).

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل (80/3).

(١١) المرجع السابق.

وعليه فالظاهر -والله أعلم- صحة حمل الآية على المعنيين، فإن اللغة التي نـــزل بها القرآن الكريم وهي اللغة العربية، نجد علماءها يجمعون بين المعنيين عند بيانهم لمعنى كلمة النسب أو كلمة الصهر، قال في القاموس المحيط: « النَّسَب، محركه، والنِّسْبَة، بالكسر والضم: القرابة، أو في الآباء خاصة ». وقال: « الصِّهر، بالكسر: القرابة، وحُرْمة الختونة وزوج بنت الرجل، وزوج أخته، والأختان أصهار أيضًا، وقد صاهرهم، وصاهر فيهم، وأصهر بهم، وأصهر إليهم: صار فيهم صهرًا »[1] وإن « حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »[2] قاعدة متبعة متبعة عند أهل الفن من المفســرين، كما أن الآية إذا كانت « تحتمل معانٍ كلها صحيحة »[3] تحمل عليها.

فائدة:

وعليه فإن من الخطأ الدارج في حديث الناس في هذه الأيام عندما يتحدث الرجل عن أشخاص من أهل زوجته، أو أهل زوج بنته، أو أهل زوج أخته، أو بالعكس فيقول: (نسيبي، أو أنسبائي)؛ فهذا من الخطأ، وإنما الصحيح أن يقال: (صهري، أو أصهاري)، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: القاموس المحيط ص(176) باب الباء فصل النون و ص(549) باب الراء فصل الصاد.

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (369/2).

(3) انظر: قواعد التفسير (204/1).

معنى: ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا﴾

25- قال تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الفرقان: 68-69].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: عقوبة »[1].

تفسير الأثام بمعنى العقوبة وافق ابن قتيبة فيه من الأئمة المفسرين: الطبري[2]، والواحدي[3]، والقرطبي[4]، والألوسي[5]، والسعدي[6].

في حين أن: النحاس[7]، والسمرقندي[8]، والبيضاوي[9]، والنسفي[1]، فسّروا ﴿أَثَامٗا﴾ أي: « جزاء الأثام »[2].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(270).

(٢) جامع البيان (40/19).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (783/2).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (75/13).

(٥) روح المعاني (48/19).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(587).

(٧) معاني القرآن (50/5).

(٨) بحر العلوم (380/2).

(٩) أنوار التنـزيل (228/4).

أما ابن كثير[3]، والشوكاني[4]، رجّحا القول بأنه: « وادٍ في جهنم ».

وقد جمع الأقوال الثلاثة: « عقوبة – جزاء الإثام – وادٍ في جهنم » بيانًا لمعنى الآية كل من: ابن الجوزي[5]، وابن جزي[6].

والذي يظهر –والله أعلم– صحة اعتبار الأقوال الثلاثة بيانًا لمعنى الآية، فإن جزاء من أتى بالكبائر المذكورة في بداية الآية و لم يتب فعقابه أن يلقى في ذلك الوادي في جهنم، قال الطبري: « ذلك عقاب يعاقب الله تعالى به من أتى هذه الكبائر بواد في جهنم يدعى أثامًا »[7]، و « إن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة تعين حملها على الجميع »[8]، هذه قاعدة معتبرة عند أهل التفسير، والله أعلم بالصواب.

---

(1) مدارك التنـزيل (177/3).

(2) انظر: معاني القرآن للنحاس (50/5).

(3) تفسير القرآن العظيم (327/3).

(4) فتح القدير (91/4).

(5) زاد المسير (105/6).

(6) ابن جزي (82/3).

(7) جامع البيان (40/19).

(8) قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾

26- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الفرقان: 73].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « أي لم يتغافلوا عنها، فكأنهم صمّ لم يسمعوها، عُمْي لم يروها »[1].

وقد ذهب إلى مثل رأي ابن قتيبة من الأئمة:

البغوي: قال: « ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ﴾ لم يقعوا و لم يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه»[2].

النسفي: « ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قرئ عليهم القرآن أو وُعظوا بالقرآن ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ هذا ليس بنفي للخرور ، بل هو إثبات له ونفي الصمم والعمى، ونحوه: لا يلقاني زيد مسلِّماً ، هو نفي للسلام لا للقاء، يعني أنهم إذا ذكروا بها خروا سجدًا وبكيًّا سامعين بآذان واعية مبصرة بعيون راعية لما أُمروا

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(270).

(2) معالم التنزيل (378/3).

به ونُهوا عنه؛ لا كالمنافقين وأشباههم، دليله قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة مريم: 58] [1].

ابن جزي: « ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يُعرضوا عن آيات الله تعالى بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للصمم والعَمَى لا للخرور عليها » [2].

الشوكاني: « ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالقرآن، أو بما فيه موعظة وعبرة ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يقعوا عليها حال كونهم صمًا وعميانًا، ولكنهم أكبوا عليها سامعين مبصرين وانتفعوا بها » [3].

السعدي: « ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: أمرهم باستماعها والاهتداء بها، ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها، وصرف النظر والقلوب عنها، كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدِّق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة: 15]، يقابلونها بالقبول والافتقار إليها، والانقياد

---

(1) مدارك التنزيل (178/3).
(2) التسهيل لعلوم التنزيل (82/3).
(3) فتح القدير (89/4).

والتسليم لها، وتجد عندها آذانًا سامعة، وقلوبًا واعية، فيزداد بها إيمانهم، ويتم بها إيقانهم وتحدث لهم نشاطًا، ويفرحون بها سرورًا واغتباطًا »[1].

وغيرهم من المفسرين مثلهم: كابن العربي[2]، والقرطبي[3]، والخازن[4]، والمحلي[5].

الإمام ابن قتيبة ومن وافقه جاء بيانهم للآية في ضوء منطوقها فقط، في حين أن فريقًا آخر من الأئمة فسروا الآية في ضوء الدلالتين، المنطوق والمفهوم، وسأعرض كلام بعضهم للبيان وأحيل إلى البقية للاختصار.

قال الطبري: « فإن قال قائل وما معنى قوله لم يخروا عليها صمًا وعمياناً؟ أوَ يخر الكافرون صمًا وعميانًا إذا ذّكروا بآيات الله فينفي عن هؤلاء ما هو صفة للكفار، قيل: نعم الكافر إذا تليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى، وخرّه عليها كذلك؛ إقامته على الكفر. وذلك نظير قول العرب سببت فلانًا فقام يبكي بمعنى: فظل يبكي ولا قيام هناك ولعله أن يكون بكى قاعدًا، وكما يقال نهيت فلانًا عن كذا فقعد يشتمني ومعنى ذلك فجعل يشتمني وظل يشتمني ولا قعود هناك، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب حتى فهموا معناه، فكذلك قوله: ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(587).

(2) أحكام القرآن (455/3).

(3) الجامع لأحكام القرآن (81/13).

(4) لباب التأويل (110/5).

(5) تفسير الجلالين ص(479).

﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ إنما لم يصموا عنها ولا عموا عنها و لم يصيروا على باب رهم صمًا وعميانًا »[1].

أبو حيان: « ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ هي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ النفي متوجه إلى القيد الذي هو صم وعميان لا للخ رور الداخل عليه، وهذا الأكثر في لسان العرب أن النفي يتسلط على القيد، والمعنى أهم إذا ذكروا ها أكبّوا عليها حرصًا على استماعها، وأقبلوا على المذكّر ها بآذان واعية وأعين راعية، بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم فإهم إذا ذكّروا ها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر ها في ظاهر الأمر، وكانوا ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها »[2].

ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

وهذه أيضًا من صفات المؤمنين: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: 2] بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه بل يبقى مستمرًا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [سورة التوبة: 124-125]،

---

(1) جامع البيان (51/19).
(2) البحر المحيط (473/6).

فقوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي بخلاف الكافر الذي إذا سمع آيات الله فلا تؤثر فيه فيستمر على حاله كأن لم يسمعها أصم أعمى »[1].

سيد قطب: « ومن سماتهم -عباد الرحمن- أنهم سريعو التذكر إذا ذكروا، قريبو الاعتبار إذا وُعظوا، مفتوحو القلوب لآيات الله، يتلقونها بالفهم والاعتبار ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ وفي التعبير تعريض بالمشركين الذين ينكبّون على آلهتهم وعقائدهم وأباطيلهم كالصم والعميان؛ لا يسمعون ولا يبصرون، ولا يتطلعون إلى هدى أو نور، وحركة الانكباب على الوجوه بلا سمع ولا بصر ولا تدبر؛ حركة تصور الغفلة والانطماس والتعصب الأعمى. فأما عباد الرحمن، فهم يدركون إدراكًا واعيًا بصيرًا ما في عقيدتهم من حق، وما في آيات الله من صدق، فيؤمنوا إيمانًا واعيًا بصيرًا »[2].

الشنقيطي: « إن لهذه الآية الكريمة دلالتان: دلالة بالمنطوق ودلالة بالمفهوم:

1- فقد دلت بمنطوقها على أن من صفات عباد الرحمن، أنهم إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها، لم يكبوا عليها في حال كونهم صمًا عن سماع ما فيها من الحق، وعميانًا عن إبصارهم له، بل هم يكبون عليها سامعين ما فيها من الحق مبصرين له.

وهذا المعنى دلت عليه آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة الأنفال: 2]. ومعلوم أن من تليت عليه آيات هذا القرآن

---

(1) تفسير القرآن العظيم (330/3).

(2) في ظلال القرآن (2580/5).

فزادته إيمانًا أنه لم يخر عليها أصم أعمى، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة التوبة: 124]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر: 23] إلى غير ذلك من الآيات.

2- وقد دلت الآية المذكورة أيضًا بمفهومها : أن الكفرة المخالفين لعباد الرحمن الموصوفين في هذه الآيات؛ إذا ذكّروا بآيات ربهم خروا عليها صمًا وعميانًا أي: لا يسمعون ما فيها من الحق ولا يبصرونه حتى كأنهم لم يسمعوها أصلاً. وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة بمفهومها جاء موضحًا في آيات أُخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة لقمان: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الجاثية: 7-9]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة التوبة: 124-125] إلى غير ذلك من الآيات.

والظاهر أن معنى خرور الكفار على الآيات في حال كونهم صمًا وعميانًا؛ هو إكبابهم على إنكارها والتكذيب بها »[1].

وانظر كذلك ما قاله الأئمة: ابن عطية[2]، وأبوالسعود[3]، والألوسي[4]، وابن عاشور[5].

وبعد هذه الجولة في أقوال المفسرين سواء من وافق ابن قتيبة في الاكتفاء بذكر دلالة منطوق الآية، أو من توسَّع ببيان الدلالتين المنطوق والمفهوم -كما صرّح بذلك الشنقيطي، وقد مَرَّ كلامه قريبًا-، يظهر -والله أعلم- عدم وجود اختلاف بين الفريقين، فابن قتيبة ومن وافقه اكتفوا ببيان المعنى وفق منطوق الآية فقط، على اعتبار أن سياق الآيات في أواخر سورة الفرقان حديث عن صفات عباد الرحمن المؤمنين ومدح لهم بما اتصفوا به في عبوديتهم لله -عز وجل-، والآخرون توسَّعوا في الشرح في ضوء الدلالتين لبيان الفرق بين المؤمنين والكافرين في موقفهم من سماع آيات الله -عز وجل-، على اعتبار أن سورة الفرقان قد ذُكر فيها عدد من المفارقات بين المؤمنين والكافرين وما أُعِدَّ لكل فريق، علمًا أن كلا الدلالتين قد دلت عليها آيات أُخَر من كتاب الله -عز وجل-، والقاعدة المعتبرة لدى الأئمة المفسرين: أن الآية إن كانت تحتمل عدة معانٍ كلها صحيحة؛ صح الحمل عليها جميعًا[6]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) أضواء البيان (79/6) بتصرف.

(2) المحرر الوجيز (222/4).

(3) إرشاد العقل السليم (231/6).

(4) روح المعاني (52/19).

(5) التحرير والتنوير (81/19).

(6) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: «شرذمة»

27- قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ [سورة الشعراء: 54]، يرى الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أن لفظ «شرذمة» في الآية معناه: «طائفة»[1].

وقال غيره من أئمة التفسير:

السمرقندي: «﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ يعني: طائفة وعصبة وجماعة قليلون»[2].

الواحدي: «﴿لَشِرۡذِمَةٞ﴾ عصبة: ﴿قَلِيلُونَ﴾»[3].

السمعاني: «﴿لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾ أي: لجماعة قليلة»[4].

البغوي: «﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ ﴾ عصابة ﴿قَلِيلُونَ﴾ والشرذمة القطعة من الناس غير الكثير»[5].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(272).
(2) بحر العلوم (555/2).
(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (790/2).
(4) تفسير القرآن (47/4).
(5) معالم التنزيل (386/3).

الزمخشري: « والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً، واختار جمع السلامة الذي هو للقلة ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة[1] ولا يريد قلة العدد، والمعنى: أنهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم »[2]، وعبارة الفخر الرازي[3]، والنسفي[4]، تشبه جدًا ما قاله الزمخشري.

ابن عطية: « والشرذمة: الجمع القليل المحتقر، وشرذمة كل شيء بقيته الخسيسة»[5]، ومثل عبارته قال القرطبي[6]، وابن جزي[7]، والثعالبي[8]، والشوكاني[9].

والشوكاني[9].

البيضاوي: « والشرذمة: الطائفة القليلة»[10]. ومثله قال ابن كثير[11]، والمحلي[12].

---

(1) قَمَأ: ذل وصغر. انظر: القاموس المحيط ص(62)، باب الهمزة فصل القاف.

(2) الكشاف (320/3).

(3) التفسير الكبير (118/4).

(4) مدارك التنزيل (186/3).

(5) المحرر الوجيز (232/4).

(6) الجامع لأحكام القرآن (99/13).

(7) التسهيل لعلوم التنزيل (85/3).

(8) الجواهر الحسان (147/3).

(9) فتح القدير (100/4).

(10) أنوار التنزيل (239/4).

(11) تفسير القرآن العظيم (336/3).

(12) تفسير الجلالين ص(484).

من استعراض أقوال الأئمة المفسرين؛ يظهر -والله أعلم- اجتماع ما ذكروه بيانًا لمعنى الآية، وصحة الآية على المعاني المذكورة، فلفظ (الشرذمة) في اللغة العربية يراد به: القليل من الناس[1]، وفرعون إنما استقل بني إسرائيل وقد « كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا »[2]، بالنسبة إلى جنوده الذين كانوا « ألف ألف وخمس مئة ألف، وخمس مئة ملك مسور مع كل ملك ألف رجل »[3]، هذا مع ما هو معروف من احتقار فرعون لبني إسرائيل واستعبادهم وإذلالهم، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (322/12)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي ص(1454).

(2) انظر: معاني القرآن للنحاس (79/5).

(3) انظر: جامع البيان للطبري (76/19).

معنى: « كبكبوا »

28- قال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء: 91-95].

يرى الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أن لفظ « كبكبوا » الوارد في الآية معناه: « أُلقوا على رؤوسهم، وأصل الحرف: كبّبوا) من قولك كببت الإناء، فأبدل من الباء الوسطى كافًا: استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات »[1].

ولقد ذهب إلى مثل المعنى الذي قال به ابن قتيبة من أن « كبكبوا » يراد به الإلقاء على الرؤوس في نار جهنم، كل من: النحاس[2]، والألوسي[3].

وقال السمرقندي: « « كبكبوا » يعني: جمعوا »[4].

وذهب كل من: الواحدي[5]، والسمعاني[6]، والنسفي[7]، .... وابن كثير[1]، والثعالبي[2]، إلى أن معنى﴿ فَكُبْكِبُوا ﴾: « طرح بعضهم على بعض في الجحيم »[3].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(272).

(٢) معاني القرآن (89/5).

(٣) روح المعاني (102/19).

(٤) بحر العلوم (559/2).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (792/2).

(٦) تفسير القرآن (56/4).

(٧) مدارك التنـزيل (190/3).

ويرى الزمخشري[4]، والفخر الرازي[5]، والبيضاوي[6]، وابن جزي[7]، في معنى: ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ أن: « الكبكبة تكرير الكبّ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكبّ مرة بعـد مرة حتى يسـتقر في قعرها »[8].

ومن المفسرين مَنْ قال إن ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ معناها: « أُلقوا في النار »[9]. منهم: المحلي[10]، وأبي السعود[11]، والشوكاني[12]، والسعدي[13].

يظهر -والله أعلم- من خلال عرض ما ورد عن الأئمة المفسرين في بيان معنى ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ أنه لا اختلاف تضاد بينهم فكل ما ذكروه من معانٍ وإن اختلفت الألفاظ قليلاً يصبّ في معنى واحد: وهو إلقاء الكفار وأصنامهم وإبليس وجنوده

---

(١) تفسير القرآن العظيم (340/3).

(٢) الجواهر الحسان (149/3).

(٣) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (792/2).

(٤) الكشاف (327/3).

(٥) التفسير الكبير (131/24).

(٦) أنوار التنـزيل (244/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنـزيل (87/3).

(٨) انظر: الكشاف للزمخشري (327/3).

(٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(593).

(١٠) تفسير الجلالين ص(486).

(١١) إرشاد العقل السليم (251/6).

(١٢) فتح القدير (106/4).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(593).

في نار جهنم منكبين على رؤوسهم مطروحين منكبين مرة بعد مرة حتى يستقروا في نار جهنم أجارنا الله تعالى وجميع المسلمين من حرها وعذابها.

قال في لسان العرب: « كبّ الشيء يكبه، وكبكبه: قلبه، وكب الرجل إناءه يكبه كبًا وكبّه لوجهه فانكب: أي صرعه »[1].

والقاعدة المعتبرة لدى علماء التفسير: أن الآية إن كانت تحتمل معانٍ كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعها[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) لسان العرب لابن منظور (695/1).

(2) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾

29- قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨﴾ [سورة الشعراء: 136-138].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في بيان معنى الآية: « ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ [بفتح الخاء وسكون اللام (خَلْق)] أراد: اختلاقهم وكذبهم، يقال: خلقت الحديث واختلقته؛ إذا افتعلته ومن قرأ ﴿خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أراد: عادتهم وشأنهم »[1].

وردت قراءتان في الآية: (خَلْق) و (خُلُقُ)[2].

وبناءً عليه جاءت أقوال أئمة التفسير في بيان معنى الآية، فها هو ابن قتيبة قد بيّن المعنى في ضوء القراءتين وهكذا غيره من الأئمة، كأبي جعفر النحاس[3]، والسمرقندي[4]،...

والواحدي[5]، والسمعاني[1]، والبغوي[2]، والزمخشري[3]، وابن عطية[4]، وابن

(1) تفسير غريب القرآن ص(273).

(2) انظر: القراءات العشر المتواترة، محمد كريم راجح ص(373).

(3) معاني القرآن (94/5).

(4) بحر العلوم (562/2).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (793/2).

الجوزي[5] ، والفخر الرازي[6] ، والقرطبي[7] ، والبيضاوي[8] ، والنسفي[9] ، وابن كثير[10] ، والمحلي[11] ، والثعالبي[12] ، وأبي السعود[13] ، والشوكاني[14] ، والألوسي[15] ، وابن عاشور[16] .

فعن البغوي قوله: « قرئ خَلْق بفتح الخاء وسكون اللام أي: اختلاق الأولين وكذبهم، دليل هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا﴾ [سورة العنكبوت:

---

(١) تفسير القرآن (60/4).
(٢) معالم التنزيل (394/3).
(٣) الكشاف (331/3).
(٤) المحرر الوجيز (239/4).
(٥) زاد المسير (137/6).
(٦) التفسير الكبير (136/24).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (125/13).
(٨) أنوار التنزيل (248/4).
(٩) مدارك التنزيل (193/3).
(١٠) تفسير القرآن العظيم (343/3).
(١١) تفسير الجلالين ص(488).
(١٢) الجواهر الحسان (150/3).
(١٣) إرشاد العقل السليم (257/6).
(١٤) فتح القدير (111/4).
(١٥) روح المعاني (112/19).
(١٦) التحرير والتنوير (171/19).

17]، وقرئ خُلُق بضم الخاء واللام أي عادة الأولين من قبلنا وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب »[1].

وابن عطية قوله: « خُلُق بضم اللام فالإشارة بهذا إلى دينهم وعبادتهم وتخرقهم في المصانع، أي هذا الذي نحن عليه خلق الناس وعادتهم وما بعد ذلك بعث ولا تعذيب كما تزعم أنت، وقرئ خَلْق بفتح الخاء وسكون اللام، وهذا يحتمل وجهين:

أحدهما: وما هذا الذي تزعمه إلا اختلاق الأولين من الكذبة قبلك وكذبهم فأنت على منهاجهم، والثاني: أن يريدوا وما هذه البينة التي نحن عليها إلا البينة التي عليها الأولون حياة وموت وما ثم بعث ولا تعذيب، وكل معنى مما ذكرته تحتمله كل قراءة »[2].

والبيضاوي: « ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خَلْقُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين، أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب، وقرئ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ بضمتين، أي: ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله، أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم تزل الناس عليها »[3].

---

(١) معالم التنزيل (394/3) بتصرف.

(٢) المحرر الوجيز (239/4) بتصرف.

(٣) أنوار التنزيل (248/4) بتصرف.

وابن عاشور: « وجملة: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ تعليل جملة: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾، أي كان سواءً علينا فلا نتَّبع وعظَك لأن هذا خلق الأولين.

والإشارة بـــ (هذا) إلى شيء معلوم للفريقين حاصل في مقام دعوة هو إياهم، وسيأتي بيانه.

وقوله: ﴿خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ قراءة نافع وابن عامر وحمزة وعاصم وخلَف بضم الخاء وضم اللام. وقرأه ابن كثير وأبوعمرو والكسائي وأبوجعفر ويعقوبُ بفتح الخاء وسكون اللام.

فعلى قراءة الفريق الأول (خُلُقُ) بضمتين، فهو السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر وقد فُسِّر بالقوى النفسية، وهو تفسير قاصر فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر، ولذلك لا يُعرف أحدُ النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه فيقال: خُلُق حسَن، ويقال في ضده: سوء خُلُق، أو خُلُق ذميم، قال تعالى: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾[سورة القلم: 4]. وفي الحديث: « وخالق الناسَ بخُلُقٍ حسن ». فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخُلُق الحسن، كما قال الحريري في (المقامة التاسعة) (وخُلُقي نعم العَون، وبيني وبينَ جاراتي بَوْن) أي في حسن الخلق.

والخلق في اصطلاح الحكماء: مَلَكَة (أي كيفية راسخة في النفس أي متمكنة من الفكر) تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل. فخلق المرء مجموع غرائز (أي طبائع نفسية) مؤتلفة من انطباع فكري: إما جبليّ في أصل خلقته، وإما كسبي ناشئ عن تمرّن الفكر عليه وتقلُّده إياه لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد. وينبغي أن يسمى اختيارًا من قول أو

عمل لذاته، أو لكونه من سيرة من يُحبه ويقتدي به ويسمى تقليدًا، ومحاولته تسمى تخلقًا. فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاه، ولو رام حملَ نفسه على عدم العمل بما تمليه سجيته لاستصغر نفسه وإرادته وحقر رأيه. وقد يتغير الخلق تغييرًا تدريجيًا بسبب تجربة انجرار مضرة من داعيه، أو بسبب خوف عاقبة سيئة من جرّائه بتحذير مَن هو قدوة عنده لاعتقاد نصحه أو لخوف عقابه. وأول ذلك هو المواعظ الدينية.

ومعنى الآية على هذا يجوز أن يكون المحكيُّ عنهم أرادوا مدحًا لما هم عليه من الأحوال التي أصروا على عدم تغييرها فيكون أرادوا أنها خُلُق أسلافهم وأسوتهم فلا يقبلوا فيه عذلاً ولا ملامًا، كما قال تعالى عن أمثالهم: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [سورة إبراهيم: 10]. فالإشارة تنصرف إلى ما هم عليه الذي نهاهم عنه رسولُهم.

ويجوز أن يكونوا أرادوا ما يَدعو إليه رسولهم: أي ما هو إلا من خلُق أناس قبله، أي من عقائدهم وما راضوا عليه أنفسهم وأنه عبر عليها وانتحلها، أي ما هو بإذن من الله تعالى كما قال مشركو قريش ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنعام: 25] والإشارة إلى ما يدعوهم إليه.

وأما على قراءة الفريق الثاني فالخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام مصدر هو الإنشاء والتكوين، والخلق أيضًا مصدر خلق، إذا كذب في خبره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا﴾ [سورة العنكبوت: 17]. وتقول العرب: حدثنا فلان بأحاديث الخَلْق وهو الخرافات المفتعلة، ويقال له: اختلاق بصيغة الافتعال الدال على التكلف

والاختراع، قال تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [سورة ص: 7] وذلك أن الكاذب يخلُق خبرًا لم يقع.

فيجوز أن يكون المعنى أن ما تزعمه من الرسالة عن الله كذب وما تخبرنا من البعث اختلاق، فالإشارة إلى ما جاء به صالح [لعل المراد: هود عليه السلام لأن سياق الآيات في ذكر قصته مع قومه، وأظنها سبق قلم من الإمام ابن عاشور – رحمه الله–]، ويجوز أن يكون المعنى أنّ حياتنا كحياة الأولين نحيا ثم نموت، فالكلام على التشبيه البليغ وهو كناية عن التكذيب بالبعث الذي حذرهم جزاءَه في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣٥﴾ [سورة الشعراء: 135] يقولون: كما مات الأولون و لم يبعث أحد منهم قط فكذلك نحيا نحن ثم نموت ولا نبعث. وهذا كقول المشركين: ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة الجاثية: 25]، فالإشارة في قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ إلى الخَلق الذي هم عليه كما دل عليه المستثنى. فهذه أربعة معان واحد منها مدح، واثنان ذم، وواحد ادعاء »[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) التحرير والتنوير (171/19).

معنى: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾

30- قال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة الشعراء: 148].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « والهضيم: الطلع قبل أن تنشق عنه القشور وتنفتح. يريد أنه منضمٌّ مكتـز. ومنه قيل: رجل أهضم الكشحين؛ إذا كان منضمهما »[1].

لقد تنوعت أقوال أئمة التفسير في بيان معنى ﴿هَضِيمٌ﴾، فروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن المعنى: « لين لطيف نضيج »[2]. وروي عن مجاهد: « ﴿هَضِيمٌ﴾ يتهشم تهشمًا »[3].

والطبري بعد أن أورد عددًا من الروايات في بيان معنى ﴿هَضِيمٌ﴾، قال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من لينه ورطوبته، وذلك قولهم هضم فلان حقه إذا انتقصه وتحيفه، فذلك الهضم في الطلع

---

[1] تفسير غريب القرآن ص(274)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (138/6).
[2] انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(312).
[3] انظر: تفسير مجاهد (464/2).

إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه، إما بمس الأيدي وإما بركوب بعضه بعضًا »[1].

والنحاس قال: « أصل الهضم: انضمام الشيء ومنه فلان أهضم الكشح: أي ضامره، فيقال للطلع هضيم قبل أن يتفتح »[2].

والسمرقندي شرح معنى الهضيم بأنه: « يعني متراكبًا بعضه على بعض، أو الطلع قبل أن تنشق عنه القشر يريد أنه منضم متكثر يقال رجل أهضم الكشحين إذا كان منضمًا، ويقال هضيم أي: طري لين، ويقال: هضيم متهشهش في الضم »[3].

والماوردي أورد أحد عشر معنى للهضيم، فقال: « أحدها: أنه الرطب اللين، الثاني: المذنب من الرطب، الثالث: أنه الذي ليس فيه نوى، الرابع: أنه المتهشم المتفتت إذا مُسَّ تفتت، الخامس: المتلاصق بعضه ببعض، السادس: أنه الطلع حين يتفرق ويخضر، السابع: اليانع النضيج، الثامن: أنه المتكنز قبل أن ينشق عنه القشر، التاسع: أنه الرخو، العاشر: أنه اللطيف، ويحتمل أن يكون الهضيم هو الهاضم المري »[4].

ومن بعدهم من الأئمة: كالواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، والزمخشري[1]، ....

(١) جامع البيان (99/19).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (95/5).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (563/2).

(٤) انظر: النكت والعيون للماوردي (183/4).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (794/2).

(٦) تفسير القرآن (61/4).

(٧) معالم التنزيل (394/3).

وابن عطية[2] ، وابن الجوزي[3] ، والفخر الرازي[4] ، والقرطبي[5] ، والبيضاوي[6] ، والنسفي[7] ، وابن جزي[8] ، وابن كثير[9] ، والمحلي[10] ، والثعالبي[11] ، وأبي السعود[12] ، والألوسي[13] ، يفسرون معنى الهضيم بذكر أكثر من قول دون جزم بأن معنى منها بعينه هو الراجح في بيان معنى الآية إلا ما كان من القرطبي عندما وصف المعنى الذي قيل فيه: « هو المنضم في وعائه قبل أن يظهر، ومنه رجل هضيم الجنبين أي منضمهما » بأنه « قول أهل اللغة »[14] . والشوكاني شرح الهضيم بأنه: « النضيج الرخص[15] اللين اللطيف » وأشار إلى ما ذكره الماوردي من أقوال، وعقّب بقوله: « أحسنها وأوفقها للغة ما ذكرناه »[16] .

---

(1) الكشاف (332/3).

(2) المحرر الوجيز (239/4).

(3) زاد المسير (138/6).

(4) التفسير الكبير (137/24).

(5) الجامع لأحكام القرآن (127/13).

(6) أنوار التنزيل (249/4).

(7) مدارك التنزيل (194/3).

(8) التسهيل لعلوم التنزيل (88/3).

(9) تفسير القرآن العظيم (344/3).

(10) تفسير الجلالين ص(489).

(11) الجواهر الحسان (150/3).

(12) إرشاد العقل السليم (258/6).

(13) روح المعاني (112/19).

(14) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (127/13).

(15) الرخص: الشيء الناعم اللين. انظر: لسان العرب لابن منظور (40/7).

(16) انظر: فتح القدير للشوكاني (112/4).

وعليه كلام أهل اللغة في شرح معنى ﴿هَضِيمٌ﴾: « والهضيم: اللطيف، والهضيم: النضيج، والهضم: بالتحريك: انضمام الجنبين، والهضم: خمص البطون ولطف الكشح، والهضم في الإنسان قلة انجفار الجنبين ولطافتهما، ورجل أهضم بيّن الهضم، وامرأة هضماء وهضيم، وكذلك بطن هضيم ومهضوم وأهضم، والهضيم من النساء: اللطيفة الكشحين، والهضيم: اللين، وقيل: مريء، وقيل: ناعم، وقيل: هضيم منهضم مدرك، وقيل: الداخل بعضه في بعض، وقيل: هو مما قيل إن رطبه بغير نوى، وقيل: الهضيم الذي يتهشم تهشمًا. والهاضم: ما فيه رخاوة أو لين »[1] .

فهذا كلام أهل اللغة عن معنى هضيم ومشتقاته، فلا مانع بناءً على تنوع المعاني اللغوية الواردة من حمل معنى الآية على كل معنى صَحَّ في اللغة العربية، « فحمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »[2] قاعدة في الترجيح معتبرة عند العلماء، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (6614/12) بتصرف، وكذلك القاموس المحيط للفيروز أبادي ص(1511).

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿فَرِهِينَ﴾

31- قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة الشعراء 149].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَرِهِينَ﴾: أشرين بطرين. ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء، أي فرحين. والفرح: قد يكون السرور، ويكون الأشر، ومنه قول الله -عز وجل- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص: 76] أي الأشرين، ومن قرأ ﴿فَارِهِينَ﴾، فهي لغة أخرى، يقال: فَرِهُ وفارِهُ، كما يقال: فرحٌ وفارح. ويقال: ﴿فَارِهِينَ﴾: حاذقين »[1].

ولقد وردت في اللفظة قراءتان: (فرهين) بغير ألف، و ﴿فَارِهِينَ﴾ بألف[2].

وعلى كل قراءة بيّن المفسرون المعنى، قال الطبري: « اختلف القراء في قراءة قوله ﴿فَارِهِينَ﴾ فقرأته عامة قراء أهل الكوفة ﴿فَارِهِينَ﴾ بمعنى حاذقين بنحتها، وقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (فرهين) بغير ألف بمعنى أشرين بطرين »[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(274).

(2) انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح ص(373).

(3) جامع البيان (100/19).

وبتفسيرها بالمعنيين المذكورين على القراءتين قال كل من السمرقندي[1]، والواحدي[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، والنسفي[5]، وابن كثير[6]، والمحلي[7]، وأبي السعود[8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10].

ووصف النحاس تفسير « فرهين » بمعنى: أشرين بطرين، بأنه: « أعرفها في اللغة »[11]، ووصفه البيضاوي وأبوالسعود بأنه « أبلغ »[12].

وقيل إن ﴿فَرِهِينَ﴾ و « فرهين »: « معناهما واحد » كما ذكر ذلك البغوي[13]، والشوكاني[14].

والذي يظهر -والله أعلم- صحة حمل الآية على ما ذكره الأئمة من معانٍ، يؤيد ذلك أكثر من قاعدة من قواعد الترجيح المعتبرة عند أهل الفن، فقاعدة تفسير

---

(١) بحر العلوم (563/2).
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (794/2).
(٣) تفسير القرآن (61/4).
(٤) معالم التنـزيل (395/3).
(٥) مدارك التنـزيل (194/3).
(٦) تفسير القرآن العظيم (344/3).
(٧) تفسير الجلالين ص(489).
(٨) إرشاد العقل السليم (258/6).
(٩) فتح القدير (112/4).
(١٠) روح المعاني (113/19).
(١١) معاني القرآن (96/5).
(١٢) انظر: أنوار التنـزيل للبيضاوي (249/4)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (258/6).
(١٣) معالم التنـزيل (395/3).
(١٤) فتح القدير (112/4).

القرآن بالقرآن أحسن طرق التفسير[1]، يدخل تحتها قول من استدل على المعنى بقوله بقوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [ســورة القصص: 76]، وكــون ﴿فَرِهِينَ﴾ و « فرهين » قراءتان صحيحتان ولغتان معروفتان في العربية، فإن: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »[2] قاعدة يُستند عليها في التفسير، فإن كان كان ذلك كذلك: فإن «الآية إن كانت تحتمل معانٍ كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعها »[3]، والله أعلم بالصواب.

(1) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).
(2) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).
(3) قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾

32- قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [سورة الشعراء: 167-168].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: من المبغضين. يقال: قليت الرجل، أي أبغضته » [1].

وجمهور الأئمة من علماء التفسير في تفسير ﴿ٱلْقَالِينَ﴾ على نفس المعنى، وأن ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: أي من المبغضين لعملكم، هكذا قال النحاس [2]، والسمرقندي [3]، والواحدي [4]، والسمعاني [5]، والبغوي [6]، والزمخشري [7]، وابن الجوزي [8]، والفخر

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(274).

(2) معاني القرآن (99/5).

(3) بحر العلوم (565/2).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (795/2).

(5) تفسير القرآن (63/4).

(6) معالم التنزيل (396/3).

(7) الكشاف (336/3).

(8) زاد المسير (140/6).

الرازي[1] ، والقرطبي[2] ، والبيضاوي[3] ، والنسفي[4] ، وابن جزي[5] ، وابن كثير[6] ، كثير[6] ، والمحلي[7] ، والثعالبي[8] ، والبقاعي[9] ، وأبوالسعود[10] ، والشوكاني[11] ، والشوكاني[11] ، والألوسي[12] ، والسعدي[13] ، وابن عاشور[14] .

وإجماع جمهور السلف[15] على معنىً حجةٌ في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(١) التفسير الكبير (139/24).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (133/3).

(٣) أنوار التنـزيل (251/4).

(٤) مدارك التنـزيل (195/3).

(٥) التسهيل لعلوم التنـزيل (89/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (346/3).

(٧) تفسير الجلالين ص(490).

(٨) الجواهر الحسان (151/3).

(٩) نظم الدرر (385/5).

(١٠) إرشاد العقل السليم (261/6).

(١١) فتح القدير (114/4).

(١٢) روح المعاني (116/19).

(١٣) تيسر الكريم الرحمن ص(596).

(١٤) التحرير والتنوير (180/19).

(١٥) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

معنى: ﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ﴾

33- قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٨٤﴾ [سورة الشعراء: 184].

قال ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ﴾ الخلق. يقال: جُبِل فلان على كذا وكذا؛ أي خلق »[1].

وأجمعوا جمهور المفسرين على أن﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ﴾ يراد بها الخلق الأولين من أبائهم السابقين والأمم الغابرة قبلهم، هذا ما قال به الأئمةالطبري[2]، والنحاس[3]، والسمرقندي[4]، والماوردي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، والزمخشري[8]، وابن وابن عطية[9]، وابن الجوزي[10]، والفخر الرازي[1]، والقرطبي[2]، والبيضاوي[3]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(274).

(2) جامع البيان (109/19).

(3) معاني القرآن (102/5).

(4) بحر العلوم (566/2).

(5) النكت والعيون (186/4).

(6) تفسير القرآن (65/4).

(7) معالم التنزيل (397/3).

(8) الكشاف (337/3).

(9) المحرر الوجيز (242/4).

(10) زاد المسير (142/6).

والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، وأبوالسعود[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9]، وابن عاشور[10]، والشنقيطي[11].

واستُدِل على صحة المعنى المذكور بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًا﴾ [سورة يس: 62][12]، وتفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير[13]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) التفسير الكبير (140/24).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (136/3).

(٣) أنوار التنزيل (252/4).

(٤) مدارك التنزيل (196/3).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (90/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (347/3).

(٧) إرشاد العقل السليم (262/6).

(٨) فتح القدير (115/4).

(٩) روح المعاني (119/19).

(١٠) التحرير والتنوير (185/19).

(١١) أضواء البيان (96/6).

(١٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (347/3)، وأضواء البيان للشنقيطي (96/6).

(١٣) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿كِسَفٗا﴾

34- قال تعالى: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ [سورة الشعراء 187].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا﴾ أي: قطعةً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. يقال: كِسْف وكسْفة، كما يقال: قِطْع وقِطْعة. وكِسَف جمع كِسْفة، كما يقال: قِطَع جمع قِطْعة »[1].

إذًا يرى الإمام ابن قتيبة أن ﴿كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ معناها: قِطَعًا من السماء، وقد وافقه فيما ذهب إليه: الإمام الطبري[2]، والنحاس[3]، والواحدي[4]، وابن عطية[5]، عطية[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي[7]،................................
والثعالبي[8]، والسيوطي[1]، والشوكاني[2]، والألوسي[3].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(274).

(٢) جامع البيان (109/19).

(٣) معاني القرآن (102/5).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (796/2).

(٥) المحرر الوجيز (242/4).

(٦) أنوار التنزيل (252/4).

(٧) مدارك التنزيل (197/3).

(٨) الجواهر الحسان (360/2).

وقال السمرقندي: (فأسقط علينا كسْفًا من السماء) أي جانبًا من السماء، وقريء « كسَفا » بنصب السين أي قطعًا وهو جمع كسْفة »[4] .

ونحو قوله قال: البغوي[5] ، والقرطبي[6] .

وقال الزمخشري: « قرئ « كسفًا » بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة»[7] ، وبمثل قوله قال: والفخر الرازي[8] ، والمحلي[9] ، وأبوالسعود[10] .

فهما قراءتان واردتان في الآية : « كسْفًا » و « كسَفًا »[11] ، بالسكون وبالتحريك، ومع ذلك فإن معناهما واحد: أي: قطعًا من السماء، وحتى من قال إن المراد جانبًا فإن الجانب يمثل قطعة من السماء أيضًا، والغالب من أسلوب القرآن الكريم أن لفظ « كسفًا » يراد به قِطَعًا، قال تعالى : ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [سورة الإسراء: 92]. وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ

---

(1) الدرر المنثور (318/6).

(2) فتح القدير (115/4).

(3) روح المعاني (119/19).

(4) بحر العلوم (566/2).

(5) معالم التنزيل (137/3).

(6) الجامع لأحكام القرآن (136/13).

(7) الكشاف (338/3).

(8) التفسير الكبير (141/24).

(9) تفسير الجلالين ص(491).

(10) إرشاد العقل السليم (262/6).

(11) انظر: القراءات العشر المتواترة، لمحمد كريم راجح ص(375).

كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا ﴾[سورة الروم: 48]. وقال تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سورة سبأ: 9]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا ﴾ [سورة الطور: 44]. والآية التي نحن بصددها هنا في سورة الشعراء : ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لا تخرج عن أسلوب الآيات الأخرى [1] المذكورة وأن « كسفا » سواء بالتحريك أو السكون فهي بمعنى واحد ويراد بها قِطَعًا، والله أعلم بالصواب.

(1) قاعدة: حمل معاني كلام الله تعالى على الغالب من أسلوب القرآن الكريم.
انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (172/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (798/2).

معنى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾

35- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ [سورة النمل: 7].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في بيان معنى ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ في هذه الآية: « الشهاب: النار، والقبس: النار تقبس، يقال: قبست النار قبسًا. واسم ما قبَسْتَ: قَبَس »[1].

وأقوال أئمة التفسير في بيان معنى الآية لا تبتعد عن ما ذكره ابن قتيبة.

فإن الشهاب والقبس « معناهما متقاربان، فالعود إذا كان في أحد طرفيه نار وليس في الطرف الآخر نار؛ سمي شهابًا ويسمى قبسًا »[2].

وقال في لسان العرب: « الشهاب: العود الذي فيه نار »[3]، وقال: « والقبس: الشعلة من النار »[4].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(276).

(2) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (77/4)، ومعالم التنزيل للبغوي (406/3).

(3) لسان العرب لابن منظور (510/1).

(4) المرجع السابق (176/6).

والآية فيها قراءتان ﴿بِشِهَابٍ﴾ بالتنوين، و﴿بِشِهَابِ﴾ بدون تنوين[1]، « فمن قرأ منونًا جعل القبس نعتًا لشهاب، ومن قرأ بغير تنوين أضاف الشهاب إلى القبس»[2]، فيكون: « مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الأسماء، كقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [سورة يوسف: 109] »[3] والمعنى على القراءتين آتيكم بشعلة نار مقبوسة؛ أي: مأخوذة من أصلها، جامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء[4].

وما سبق بيانه هو مجمل ما ذكره الأئمة في كتبهم: النحاس[5]، والواحدي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]، والبيضاوي[11]، والنسفي[12].

---

(1) القراءات العشر.

(2) بحر العلوم للسمرقندي (573/2).

(3) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (154/6) وحكاه عن الفراء.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (273/6)، وفتح القدير للشوكاني (126/4).

(5) معاني القرآن (115/5).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (800/2).

(7) الكشاف (354/3).

(8) المحرر الوجيز (249/4).

(9) التفسير الكبير (156/24).

(10) الجامع لأحكام القرآن (156/13).

(11) أنوار التنزيل (259/4).

(12) مدارك التنزيل (204/3).

.... وابن كثير[1]، والمحلي[2]، والثعالبي[3]، والألوسي[4].

قال الواحدي: « ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ شعلة نار أقتبسها لكم » [5].

وقال ابن عطية: « وقوله ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ شبه النار التي تؤخذ في طرف عود أو غيره بالشهاب والقبس اسم لقطعة النار تقتبس في عود أو غيره »[6].

وقال المحلي: « ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود »[7].

فائدة:

«فإن قلت: فلم جاء بـــ « أو » دون الواو، قلت: بني الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعًا، لم يعدم واحدةً منهما: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار، ثقةً بعادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده»[8]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (357/3).

(٢) تفسير الجلالين (495/1).

(٣) الجواهر الحسان (156/3).

(٤) روح المعاني (159/19).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (800/2).

(٦) المحرر الوجيز (249/4).

(٧) تفسير الجلالين ص(495).

(٨) انظر: الكشاف للزمخشري (354/3).

معنى: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾

36- قال تعالى: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ [سورة النمل: 10].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ لم يرجع، ويقال: لم يلتفت، يقال: كرّ على القوم وما عقّب »[1].

فابن قتيبة يرى صحة حمل الآية على المعنيين: لم يرجع، و لم يلتفت. وذكر المعنيين معًا احتمالاً لمعنى الآية: ابن الجوزي[2]، والقرطبي[3]، والنسفي[4]، وابن وابن جزي[5]، والثعالبي[6].

ومنهم مَنْ فَسَّر﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾: أي « لم يرجع » وهو المروي عن مجاهد[7]، وقال به النحاس[8]، والسمرقندي[9]، والواحدي[1]، والبغوي[2]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(276).

(2) زاد المسير (156/6).

(3) الجامع لأحكام القرآن (160/13).

(4) مدارك التنـزيل (205/3).

(5) التسهيل لعلوم التنـزيل (93/3).

(6) الجواهر الحسان (156/3).

(7) تفسير مجاهد (469/2).

(8) معاني القرآن (117/5).

(9) بحر العلوم (574/2).

والزمخشري[3]، وابن عطية[4]، والبيضاوي[5]، والمحلي[6]، وأبوالسعود[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9]، والسعدي[10]، وابن عاشور[11]، والشنقيطي[12].

وممن فَسَّر ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾: أي « لم يلتفت » السمعاني [13]، وابن كثير [14].

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (800/2).
(٢) معالم التنـزيل (407/3).
(٣) الكشاف (355/3).
(٤) المحرر الوجيز (287/4).
(٥) أنوار التنـزيل (260/4).
(٦) تفسير الجلالين ص(512).
(٧) إرشاد العقل السليم (274/6).
(٨) فتح القدير (127/4).
(٩) روح المعاني (163/19).
(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص(615).
(١١) التحرير والتنوير (228/19).
(١٢) أضواء البيان (436/3).
(١٣) تفسير القرآن (79/4).
(١٤) تفسير القرآن العظيم (358/3).

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأرجح تفسير ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ بمعنى: لم يرجع، فهو « الأَولى » كما قال الشوكاني[1]، ولأن « التعقيب هو الكر بعد الفر »، كما ذكر ذلك الزمخشري[2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وأبوالسعود[5]، وأبوالسعود[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7]، والشنقيطي[8]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) فتح القدير (127/4).

(٢) الكشاف (355/3).

(٣) أنوار التنزيل (260/4).

(٤) مدارك التنزيل (205/3).

(٥) إرشاد العقل السليم (274/6).

(٦) فتح القدير (127/4).

(٧) روح المعاني (163/19).

(٨) أضواء البيان (436/3).

معنى: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾

37- قال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ [سورة النمل: 17].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدفعون، وأصل الوزع: الكف والمنع، يقال: وزعت الرجل؛ إذا كففته. ووازع الجيش: هو الذي يكفّهم عن التفرق، ويردّ مَنْ شذَّ منهم »[1].

ونحو قول ابن قتيبة قال جمع من أئمة التفسير، منهم: النحاس: « أصل وزعته كففته، ومنه: لابد للناس من وزعة »[2].

السمرقندي: « وأصل الوزع الكف يقال: وزعت الرجل إذا كففته »[3].

»[3].

السمعاني: « والقول المعروف يكفون، ومعناه يكف أولهم حتى يلحق آخرهم »[4].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(277).

(٢) معاني القرآن (120/5).

(٣) بحر العلوم (576/2).

(٤) تفسير القرآن (84/4).

البغوي: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فهم يكفون »[1].

القرطبي: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ معناه يرد أولهم إلى آخرهم ويكفون »[2].

ابن جزي: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يكفون ويرد أولهم إلى آخرهم »[3].

ابن كثير: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منـــزلته التي هي مرتبة له »[4].

الشوكاني: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: لكل طائفة منهم وزعة ترد أولهم على آخرهم فيقفون على مراتبهم، يقال: وزعه يزعه وزعًا: كَفَّه، والوازع في الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم أي يرده »[5].

وثَمَّ من ذكر أن معنى ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: « يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا »، قال الواحدي[6]، وقال الزمخشري: « ﴿يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على

---

(١) معالم التنـزيل (410/3).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (167/13).
(٣) التسهيل لعلوم التنـزيل (94/3).
(٤) تفسير القرآن العظيم (359/3).
(٥) فتح القدير (130/4).
(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (801/2).

آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة »[1].

ونحوًا من ذلك قال الفخر الرازي[2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وأبوالسعود[5]، والألوسي[6]، والشنقيطي[7].

والسعدي قال: « ﴿يُوزَعُونَ﴾ يدبرون ويرد أولهم على آخرهم وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونـــزولهم وحلهم وترحالهم »[8].

الظاهر –والله أعلم– أنه لا تنافر بين الأقوال الواردة عن الأئمة المفسرين في بيان معنى ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، فإن وازع الجيش هو الذي يكفهم عن التفرق، ويردّ من شذ منهم، وهو الذي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين، ويدبّر أمور السير، وقد قال أهل اللغة: « الوزع: كف النفس عن هواها والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم بغير أمره، ويقال: وزعت الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم »[9]. وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق

---

(١) الكشاف (359/3).

(٢) التفسير الكبير (161/24).

(٣) أنوار التنـــزيل (262/4).

(٤) مدارك التنـــزيل (207/3).

(٥) إرشاد العقل السليم (277/6).

(٦) روح المعاني (174/19).

(٧) أضواء البيان (142/6).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص(602).

(٩) لسان العرب لابن منظور (390/8).

أو آخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضًا، لأن في ذلك شفقة على الطائفتين؛ أما الأوائل فمن جهة أن يستريحوا في الجملة بالوقوف عن السير، وأما الأواخر فمن جهة أن لا يجهدوا أنفسهم بسرعة السير »[1].

وبما سبق بيانه يتضح صحة حمل الآية على المعاني الواردة جميعها، والله أعلم بالصواب.

---

(1) روح المعاني (174/19).

معنى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾

38- قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النمل: 25].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « الذي يخرج الخبء في السموات والأرض » أي: المستتر فيهما، وهو من خبأت الشيء: إذا أخفيته.

وقالوا: « خبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات »[1].

ولقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه ابن قتيبة من أن المراد بخبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات: كل من الطبري[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والقرطبي[7]، والنسفي[8]، وابن كثير[9]، والمحلي[10]، وابن عاشور[1].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(277).

(2) جامع البيان (150/19).

(3) بحر العلوم (579/2).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (802/2).

(5) تفسير القرآن (91/4).

(6) معالم التنزيل (415/3).

(7) الجامع لأحكام القرآن (187/13).

(8) مدارك التنزيل (210/3).

(9) تفسير القرآن العظيم (362/3).

(10) تفسير الجلالين ص(497).

ومنهم من جعل المراد بخبء السماوات وخبء الأرض عامًا « لكل ما غاب في السماوات والأرض »[2]، من « النبات والمطر وغيرهما مما خبّأه جل وعلا من غيوبه »[3]، « وهو يعمّ إشراق الكواكب وإنـــزال الأمطار وإنبات النبات »[4] « وإخراج المعادن والكنوز »[5]، كما « يخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم »[6].

بنحو ذلك قال: النحاس[7]، والزمخشري[8]، وابن عطية[9]، والفخر الرازي[10]، والبيضاوي[11]، وابن جزي[12]، وأبوالسعود[13]،

---

(١) التحرير والتنوير (255/19).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (127/5).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (366/3).

(٤) انظر: أنوار التنـزيل للبيضاوي (265/4).

(٥) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (109/6).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(604).

(٧) معاني القرآن (127/5).

(٨) الكشاف (366/3).

(٩) المحرر الوجيز (257/4).

(١٠) التفسير الكبير (165/24).

(١١) أنوار التنـزيل (265/4).

(١٢) التسهيل لعلوم التنـزيل (95/3).

(١٣) إرشاد العقل السليم (282/6).

والشوكاني[1]، والألوسي[2]، والسعدي[3]، وسيد قطب[4]، والشنقيطي[5].

والشنقيطي[5].

والذي يظهر -والله أعلم- أن « الأولى التعميم »[6] ليشتمل « كل ما غاب في السموات والأرض »[7]. « كما يدل عليه قوله بعده ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ »[8]، يؤيد ذلك قاعدة: « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده »[9]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) فتح القدير (134/4).

(٢) روح المعاني (192/19).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(604).

(٤) في ظلال القرآن (2639/5).

(٥) أضواء البيان (109/6).

(٦) روح المعاني للألوسي (192/19).

(٧) معاني القرآن للنحاس (127/5).

(٨) أضواء البيان للشنقيطي (109/6).

(٩) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (249/1).

معنى: ﴿عِفۡرِيتٞ﴾

39- قال تعالى: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾ [سورة النمل: 39].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي الشديد الوثيق، وأصله: عِفْر، زيدت فيه التاء »(1).

وعدد من المفسرين وافقوه بعبارات مرادفة، فقال السمرقندي: « والعفريت: هو الشديد القوي »(2)، ومثله السمعاني(3)، والمحلي(4).

وأما غيرهم من المفسرين فأضافوا إلى القوة كونه ماردًا، فقال الطبري: « وقوله: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ يقول تعالى ذكره قال رئيس من الجن مارد قوي »(5).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(277).

(2) بحر العلوم (582/2).

(3) تفسير القرآن (98/4).

(4) تفسير الجلالين ص(499).

قوي »[1]. ومثله قال: الواحدي[2]،...............................

والبغوي[3]، وابن عطية[4]، والقرطبي[5]، وابن كثير[6]، والشوكاني[7].

وقيل: « العفريت من الشياطين الخبيث المارد »، هذا ما قاله الزمخشري[8]،

الزمخشري[8]، ومثله قال الفخر الرازي[9]، والبيضاوي[10]، والنسفي[11]،

وأبوالسعود[12]، والألوسي[13].

وقال السعدي: « والعفريت هو القوي النشيط جدًا »[14].

---

(١) جامع البيان (161/9).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (804/2).

(٣) معالم التنزيل (419/3).

(٤) المحرر الوجيز (260/4).

(٥) الجامع لأحكام القرآن 203/013).

(٦) تفسير القرآن العظيم (364/3).

(٧) فتح القدير (138/4).

(٨) الكشاف (372/3).

(٩) التفسير الكبير (169/24).

(١٠) أنوار التنزيل (268/4).

(١١) مدارك التنزيل (213/3).

(١٢) إرشاد العقل السليم (286/6).

(١٣) روح المعاني (202/19).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص(605).

والذي يظهر –والله أعلم– أنه لا خلاف تضاد بين أقوال الأئمة المفسرين في بيان معنى العفريت؛ فإن الشدة والقوة مع الرياسة والدهاء والخبث[1]،

وكونه ماردًا[2] عاتيًا[3] جبارًا قويًا، كلها معان تصلح أن يوصف بها العفريت الذي قال لنبي الله سليمان –عليه السلام– ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ فقد روي: « أنه كان بمنـــزلة جبل ويضع قدمه عند منتهى طرفه »[4]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (586/4).

(2) انظر: مختار الصحاح للرازي ص(259).

(3) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (91/3).

(4) انظر: معالم التنـــزيل للبغوي (419/3).

ما هو الصرح؟

40- قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النمل: 44].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿الصَّرْحَ﴾ القصر، وجمعه: صروح، ومنه قول الهذلي [1]: تحسب أعلامهن الصروحا . ويقال: الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير، وجعل تحته ماء وسمك »[2].

تفسير الصرح بأنه: القصر، مروي عن ابن عباس[3] –رضي الله عنه–، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة، والسمرقندي [4]، وابن كثير [5]، وسيد قطب[6]، ومن قال

(1) هو أبوذؤيب الهذلي، شاعر مشهور، اسمه: خويلد بن خالد بن مُحَرِّث، كان فصيحًا متمكنًا في الشعر عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم. وعامة ما قلل من الشعر في إسلامه، توفي في خلافة عثمان –رضي الله عنه– جميعًا. الإصابة في تمييز الصحابة (65/4).

(2) تفسير غريب القرآن ص(278).

(3) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، للفيروز آبادي ص(319).

(4) بحر العلوم (584/2).

(5) تيسير القرآن العظيم (367/3).

(6) في ظلال القرآن (2643/5).

بأنه: « كل بناء عال » كابن عطية [1]؛ فهو راجع إلى هذا، فالقصور غالبًا أبنية عالية.

وفُسّر الصرح بأنه: « كهيئة السطح من قوارير وأجرى من تحته الماء » قاله الطبري[2]؛ وبمثله قال الواحدي[3]، والمحلي[4]، والثعالبي[5]، والسعدي[6].

وقيل: ﴿الصَّرْحَ﴾ صحن الدار؛ ذكره ضمن أقوال - ولم يرجحوه - : الماوردي[7]، والسمعاني [8]، والبغوي [9]، والزمخشري [10]، والفخر

---

(١) المحرر الوجيز (262/4).

(٢) جامع البيان (168/9).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (805/2).

(٤) تفسير الجلالين ص(500).

(٥) الجواهر الحسان (162/3).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(605).

(٧) النكت والعيون (216/4).

(٨) تفسير القرآن (101/4).

(٩) معالم التنـزيل (422/3).

(١٠) الكشاف (374/3).

الرازي[1]، والقرطبي [2]، والنسفي [3]، وابن جزي [4]، وأبوالسعود [5]، والشوكاني[6].

والذي يظهر - والله أعلم- أن هناك تداخلاً واضحًا بين أقوال الأئمة المفسرين في بيان المراد بالصرح المذكور في الآية، ولا مانع من اجتماع المعاني معًا بيانًا لمعنى الآية، فمن ذكر بأنه قصر أو بناء عال، فهو أشار بصورة طبيعية إلى ما تتخذه الملوك مقرًا لهم عادة، ومن قال بأنه صحن الدار أو كهيئة السطح من قوارير، فهو أشار إلى المكان المحدد الذي خطط نبي الله سليمان -عليه السلام- لملكة سبأ أن تسير فيه أو دخولها إلى قصره ومجلسه، فبطبيعة الحال يكون دخول الشخص أول ما يدخل إلى صحن الدار، وهذا ما واجهته ملكة سبأ، فكان ذلك المكان قد تمت تهيئته بأمر نبي الله سليمان -عليه السلام- كهيئة السطح من زجاج وجعل تحته ماءً وسمكًا ومن دواب البحر، ليشعر الداخل إليه أنه سيخوض بقدميه في الماء، وهذا ما أحست به ملكة سبأ أول ما قدمت ودخلت عند نبي الله سليمان -عليه السلام-، والله أعلم بالصواب.

(١) التفسير الكبير (172/24).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (208/13).

(٣) مدارك التنزيل (215/3).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (97/3).

(٥) إرشاد العقل السليم (289/6).

(٦) فتح القدير (141/4).

معنى: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾

41- قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [سورة النمل: 60].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: «﴿حَدَآئِقَ﴾: البساتين، واحدها: حديقة، سميت بذلك: لأنه يُحْدَق عليها؛ أي يخطر عليها حائط، وفيه قيل: حَدَّقت بالقوم؛ إذا أحطت بهم»[1].

وكل من وقفت على قوله من أئمة التفسير شرح معنى الحدائق المذكور في الآية بنفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، وهو المروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، وقول الطبري[3]، والنحاس[4]، والسمرقندي[5]، والواحدي[6]، والسمعاني[7]، والبغوي[1]، والزمخشري[2]، والفخر الرازي[3]، والقرطبي[4]،

(1) تفسير غريب القرآن ص(279).
(2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(320).
(3) جامع البيان (3/20).
(4) معاني القرآن (145/5).
(5) بحر العلوم (589/2).
(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (807/2).
(7) تفسير القرآن (108/4).

والقرطبي[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، وابن كثير[7]، والمحلي[8]، وأبوالسعود[9]، والشوكاني[10]، والسعدي[11]، وابن عاشور[12].

والظاهر -والله أعلم- على ما ذكر حمل معنى الآية على ما ورد عن جميع المفسرين بيانًا لمعنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(١) معالم التنزيل (425/3).

(٢) الكشاف (380/3).

(٣) التفسير الكبير (176/24).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (221/13).

(٥) أنوار التنزيل (273/4).

(٦) مدارك التنزيل (219/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (370/3).

(٨) تفسير الجلالين ص(57).

(٩) إرشاد العقل السليم (294/6).

(١٠) فتح القدير (146/4).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(607).

(١٢) التحرير والتنوير (11/20).

معنى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

42- قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[سورة النمل: 66].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله-: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ ﴾ أي: تدارك ظنهم في الآخرة، وتتابع بالقول والحدس »[1].

إن لفظ ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ﴾ ورد فيه ثنتا عشرة قراءة[2]، اثنتان منها فقط سبعيتان عشريتان[3]؛ وهما ﴿ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ﴾ بكسر لام (بلِ) وبعدها همزة وصل وتشديد الدال الدال مع فتحها وبعدها ألف، ((بلْ أدْرك)) بسكون لام (بلْ) وبعدها همزة قطع وسكون الدال[4].

وعليه حصل شيء من التنوع في عبارات المفسرين عند بيانهم لمعنى الآي ة على النحو الآتي:

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(279).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (383/3).

(٣) سبعيتان: أعني بهم القراء السبعة، وعشريتان: أعني بهم مع انضمام الثلاث المتممة للعشرة.

(٤) انظر: شرح شعلة على الشاطبية لأبي عبدالله الموصلي ص(530)، والقراءات العشر المتواترة لمحمد كريّم راجح ص(383).

الإمام الطبري -بعد أن عرض عددًا من الأقوال- قال: « وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ (بل أدْرك) هو أن معناه: وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون فلا ينفعهم علمهم به حينئذٍ، فأما في الد نيا فإنهم منها في شك بل هم منها عمون . وإنما قلت هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على القراءة التي ذكرت : لأن ذلك أظهر معانيه. وإذ كان ذلك معناه كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه، وذلك أن معنى الكلام : وما يشعرون أيان يبعثون بل يش عرون ذلك في الآخرة، فالكلام إذا كان ذلك معناه : وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة بل هم في الدنيا في شك منها.

وأما على قراءة من قرأه ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال: يكون معنى (بل) أَمْ، والعرب تضع (أَمْ) موضع (بل) و(بل) موضع (أم) إذا كان في أول الكلام استفهام، فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون بل تدارك علمهم في الآخرة يعني تتابع علمهم في الآخرة أي بعلم الآخرة أي لم يتتابع بذلك و لم يعلموه بل غاب علمهم عنه وضل فلم يبلغوه و لم يدركوه »[1].

---

(1) جامع البيان (6/20)، بتصرف يسير.

وقال الخازن[1]: « ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ﴾ أي: بلغ ولحق، وعلمهم في الآخرة: هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه، وقيل : بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكّوا فيه وعموا عنه في الدنيا »[2].

ابن كثير «﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ﴾ أي: انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها»[3].

الشوكاني: « ومعنى الآية: بل تكامل علمهم في الآخرة، لأنهم رأوا ك ل ما وُعدوا به وعاينوه . وقيل معناه : تتابع علمهم في الآخرة، والقراءة الثانية معناها كمل علمهم في الآخرة مع المعاينة وذلك حين لا ينفعهم العلم؛ لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين »[4].

الألوسي: « والمعنى: بل تتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع وفني و لم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيه قطعًا مع توفر أسبابه، فهو تَرَقٍّ عن وصفهم بجهل فاحش إلى وصفهم بجهل أفحش »[5].

السعدي: « ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ أي: بل ضعف و لم يكن يقينًا ولا علمًا واصلاً إلى القلب، وهذا أقل وأدنى درجة للعلم؛ ضعفه ووهاؤه »[1].

---

(١) علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر البغدادي، خازن الكتب بالمدرسة السّمَيْساطية واشتهر بالخازن بسبب ذلك، وجمع تفسيراً كبيراً سماه (التأويل لمعالم التنزيل)، كان حسن السمت والبشر والتودد. توفي سنة (741هـ). طبقات المفسرين (422/1).

(٢) لباب التأويل (154/5).

(٣) تفسير القرآن العظيم (374/3).

(٤) فتح القدير (147/4).

(٥) روح المعاني (13/20).

سيد قطب: « ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ ينفي عنهم العلم بموعد البعث في أغمض صوره وهو الشعور. فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقينًا ولا يشعرون به حين يقترب شعورًا. فذلك من الغيب الذي يقرر أن لا أحد يعلمه في السماوات ولا في الأرض.. ثم يضرب عن هذا ليتحدث في موقفهم هم من الآخرة، ومدى علمهم بحقيقتها: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فانتهى إلى حدوده، وقصر عن الوصول إليها، ووقف دونها لا يبلغها . ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا﴾ لا يستيقنون بمجيئها؛ بله أن يعرفوا موعدها، وينتظروا وقوعها. ﴿بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ بل هم عنها في عمى، لا يبصرون من أمرها شيئًا، ولا يدركون من طبيعتها شيئًا .. وهذه أشد بعدًا عن الثانية وعن الأولى »[2].

الشنقيطي: « أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ﴾: أي تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها، أي: يعلمون في الآخرة علمًا كاملاً لا يخالجه شك عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء. وإنما اخترنا هذا القول دون غيره من أقوال المفسرين في الآية لأن القرآن دل عليه دلالة واضحة في آيات متعددة، كقوله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾ [سورة مريم: 38]. فقوله: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(608).

(2) في ظلال القرآن (2662/5).

للحق الذي كانوا ينكرونه يوم يأتوننا : أي يوم القيامة؛ وهذا يوضح معنى قوله ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي: تكامل علمهم فيها لمبالغتهم في سمع الحق وإبصاره في ذلك الوقت. وقوله ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ يوضح معنى قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ لأن ضلالهم المبين اليوم أي في دار الدنيا هو شكّهم في الآخرة وعماهم عنها. وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة السجدة: 12] فقوله: إنا موقنون أي يوم القيامة، يوضح معنى قوله هنا: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾. وكقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة الكهف: 48] فعرضهم على ربهم صفًا يتدارك به علمهم لما كانوا ينكرونه، وقوله : ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ صريح في أنهم في الدنيا كانوا في شك وعمى عن البعث والجزاء كما ترى، إلى غير ذلك من الآيات »[1].

وفريق آخر من المفسرين تفسيرهم للآية عبارة عن سرد واستعراض لعدد مما ورد من معان على اعتبار أنها كلها محتملة المعنى للآية، منهم:

---

(1) أضواء البيان (122/6).

النحاس([1])، والسمعاني([2])، والبغوي([3])، والزمخشري([4])، وابن عطية([5])، وابن الجوزي ([6])، والفخر الرازي ([7])، والقرطبي ([8])، وابن جزي ([9])، وأبوحيان([10])، وأبوالسعود([11]).

والذي يظهر –والله أعلم– أن الأصح حمل الآية على قول من قال : « بل تكامل علمهم في الآخرة، لأنهم رأوا كل ما وُعدوا به»([12]) « علمًا لا يخالجه شك عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء»([13]) يؤيد ذلك قاعدتان مهمتان في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين، أولاهما: قاعدة وجود قرينة في السياق تدل على المعنى الراجح([14])، فالشوكاني في نهاية تفسيره للآية أشار إلى القول الراجح ورَدّ

---

(١) معاني القرآن (145/5).

(٢) تفسير القرآن (110/4).

(٣) معالم التنزيل (426/3).

(٤) الكشاف (383/3).

(٥) المحرر الوجيز (268/4).

(٦) زاد المسير (188/6).

(٧) التفسير الكبير (182/24).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (226/13).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (100/3).

(١٠) البحر المحيط (87/7).

(١١) إرشاد العقل السليم (296/6).

(١٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (147/4).

(١٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (122/6).

(١٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (299/1).

ما سواه بقرينة موجودة في الآية، قال: « فمن قال إن معنى الآية الأولى أعني﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أنه كمل علمهم وتمَّ مع المعاينة فلابدَّمن حمل قوله ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ ﴾ إلخ على ما كانوا عليه في الدنيا. ومن قال إن معنى الآية الأولى الاستهزاء بهم والتبكيت لهم لم يحتج إلى تقييد قوله ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ ﴾ إلخ بما كانوا عليه في الدنيا . وبهذا يتضح معنى هذه الآيات ويظهر ظهورًا بينًا »[1].

الثانية: قاعدة القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره [2]، وقد عرضت قريبًا كلام الشنقيطي متضمنًا الآيات التي استدل بها تأييدًا للمعنى الراجح ولا مانع من إعادة ذكرها تذكيرًا بها، وهي قوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ ﴾ [سورة مريم: 38]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ ﴾ [سورة السجدة: 12]، وقوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨ ﴾ [سورة الكهف: 48].

فهاتان قاعدتان مهمتان لدى أئمة التفسير يتأيد بهما ما ذُكر، والله أعلم بالصواب.

---

(١) فتح القدير (147/4).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (312/1).

معنى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾

43- قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النمل: 82].

قال الإمام ابن قتيبة – رحمه الله–: « ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي وجبت الحجة »[1].

وثمَّ رأي آخر في بيان المراد بالقول وهو أنه: « يعني إذا وجب عليهم العذاب والسخط وذلك حين لا يقبل الله تعالى من كافر إيمانه، و لم يبق إلا من يموت كافرًا في علم الله تعالى »، هذا مضمون ما قاله: النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4].

وثمة رأيٌ أيضًا في معنى القول مؤداه« هو ما وُعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله، والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة» هذا مجمل ما قال به السمعاني[5]، والبغوي[1]، والزمخشري[2]، وابن عطية[3]، والفخر

(١) تفسير غريب القرآن ص(279).

(٢) معاني القرآن (147/5).

(٣) بحر العلوم (592/2).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (809/2).

(٥) تفسير القرآن (113/4).

والفخر الرازي[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، وابن جزي[7]، والمحلي[8]، وأبوالسعود[9]، والألوسي[10].

وقد أورد الماوردي[11] عند تفسيره للآية أن فيها «أربعة أوجه: أحدها: وجب الغضب عليهم[12]، والثاني: إذا حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون[13]، الثالث: إذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم[14]، والرابع: إذا نـــزل العذاب»[15].

---

(١) معالم التـــزيل (428/3).

(٢) الكشاف (388/3).

(٣) المحرر الوجيز (270/4).

(٤) التفسير الكبير (186/24).

(٥) أنوار التـــزيل (278/4).

(٦) مدارك التـــزيل (223/3).

(٧) التسهيل لعلوم التـــزيل (100/3).

(٨) تفسير الجلالين ص(504).

(٩) إرشاد العقل السليم (300/6).

(١٠) روح المعاني (21/20).

(١١) في النكت والعيون (226/4).

(١٢) حكاه الماوردي عن قتادة.

(١٣) حكاه عن مجاهد.

(١٤) حكاه عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري -رضي الله عنهما-.

(١٥) حكاه عن الكلبي.

والذي يظهر – والله أعلم– صحة إرادة جميع المعاني في بيان المراد بالقول، فكلها « متقاربة »[1] « وعند التأمل ترجع إلى معنى واحد، والدليل عليه آخر الآية ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[2]، وهذا من دلالة السياق على المعنى [3]، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (151/4).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (234/13).

(٣) ضمن قاعدة إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى، انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (249/1).

معنى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾

44- ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة النمل: 88].

قال ابن الإمام قتيبة –رحمه الله-: « قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ يريد أنها تجمع وتسير، فهي لكثرتها كأنها جامدة واقفة في رأي العين وهي تسير سير السحاب.

وكل جيش غصّ الفضاء به لكثرته وبُعْد ما بين أطرافه فقَصُر عنه البصر؛ فكأنه في حساب الناظر واقف وهو يسير. وإلى هذا المعنى ذهب الجعدي(1) في وصنف جيش، فقال:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقف لحاجٍ والركاب تهملج »(2)

---

(1) النابغة الجعدي الشاعر المشهور المعمر، اختلف في اسمه، فقيل: قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة ابن جعدة، وقيل: اسم النابغة عبدالله، وقيل غير ذلك، وروى أنه كان يقول الشعر ثم تركه في الجاهلية ثم عاد إليه بعد أن أسلم فقيل: نبغ، وقال أبوحاتم السجستاني في كتاب المعمرين عاش مائتي سنة. وتوفي بأصبهان الإصابة في تمييز الصحابة (537/3)، وتاريخ أصبهان (102/1).

وشرح البيت المذكور: الأرعن: الجيش العظيم، أو هو المضطر لكثرته، والطود: الجبل العظيم، لحاج: أي لحاجات جمع حاجة، تهملج: من الهملجة وهي حسن سير الدابة في سرعة.

انظر: لسان العرب (394/2)، ومختار الصحاح ص(168).

(2) تأويل مشكل القرآن ص(49).

الجمهور من المفسرين ذهبوا في بيان المراد من الآية ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ إلى مثل ما قاله ابن قتيبة في معناها، وإن اختلفت العبارات قليلاً، فقد قال أبو جعفر النحاس: « ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ لأنها قد بست وجمعت »[1].

السمعاني: « ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي تسير سير السحاب وهذا كما أن سير السحاب لا يُرى لعظمه كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لكثرتها »[2].

البغوي: « ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ قائمة واقفة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي بها وذلك إن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبُعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر »[3].

---

(١) معاني القرآن (150/5).

(٢) تفسير القرآن (117/4).

(٣) معالم التنـزيل (432/3).

ونحو ذلك جاء تفسير : الزمخشري[1]، وابن الجوزي [2]، والفخر الرازي[3]، والقرطبي [4]، والبيضاوي [5]، وابن كثير [6]، والثعالبي [7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9]، وسيد قطب[10]، والشنقيطي[11].

قال ابن كثير: « ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [سورة الطور: 9-10]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [سورة طه:

---

(١) الكشاف (392/3).

(٢) زاد المسير (195/6).

(٣) التفسير الكبير (189/24).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (242/13).

(٥) أنوار التنـزيل (280/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (389/3).

(٧) الجواهر الحسان (169/3).

(٨) إرشاد العقل السليم (304/6).

(٩) فتح القدير (155/4).

(١٠) في ظلال القرآن (2668/5).

(١١) أضواء البيان (144/6).

105-107]، وقد قال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف: 47] »[1].

والشنقيطي بيّن المعنى الراجح بردّه على من زعم أن حركة الجبال المذكورة في الآية إنما هي في الدنيا، فقال: « ذلك أن بعض الناس زعم أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ يدل على أن الجبال الآن في دار الدنيا يحسبها رائيها جامدة أي واقفة ساكنة غير متحركة وهي تمر مر السحاب » ثم بيّن عدم صحة هذا القول من وجهين « أما الأول منهما: هو وجود القرينة الدالة على عدم صحته، فهو أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ معطوف على قوله ﴿فَفَزِعَ﴾ وذلك المعطوف عليه مرتب بالفاء على قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة النمل: 87] أي ويوم ينفخ في الصور فيفزع من في السماوات وترى الجبال، فدلت هذه القرينة القرآنية الواضحة على أن مر الجبال مر السحاب كائن يوم ينفخ الصور لا الآن.

وأما الثاني: كون هذا المعنى هو الغالب في القرآن، لأن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [سورة الطور: 9-10]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة

(1) تفسير القرآن العظيم (379/3).

الكهف: 47]، وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [سورة النبأ: 20]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [سورة التكوير: 3][1].

فهاتان قاعدتان في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين استدل بهما الشيخ الشنقيطي على ما ذكره، وهما: قاعدة: وجود قرينة في الآية[2]، وقاعدة: الترجيح بالغالب من أسلوب القرآن[3]. وأضيف إليهما قاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على ما شذ عنهم[4]، فكل من وقفت على تفسيره من الأئمة ذكر أن تلك الحركة للجبال هي يوم القيامة، والله أعلم بالصواب.

---

(1) أضواء البيان (144/6).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (299/1).

(3) انظر: المرجع السابق (172/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (798/2).

(4) قواعد الترجيح عند المفسرون لحسين الحربي (288/1).

معنى: ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾

45- قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [سورة القصص: 15].

قال الإمام ابن قتيبة – رحمه الله-: « ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي لكزه، يقال: وكزته ولكزته ونكزته ونهزته ولهزته؛ إذ دفعته.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله، وكل شيء فرغت منه: فقد قضيته، وقضيت عليه »[1].

معظم المفسرين فسَّروا معنى﴿فَوَكَزَهُۥ﴾: أي ضربه بجمع كفه، وهو المروي عن ابن عباس[2]، وقول مجاهد[3]، وقال به النحاس[4]، والسمرقندي[5]،

(١) تفسير غريب القرآن ص(281).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص(324).

(٣) تفسير مجاهد (482/2).

(٤) معاني القرآن (166/5).

(٥) بحر العلوم (601/2).

والواحدي([1])، والسمعاني([2])، والبغوي([3])، والقرطبي([4])، والبيضاوي([5])، والمحلي([6])، والثعالبي([7])، وأبوالسعود ([8])، والشوكاني ([9])، والألوسي([10]).

ومن المفسرين من ذكر أكثر من معنى للوكز دون تحديد لمعنى على أنه هو الراجح لبيان معنى الآية، كالزمخشري ([11])، والفخر الرازي ([12])، والنسفي ([13])، وابن جزي([14])، وابن كثير([15]).

قال الزمخشري: « والوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل : بجمع الكف »([16]).

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (814/2).

(2) تفسير القرآن (128/4).

(3) معالم التنزيل (439/3).

(4) الجامع لأحكام القرآن (260/13).

(5) أنوار التنزيل (286/3).

(6) تفسير الجلالين ص(509).

(7) الجواهر الحسان (172/3).

(8) إرشاد العقل السليم (6/7).

(9) فتح القدير (163/4).

(10) روح المعاني (54/20).

(11) الكشاف (402/3).

(12) التفسير الكبير (200/24).

(13) مدارك التنزيل (230/3).

(14) التسهيل لعلوم التنزيل (103/3).

(15) تفسير القرآن العظيم (383/3).

(16) الكشاف (402/3).

وقال ابن جزي : « فوكزه موسى : أي ضربه، والوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل: بجمع الكف، فقضى عليه: أي قتله و لم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل فندم »[1].

والذي يظهر –والله أعلم– أن يراد بالوكز الدفع بجمع الكف، فهو الأصح عند أهل اللغة العربية –لغة القرآن الكريم–، قال في مختار الصحاح: « وكزه ضربه ودفعه بجمع يده على ذقنه »[2]، وفي تاج العروس: « الوكز الضر بجمع الكف على الذقن »[3]. وذكر ابن قتيبة الوكز واللكز والنكر والنهز واللهز وكلها « بمعنى واحد » هذا ما أكده السمعاني[4]، والبغوي[5]، وابن عطية[6]، والقرطبي[7]، والثعالبي[8].

وفي القاموس المحيط: « الوكز: الدفع والضرب بجمع اليد »[9].

« واللكز: وهو الوكز والوجءُ في الصدر والحنك »[10].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (103/3).

(2) مختار الصحاح للرازي ص(305).

(3) تاج العروس للزبيدي (375/15).

(4) تفسير القرآن (128/4).

(5) معالم التنزيل (439/3).

(6) المحرر الوجيز (280/4).

(7) الجامع لأحكام القرآن 260/013).

(8) الجواهر الحسان (172/3).

(9) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(680).

(10) المرجع السابق ص(674).

« ونكز: ضرب ودفع »[1].

« ونهز: ضرب ودفع »[2].

« والملهز: الضارب بالجمع في اللهازم والرقبة »[3].

وحمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب[4]، قاعدة مهمة في الترجيح بين الأقوال، متبعة عند أهل الفن من المفسرين، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المرجع السابق ص(678).

(2) المرجع السابق ص(679).

(3) المرجع السابق ص(675).

(4) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿تَذُودَانِ﴾

46- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [سورة القصص: 23].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أي تكفَّان غنمهما، وحُذف الغنم اختصارًا »[1].

وقال القرطبي: « يعني بقوله ﴿تَذُودَانِ﴾ تحبسان غنمهما، يقال منه ذاد فلان غنمه وماشــيته إذا أراد شيءٌ من ذلك يشــذّ ويذهب فردّه ومنعه، يذودها ذودًا »[2].

النحاس: « تحبسان غنمهما حتى يفرغ الناس فتخلو لهم البئر » [3].

الواحدي: « تحبسان غنمهما من الماء حتى يصدر مواشي الناس »[4].

السمعاني: « تحبسان وتكفان أغنامهما من مخالطة أغنام الناس »[5].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(382).

(٢) جامع البيان (55/20).

(٣) معاني القرآن (171/5).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (816/2).

(٥) تفسير القرآن (131/4).

البغوي: « تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس، وتخلو لهم البئر »[1].

ابن عطية: « تذودان معناه تمنعان وتحبسان »[2].

ونحو عبارات من ذكرهم قال أيضًا: القرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وابن جزي[6]، وابن كثير[7]، والمحلي[8]، وأبوالسعود[9]، والشوكاني[10]، والألوسي[11]، والسعدي[12].

وعليه تبين اتفاقهم في بيان معنى ﴿تَذُودَانِ﴾، وأن المراد تحبسان وتكفان غنمهما عن مخالطة أغنام الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم وتخلو لهم البئر، فيسقيان غنمهما، والله أعلم بالصواب.

---

(١) معالم التنـزيل (441/3).

(٢) المحرر الوجيز (283/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (268/13).

(٤) أنوار التنـزيل (288/4).

(٥) مدارك التنـزيل (232/3).

(٦) التسهيل لعلوم التنـزيل (104/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (384/3).

(٨) تفسير الجلالين ص(510).

(٩) إرشاد العقل السليم (8/7).

(١٠) فتح القدير (165/4).

(١١) روح المعاني (59/20).

(١٢) تيسير الكريم الرحمن ص(614).

معنى: ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ ﴾

47- قال تعالى: ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [سورة القصص: 66].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ ﴾ أي: عَمُوا عنها -من شدة الهول يومئذٍ- فلم يجيبوا، والأنباء: الحجج هاهنا »[1].

وقال السمرقندي: « ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ ﴾ يعني: ألبست عليهم الحجج يومئذٍ من الهول ﴿ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يعني: لا يسأل بعضهم بعضًا عما يحتجون به رجاء أن يكون عنده من الحجة ما لم يكن عند غيره؛ لأن الله تعالى أدحض حجتهم . وفي الدنيا إذا اشتبهت عليه الحجة ربما يسأل عن غيره فيلقنه الحجة، وفي الآخرة آيس من ذلك »[2].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(285).

(2) بحر العلوم (616/2).

وقال الواحدي: «﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ ﴾ عميت عليهم الحجج؛ لأن الله تعالى قد أعذر إليهم في الدنيا فلا تكون لهم حجة يومئذ؛ فسكتوا، فذلك قوله ﴿ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتجون به »[1].

السمعاني: « وقوله ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ ﴾ أي: الحجج فكأنهم لما لم يجدوا حجة فقد عجزوا عنها »[2].

الزمخشري: ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ ﴾ فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعًا لا تهتدي إليهم ﴿ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم بعضًا كما يتساءل الناس في المشكلات؛ لأنهم يتساوون جميعًا في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب، والمراد بالنبأ الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله. وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال، ويفوضون الأمر إلى علم الله ﷻ- وذلك قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩ ﴾ [سورة المائدة: 109]، فما ظنك بالضُلّال من أممهم»[3].

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (824/2).

(٢) تفسير القرآن (152/4).

(٣) الكشاف (431/3).

البيضاوي: « ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ ﴾ فصارت الأنباء كالعمي عليهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء، لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يقبض ويرد عليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره، والمراد بالأنباء ما أجابوا به الرسل، أو ما يعمها و غ يرها، فإذا كانت الرسل يتعتون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم » [1].

ابن جزي: « ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ ﴾ عميت: عبارة عن حيرتهم، والأنباء: الأخبار، أي أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون، فهم لا يتساءلون أي لا يسأل بعضهم بعضًا عن الأنباء؛ لأنهم قد تساووا في الحيرة والعجز عن الجواب » [2].

أبوالسعود: « ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ ﴾ أي صارت كالعمي عنهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء، وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل إليه من خارج فإذا أخطأ لم يكن له حيلة إلى استحضاره، والمراد بالأنباء إما ما طلب منهم مما أجابوا به الرسل، أو جميع الأنباء وهي داخلة فيه دخولاً أوليًا، وإذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علاّم الغيوب مع نزاهتهم عن غاية المسؤول فما ظنك بأولئك الضلال من الأمم » [3].

---

(1) أنوار التنزيل (301/4).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (110/3).

(3) إرشاد العقل السليم (22/7).

الشوكاني: « ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ ﴾ أي خفيت عليهم الحجج حتى صاروا كالعمي الذين لا يهتدون والأصل فعموا عن الأنباء، ولكنه عكس الكلام للمبالغة، والأنباء الأخبار، وإنما سمى حججهم أخبارًا لأنها لم تكن من الحجة في شيء وإنما هي أقاصيص وحكايات ﴿ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم بعضًا ولا ينطقون بحجة ولا يدرون بم يجيبون لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة »[1] .

ونحو عبارات من ذكرتهم جاء تفسير الآية أيضاً عند كل من : ابن الجوزي[2] ، والفخر الرازي[3] ، والقرطبي[4] ، والنسفي[5] ، وابن كثير[6] ، والمحلي[7] ، والمحلي[7] ، والألوسي[8] ، والسعدي[9] .

وبعرض ما قاله الأئمة في بيان معنى الآية يتضح اتفاقهم مع ابن قتيبة فيما ذهب إليه، والله أعلم بالصواب.

---

(١) فتح القدير (182/4).

(٢) زاد المسير (236/6).

(٣) التفسير الكبير (125/14).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (304/13).

(٥) مدارك التنـزيل (244/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (398/3).

(٧) تفسير الجلالين ص(517).

(٨) روح المعاني (102/20).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص(622).

معنى: ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾

48- قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [سورة القصص: 76].

الإمـــام ابن قتيبـة –رحمـه اللــه- يرى أن المـــراد بـــ ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾ أي: « خزائنه » [1].

وقد وافقه فيما ذهب إليه: السمرقندي [2]، والزمخشري [3]، وابن الجوزي [4]، والفخر الرازي [5]، والنسفي [6].

ويرى فريق آخر من المفسرين أن معنى ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: « جمع مفتح وهو الذي يفتح به الأبواب » قاله الطبري [7]، ومثله قال النحاس [8]، .... والواحدي [9]، وابن جزي [1]، وابن كثير [2]، والسعدي [3]، والشنقيطي [4].

---

(1) انظر: تفسير غريب القرآن ص(285).

(2) بحر العلوم (619/2).

(3) الكشاف (434/3).

(4) زاد المسير (240/6).

(5) التفسير الكبير (13/25).

(6) مدارك التنزيل (246/3).

(7) جامع البيان (106/20).

(8) معاني القرآن (197/5).

(9) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (825/2).

وثَمَّ فريق لم يجزم بأن أحد القولين هو الراجح في بيان المراد بالمفاتح، وإنما أوردوهما معًا احتمالاً لمعنى الآية، منهم: السمعاني [5]، والبغوي [6]، والقرطبي [7]، والبيضاوي [8]، والثعالبي [9]، وأبوالسعود [10]، والشوكاني [11]، والآلوسي [12].

والذي يظهر –والله أعلم– أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه، وأن تفسير ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾ في الآية بأنها: خزائنه، فإن ابن عطية ردّ بشدة على القول بأنه يراد بها المفاتيح التي يفتح بها، فبعد أن أشار إلى الروايات التي تذكر ذلك؛ قال: « ذلك كله ضعيف، والنظر يشهد بفساد هذا، ومن كان الذي يميز بعضها عن بعض وما الداعي إلى هذا وفي الممكن أن ترجع كلها إلى ما يحصى ويقدر على حصره بسهولة » [13]، وقال الزمخشري: « يكفي الكوفة مفتاح » [14]، وقال الفخر

---

(١) التسهيل لعلوم التنـزيل (111/3).

(٢) تفسير القرآن العظيم (400/3).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(623).

(٤) أضواء البيان (228/7).

(٥) تفسير القرآن (155/4).

(٦) معالم التنـزيل (454/3).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (311/13).

(٨) أنوار التنـزيل (303/3).

(٩) الجواهر الحسان (182/3).

(١٠) إرشاد العقل السليم (24/7).

(١١) فتح القدير (186/4).

(١٢) روح المعاني (110/20).

(١٣) المحرر الوجيز (298/4).

(١٤) الكشاف (434/3).

الرازي: « المفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يُفتح به، وقيل: هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بفتح الميم، ويقال: ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله، والعصبة: الجماعة الكثيرة وإذا عرفت معنى الألفاظ؛ فنقول ههنا قولان: أحدهما: أن المراد بالمفاتح المفاتيح وهي التي يفتح بها الباب، قالوا كانت مفاتيحه من جلود الإبل وكل مفتاح مثل إصبع وكان لكل خزانة مفتاح وكان إذا ركب قارون حملت المفاتيح على ستين بغلاً. ومن الناس من طعن في هذا القول من وجهين:

الأول: أن مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو أنا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكفاها أعداد قليلة من المفاتيح فأي حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح؟.

الثاني: أن الكنوز هي الأموال المدخرة في الأرض فلا يجوز أن يكون لها مفاتيح.

والجواب عن الأول: أن المال إذا كان من جنس العروض لا من جنس النقد جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد، وأيضًا فهذا الذي يقال إن تلك المفاتيح بلغت ستين حملاً ليس مذكورًا في القرآن فلا تقبل هذه الرواية وتفسير القرآن أن تلك المفاتيح كانت كثيرة وكان كل واحد منها معينًا لشيء آخر فكان يثقل على العصبة ضبطها ومعرفتها بسبب كثرتها وعلى هذا الوجه يزول الاستبعاد.

وعن الثاني: أن ظاهر الكنـز وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها أغلاق.

القول الثاني: وهو اختيار ابن عباس والحسن أن تحمل المفاتح على نفس المال وهذا أبين وعن الشبهة أبعد، قال ابن عباس : كانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء »[1] هذا ما تبين في بيان المراد بالمفاتح، والله أعلم بالصواب.

---

(1) التفسير الكبير (13/25)، وانظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(330).

معنى: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾

49- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص: 76].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله-: «﴿لَا تَفْرَحْ﴾: لا تأشر، ولا تَبطَر، قال الشاعر:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتحوّل [1]

أي لست بأشر، فأما السرور فليس بمكروه» [2].

ولقد ذهب جمهور المفسرين إلى نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة، منهم: النحاس [3]، والسمرقندي [4]، والواحدي [5]، والسمعاني [6]، والبغوي [7]، والزمخشري [8]، وابن عطية [9]، وابن الجوزي [1]، والفخر الرازي [2]، والقرطبي [3]،

---

(1) البيت في ديوان ثابت بن جابر ص(6)، وقال (المتقلب) بدل (المتحول)، والشاعر: هو تأبط شرًا ثابت ابن جابر بن سفيان بن عميشل، وتأبط شرًا لَقَب لُقِّبَ به. انظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (138/10).

(2) تفسير غريب القرآن ص(285).

(3) معاني القرآن (199/5).

(4) بحر العلوم (620/2).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (825/2).

(6) تفسير القرآن (156/4).

(7) معالم التنزيل (454/3).

(8) الكشاف (434/3).

(9) المحرر الوجيز (299/4).

والقرطبي[3] ، البيضاوي[4] ، والنسفي[5] ، وابن كثير[6] ، والمحلي[7] ، وأبوالسعود[8] ، والشوكاني[9] ، والألوسي[10] .

قال البغوي: «﴿لَا تَفۡرَحۡ﴾ لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم »[11] .

وقال القرطبي: «﴿لَا تَفۡرَحۡ﴾ أي: لا تأشر ولا تبطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ أي: البطرين »[12] .

وقال ابن كثير: « ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ أي وعظه فيما هو فيه صالحو قومه فقالوا على سبيل النصح والإرشاد لا تفرح بما أنت فيه، يعنون لا تبطر بما أنت فيه من المال »[1] .

---

(١) زاد المسير (241/6).
(٢) التفسير الكبير (14/25).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (313/13).
(٤) أنوار التنزيل (246/3).
(٥) مدارك التنزيل (246/3).
(٦) تفسير القرآن العظيم (400/3).
(٧) تفسير الجلالين ص(518).
(٨) إرشاد العقل السليم (25/7).
(٩) فتح القدير (186/4).
(١٠) روح المعاني (112/20).
(١١) معالم التنزيل (454/3).
(١٢) الجامع لأحكام القرآن (313/13).

وقال الشوكاني: « ومعنى ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر ولا تأشر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ البطرين الأشرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم »[2].

وبذلك يتضح اتفاقهم وإجماعهم على معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تفسير القرآن العظيم (400/3).

(2) فتح القدير (186/4).

معنى: ﴿ٱلطُّوفَانُ﴾

50- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾

[سورة العنكبوت: 14].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: ﴿ٱلطُّوفَانُ﴾ المطر الشديد»[1]. فيلاحظ أن ابن قتيبة حدد معنى الطوفان في المطر الشديد، ونحو قوله قال المحلي ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا »[2]، وقال السعدي: « ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الذي نزل من السماء بكثرة، ونبع من الأرض بشدة »[3].

ولكن الغالبية العظمى من المفسرين فسروا الطوفان على العموم بأنه: « يقال لكل كثير مطيف بالجميع من مطر أو قتل أو موت طوفان » هذا ما قاله النحاس[4].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(287).

(2) تفسير الجلالين ص(522).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(628).

(4) معاني القرآن (217/5).

ونحوه قال السمرقندي[1]، والسمعاني[2]، والزمخشري[3]، وابن عطية[4]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي[7]، والثعالبي[8]، وأبوالسعود[9]، والشوكاني[10]، والألوسي[11].

والذي يظهر -والله أعلم- أن الطوفان الوارد ذكره في قصة نوح -عليه السلام- يُحمل على الماء الكثير، المطر الشديد النازل من السماء، والينابيع المتفجرة من الأرض، والتي حصل بها الإغراق للمكذبين من قوم نوح، قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة القمر: 11-12]، فلما حصل الإغراق الكامل توجه الأمر إلى السماء والأرض بإيقاف تدفق الماء، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [سورة هود: 44]، والآيات التي أشارت إلى إغراق المكذبين؛ كقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ

---

(1) بحر العلوم (627/2).
(2) تفسير القرآن (172/4).
(3) الكشاف (450/3).
(4) المحرر الوجيز (310/4).
(5) الجامع لأحكام القرآن (334/13).
(6) أنوار التنـزيل (310/4).
(7) مدارك التنـزيل (253/3).
(8) الجواهر الحسان (188/3).
(9) إرشاد العقل السليم (33/7).
(10) فتح القدير (196/4).
(11) روح المعاني (143/20).

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ [سورة الأعراف: 64]، وقوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [سورة يونس: 73]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [سورة الشعراء: 119-120]، وقوله تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة نوح: 25]. والقاعدة المهمة المؤكدة لدى أئمة التفسير أن تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن وأفضل أنواع التفسير[1]، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (312/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (109/1).

معنى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾

51- قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت: 45].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يقول: ذكر الله العبدَ –ما كان في صلاته– أكبر من ذكر العبدِ لله »(1).

واختلفت أقوال المفسرين في بيان معنى الآية، فقال الطبري: « وأشبه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه »(2)، وهذا القول مروي عن ابن عباس(3) –رضي الله عنهما–، وقال به النحاس(4) أيضًا.

وذكر السمرقندي عدة أقوال و لم يرجح أحدها معنى للآية: « ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني: أفضل من سائر العبادات » إلى أن قال: « ولذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه بالصلاة » ثم ذكر قولاً ثالثًا، فقال: « يقول ذكره إياكم بالخير أكبر من

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(288).

(2) جامع البيان (156/20).

(3) انظر: المرجع السابق، وتنوير المقباس للفيروز آبادي ص(336).

(4) معاني القرآن (229/5).

ذكركم إياه » وقولاً رابعًا، قال: « ويقال ذكر الله -عز وجل- بالمغفرة أفضل من ذكرك إياه » ثم ختم بالحديث الذي رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « **من ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله تعالى في نفسه، ومن ذكر الله تعالى في ملأٍ ذكره الله تعالى في ملأٍ أكثر من الملأ الذين ذكره فيهم وأطيب، ومن تقرب إلى الله تعالى شبرًا تقرب الله تعالى منه ذراعًا، ومن تقرب من الله تعالى ذراعًا تقرب الله تعالى منه باعًا، ومن أتى الله تعالى مشيًا أتاه هرولة** »[1].

وقال الواحدي: « ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من كل شيء في الدنيا وأفضل »[2].

السمعاني: « وقوله ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه قولان:

أحدها: ولذكر الله أفضل من كل الطاعات القول الثاني: أن معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه »[3].

البغوي: « قوله -عز وجل-: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ذكر الله أفضل الطاعات »

ثم ذكر حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق**

---

(١) بحر العلوم (635/2)، والحديث المذكور أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (275/4)، وقال عنه: حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (834/2).

(٣) تفسير القرآن (184/4).

الذهب والوِرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى »[1].

ابن عطية قال: « وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب، وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى »[2].

الفخر الرازي: « ثم قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ لما ذكر أمرين وهما: تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة، بيّن ما يوجب أن يكون الإتيان بهما على أبلغ وجوه التعظيم، فقال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وأنتم إذا ذكرتم آباءكم بما فيهم من الصفات الحسنة تنبشّوا لذلك وتذكروهم بملء أفواهكم وقلوبكم لكن ذكر الله أكبر فينبغي أن يكون على أبلغ وجوه التعظيم، وأما الصلاة فكذلك لأن الله يعلم ما تصنعون وهذا أحسن صنعكم فينبغي أن يكون على وجه التعظيم، وفي قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مع حذف بيان ما هو أكبر منه لطيفة: وهي أن الله تعالى لم يقل أكبر من ذكر فلان، لأن ما نسب إلى غيره بالكبر فله إليه نسبة، إذ لا يقال الجبل أكبر من خردلة، وإنما يقال هذا الجبل أكبر من ذلك الجبل، فأسقط المنسوب؛ كأنه

---

(١) معالم التنزيل (469/3)، والحديث المذكور أخرجه الترمذي في سننه (459/5) رقم الحديث (3377)، وقال عنه الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) المحرر الوجيز (320/4).

قال ولذكر الله له الكبر لا لغيره، وهذا كما يقال في الصلاة الله أكبر أي: له الكبر لا لغيره »[1].

البيضاوي: « ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته »[2].

قال ابن كثير: « وتشمل الصلاة أيضًا على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الأكبر ولهذا قال تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ »[3].

قال الشوكاني: «﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ أي: أكبر من كل شيء أي: أفضل من العبادات كلها بغير ذكر، وقيل: ذكر الله أكبر من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر مع المداومة عليه، وقيل: المراد بالذكر هنا الصلاة أي: وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وعبر عنها بالذكر كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: 9] للدلالة على أن ما فيها من الذكر هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات، وقيل المعنى: ولذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم منه أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم »[4].

---

(1) التفسير الكبير (66/25).

(2) أنوار التنـزيل (318/4).

(3) تفسير القرآن العظيم (416/3).

(4) فتح القدير (204/4).

وقال السعدي: « ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أن العبد المقيم لها المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها يستنير قلبه ويتطهر فؤاده ويزداد إيمانه وتقوى رغبته في الخير وتقلّ أو تنعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر فهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها، وثم في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله بالقلب واللسان والبدن، فإن الله تعالى إنما خلق العباد لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة وفيها من عبوديات الجوارح كلها ما ليس في غيرها ولهذا قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ »(1).

وفي عرض من ذكرت أقوالهم إشارة إلى غيرهم من أئمة التفسير فتتشابه وتتداخل أقوالهم، منهم: الماوردي(2)، والزمخشري(3)، وابن الجوزي(4)،والقرطبي(5)، والنسفي(6)، وابن جزي(7) ، والمحلي(8)، والثعالبي(9)، وأبوالسعود(1)، وسيد قطب(2)، وابن عاشور(3).

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(632).

(2) انظر: جامع البيان للطبري (156/20)، النكت والعيون (285/4).

(3) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (206/1)، الكشاف (461/3).

(4) زاد المسير (274/6).

(5) الجامع لأحكام القرآن (349/13).

(6) مدارك التنـزيل (260/3).

(7) التسهيل لعلوم التنـزيل (117/3).

(8) تفسير الجلالين ص(527).

(9) الجواهر الحسان (191/3).

وبهذا يظهر –والله أعلم– ترجيح ما رُوي عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما–، وأن يكون المعنى: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه[4]، والمؤيد بالحديث المروي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « **من ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله تعالى في نفسه، ومن ذكر الله تعالى في ملأ ذكره الله تعالى في ملأٍ أكثر من الملأ الذين ذكره فيهم وأطيب، ومن تقرب إلى الله شبرًا تقرب الله تعالى منه ذراعًا، ومن تقرب من الله تعالى ذراعًا تقرب الله تعالى منه باعًا، ومن أتى الله تعالى مشيًا أتاه هرولة** » وهو حديث صحيح كما سبقت الإشارة إلى تخريجه، « وثبوت الحديث في معنى أحد الأقوال مرجّح له على غيره »[5].

وهذا لا يمنع من دخول بقية الأقوال وصحة حمل معنى الآية عليها، فإن المسلم الذاكر لله تعالى يذكره بكل أنواع الذكر ويطيعه بكل أنواع الطاعات « والصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها للتعليل بأن اشتمالها على ذكرها هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات » [6]، « وعبر عنها بالذكر كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: 9] للدلالة على أن

---

(١) إرشاد العقل السليم (42/7).

(٢) في ظلال القرآن (2738/5).

(٣) التحرير والتنوير (261/20).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (156/20).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (206/1).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (318/4).

مـــا فيها من الذكر هـــو العمـــدة في تفضيلها على ســـائر الطاعـــات »(1)، « واشتملت على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان والبدن والصلاة بهذا تعد بنفسها من أكبر الذكر »(2)، والله أعلم بالصواب.

(1) فتح القدير للشوكاني (204/4).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(632).

معنى: ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾

52- قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠﴾ [سورة العنكبوت: 60].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ﴾ أي: كم من دابة ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ لا ترفع شيئًا لغدٍ »[1].

وقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه من أن معنى ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ يعني: لا ترفع ولا تخبئ شيئًا لغد، من أئمة التفسير: الطبري[2]، والواحدي[3]، والبغوي[4]، والفخر الرازي[5]، وابن كثير[6]، والثعالبي[7].

وقال النحاس « ﴿دَآبَّةٖ﴾ تقع لكل الحيوان مما يعقل ولا يعقل، إلا أن معناه ها هنا الخصوص، أي: وكم من دابة عاجزةٍ اللهُ يرزقها وإياكم »[8].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(288).

(2) جامع البيان (11/21).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (835/2).

(4) معالم التنزيل (473/3).

(5) التفسير الكبير (76/25).

(6) تفسير القرآن العظيم (421/3).

(7) الجواهر الحسان (196/3).

(8) معاني القرآن (235/5).

ونحو قوله قال: الزمخشري[1]، وابن جزي[2]، والمحلي[3]، والشنقيطي[4].

وقيل: إن « المراد بالآية: النبي ﷺ يأكل ولا يدخر شيئًا »[5].

قال القرطبي عن هذا القول: « وليس بشيء، لإطلاق لفظ الدابة، وليس مستعملاً في العرف إطلاقها على الآدمي، فكيف على النبي ﷺ »[6].

ويؤيد كلام القرطبي القاعدة الترجيحية « القول الذي يعظّم مقام النبوة »[7]، فعلى هذه القاعدة فلا يحمل معنى الآية على أن يراد بها النبي ﷺ فيستبعد هذا القول.

وأما القولان الأولان: أن يراد بـــ ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ أي: لا ترفع ولا تدخر شيئًا لغد، والقول بأن يراد بها أيّ دابة عاجزة ضعيفة لا تحمل رزقها إنما تأكل بأفواهها فقط، فلا تنافر بينهما، فالدابة التي ليس لديها القدرة والإمكانية على حمل رزقها بالتالي هي لا يمكنها ادخاره من باب أولى، وعليه فلا خلاف بين القولين وكلاهما محتمل لمعنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الكشاف (466/3).

(٢) التسهيل لعلوم التنـزيل (119/3).

(٣) تفسير الجلالين ص(529).

(٤) أضواء البيان (162/6).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (360/13) وحكاه عن النقاش.

(٦) المرجع السابق.

(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (328/1).

معنى: ﴿يُحۡبَرُونَ﴾

53- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥﴾ [سورة الروم: 15].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ أي: يسرون، والحبرة: السرور »[1].

لقد ذكر نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة وأن معنى ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ أي: يسرون، كل من: الزمخشري[2]، وابن عطية[3]، والفخر الرازي[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، وابن جزي[7]، والمحلي[8]، والألوسي[9]، والشوكاني[10].

وزاد بعضهم في بيان معنى ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ فقال: « يسرون ويلذذون بالسماع وطيب العيش الهني » هذا قول الطبري[1]، ومثله قال النحاس[2]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(290).

(2) الكشاف (476/3).

(3) المحرر الوجيز (331/4).

(4) التفسير الكبير (90/25).

(5) أنوار التنزيل (330/4).

(6) مدارك التنزيل (269/3).

(7) التسهيل لعلوم التنزيل (121/3)

(8) تفسير الجلالين ص (532).

(9) روح المعاني (26/21).

(10) فتح القدير (218/4).

والسمرقندي[3]، والسمعاني[4]، وأبوالسعود[5]، والسعدي[6]، والشنقيطي[7].

والذي يظهر -والله أعلم- أن المعاني مجتمعة، وما الاختلاف إلا اختلاف تنوع «لاحتماله وجوه جمع المسارّ»[8] فالمؤمنون في الجنة «يسرّون بكل مسرّة»[9]، «والتعبير بالمضارع للإيذان بتجدد السرور لهم، ففي كل ساعة يأتيهم ما يسرون به من متجددات الملأ وأنواعها المختلفة»[10] من «المآكل اللذيذة والأشربة والحور الحسان والخدم والولدان والأصوات المطربات والسماع المبهج والمناظر العجيبة والروائح الطيبة والفرح والسرور واللذة والحبور مما لا يقدر أحد أن يصفه»[11]«والمعنى العربي »[12] للحبور هو « السرور »[13]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) جامع البيان (27/21).

(٢) معاني القرآن (248/5).

(٣) بحر العلوم (7/3).

(٤) تفسير القرآن (201/4).

(٥) إرشاد العقل السليم (53/7).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(638).

(٧) أضواء البيان (143/7).

(٨) انظر: الكشاف للزمخشري (476/3)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (53/7).

(٩) التفسير الكبير للفخر الرازي (90/25).

(١٠) روح المعاني للألوسي (26/21).

(١١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(638).

(١٢) فتح القدير للشوكاني (218/4).

(١٣) مختار الصحاح للرازي ص(51).

المراد بالرحمة والمراد بالسيئة

54 – ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾ [سورة الروم: 36].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَا﴾ أي: نعمة، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ أي: مصيبة »[1].

ومثلما فسّر ابن قتيبة الرحمة بأنها النعمة، والسيئة أي: المصيبة، فسّرها كذلك النحاس[2]، والفخر الرازي[3]. أما الطبري فقال: « يقول تعالى ذكره وإذا أصاب الناس من خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال فرحوا بذلك، وإن تصبهم منّا شِدَّةٌ من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان (بما قدمت أيديهم) يقول: بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله تعالى وركبوا من المعاصي إذا هم يقنطون »[4]. ونحوه قال السمعاني[5]، والقرطبي[6].

وقال الواحدي « ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَا﴾ هذا من صفة الكافر يبطر عند النعمة، ويقنط عند الشدة، لا يشكر في الأولى ولا يحتسب في الثانية»[7] ويشبه قوله قولُ كل من: ابن جزي[1]، وابن كثير[2]، والسعدي[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(293).

(2) معاني القرآن (263/5).

(3) التفسير الكبر (108/25).

(4) جامع البيان (44/21).

(5) تفسير القرآن (214/4).

(6) الجامع لأحكام القرآن (34/14).

(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (843/2).

والذي يظهر -والله أعلم- أن لا تعارض بين أقوال الأئمة المفسرين في بيان المراد بالرحمة والمراد بالسيئة، فإن « المعنى متقارب »[4]، فإن الخصب والرخاء والمطر والعافية في الأبدان والأموال كلها من النعمة، وإن الجدب والقحط والبلاء في الأموال والأبدان كلها شر ومصائب.

وأختم بكلام ابن جزي حيث قال عند تفسير للآية: « إيماء على من يفرح ويبطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشر، وانظر كيف قال هنا (إذا) وقال في الشر ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ لأن (إذا) للقطع بوقوع الشرط بخلاف (إن) فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر بما قدمت أيديهم؛ المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم »[5]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (123/3).

(٢) تفسير القرآن العظيم (435/3).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(642).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (34/14).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (123/3).

معنى: ﴿ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾

55- قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾ [سورة الروم: 39].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ﴾ أي: من صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ أي: الذين يجدون التضعيف والزيادة »[1].

والجمهور من المفسرين بينوا معنى الآية بنحو ما ذكره ابن قتيبة مشابهة أو مقاربة، فمنهم:

الطبري، قال: « ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ﴾ يقول: وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: الذين يتصدقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله ﴿هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ يقول: هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب »[2].

والواحدي: « وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ أصحاب الإضعاف، يضاعف لهم بالواحدة عشرًا »[1].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(292).

(2) جامع البيان (45/21).

البغوي: « ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ فيضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها، فالمضعف ذووا الأضعاف من الحسنات »[2].

القرطبي: « ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ أي: ذلك الذي يقبله ويضاعفه له عشرة أضعافه أو أكثر كما قال ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [سورة البقرة: 245]، وقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۢ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ﴾ [سورة البقرة: 265] وقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ و لم يقل فأنتم المضعفون لأنه رجع من المخاطبة إلى الغيبة مثل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [سورة يونس: 22] »[3].

وقال ابن كثير: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء، كما جاء في الصحيح « **وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا**

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (843/2).

(2) معالم التنزيل (485/3).

(3) الجامع لأحكام القرآن (39/14).

أخذها الرحمن بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تصير التمرة أعظم من أحد »[1].

وبنحو كلام من ذكرت جاءت عبارات كل من: النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والسمعاني[4]، والزمخشري[5]، والفخر الرازي[6]، والبيضاوي[7]، والنسفي[8]، وابن جزي[9]، والمحلي[10]، وأبي السعود[11]، السعود[11]، والألوسي[12].

وبهذا يتبين إجماع المفسرين -رحمهم الله- على المعنى المذكور، وهو مضاعفة الحسنات، والمبني على دلالة آيات من القرآن عليه، كقوله تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ

---

(1) تفسير القرآن العظيم (435/3)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (2702/6) بلفظ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل».

(2) معاني القرآن (265/5).

(3) بحر العلوم (13/3).

(4) تفسير القرآن (216/4).

(5) الكشاف (487/3).

(6) التفسير الكبير (111/5).

(7) أنوار التنزيل (337/4).

(8) مدارك التنزيل (275/3).

(9) التسهيل لعلوم التنزيل (124/3).

(10) تفسير الجلالين ص(536).

(11) إرشاد العقل السليم (72/7).

(12) روح المعاني (46/21).

قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [سورة البقرة: 245]، وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة البقرة: 261]، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ [سورة البقرة: 265]، وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحديد: 11]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحديد: 18]، وقوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة التغابن: 17]، وتفسير القرآن بالقرآن أحسن وأفضل أنواع التفسير[1].

فائدة:

مسألة الالتفات الواردة في الآية، قال القرطبي: « وقوله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ولم يقل: فأنتم المضعفون لأنه رجع من المخاطبة إلى الغيبة »[2]، وقال البيضاوي: « والالتفات منه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفًا لحالهم

(1) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(2) الجامع لأحكام القرآن (39/14).

»[1]. وقال النسفي: « التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قبل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أنوار التنزيل (337/4).

(٢) مدارك التنزيل (275/3).

معنى: ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾

56- قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ [سورة لقمان: 16].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ أي: يظهرها الله تعالى، ولا تخفى عليه »[1].

وغيره من المفسرين منهم:

النحاس قال: « ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾، هذا على التمثيل كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ [سورة الزلزلة: 7] »[2].

وقال السمرقندي: « ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يعني: يجازي بها »[3].

وقال الواحدي: « ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ أي: للجزاء عليها »[4].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(294).

(2) معاني القرآن (286/5).

(3) بحر العلوم (23/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (848/2).

ونحو أقوال من ذكرت جاءت عبارات المفسرين: كالسمعاني[1]، والزمخشري[2]، وابن عطية[3]، والقرطبي[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، وابن كثير[7]، والمحلي[8]، وأبي السعود[9]، والشوكاني[10]، والألوسي[11].

والذي يظهر -والله أعلم- عدم تعارض ما قاله ابن قتيبة مع أقوال غيره من المفسرين، فقد قال ابن عطية: « إن أراد الجواهر فالمعنى يأت بها إن احتيج إلى ذلك أو كانت رزقًا ونحو هذا، وإن أراد الأعمال فمعناه يأت بذكرها وحفظها فيجازي عليها بثواب أو عقاب »[12] والمقصود من هذا « سعة علمه -تعالى- وتمام خبرته وكمال قدرته، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: لطف في علمه وخبرته حتى اطلع على البواطن والأسرار وخفايا القفار والبحار والمقصود من هذا الحث على مراقبة

(1) تفسير القرآن (232/4).
(2) الكشاف (502/3).
(3) المحرر الوجيز (350/4).
(4) الجامع لأحكام القرآن (67/14).
(5) أنوار التنزيل (348/4).
(6) مدارك التنزيل (283/3).
(7) تفسير القرآن العظيم (446/3).
(8) تفسير الجلالين ص(542).
(9) إرشاد العقل السليم (72/7).
(10) فتح القدير (239/4).
(11) روح المعاني (89/21).
(12) المحرر الوجيز (350/4).

الله والعمل بطاعته مهما أمكن والترهيب من عمل القبيح قل أو كثر »[1]، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(649).

معنى: ﴿مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾

57- قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢﴾ [سورة لقمان: 32].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ جمع (ظلة) يريد: أن بعضه فوق بعض، فله سواد من كثرته، والبحر ذو ظلال لأمواجه »(1).

ووافقه السمرقندي فقال: « يعني يأتيهم الموج بعضه فوق بعض وله سواد لكثرته »(2).

أما الغالبية العظمى من المفسرين، فقد فسروا قوله تعالى: ﴿مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ يعني: « كالجبال وقيل كالسحاب » هذا ما قاله الواحدي(3).

والبغوي قال: « والظلل جمع الظلة، شبّه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهي جمع لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء »(4).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(295).

(2) بحر العلوم (28/3).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (851/2).

(4) معالم التنزيل (495/3).

وقال الزمخشري: « يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل، والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما »[1].

ونحو أقوال من ذكرهم جاءت تفسيرات عدد من المفسرين، منهم: الفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وابن كثير[6]، والمحلي[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9].

وقد قال أهل اللغة: « والظلال: ما أظلك من سحاب ونحوه، وظل الليل: سواده »[10]. وعليه يظهر -والله أعلم- أن لا تنافر بين ما قاله ابن قتيبة ومن وافقه وما قاله بقية المفسرين فقد « شبه الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع لأن الموج يأتي شيئًا بعد شيء ويركب بعضه بعضًا كالظلل »[11]، فتفسيرهم من باب تفسير الشيء بسببه، فالجبل والسحاب يأتي بالظل وهو سبب له، والله أعلم بالصواب.

---

(1) الكشاف (510/3).

(2) التفسير الكبير (142/25).

(3) الجامع لأحكام القرآن (80/14).

(4) أنوار التنزيل (352/4).

(5) مدارك التنزيل (287/3).

(6) تفسير القرآن العظيم (453/3).

(7) تفسير الجلالين ص(544).

(8) إرشاد العقل السليم (77/7).

(9) فتح القدير (244/4).

(10) انظر: لسان العرب لابن منظور (416/11).

(11) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (80/14).

معنى: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾

58- قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة لقمان: 33].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين: الشيطان وبضمها: الباطل »[1].

وجمهور المفسرين وافقوه على نفس المعنى الذي ذهب إليه، منهم: النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، والقرطبي[6]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(295).

(٢) معاني القرآن (293/5).

(٣) بحر العلوم (29/3).

(٤) تفسير القرآن (240/4).

(٥) معالم التنـزيل (496/3).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (81/14).

والبيضاوي[1]، وابن كثير[2]، وأبوالسعود[3]، ....
والشوكاني[4]، والألوسي[5]، والسعدي[6]، وابن عاشور[7].

قال السمرقندي: « ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ يعني لا يغرنكم الشيطان عن طاعة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ويقال: كل مضل هو الشيطان، وقال أهل اللغة: الغَرور بنصب الغين هو الشيطان، وبالضم أباطيل الدنيا »[8].

وقال البيضاوي: « ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان بأن يرجّيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي »[9].

وقال الشوكاني: « والغَرور هو الشيطان لأن من شأنه أن يغر الخلق ويمنيهم بالأماني الباطلة ويلهيهم عن الآخرة ويصدهم عن طريق الحق »[10].

---

(١) أنوار التنزيل (352/4).
(٢) تفسير القرآن العظيم (454/3).
(٣) إرشاد العقل السليم (77/7).
(٤) فتح القدير (245/4).
(٥) روح المعاني (108/21).
(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(652).
(٧) التحرير والتنوير (195/21).
(٨) بحر العلوم (29/3).
(٩) أنوار التنزيل (352/4).
(١٠) فتح القدير (245/4).

وقال السعدي: « ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الذي هو الشيطان ما زال يخدع الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات »[1].

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(652).

وبما عرضته من أقوالهم يتبين اتفاقهم في بيان معنى الآية، وأن ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين: يراد بها الشيطان، وهذا المعنى أكّده أهل اللغة[1] أيضًا، كما أشار إلى ذلك السمرقندي[2]، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (12/5).

(2) انظر: بحر العلوم (29/3).

معنى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾

59 – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ [سورة الأحزاب: 59].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ أي: يلبسن الأردية »(1).

وقد وافقه فيما ذهب إليه كثير من المفسرين، منهم:

السمعاني: « قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ أي: يشتملن بالجلابيب، والجلباب هو الرداء، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار »(2).

البغوي: « ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ جمع الجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار »(3).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(301).

(2) تفسير القرآن (306/4).

(3) معالم التنزيل (544/3).

الزمخشري: « الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتُبقي منه ما ترسله على صدرها، ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين وجوههن وأعطافهن »[1].

البيضاوي: « ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يغطين وجوههن وأبداهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة »[2].

النسفي: « ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة، ومعنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن»[3].

ابن جزي: « ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء وكان ذلك داعيًا إلى نظر الرجال لهن فأمرهن الله تعالى بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار، وقيل هو الرداء؛ وصورة إدنائه عند ابن عباس –رضي الله عنهما–: أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها، وقيل: أن تغطي نصف وجهها »[4].

---

(١) الكشاف (569/3).

(٢) أنوار التنزيل (386/4).

(٣) مدارك التنزيل (315/3).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (144/3).

المحلي: « ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة، أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عيناً واحدةً، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى أن يعرفن بأنهن حرائر فلا يؤذين بالتعرض لهن »[1].

أبوالسعود: « الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها، وتُبقى منه ما ترسله على صدرها »[2].

السعدي: « ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ وهن اللاتي يكنّ فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي يغطين بها وجوههن وصدورهن »[3].

وقد ذكرت أقوال من ذكرت وأكتفي بالإحالة إلى بقية الموافقين طلبًا للاختصار، فمنهم: النحاس[4]، والسمرقندي[5]، والواحدي[6]، والقرطبي[7]، والقرطبي[7]، وابن كثير[8]، والشوكاني[9]، وابن عاشور[10].

وللشيخ الشنقيطي بيان في أضوائه وتفصيل في تفسير آية الحجاب هذه، يشفى صدر من في صدره حاجة، وتزيد إيمان المصدّق إيمانًا، قال: « من الأدلة

---

(١) تفسير الجلالين ص(560).

(٢) إرشاد العقل السليم (115/7).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(672).

(٤) معاني القرآن (377/5).

(٥) بحر العلوم (69/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (873/2).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (243/14).

(٨) تفسير القرآن العظيم (519/3).

(٩) فتح القدير (304/4).

(١٠) التحرير والتنوير (107/22).

القرآنية على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾، فقد قال غير واحد من أهل العلم: إن معنى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: أنهن يسترن بها جميع وجوههن، ولا يظهر منهن شيء إلا عين واحدة تبصر بها، فإن قيل: لفظ الآية الكريمة، وهو قوله تعالى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ لا يستلزم معناه ستر الوجه لغة، ولم يرد نص من كتاب، ولا سنّة، ولا إجماع على استلزامه ذلك، وقول بعض المفسرين: إنه يستلزم معارض بقول بعضهم: إنه لا يستلزمه، وبهذا يسقط الاستدلال بالآية على وجوب ستر الوجه.

فالجواب: أن في الآية الكريمةقرينة واضحة على أن قوله تعالى فيها﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾، يدخل في معناه ستر وجوهن بإدناء جلابيبهنّعليها، والقرينة المذكورة هي قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾، ووجوب احتجاب أزواجه وسترهن وجوههن، لا نـــزاع فيه بين المسلمين. فذكر الأزواج مع البنات ونساء المؤمنين يدلّ على وجوب ستر الوجوه بإدناء الجلابيب، كما ترى.

ومن الأدلة على ذلك أيضًا: هو ما قدمنا في سورة (النور)، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾ [سورة النور: 31]، من أن استقراء

القرآن يدل على أن معنى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الملاءة فوق الثياب، وأنه لا يصح تفسير: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بالوجه والكفين، كما تقدّم إيضاحه.

واعلم أن قول من قال: إنه قد قامت قرينة قرآنية على أن قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾، لا يدخل فيه ستر الوجه، وأن القرينة المذكورة هي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾، قال: وقد دل قوله: ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ على أنهنّ سافرات كاشفات عن وجوههن؛ لأن التي تستر وجهها لا تعرف؛ باطل، وبطلانه واضح، وسياق الآية يمنعه منعًا باتًّا؛ لأن قوله: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾، صريح في منع ذلك.

وإيضاحه: أن الإشارة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ راجعة إلى إدنائهن عليهن من جلابيبهن، وإدناؤهن عليهن من جلابيبهن، لا يمكن بحال أن يكون أدنى أن يعرفن بسفورهن، وكشفهن عن وجوههن كما ترى، فإدناء الجلابيب مناف لكون المعرفة معرفة شخصية بالكشف عن الوجوه، كما لا يخفى.

وقوله في الآية الكريمة: ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ دليل أيضًا على أن المعرفة المذكورة في الآية، ليست بكشف الوجوه؛ لأن احتجابهن لا خلاف فيه بين المسلمين.

والحاصل: أن القول المذكور تدلّ على بطلانه أدلّة متعدّدة:

الأول: سياق الآية، كما أوضحناه آنفًا.

الثاني: قوله ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ﴾، كما أوضحناه أيضًا.

الثالث: أن عامّة المفسّرين من الصحابة فمن بعدهم فسروا الآية مع بيانهم سبب نـــزولها، بأن نساء أهل المدينة كن يخرجن بالليل لقضاء حاجتهن خارج البيوت، وكان بالمدينة بعض الفسّاق يتعرّضون للإماء، ولا يتعرّضون للحرائر، وكان بعض نساء المؤمنين يخرجن في زيّ ليس متميّزًا عن زيّ الإماء، فيتعرّض لهن أولئك الفساق بالأذى ظنًّا منهم أنهن إماء، فأمر الله نبيّه ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين أن يتميّزن في زيهن عن زيّ الإماء، وذلك بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، فإذا فعلن ذلك ورآهن الفساق، علموا أنهن حرائر، ومعرفتهم بأنهن حرائر لا إماء هو معنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ ، فهي معرفة بالصفة لا بالشخص.

وهذا التفسير منسجم مع ظاهر القرآن، كما ترى. فقوله: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ ، لأن إدناءهن عليهن من جلابيبهن يشعر بأنهن حرائر، فهو أدنى وأقرب لأن يعرفن، أي يعلم أنهن حرائر، فلا يؤذين من قبل الفساق الذين يتعرّضون للإماء، وهذا هو الذي فسّر به أهل العلم بالتفسير هذه الآية، وهو واضح، وليس المراد منه أن تعرض الفساق للإماء جائز بل هو حرام، ولا شك أن المتعرضين لهن من الذين في قلوبهم مرض، وأنهم يدخلون في عموم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ [سورة الأحزاب: 60].

ومما يدل على أن المتعرض لما لا يحل من النساء من الذين في قلوبهم مرض، قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ .

ومن الأدلة القرآنية الدالة على الحجاب، قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النور:60]، لأن الله جل وعلا بيَّن في هذه الآية الكريمة أن القواعد أي العجائز اللاتي لا يرجون نكاحًا، أي: لا يطمعن في النكاح لكبر السن وعدم حاجة الرجال إليهن يرخص لهن برفع الجناح عنهن في وضع ثياهنّ، بشرط كوهن غير متبرجات بزينة، ثم إنه جلَّ وعلا مع هذا كله قال: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾، أي: يستعففن عن وضع الثياب خير لهن، أي: واستعفافهن عن وضع ثياهن مع كبر سنهنّ وانقطاع طمعهن في التزويج، وكوهن غير متبرّجات بزينة خير لهن.

وأظهر الأقوال في قوله ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أنه وضع ما يكون فوق الخمار، والقميص من الجلابيب، التي تكون فوق الخمار والثياب. فقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾، دليل واضح على أن المرأة التي فيها جمال ولها طمع في النكاح، لا يرخّص لها في وضع شيء من ثياها ولا الإخلال بشيء من التستّر بحضرة الأجانب.

وإذا علمت بما ذكرنا أن حكم آية الحجاب عام، وأن ما ذكرنا معها من الآيات فيه الدلالة على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب، علمت أن القرآن دلَّ على الحجاب، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة بأزواجه ﷺ، فلا شك أهن خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب الكريمة المقتضية للطهارة التامّة وعدم التدنّس بأنجاس الريبة، فمن يحاول منع نساء المسلمين كالدعاة للسفور والتبرّج والاختلاط اليوم، من الاقتداء هنّ في هذا الأدب السماوي الكريم المتضمّن سلامة العرض والطهارة من دنس الريبة غاشّ لأمة محمد ﷺ مريض القلب؛ كما ترى.

واعلم أنه مع دلالة القرآن على احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب، قد دلّت على ذلك أيضًا أحاديث نبوية، فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما

وغيرهما من حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ: أن النبي ﷺ قال: « **إيّاكم والدخول على النساء** »، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ﷺ أفرأيت الحمو؟ قال: « **الحمو الموت** ». أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب (النكاح)، في باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، ومسلم في كتاب (السلام)، في باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فهذا الحديث الصحيح صرّح فيه النبي ﷺ بالتحذير الشديد من الدخول على النساء، فهو دليل واضح على منع الدخول عليهن وسؤالهن متاعًا إلا من وراء حجاب؛ لأن من سألها متاعًا لا من وراء حجاب فقد دخل عليها، والنبي ﷺ حذَّره من الدخول عليها، ولما سأله الأنصاري عن الحمو الذي هو قريب الزوج الذي ليس محرمًا لزوجته، كأخيه وابن أخيه وعمّه وابن عمه ونحو ذلك، قال له ﷺ: « **الحمو الموت** »، فسمّى ﷺ دخول قريب الرجل على امرأته وهو غير محرم لها باسم الموت، ولا شك أن تلك العبارة هي أبلغ عبارات التحذير.

فتحذيره ﷺ هذا التحذير البالغ من دخول الرجال على النساء، وتعبيره عن دخول القريب على زوجة قريبه باسم الموت، دليل صحيح نبوي على أن قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ عام في جميع النساء، كما ترى. إذ لو كان حكمه خاصًّا بأزواجه ﷺ لم حذر الرجال هذا التحذير البالغ العام من الدخول على النساء، وظاهر الحديث التحذير من الدخول عليهنّ ولو لم تحصل الخلوة بينهما، وهو كذلك، فالدخول عليهن والخلوة بهن كلاهما محرّم تحريمًا شديدًا بانفراده، كما قدّمنا أن مسلمًا -رحمه الله- أخرج هذا الحديث في باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فدلّ على أن كليهما حرام. وقال ابن حجر في (فتح الباري)، في شرح الحديث المذكور: « **إياكم والدخول** »، بالنصب على التحذير، وهو تنبيه

المخاطب على محذور ليتحرّز عنه؛ كما قيل: إياك والأسد، وقوله: « إياكم »، مفعول لفعل مضمر تقديره: اتقوا.

وتقدير الكلام: اتّقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء، والنساء أن يدخلن عليكم. ووقع في رواية ابن وهب، بلفظ: « لا تدخلوا على النساء»، وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى، انتهى محل الغرض منهوقال البخاري –رحمه الله– في (صحيحه): باب: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور: 31]. وقال أحمد بن شبيب: حدثنا أبي عن يونس، قال ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها– قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنـزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، شققن مروطهن فاختمرن بها. حدّثنا أبونعيم حدثنا إبراهيم ابن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفيّة بنت شيبة: أن عائشة –رضي الله عنها–، كانت تقول: لما نــزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي، فاختمرن بها. انتهى من صحيح البخاري. وقال ابن حجر في (الفتح)، في شرح هذا الحديث: قوله: فاختمرن، أي غطّين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التقنّع. قال الفراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها فأمرن بالاستتار. انتهى محل الغرض من (فتح الباري). وهذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات يفـفهمن أن معنى قوله تعالى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، يقتضي ستر وجوههن، وأنهن شققن أزرهن فاختمرن، أيسترن وجوههن بها امتثالاً

لأمر الله في قولة ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، المقتضي ستر وجوههن، وبهذا يتحقق المنصف: أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهن ثابت في السنّة الصحيحة المفسّرة لكتاب الله تعالى، وقد أثنت عائشة رضي الله عنها-على تلك النساء بمسارعتهن لامتثال أوامر الله في كتابه، ومعلوم أهن ما فهمن ستر الوجوه من قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، إلا من النبي ﷺ لأنه موجود وهن يسألنه عن كل ما أشكل عليهن في دينهن، والله جل وعلا يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: 44]، فلا يمكن أن يفسرها من تلقاء أنفسهن. وقال ابن حجر في (فتح الباري): ولابن أبي حاتم من طريق عبدالله بن عثمان بن خيثم، عن صفية ما يوضح ذلك، ولفظه: ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن لنساء قريش لفضلاً، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشدّ تصديقًا بكتاب الله، ولا إيمانًا بالتنزيل، ولقد أنزلت سورة (النور): ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهنّ امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان. انتهى محل الغرض من (فتح الباري). ومعنى متعجرات: مختمرات، كما جاء موضحًا في رواية البخاري المذكورة آنفًا، فترى عائشة -رضي الله عنها- مع علمها وفهمها وتقاها، أثنت عليهن هذا الثناء العظيم، وصرحت بأنها ما رأت أشدّ منهن تصديقًا بكتاب الله، ولا إيمانًا بالتنزيل، وهو دليل واضح على أن فهمهنّ لزوم ستر الوجوه من قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، من تصديقهن بكتاب الله وإيمانهن بتنزيله،

وهو صريح في أن احتجاب النساء عن الرجال وسترهن وجوههن تصديق بكتاب الله وإيمان بتـنـزيله، كما ترى.

فالعجب كل العجب، ممن يدّعي من المنتسبين للعلم أنه لم يرد في الكتاب ولا السنة ما يدلّ على ستر المرأة وجهها عن الأجانب، مع أن الصحابيات فعلن ذلك ممتثلات أمر الله في كتابه إيمانًا بتـنـزيله، ومعنى هذا ثابت في الصحيح، كما تقدم عن البخاري. وهذا من أعظم الأدلة وأصرحها في لزوم الحجاب لجميع نساء المسلمين، كما ترى. وفيما ذكرنا كفاية لمن يريد الحق »[1] والله أعلم بالصواب. بالصواب.

---

(1) أضواء البيان (242/6).

معنى: ﴿قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾

60- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [سورة الأحزاب: 70].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ أي: قصدًا »[1].

ووافقه في أن سديدًا معناها قصدًا؛ من المفسرين: الطبري[2]، والنحاس[3]، والزمخشري[4]، وابن عطية[5]، والفخر الرازي[6]، والقرطبي[7]، والبيضاوي[8]، وابن كثير[9]، والمحلي[10]، وأبوالسعود [11]، والألوسي[12].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(301).
(2) جامع البيان (53/22).
(3) معاني القرآن (382/5).
(4) الكشاف (573/3).
(5) المحرر الوجيز (401/4).
(6) التفسير الكبير (202/25).
(7) الجامع لأحكام القرآن (253/4).
(8) أنوار التنـزيل (388/4).
(9) تفسير القرآن العظيم (522/3).
(10) تفسير الجلالين ص(561).
(11) إرشاد العقل السليم (117/7).
(12) روح المعاني (95/22).

وقال آخرون: « ﴿قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ أي حقًا وصوابًا » قاله الواحدي[1]، والسمعاني[2]، والبغوي[3].

وقال ابن جزي: « وقيل يعني: لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك »[4].

والذي يظهر -والله أعلم أن ﴿سَدِيدٗا﴾ « مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض » [5]، وقال في مختار الصحاح: « التسديد التوفيق للسَّداد بالفتح، وهو وهو الصواب والقصد من القول والعمل، والمسدد الذي يعمل بالسداد والقصد، وسَدَّ قوله يسِد بالكسر سَدادًا بالفتح صار سديدًا، وأمر سديد، والسَّدد بفتحتين الاستقامة، والصواب مثل السَّد بالفتح، وسد الثلمة ونحوها من باب (ردّ) أي أصلحها وأوثقها، والسّدّ بالفتح والضم الجبل والحاجز »[6]. وعليه فإن حمل كلام كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »[7] قاعدة متبعة في الترجيح بين الأقوال عند أئمة التفسير، ولا يمنع هذا من عموم إرادة الحق والصواب والقصد معنى واحدًا، كما قال ابن جزي: « واللفظ أعم »[8]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (875/2).

(2) تفسير القرآن (310/4).

(3) معالم التنـزيل (546/3).

(4) التسهيل لعلوم التنـزيل (145/3).

(5) انظر: النكت والعيون للماوردي (428/4).

(6) مختار الصحاح للرازي ص(123).

(7) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (396/2).

(8) التسهيل لعلوم التنـزيل (145/3).

معنى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾

61- ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ١٠﴾ [سورة السجدة: 10].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي بطلنا وصرنا ترابًا »[1].

وجمهور المفسرين قد وافقوا في نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، منهم: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، وابن الجوزي[9]، والقرطبي[10]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(296).

(2) جامع البيان (96/21).

(3) بحر العلوم (32/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العربي (853/2).

(5) تفسير القرآن (244/4).

(6) معالم التنزيل (499/3).

(7) الكشاف (516/3).

(8) المحرر الوجيز (360/4).

(9) زاد المسير (335/6).

(10) الجامع لأحكام القرآن (91/14).

والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، وابن جزي[3]، وابن كثير[4]، والمحلي[5]، وأبوالسعود[6]، والشوكاني[7]، والألوسي[8]، والسعدي[9].

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث ((أئذا ضللنا في الأرض)) أي: صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض »[10].

وقال البغوي: « ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يعني: منكري البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا﴾ هلكنا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وصرنا ترابًا، وأصله من قولهم ضل الماء في اللبن إذا ذهب»[11].

وقال ابن عطية: « والضمير في ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ للكفار الجاحدين البعث من القبور والمستبعدين لذلك دون حجة ولا دليل والمعنى تلفنا وتقطعت أوصالنا فذهبنا حتى لم نوجد »[12].

---

(1) أنوار التنزيل (356/4).

(2) مدارك التنزيل (290/3).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (130/3).

(4) تفسير القرآن العظيم (458/3).

(5) تفسير الجلالين ص(546).

(6) إرشاد العقل السليم (82/7).

(7) فتح القدير (250/4).

(8) روح المعاني (124/21).

(9) تيسير الكريم الرحمن ص(654).

(10) جامع البيان (96/21).

(11) معالم التنزيل (499/2).

(12) المحرر الوجيز (360/4).

وقال القرطبي: « قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا قول منكري البعث أي: أهلكنا وبطلنا وصرنا ترابًا، وأصله من قول العرب ضل الماء في اللبن إذا ذهب، والعرب تقول للشيء غلب عليه غيره حتى خفي أثره قد ضل »[1].

قال البيضاوي: « ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: صرنا ترابًا مخلوطًا بتراب الأرض لا نتميز منه أو غبنا فيها »[2].

قال ابن كثير: « يقول تعالى مخبرًا عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهب ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾ أي: أئنا لنعود بعد تلك الحال يستبعدون ذلك وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ »[3].

السعدي: « أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بلينا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تعلم ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾ أي:

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (91/14).

(2) أنوار التنـزيل (356/4).

(3) تفسير القرآن العظيم (458/3).

لمبعوثون بعثًا جدًا، بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك بقياسهم قدرة الخالق جل وعلا، على قدرهم. وكلامهم هذا ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم وعناد، وكفر بلقاء رهم وجحد، ولهذا قال: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ فكلامهم على مصدره وغايته، وإلا، فلو كان قصدهم بيان الحق، لبين لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهدًا للبصيرة بمنـــزلة الشمس للبصر، ويكفيهم علمهم أنهم قد ابتدءوا من العلوم، فالإعادة أسهل من الابتداء»[1].

وبعرض ما عرضته من أقوال المفسرين بعد سرد إجمالي للموافقين، وعدم وجود قول آخر في بيان معنى الآية، يظهر أن المعنى الذي ذكره ابن قتيبة معنى متفق عليه بين المفسرين، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(654).

معنى: ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾

ككـ- قال تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧﴾ [سورة السجدة: لكك].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ الغليظة اليابسة التي لا نبت فيها، وجمعها أجراز، ويقال: سنون أجراز إذا كانت سني جدب »[1].

وجمهور المفسرين ذكروا نفس المعنى الذي قاله ابن قتيبة، منهم: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، وابن الجوزي[9]،...

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(297).

(2) جامع البيان (114/21).

(3) بحر العلوم (37/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (855/2).

(5) تفسير القرآن (254/4).

(6) معالم التنزيل (504/3).

(7) الكشاف (523/3).

(8) المحرر الوجيز (365/4).

(9) زاد المسير (344/6).

.... والقرطبي[1]، والبيضاوي[2]، والنسفي[3]، وابن جزي[4]، وابن كثير[5]، والمحلي[6]، وأبوالسعود[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9]، والسعدي[10].

قال الطبري: « القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره أو لم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت، والنشر بعد الفناء أن بقدرتنا نسوق الماء على الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، وأصله من قولهم ناقة جرز إذا كانت تأكل كل شيء، وكذلك الأرض الجروز التي لا يبقى على ظهرها شيء إلا أفسدته، نظير أكل الناقة الجراز كل ما وجدته، ومنه قولهم للإنسان الأكول: جروز، ومنه قيل للسيف إذا كان لا يبقي شيئًا إلا قطعه: سيف جراز »[11].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (110/14).

(2) أنوار التنزيل (360/4).

(3) مدارك التنزيل (293/3).

(4) التسهيل لعلوم التنزيل (131/3).

(5) تفسير القرآن العظيم (464/3).

(6) تفسير الجلالين ص(548).

(7) إرشاد العقل السليم (87/7).

(8) فتح القدير (257/4).

(9) روح المعاني (139/21).

(10) تيسير الكريم الرحمن ص(657).

(11) جامع البيان (114/21).

وقال الواحدي: « ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ الغليظة التي لا نبات فيها »[1].

وقال الزمخشري: « ﴿ٱلۡجُرُزِ﴾ الأرض التي جرز نباتها: أي قُطع؛ إمّا لعدم الماء، وإمّا لأنه رُعي وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جرز، ويدل عليه قوله: ﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا﴾ »[2].

قال ابن عطية: « ثم أقام -عَزَّوَجَلَّ- الحجة عليهم في معنى الإيمان بالقدرة وبالبعث بأن نبههم على إحياء الأرض الموات بالماء والنبات و ﴿ٱلۡجُرُزِ﴾ الأرض العاطشة التي قد أكلت نباتها من العطش ومن عبر عنها بأنها الأرض التي لا تنبت فإنها عبارة غير مخلصة، وعمّ تعالى كل أرض هي بهذه الصفة لأن الآية فيها والعبرة بينة »[3].

قال البيضاوي: « ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ التي جرز نباتها أي: قطع وأزيل لا التي لا تنبت »[4].

قال ابن جزي: « ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ يعني: التي لا نبات فيها من شدة العطش »[5].

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص(855/2).

(٢) الكشاف (523/3).

(٣) المحرر الوجيز (365/4) بتصرف يسير.

(٤) أنوار التنـزيل (360/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنـزيل (131/3).

قال السعدي: « ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بأبصارهم نعمتنا، وكمال حكمتنا﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ التي لا نبات فيها، فيسوق اللّٰه تعالى المطر، الذي لم يكن موجودًا فيها، فيفرغ فيها، من السحاب، أو من الأنهار﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ أي: نباتًا مختلف الأنواع﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ﴾ وهو نبات البهائم﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ وهو طعام الآدميين ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ تلك المنّة، التي أحيا الله بها البلاد والعباد، فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر وتلك البصيرة إلى الصراط المستقيم، ولكن غلب عليهم العمى، واستولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك بصر الرجال، وإنما نظروا إلى ذلك نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخير »[1].

ولقد أجملت ذكرهم ثم فصّلت في ذكر أقوال بعضهم ليتبين اتفاقهم، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(657).

معنى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾

63- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾ [سورة سبأ: 10].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أي: سبّحي، وأصله: التأويب في السير؛ وهو أن تسير النهار كله، وتنـزيل ليلاً، كأنه أراد: أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل »[1].

وهذا الذي قاله ابن قتيبة من أن معنى: ﴿أَوِّبِي﴾ أي: سبّحي، هو المروي عن ابن عباس[2] –رضي الله عنهما–، ومجاهد[3]، وقال به: الطبري[4]، والنحاس[5]، والسمرقندي[6]، والواحدي[7]، ....

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(303).

(2) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(359).

(3) تفسير مجاهد (523/2).

(4) جامع البيان (65/22).

(5) معاني القرآن (395/5).

(6) بحر العلوم (76/3).

(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (879/2).

والسمعاني[1]، والبغوي[2]، والفخر الرازي[3]، والقرطبي[4]، والبيضاوي[5]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، وابن جزي[7]، وابن كثير[8]، والمحلي[9]، والثعالبي[10]، وأبوالسعود[11]، والشوكاني[12]، والألوسي[13]، والسعدي[14]، وسيط قطب[15]، وابن عاشور[16].

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره ولقد أعطينا داود منا فضلاً وقلنا للجبال أوبي معه سبحي معه إذا سبّح »[17].

---

(١) تفسير القرآن (319/4).

(٢) معالم التنـزيل (549/3).

(٣) التفسير الكبير (212/25).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (265/4).

(٥) أنوار التنـزيل (393/4).

(٦) مدارك التنـزيل (321/3).

(٧) التسهيل لعلوم التنـزيل (3/!47).

(٨) تفسير القرآن العظيم (527/3).

(٩) تفسير الجلالين ص(563).

(١٠) الجواهر الحسان (240/3).

(١١) إرشاد العقل السليم (124/7).

(١٢) فتح القدير (315/4).

(١٣) روح المعاني (113/22).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص(676).

(١٥) في ظلال القرآن (2897/5).

(١٦) التحرير والتنوير (156/22) وأيضًا (119/17).

(١٧) جامع البيان (65/22).

النحاس: « والمعروف في اللغة أنه يقال: آب يؤوب إذا رجع وعاد، فيكون معنى ﴿أَوِّبِي﴾ أي: عودي معه في التسبيح »[1].

السمعاني: « وقوله ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أكثر أهل التفسير على أن معناه سبحي معه »[2].

القرطبي: « قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أي: وقلنا يا جبال أوبي معه أي: سبحي معه، لأنه قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ١٨﴾ [سورة ص: 18] »[3].

النسفي: « ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ من التأويب، رجعي معه التسبيح، ومعنى تسبيح الجبال: أن الله يخلق فيها تسبيحًا فيسمع منها كما يسمع من المسبّح معجزة لداود عليه السلام »[4].

ابن كثير: « يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوي العَدد والعُدد وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبّح به تسبح معه الجبال

---

(1) معاني القرآن (395/5).

(2) تفسير القرآن (319/4).

(3) الجامع لأحكام القرآن (265/4).

(4) مدارك التنزيل (321/3).

الراسيات الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغاتو ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أي: رجّعي مسبّحة معه»[1].

السعدي: « أي: ولقد مننا على عبدنا ورسولنا داود عليه الصلاة والسلام وآتيناه فضلاً من العلم النافع والعمل الصالح والنعم الدينية والدنيوية ومن نعمه عليه ما خصه من أمره تعالى الجمادات كالجبال، والحيوانات من الطيور أن تؤوب معه وترجع التسبيح بحمد ربها مجاوبة له، وفي هذا من النعمة عليه أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضًا له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربها وتمجيده وتكبيره وتحميده كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى »[2].

وبما تم عرضه من أقوال المفسرين يتبين -والله أعلم- اتفاقهم في بيان معنى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أي: سبحي ورجّعي التسبيح معه، وقد دلت على هذا المعنى آيات أخرى من كتاب الله تعالى، وهي قوله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء 79]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [سور ص: 18]، كما أشار إلى ذلك القرطبي[3]، وأعلى درجات التفسير وأحسنه وأفضله تفسير القرآن بالقرآن[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (527/3).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(676).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (265/4).

(٤) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

وقد أجمعوا على المعنى المذكور، وقال عنه السمعاني إنه قول: « أكثر أهل التفسير »[1]، وإجماعهم قاعدة في الترجيح معتبرة[2].

وقاعدة ثالثة أيضًا تؤيده وهي: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »[3]، فقد قال النحاس: « والمعروف في اللغة أنه يقال: آب يؤوب إذا رجع وعاد، فيكون معنى ﴿أَوِّبِي﴾ أي: عودي معه في التسبيح »[4]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (319/4).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

(3) المرجع السابق (369/2).

(4) انظر: معاني القرآن للنحاس (395/5).

معنى: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾

64- قال تعالى ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة سبأ: 11].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ أي: في النسج، أي لا تجعل المسامير دقاقًا فتقلق، ولا غلاظًا فتكسر الحِلَق، ومنه قيل لصانع حلق الدروع: سراد وزراد، تبدل من السين الزاي، كما يقال: سراط وزراط »[1].

وقد اتفق جمهور المفسرين مع ابن قتيبة فيما قاله في معنى ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾، منهم: الطبري [2]، والنحاس [3]، والسمرقندي [4]، والواحدي [5]، والسمعاني [6]، والبغوي [7]،... وابن

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(303).

(٢) جامع البيان (67/22).

(٣) معاني القرآن (397/5).

(٤) بحر العلوم (77/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب الوجيز (879/2).

(٦) تفسير القرآن (319/4).

(٧) معالم التنزيل (550/3).

عطية [1]، والفخر الرازي [2]، والقرطبي [3]، والبيضاوي [4]، والنسفي [5]، . [5]، . وابن جزي [6]، وابن كثير [7]، والمحلي [8]، والثعالبي[9]، والسعدي[10].

قال الإمام الطبري: « وعنى بقوله ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ وقدّر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة »[11].

وقال الواحدي: « ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ لا تجعل مسمار الدرع دقيقًا فيفلق، ولا غليظًا فيغص الحلق، اجعله على قدر الحاجة، والسرد: نسج الدروع »[12].

---

(١) المحرر الوجيز (408/4).

(٢) التفسير الكبير (213/25).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (267/14).

(٤) أنوار التنـزيل (394/4).

(٥) مدارك التنـزيل (322/3).

(٦) التسهيل لعلوم التنـزل (147/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (528/3).

(٨) تفسير الجلالين ص(564).

(٩) الجواهر الحسان (240/3).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص(676).

(١١) جامع البيان (67/22).

(١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (879/2).

قال البغوي: « والسرد: نسج الدروع، يقال لصانعه: السرّاد والزراد. يقول قدّر المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاقًا فتفلت ولا غلاظًا فتكسر الحلق »[1].

قال ابن جزي: « معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها: أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف، ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها، وقيل لا يجعل المسمار دقيقًا ولا غليظًا »[2].

يظهر -والله أعلم- بما تمت الإشارة إليه من أقوال المفسرين؛ اتفاقهم في بيان معنى ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ على المعنى المذكور الذي « حُمل على ما هو معروف في لغة العرب »[3]، وقد نــزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

قال في مختار الصحاح: « درع مسرودة ومسرّدة بالتشديد فقيل سردها نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض، وقيل السرد: الثقب، والمسرودة المثقوبة، وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له »[4].

وفي القاموس المحيط: « السَّرد: الخرز في الأديم، كالسِّراد بالكسر، والثقب، ونسج الدرع، واسم جامع للدروع، وسائر الحَلَقِ، وجودة سياق الحديث »[5]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) معالم التنــزيل (550/3).

(٢) التسهيل لعلوم التنــزيل (147/3).

(٣) قاعدة: حمل كلام الله تعالى على المعروف في لغة العرب. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

(٤) مختار الصحاح للرازي ص(124). (س ر د).

(٥) القاموس المحيط للفيروز أبادي ص(366) باب الدال فصل السين.

معنى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾

65- قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة سبأ: 13].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ ثوابت في أماكنها، تترك -لعظمها- ولا تنقل، يقال: رسا الشيء إذا ثبت فهو يرسو، ومنه قيل للجبال: رواسي »[1].

وإلى نفس المعنى ذهب عدد غير قليل من المفسرين، منهم: السمرقندي[2]، والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي[7]، وأبوالسعود[8]، والسعدي[9].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(304).

(2) بحر العلوم (78/3).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (880/2).

(4) تفسير القرآن (322/4).

(5) الجامع لأحكام القرآن (276/14).

(6) أنوار التنزيل (394/4).

(7) مدارك التنزيل (322/3).

(8) إرشاد العقل السليم (126/7).

(9) تيسير الكريم الرحمن ص(677).

قال الواحدي: « ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثوابت لا تحركن عن مكانها لعظمها »[1].

وقال القرطبي: « ومعنى راسيات: ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها »[2].

»[2].

وقال أبوالسعود: « ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنـزل عنها لعظمتها[3].

وقال السعدي: « ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ لا تزول عن أماكنها من عظمها »[4].

و لم أقف على قول مخالف لما ذُكر، فتبين -والله أعلم- حمل معنى الآية على ما ذكروه إجماعًا منهم، والله أعلم.

فائدة:

ذكرها الفخر الرازي في تفسيره الكبير: « قدم المحاريب على التماثيل لأن النقوش تكون في الأبنية، وقدم الجفان في الذكر على القدور، مع أن القدور آلة الطبخ، والجفان آلة الأكل، والطبخ قبل الأكل؛ فنقول لما بيّن الأبنية الملكية أراد بيان عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور، وأشار إلى الجفان لأنها تكون فيه،

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (880/2).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (276/14).

(٣) إرشاد العقل السليم (126/7).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(677).

وأما القدور فلا تكون فيه ولا تحضر هناك، ولهذا قال: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ أي: غير منقولات، ثم لما بيّن حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس أن الطعام الذي يكون فيها في أي شيء يطبخ، فأشار إلى القدور المناسبة للجفان »[1]، والله أعلم بالصواب.

(1) التفسير الكبير (215/25).

معنى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾

66- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة سبأ: 18].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: جعلنا ما بين القرية والقرية مقدارًا واحدًا »[1].

في ضوء ما وقفت عليه من أقوال الأئمة المفسرين في بيان معنى الآية تبين أنه مع تنوع عباراتهم إلا أنها تشير كلها إلى معنى واحد، هو ذكر ما امتن الله تعالى به على أولئك القوم من النعمة في أنس الطريق وعدم وحشته، مع عدم الحاجة إلى حمل زاد يثقلهم في الطريق فلا يغدون ولا يروحون إلا في قرى متقاربة، مع الأمن والأمان من الأعداء وقطاع الطريق ونحوهم. كما أن أقوال المفسرين مكملة لبعضها في زيادة إيضاح المعنى، ولذا سأكتفي بذكر أقوال بعضهم وأشير إلى البقية اختصارًا.

قال الواحدي: « ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ جعلنا سيرهم بمقدار، إذا غدا أحدهم من قرية قال في أخرى وإذا راح من قرية أوى إلى أخرى »[2].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(306).

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (882/2).

وقال البغوي: « ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار »[1].

وقال الفخر الرازي « وقوله ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ الأماكن المعمورة تكون منازلها معلومة مقدرة لا تتجاوز، فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار، وكانوا يغدون إلى قرية ويرحون إلى أخرى ما أمكن في العرف تجاوزها فهو المراد بالتقدير، والمفاوز لا يتقدر السير فيها بل يسير السائر فيها بقدر الطاقة جادًا حتى يقطعها »[2].

وقال أبوالسعود: « ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل، قيل كان الغادي من قرية يقيل في أخرى، والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلاً لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيرًا لها في الحضر والسفر »[3].

---

(١) معالم التنزيل (555/3).

(٢) التفسير الكبير (218/25).

(٣) إرشاد العقل السليم (128/7).

وبنحو كلام من ذكرت جاءت عبارات كل من: النحاس[1]، والسمرقندي[2]، والسمعاني[3]، والزمخشري[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، وابن كثير[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9]، والسعدي[10].

وقد ظهر اتفاقهم جميعًا في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(١) معاني القرآن (410/5).

(٢) بحر العلوم (82/3).

(٣) تفسير القرآن (328/4).

(٤) الكشاف (587/3).

(٥) أنوار التنزيل (397/4).

(٦) مدارك التنزيل (325/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (534/3).

(٨) فتح القدير (321/4).

(٩) روح المعاني (130/22).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص(677).

معنى: ﴿يَبُورُ﴾

67- قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [سورة فاطر: 10].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿يَبُورُ﴾ أي: يبطل »[1].

وبنفس المعنى الذي قاله ابن قتيبة، قال السمعاني[2]، والبغوي[3]، والفخر والفخر الرازي[4]، والقرطبي[5]، وابن جزي[6]، والمحلي[7]، والشوكاني[8]، والشوكاني[8]، والألوسي[9]، والسعدي[10].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(309).
(2) تفسير القرآن (305/4).
(3) معالم التنزيل (567/3).
(4) التفسير الكبير (9/26).
(5) الجامع لأحكام القرآن (332/14).
(6) التسهيل لعلوم التنزيل (155/3).
(7) تفسير الجلالين ص(572).
(8) فتح القدير (341/4).
(9) روح المعاني (176/22).
(10) تيسير الكريم الرحمن ص(685).

ومن المفسرين من ذكر أن معنى ﴿يَبُورُ﴾ أي: يفسد، كالنحاس[1]، والزمخشري[2]، والبيضاوي[3].

ومنهم من قال: إن ﴿يَبُورُ﴾ معناها: يبطل ويفسد، كالواحدي[4]، وابن كثير[5].

وقد قال أهل اللغة: « بار عمله: بطل والبائر: الفاسد »[6].

وعليه يظهر -والله أعلم- صحة احتمال القولين معنى للآية، وقد اعتمد المفسرون قاعدة: إذا كانت الآية تحتمل معانٍ كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع[7]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) معاني القرآن (443/5).

(٢) الكشاف (612/3).

(٣) أنوار التنـزيل (413/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (890/2).

(٥) تفسير القرآن العظيم (550/3).

(٦) قاله ابن منظور في لسان العرب (86/4)، وانظر أيضًا: تهذيب اللغة للأزهري (191/15)، ومختار الصحاح للرازي ص(28/1)،.

(٧) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿جُدَدٌ﴾

68- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة فاطر: 27].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: «والجدد: الخطوط والطرائق تكون في الجبال، فبعضها بيض، وبعضها حمر، وبعضها غرابيب سود»[1].

كل ما وقفت عليه من أقوال المفسرين في بيان معنى الجدد متفقة مع ما ذكره ابن قتيبة، فقد قال الطبري: « ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق وهي الجدد وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود كالطرق، واحدها جدة »[2].

وقال السمرقندي: « ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ يعني: خلق من الجبال جددًا يعني جماعة الجدة، والجدة هي الطريق التي في الجبل، والجدد هي الطرائق فترى الطريق من البعد منها بيض وبعضها حمر »[3].

وقال القرطبي: « الجدد جمع جدة وهي الطرائق المختلفة الألوان وإن كان الجميع حجرًا أو ترابًا »[1].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(310).

(2) جامع البيان (131/22).

(3) بحر العلوم (99/3).

وقال ابن كثير: « وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ أي: وخلف الجبال مختلفة الألوان كما هو المشاهد من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الألوان »[2].

ونحو كلام من ذكرتهن جاءت عبارات كل من: النحاس[3]، والسمعاني[4]، والزمخشري[5]، والفخر الرازي[6]، والشوكاني[7]، والألوسي[8]، وابن عاشور[9].

ويظهر -والله أعلم- بما ذكرته اتفاقهم في بيان معنى ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾، وقد قال أهل اللغة أيضًا في بيان معناها: « أي: طرائق تخالف لون الجبل والجدة: الخطة السوداء في متن الحمار تخالف لونه »[10].

و « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »[11] قاعدة متبعة عند أهل العلم من المفسرين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (342/14).

(٢) تفسير القرآن العظيم (554/3).

(٣) معاني القرآن (453/5).

(٤) تفسير القرآن (356/4).

(٥) الكشاف (618/3).

(٦) التفسير الكبير (19/26).

(٧) فتح القدير (347/4).

(٨) روح المعاني (189/22).

(٩) التحرير والتنوير (302/22).

(١٠) انظر: لسان العرب لابن منظور (108/3)، ومختار الصحاح للرازي ص(40).

(١١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

وأختم بكلام الشيخ السعدي عند تفسيره للآية، وبيانه لفضل الله تعالى وعظمته وقدرته تعالى وحكمته في خلق خلقه أنواعًا متفاوتة؛ حيث يقول: « يذكر تعالى خلقه لأشياء والمتضادات التي أصلها واحد ومادهما واحدة وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته فمن ذلك أن الله تعالى أنـــزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات المختلفات والنباتات المتنوعات ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد والأرض واحدة، ومن ذلك الجبال التي جعلها الله أوتادًا للأرض تجدها جبالاً مشتبكة بل جبلاً واحدًا، وفيها ألوان متعددة فيها جدد بيض أي طرائق بيض، وفيها طرائق صفر وحمر، وفيها غرابيب سود أي شديدة السواد جدًا، ومن ذلك الناس والدواب والأنعام فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات ما هو مرئي بالأبصار مشهود للنظار والكل من أصل واحد ومادة واحدة، فتفاوهما دليل عقلي على مشيئة الله تعالى التي خصصت ما خصصت منها بلونه ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته حيث كان ذلك الاختلاف وذلك التفاوت فيه من المصالح والمنافع ومعرفة الطرق ومعرفة الناس بعضهم بعضًا ما هو معلوم، وذلك أيضًا دليل على سعة علم الله تعالى وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة »[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(688).

معنى: ﴿وَغَرَابِيبُ﴾

69- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة فاطر: 27].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « وغرابيب جمع غربيب، وهو: الشديد السواد، يقال: أسود غربيب »[1].

ونفس هذا المعنى الذي ذكره في بيان معنى الغرابيب « قال به المفسرون »[2]، منهم: النحاس[3]، والسمرقندي[4]، والسمعاني[5]، والزمخشري[6]، والفخر

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(310).

(2) انظر: فتح القدير (347/4).

(3) معاني القرآن (453/5).

(4) بحر العلوم (99/3).

(5) تفسير القرآن (356/4).

(6) الكشاف (618/3).

الرازي[1]، والقرطبي[2]، وابن كثير[3]، ....

والشوكاني[4]، والألوسي[5]، والسعدي[6]، وابن عاشور[7].

قال السمرقندي: « غرابيب سود: وهو جمع غربيب وهو الشديد السواد ويقال أسود غربيب »[8].

وقال السمعاني: « غرابيب سود: أي سود غرابيب على التقديم والتأخير، يقال: أسود غربيب أي شديد السواد »[9].

وقال الفخر الرازي: « قيل بأن الغربيب مؤكد للأسود، يقول: أسود غربيب والمؤكد لا يجيئ إلا متأخرًا؛ فكيف جاء غرابيب سود؟ نقول: قال الزمخشري [10]: غرابيب مؤكد لذي لون مقدر في الكلام كأنه تعالى قال سود غرابيب، ثم أعاد السود مرة أخرى وفيه فائدة وهي زيادة التأكيد لأنه تعالى ذكره مضمرًا ومظهرًا، ومنهم من قال هو على التقديم والتأخير »[11].

---

(1) التفسير الكبير (19/26).

(2) الجامع لأحكام القرآن (342/14).

(3) تفسير القرآن العظيم (554/3).

(4) فتح القدير (347/4).

(5) روح المعاني (189/22).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(688).

(7) التحرير والتنوير (302/22).

(8) بحر العلوم (99/3).

(9) تفسير القرآن (356/4).

(10) انظر: الكشاف للزمخشري (918/3).

(11) التفسير الكبير (19/26).

وقال ابن كثير: « والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد؛ قالوا: أسود غربيب »[1].

ولهذا قال في لسان العرب: « وغربيب شديد السواد، وإذا قلت: غرابيب سود، تجعل السود بدلاً من غرابيب »[2]، ونفس القول قاله صاحب مختار الصحاح[3].

فتبين بما ذكرت -والله أعلم- اتفاق المفسرين في بيان معنى غرابيب المستند إلى « ما هو معروف من كلام العرب »[4]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (554/3).

(٢) لسان العرب لابن منظور (646/1).

(٣) مختار الصحاح للرازي ص(197).

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾

70- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [سورة يس: 9].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ أي: أغشينا عيونهم، وأعميناهم عن الهدى »[1].

ولقد وافق ابن قتيبة فيما ذهب إليه كثير من المفسرين، منهم: الطبري[2]، وابن عطية[3]، والفخر الرازي[4]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، وابن جزي[7]، وابن كثير[8]، والمحلي[9]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(312).
(2) جامع البيان (152/22).
(3) المحرر الوجيز (446/4).
(4) التفسير الكبير (40/26).
(5) الجامع لأحكام القرآن (10/15).
(6) أنوار التنزيل (426/4).
(7) التسهيل لعلوم التنزيل (161/3).
(8) تفسير القرآن العظيم (565/3).
(9) تفسير الجلالين ص(579).

.... وأبوالسعود[1]، والشوكاني[2]، والسعدي[3]، والشنقيطي[4].

قال الطبري: أي جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به »[5].

وقال ابن عطية: « الآية مستعارة المعاني من منع الله تعالى آباءهم من الإيمان وحَوْلِه بينهم وبينه »[6].

قال ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: أغشينا أبصارهم عن الحق ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه »[7].

قال أبوالسعود: « ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إما تتمة للتمثيل وتكميل له؛ أي وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سدًا عظيمًا ومن ورائهم سدًا كذلك فغطينا بها أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على إبصار شيء ما أصلا، وإما تمثيل مستقل؛ فإن ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم

---

(١) إرشاد العقل السليم (160/7).
(٢) فتح القدير (361/4).
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(693).
(٤) أضواء البيان (288/6).
(٥) جامع البيان (152/22).
(٦) المحرر الوجيز (446/4).
(٧) تفسير القرآن العظيم (565/3).

بحيث لا يبصرون شيئًا قطعًا؛ كافٍ في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الأدلة والآيات »[1].

قال السعدي: « ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم فلم تفد فيهم النذارة »[2].

قال الشنقيطي: « وقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: جعلنا على أبصارهم الغشاوة، وهي الغطاء الذي يكون على العين يمنعها من الإبصار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [سورة البقرة: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [سورة الجاثية: 23]، والمراد بالآية الكريمة: أن هؤلاء الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علم الله المذكورين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ [سورة يس: 7]، صرفهم الله عن الإيمان صرفًا عظيمًا مانعًا من وصوله إليهم؛ لأن من جعل في عنقه غلّ، وصار الغلّ إلى ذقنه، حتى صار رأسه مرفوعًا لا يقدر أن يطأطئه، وجعل أمامه سدًا، وخلفه سدًا، وجعل على بصره الغشاوة ولا حيلة له في التصرّف، ولا في جلب نفع لنفسه، ولا في دفع ضرّ عنها، فالذين أشقاهم الله بهذه المثابة لا يصل إليهم خير.

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة من كونه جلّ وعلا يصرف الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علمه عن الحق ويحول بينهم وبينه، جاء

---

(1) إرشاد العقل السليم (160/7).

(2) تيسير الكريم الرحمن ص(693).

موضحًا في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سورة الكهف: 57]، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [سورة البقرة: 7]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [سورة الجاثية: 23]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام: 125]، وقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [سورة الأعراف: 186]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: 41]، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة النحل: 108]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة هود: 20]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [سورة الكهف: 101]، والآيات بمثل ذلك كثيرة »[1].

---

(1) أضواء البيان (288/6).

وبما ذُكر يتبين أن ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه معنًى للآية هو «الأرجح»[1]، وهو المبني على دلالة آيات أخرى من القرآن الكريم عليه، وقد مرّ ذكر عدد من الآيات عند ذكر كلام الشيخ الشنقيطي، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (446/4).

معنى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾

71- قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة يس: 14].

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله: «: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا وشددنا، يقال: عَزِّز منه؛ أي قوِّ من قلبه، وتعزز لحم الناقة إذا صلب»[1].

وجمهور المفسرين ذكروا: نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة، وأن عززنا معناها: قوينا وشددنا، منهم: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، والفخر الرازي[9]، الرازي[9]، والقرطبي[1]، والبيضاوي[2]، والنسفي[3]، وابن جزي[4]، وابن

(1) تفسير غريب القرآن ص(313).

(2) جامع البيان (156/22).

(3) بحر العلوم (112/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (898/2).

(5) تفسير القرآن (371/4).

(6) معالم التنزيل (9/4).

(7) الكشاف (11/4).

(8) المحرر الوجيز (449/4).

(9) التفسير الكبير (46/26).

وابن كثير[5]، والمحلي[6]، والثعالبي[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10]، والسعدي[11].

قال الطبري: « وقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ يقول تعالى ذكره: حين أرسلنا إليهم اثنين يدعواهم إلى الله تعالى فكذبوهما فشددناهما بثالث وقويناهما به »[12].

قال القرطبي: « ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: فقوينا وشددنا الرسالة بثالث »[13].

وقال ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي: بادروهما بالتكذيب ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث »[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (14/15).
(٢) أنوار التنزيل (428/4).
(٣) مدارك التنزيل (5/4).
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (161/3).
(٥) تفسير القرآن العظيم (568/3).
(٦) تفسير الجلالين ص(580).
(٧) الجواهر الحسان (5/4).
(٨) إرشاد العقل السليم (161/7).
(٩) فتح القدير (364/4).
(١٠) روح المعاني (221/22).
(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(694).
(١٢) جامع البيان (156/22).
(١٣) الجامع لأحكام القرآن (14/15).

قال السعدي: « ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ أي: فقويناهما بثالث فصاروا ثلاثة رسل اعتناء من الله تعالى بهم وإقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم »[2].

وبما ذكرته تبين اتفاق المفسرين في بيان معنى ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾، وقد أكّد المعنى المذكور أهلُ اللغة فقالوا: « والعزة: الشدة والقوة، يقال: عَزَّ يَعز بالفتح، إذا اشتد وعَزَزت القوم وأعزَزْهم وعَزَّزْهم: قويتهم وشددهم »[3]، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (568/3).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(694).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (376/5)، وتاج العروس للزبيدي (219/15).

معنى: ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾

72- قال تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة يس: 39].

قال ابن الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ﴾ : عود الكِباسة، وهو الإهان أيضًا، و ﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ الذي قد أتى عليه حول فاستقوس ودق، وشُبِّه القمرُ - آخر ليلة يطلع- به »[1].

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى العرجون القديم هو الذي عليه « الأكثرون »[2] من المفسرين، وهو الذي« حكاه أهل اللغة »[3]، وسأجمل في عرض أسلم المفسرين القائلين به، وأكتفي بنقل أقوال بعضهم، وأختم بذكر ما قاله أهل اللغة.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(313).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (378/4).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (495/5).

فمن المفسرين القائلين به: النحاس[1]، والسمرقندي[2]، والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، والفخر الرازي[7]، والقرطبي[8]، والقرطبي[8]، والبيضاوي[9]، والنسفي[10]، وابن جزي[11]، وابن كثير[12]، والمحلي[13]، وأبوالسعود[14]، والشوكاني[15]، والألوسي[16]، والسعدي[17].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) بحر العلوم (117/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (900/2).

(٤) تفسير القرآن (378/4).

(٥) معالم التنـزيل (13/4).

(٦) الكشاف (19/4).

(٧) التفسير الكبير (64/26).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (30/15).

(٩) أنوار التنـزيل (434/4).

(١٠) مدارك التنـزيل (9/4).

(١١) التسهيل لعلوم التنـزيل (163/3).

(١٢) تفسير القرآن العظيم (573/3).

(١٣) تفسير الجلالين ص(582).

(١٤) إرشاد العقل السليم (168/7).

(١٥) فتح القدير (369/4).

(١٦) روح المعاني (20/23).

(١٧) تيسير الكريم الرحمن ص(696).

قال السمرقندي: « ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ يعني: صار كالعذق اليابس المتقوس الذي حال عليه الحول »[1].

قال البغوي: « والعرجون عود العذق الذي عليه الشماريخ، فإذا قدم عتق يبس وتقوس واصفر، فشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به »[2].

قال القرطبي: « العرجون أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسًا فالعرجون إذا عتق ويبس وتقوس شبه القمر في دقته وصفرته به »[3].

قال السعدي: « ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ ينـزلها كل ليلة ينـزل منها واحدة ﴿حَتَّىٰ﴾ صغر جدًا و ﴿عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ أي: عرجون النخلة الذي من قدمه نش وصغر حجمه وانحنى »[4].

وأما أهل اللغة فقالوا: « العرجون أصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسًا »[5].

---

(١) بحر العلوم (117/3).
(٢) معالم التنـزيل (13/4).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (30/15) بتصرف يسير.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(696).
(٥) مختار الصحاح للرازي ص(178).

وقالوا: « الكباسة بالكسر العذق التام بشماريخه وبسره، وهو من التمر بمنـــزلة العنقود من العنب »[1].

وقالوا: الإهان ككتاب العرجون هو ما فوق الشماريخ »[2].

فتبين اتفاق المفسرين في بيان معنى العرجون المبني « على ما صح من لغة العرب »[3]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) لسان العرب لابن منظور (191/6)، ومختار الصحاح للرازي ص(234).

(2) تاج العروس للزبيدي (220/24).

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾

73- قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة يس: 57].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي: ما يتمنون، ومنه يقول الناس: هو في خير ما ادّعى، أي ما تمنّى، والعرب تقول: ادّع عليّ ما شئت؛ أي تمنّ عليّ ما شئت »[1].

وافق الإمام ابن قتيبة في أن معنى ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي: ما يتمنون: الإمام النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، وابن عطية[7]، وابن كثير[8]، والمحلي[9]،.................................

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(315).

(٢) معاني القرآن (509/5).

(٣) بحر العلوم (121/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (902/2).

(٥) تفسير القرآن (383/4).

(٦) معالم التنزيل (16/4).

(٧) المحرر الوجيز (459/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (576/3).

(٩) تفسير الجلالين ص(584).

.... والثعالبي(1)، والألوسي(2)، والسعدي(3).

وقال الزمخشري: « ﴿يَدَّعُونَ﴾ يفتعلون من الدعاء، أي: يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجَمُل لنفسه، قال لبيد: فاشتوى ليلة ريح واجتمل(4)، ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه؛ كقولك: ارتموه وتراموه، وقيل: يتمنون من قولهم: ادع عليّ ما شئت بمعنى تمنّه عليّ، وفلان في خير ما ادّعى؛ أي: في خير ما تمنى »(5). وتبعه فيما قاله: البيضاوي(6)، والنسفي(7)، وأبوالسعود(8).

---

(1) الجواهر الحسان (10/4).

(2) روح المعاني (37/23).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(698).

(4) البيت: أو نَهتْه فأتاه رزقه   فاشتوى ليلة ريح واجتمل

في ديوان لبيد بن ربيعة ص(80)، ولبيد: هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك العامري، أبوعقيل الشاعر المشهور، كان فارسًا شجاعًا شاعرًا سخيًا، قال الشعر في الجاهلية دهراً ثم أسلم. الإصابة في تمييز الصحابة (326/3)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (324/3). والمقصود: اشتوى إذا شوى لنفسه، واجتمل إذا جمل لنفسه، أي جمع الجميل وهو الشحم المذاب وهو الإهالة. انظر: التحرير والتنوير (131/12).

(5) الكشاف (25/4).

(6) أنوار التنزيل (438/4).

(7) مدارك التنزيل (165/3).

(8) إرشاد العقل السليم (174/7).

وقال الفخر الرازي: « وقوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ فيه وجوه: أحدها لهم فيها ما يدعون لأنفسهم أي دعاؤهم مستجاب، وحينئذ يكون هذا افتعالاً بمعنى الفعل، كالاحتمال بمعنى الحمل، والارتحال بمعنى الرحيل، وعلى هذا فليس معناه أنهم يدعون لأنفسهم دعاء فيستجاب دعاؤهم بعد الطلب، بل معناه: ولهم ما يدعون لأنفسهم، أي: ذلك لهم في حاجة لهم إلى الدعاء والطلب، كما أن الملك إذا طلب منه مملوكه شيئًا يقول: لك ذلك، فيفهم منه تارة أن طلبك مجاب وأن هذا أمر هين بأن تعطى ما طلبت، ويفهم تارة منه الرد وبيان أن ذلك لك حاصل فلم تطلبه فقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ ويطلبون فلا طلب لهم وتقريره هو أن يكون ما يدعون بمعنى ما يصح أن يطلب، ودعا يعني كل ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب، أو نقول المراد الطلب والإجابة وذلك لأن الطلب من الله أيضًا فيه لذة فلو قطع الله الأسباب بينهم وبينه لما كان يطيب لهم فأبقى أشياء يعطيهم إياها عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة وعند العطاء، فإن كون المملوك بحيث يتمكن من أن يخاطب الملك في حوائجه منصب عظيم، والملك الجبار قد يدفع حوائج المماليك بأسرها قصدًا منه لئلا يخاطب. الثاني: ما يدعون ما يتداعون وحينئذ يكون افتعالاً بمعنى التفاعل كالاقتتال بمعنى التقاتل، ومعناه ما ذكرناه أن كل ما يصح أن يدعو أحد صاحبه إليه أو يطلبه أحد من صاحبه فهو حاصل لهم. الثالث: ما يتمنونه. الرابع: بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ أنهم كانوا يدعون في الدنيا أن لهم الله تعالى وهو مولاهم وأن الكافرين لا مولى لهم، فقال لهم في الجنة ما يدعون في

الدنيا، فتكون الحكاية محكية في الدنيا، كأنه يقول في يومنا هذا: لكم أيها المؤمنون غدًا ما يدعون اليوم »[1].

وقال القرطبي: « ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ الدال الثانية مبدلة من تاء لأنهم يفتعلون من دعا أي: من دعا بشيء أعطيه، فمعنى يدّعون يتمنون من الدعاء، وقيل: المعنى أن من ادعى منهم شيئًا فهو له لأن الله تعالى قد طبعهم على ألاّ يدّعي منهم أحد إلا ما يجمل ويحسن أن يدعيه »[2].

وقال الشوكاني: « ﴿يَدَّعُونَ﴾ يتمنون، والعرب تقول ادع عليّ ما شئت أي تمنّ، وفلان في خير ما يدّعي أي ما يتمنى، وقيل: هو من الدعاء؛ أي ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل، وقيل: افتعل بمعنى تفاعل أي: ما يتداعونه؛ كقولهم ارتموا وترامو، وقيل: المعنى إن من ادعى منهم شيئًا فهو له؛ لأن الله تعالى قد طبعهم على أن لا يدعي أحد منهم شيئًا إلا وهو يحسن ويجمل به أن يدعيه »[3].

»[3].

والذي يظهر -والله أعلم- أن لا تنافر بين ما ذكره المفسرون في بيان معنى الآية، وإن كان الأوضح هو ما ذكره ابن قتيبة ومن وافقه، فإن القرطبي -بعد أن ذكر ما ذكره من معان- قال: « والمعنى متقارب »[4]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) التفسير الكبير (82/26).

(2) الجامع لأحكام القرآن (45/15).

(3) فتح القدير (376/4) بتصرف يسير.

(4) الجامع لأحكام القرآن (45/15).

معنى: ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ﴾

74- قال تعالى: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾ [سورة يس: 59].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾ أي: انقطعوا عن المؤمنين وتميزوا منهم، يقال: مزت الشيء من الشيء إذا عزلته عنه فانماز وامتاز، وميزته فتميز »[1].

ونحو ذلك جاءت عبارات عدد غير قليل من المفسرين، منهم: النحاس: « ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾ أي: انفرزوا عن المؤمنين، يقال: مزته فانماز وامتاز، وميزته فتميز »[2].

الواحـــدي: « ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾ أي: انفـردوا عن المؤمنين »[3].

ابن كثير: « يقول تعالى مخبرًا عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم بأن يمتازوا بمعنى يتميزون عن المؤمنين في موقفهم، كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡ﴾ [سورة يونس: 28]، وقال -عَزَّوَجَلَّ-

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(315).

(2) معاني القرآن (511/5).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (902/2).

: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ ﴾ [سورة الروم: 14]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يصيرون صدعين فرقتين »[1].

الشوكاني: « أي: ويقال للمجرمين امتازوا أي: انعزلوا، من مازه غيره يقال: مزت الشيء من الشيء إذا عزلته عنه ونحيته »[2].

السعدي: « ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: تميزوا عن المؤمنين وكونوا على حدة ليوبخهم ويقرعهم على رؤوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار »[3].

ونحو عبارات من ذكرتهم جاءفتير: السمرقندي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]، والبيضاوي[11]، والنسفي[1]، وابن جزي[2]، والمحلي[3]، والثعالبي[4]، والألوسي[5].

---

(1) تفسير القرآن العظيم (577/3).

(2) فتح القدير (377/4).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(698).

(4) بحر العلوم (122/3).

(5) تفسير القرآن (384/4).

(6) معالم التنزيل (16/4).

(7) الكشاف (25/4).

(8) المحرر الوجيز (459/4).

(9) التفسير الكبير (84/26).

(10) الجامع لأحكام القرآن 46/015).

(11) أنوار التنزيل (438/4).

وبما ذُكر يتبين أن المعنى الذي ذكره ابن قتيبة ومعه جمهور المفسرين هو من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو « أحسن طرق التفسير »[6]، وقد أجمعوا عليه، وإجماعهم دلالة على المعنى وترجيح له، والله أعلم بالصواب.

---

(١) مدارك التنــزيل (11/4).

(٢) التسهيل لعلوم التنــزيل (165/3).

(٣) تفسير الجلالين ص(584).

(٤) الجواهر الحسان (11/4).

(٥) روح المعاني (39/23).

(٦) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾

75- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة يس: 80].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ أراد الزنود التي توري بها الأعراب من شجر المرخ والعفار »[1].

وما ذكره ابن قتيبة في بيان معنى الآية هو نفسه الذي ذهب إليه الغالبية العظمى من المفسرين، منهم: النحاس[2]، والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، وابن عطية[7]، والقرطبي[8]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(316).

(٢) معاني القرآن (520/5).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (905/2).

(٤) تفسير القرآن (390/4).

(٥) معالم التنزيل (21/4).

(٦) الكشاف (33/4).

(٧) المحرر الوجيز (464/4).

(٨) الجامع لأحكام القرآن 59/015).

.... والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، وابن جزي[3]، والمحلي[4]، وأبوالسعود[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7].

قال النحاس: « ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هو المرخ والعفار تستعمل الأعراب منه الزنود »[8].

وقال الزمخشري: « ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي ترى بها الأعراض وأكثرها من المرخ والعفار، وفي أمثالهم: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، يقطع الرجل منها غصنين مثل السواكين وهما خضروان يقطر منهما الماء؛ فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله تعالى »[9].

وقال البيضاوي: « ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ كالمرخ والعفار ﴿نَارًا﴾ بأن يسحق المرخ على العقار وهما خضروان يقطر منهما الماء فتنقدح النار ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ

---

(١) أنوار التنـزيل (443/4).

(٢) مدارك التنـزيل (15/4).

(٣) التسهيل لعلوم التنـزيل (167/3).

(٤) تفسير الجلالين ص(586).

(٥) إرشاد العقل السليم (182/7).

(٦) فتح القدير (383/4).

(٧) روح المعاني (55/23).

(٨) معاني القرآن (520/5).

(٩) الكشاف (33/4).

تُوقِدُونَ﴾ لا تشكّون فإنها نار تخرج منه، ومن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان أقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضاً فييبس وبلي »[1].

وقال الشوكاني: « ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا رجوع منه سبحانه إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم فنبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على إحياءِ الموات بما يشاهدونه من إخراج النار المحرقة من العود الندي الرطب وذلك أن الشجر المعروف بالمرخ والشجر المعروف بالعفار إذا قطع منهما عودان وضرب أحدهما على الآخر انقدحت النار وهما أخضران، قيل: المرخ هو الذكر والعفار هو الأنثى ويسمى الأول الزند والثاني الزندة »[2].

هذا ما ذكره الموافقون لما قال به ابن قتيبة في بيان معنى الآية، ولكن ابن كثير ذكر معنى آخر، حيث قال: « ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا نضرًا ذا ثمر وينع، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء »[3].

---

(1) أنوار التنزيل (443/4).

(2) فتح القدير (383/4).

(3) تفسير القرآن العظيم (583/3).

ومع كون ما ذكره ابن قتيبة وموافقوه هو « المشهور »[1] وقول « أكثر أهل التفسير »[2]، إلا أنه لا يمنع من حمل الآية على ما ذكره ابن كثير فإنه «إذا كان للآية معان كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعًا»[3]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: روح المعاني للألوسي (55/23).

(2) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (390/4).

(3) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿ دُحُورًا ﴾

76- قال تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ [سورة الصافات: 8-9].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿دُحُورًا﴾ يعني: طردًا، يقال: دحرته دحرًا ودحورًا؛ أي دفعته »[1].

ونفس هذا المعنى ذكره جمهور المفسرين، منهم: الطبري[2]، والنحاس[3]، والسمرقندي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، والفخر والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]،.. .... والبيضاوي[11]، والنسفي[12]،

(1) تفسير غريب القرآن ص(317).

(2) جامع البيان (39/23).

(3) معاني القرآن (11/6).

(4) بحر العلوم (129/3).

(5) تفسير القرآن (393/4).

(6) معالم التنزيل (39/4).

(7) الكشاف (39/4).

(8) المحرر الوجيز (466/4).

(9) التفسير الكبير (108/26).

(10) الجامع لأحكام القرآن (65/15).

(11) أنوار التنزيل (6/5).

(12) مدارك التنزيل (17/4).

وابن جزي[1]، وابن كثير[2]، والمحلي[3]، وأبوالسعود[4]، والشوكاني[5]، والألوسي[6]، والسعدي[7].

قال الطبري: « ﴿دُحُورًا﴾ والدحور مصدر، من قولك: دحرته أدحره دحرًا ودحورًا، والدحر: الدفع والإبعاد، يقال منه ادحر عنك الشيطان أي ادفعه عنك وأبعده »[8].

وقال الزمخشري: « ﴿دُحُورًا﴾ مفعول له، أي: ويقذفون للدحور، وهو الطرد أو مدحورين على الحال، أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى »[9].

وقال ابن عطية: « ويقذفون معناه ويرجمون، والدحور الإصغار والإهانة لأن الدحر الدفع بعنف »[10].

وقال ابن جزي: « دحورًا أي طردًا وإبعادًا وإهانة، لأن الدحر الدفع بعنف »[1].

---

(1) التسهيل لعلوم التنـزيل (168/3).

(2) تفسير القرآن العظيم (4/4).

(3) تفسير الجلالين ص(587).

(4) إرشاد العقل السليم (185/7).

(5) فتح القدير (387/4).

(6) روح المعاني (70/23).

(7) تيسير الكريم الرحمن ص(700).

(8) جامع البيان (39/23).

(9) الكشاف (39/4).

(10) المحرر الوجيز (466/4).

وبما ذكرته من أقوال المفسرين يتبين اتفاقهم في بيان معنى الآية، ونفس المعنى ذكره أهل اللغة أيضًا، فقالوا: « دحره يدحره ودحورًا: دفعه وأبعده، والدحر: تبعيدك الشيء عن الشيء، والدحر: الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال، والدحور: الطرد والإبعاد »[2].

والوجه المؤيد بما صح في اللغة العربية متبع عند أئمة التفسير[3]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (168/3).

(2) لسان العرب لابن منظور (278/4).

(3) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

77- قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [سورة الصافات: 10].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: «﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ كوكب مضيء بيّن، يقال: أثقب نارك، أي أضئها، والثقوب: ما تذكى به النار »[1].

وقال مثله في تفسير الشهاب الثاقب بنفس المعنى الذي ذكره عدد من المفسرين، منهم: النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، والبغوي[5]، والفخر الرازي[6]، والقرطبي[7]، وابن كثير[8]، والشوكاني[9].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(318).
(2) معاني القرآن (13/6).
(3) بحر العلوم (130/3).
(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (907/2).
(5) معالم التنزيل (23/4).
(6) التفسير الكبير (108/26).
(7) الجامع لأحكام القرآن (66/15).
(8) تفسير القرآن العظيم (4/4).
(9) فتح القدير (387/4).

قال البغوي: «﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ كوكب مضيء قوي لا يخطئه؛ يقتله أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعًا في السلامة ونيل المراد »[1].

وقال الشوكاني: « ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي: لحقه وتبعه شهاب ثاقب نجم مضيء فيحرقه وأصل الثقوب: الإضاءة »[2].

وكلام أهل اللغة يدور في فلك ما قاله أهل التفسير في شرح معنى الشهاب الثاقب؛ يقول ابن منظور: « الشهاب أصل خشبة أو عود فيها نار ساطعة، ويقال للكوكب الذي ينقض على أثر الشيطان بالليل: شهاب »[3]، « والكوكب الثاقب: المضيء، وتثقيب النار: تزكيتها، وثقبت النار تثقب ثقوبًا وثقابة: اتقدت، وثقبها هو وأثقبها وتثقبها، والثقاب والثقوب: ما أثقبها به وأشعلها به من دقاق العيدان، ويقال: هب لي ثقوبًا: أي حراقًا، وهو ما أثقبت به النار أي أوقدها به، ويقال: ثقب الزند يثقب ثقوبًا إذا سقطت الشرارة، وأثقبتها أنا إثقابًا، وزند ثاقب: وهو الذي إذا قدح ظهرت ناره، وشهاب ثاقب: أي مضيء، وثقب الكوكب ثقوبًا: أضاء، والعرب تقول: أثقب نارك أي: أضئها للموقد »[4].

---

(١) معالم التنزيل (23/4).

(٢) فتح القدير (387/4).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (509/1).

(٤) المرجع السابق (240/1)، ومختار الصحاح للرازي ص(36).

فيتوصل مما سبق بيانه إلى اتفاق أهل التفسير وأهل اللغة في بيان معنى الشهاب الثاقب، وأنه الكوكب المضيء، ومما تُرمى به الشياطين عند محاولتهم استراق السمع من السماء، وهو الذي يشاهد ليلاً -فيما يُرى لنا نحن سكان الأرض- كأنه نجم أو كوكب يزين السماء، وفجأة ينقضّ متحركًا من مكانه، فانقضاضه ذلك رَمْي للشياطين مسترقي السمع.

وباتفاق أهل اللغة مع أهل التفسير على المعنى والذي عبّر عنه النحاس أنه « مشهور في اللغة »[1]، صح حمل الآية عليه، والله أعلم بالصواب.

---

(1) معاني القرآن (13/6).

معنى: ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾

78- قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الصافات: 12-14].

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله-: « ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ أي: يسخرون، يقال: سخر واستسخر، كما يقال: قر واستقر، ومثله: عجب واستعجب ويجوز أن يكون: يسألون غيرهم -من المشركين- أن يسخروا من النبيﷺ ، كما تقول: استعتبته: سألته العتبى، واستوهبته: سألته الهبة، واستعفيته: سألته العفو»[1].

فيلاحظ إذاً أن ابن قتيبة جعل المعنيين معًا محتملان في الآية، فمن ذكرهما معًا من المفسرين معنىً للآية، فهو موافق لما قاله ابن قتيبة، فمنهم: النحاس[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، .... والقرطبي[7]، والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، وأبوالسعود[3]، والألوسي[4].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(318).

(2) معاني القرآن (17/6).

(3) تفسير القرآن (395/4).

(4) معالم التنزيل (24/4).

(5) الكشاف (41/4).

(6) المحرر الوجيز (468/4).

(7) الجامع لأحكام القرآن (71/15).

ومن المفسرين من ذكر أن معنى: ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ أي: يستهزءون، فقد قال الطبري: « وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يقول وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد ﷺ يستسخرون يقول: يسخرون ويستهزءون »[5]، ونحو ذلك قال أيضًا: السمرقندي[6]، والفخر الرازي[7]، وابن كثير[8]، والمحلي[9]، والثعالبي[10].

وأما الشوكاني؛ فمع كونه ذكر أن سخر واستسخر بمعنى واحد، إلا أنه رجّح أن يكون المعنى: « يبالغون في السخرية » وقال: « لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى »[11].

والذي يظهر -والله أعلم- إعمال قاعدة: « الآية إن كانت تحتمل معانٍ كلها صحيحة تعين حملها على الجميع »[12]، فإذا كان أهل اللغة قالوا: إن «

---

(١) أنوار التنـزيل (8/5).

(٢) مدارك التنـزيل (18/4).

(٣) إرشاد العقل السليم (186/7).

(٤) روح المعاني (77/23).

(٥) جامع البيان (44/23).

(٦) بحر العلوم (131/3).

(٧) التفسير الكبير (112/26).

(٨) تفسير القرآن العظيم (5/4).

(٩) تفسير الجلالين ص(588).

(١٠) الجواهر الحسان (14/4).

(١١) فتح القدير (389/4).

(١٢) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

سخر واستسخر بمعنى واحد »[1]، فإن من المعروف أيضًا في اللغة العربية أن من معاني الألف والسين والتاء أنها للطلب[2]، فصح ما قاله المفسرون جميعًا في معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (131/3)، ولسان العرب لابن منظور (353/4).

(2) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (264/4).

معنى: ﴿نُزُلًا﴾

79- قال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢﴾ [سورة الصافات: 62].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿نُزُلًا﴾ أي: رزقًا، ومنه: إقامة الأنـــزال، وأنـــزال الجنود: أرزاقها » [1].

ولتداخل أقوال الأئمة المفسرين في بيان المراد بالآية، سأستعرض أقوالهم أولاً، وأثني بالتعقيب:

قال النحاس: « قوله جل وعز ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا﴾ ونـــزلا أي رزقًا، والنـــزل أيضًا الربع والفضل » [2].

وقال السمرقندي: « ثم قال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا﴾ يعني الذي وصفت في الجنة خير ثوابًا، ويقال رزقًا، ويقال منـــزلاً » [3].

وقال السمعاني: « النـــزل هو العطاء الدارّ، ويقال: النـــزل هو إصلاح ما ينـــزل عليهم » [4].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(319).

(2) معاني القرآن (32/6).

(3) بحر العلوم (135/3).

(4) تفسير القرآن (401/4).

ابن كثير: « أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ أي: التي في جهنم »[1].

أبو السعود: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ أصل النـزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء ويقال النـزل لما يقال ويُهيأ من الطعام الحاضر للنازل والمعنى أن الرزق المعلوم نـزل أهل الجنة »[2].

الشوكاني: « والنـزل في اللغة الرزق الذي يصلح أن ينـزلوا معه ويقيموا فيه »[3].

الألوسي: « وأصل النـزل الفضل والريع في الطعام ويستعمل في الحاصل من الشيء »[4].

السعدي: « ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ أي ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة خير أم العذاب الذي يكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب فأي الطعامين أولى الطعـام الذي وصـف في الجنة ﴿أَمْ﴾ طعـام أهل النـار وهو ﴿شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ »[5].

---

(1) تفسير القرآن العظيم (11/4).

(2) إرشاد العقل السليم (193/7).

(3) فتح القدير (397/4).

(4) روح المعاني (94/23).

(5) تيسير الكريم الرحمن ص(704).

ولا شك -والله أعلم- أن كل ما ذكروه مجتمعًا هو شرح وبيان لمعنى الآية، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ﴾

80- قال تعالى: ﴿أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣﴾ [سورة الصافات: 62-63].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ﴾ أي: عذابًا »(1).

ولم يوافق ابن قتيبة من المفسرين إلا السعدي، حيث قال: « ﴿جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ﴾ أي: عذابًا ونكالاً ﴿لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي »(2).

أما غالبية المفسرين فقد بينوا المراد بالفتنة هنا بالمعنى المتبادر إلى الذهن في ضوء سياق الآية، وأن الكفار قد افتتنوا بما سمعوه من وصف للشجرة الملعونة، فمثلاً: قال الطبري: « وقوله ﴿أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار والنار تحرق الشجر، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا »(3).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(319).

(2) تيسير الكريم الرحمن ص(704).

(3) جامع البيان (63/23).

ونحو عبارة الطبري قال النحاس[1]، والسمرقندي[2]، والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، وابن عطية[6]، وابن كثير[7]، والثعالبي[8]، والشنقيطي[9].

وفريق من المفسرين جمعوا المعنيين معًا؛ واعتبروها تفسيرًا للآية، منهم: الزمخشري[10]، والفخر الرازي[11]، والقرطبي[12]، والبيضاوي[13]، والنسفي[14]، وابن جزي[15]، وأبوالسعود[16]، والشوكاني[1]، والألوسي[2].

والألوسي[2].

---

(١) معاني القرآن (32/6).

(٢) بحر العلوم (135/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (910/2).

(٤) تفسير القرآن (401/4).

(٥) معالم التنزيل (29/4).

(٦) المحرر الوجيز (475/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (11/4).

(٨) الجواهر الحسان (19/4).

(٩) أضواء البيان (315/6) + (165/3).

(١٠) الكشاف (48/4).

(١١) التفسير الكبير (123/26).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (86/15).

(١٣) أنوار التنزيل (14/5).

(١٤) مدارك التنزيل (21/4).

(١٥) التسهيل لعلوم التنزيل (171/3).

(١٦) إرشاد العقل السليم (194/7).

قال ابن جزي: « ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ قيل: سببها أن أبا جهل وغيره لم سمعوا ذكر شجرة الزقوم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؛ فالفتنة على هذا الابتلاء في الدنيا، وقيل معناه عذاب الظالمين في الآخرة والمراد بالظالمين هنا الكفار »([3]).

فعلى ما سبق بيانه، يظهر -والله أعلم- إرادة المعنيين كليهما تفسيرًا للآية، فافتنان الكفار بما سمعوا و لم يصدقوه قد حصل في الدنيا، وهي عذابهم في جهنم والعياذ بالله.

وكلا المعنيين دلت عليه آيات أخر من كتاب الله تعالى، «فاستخفافهم في هذا كقوله تعالى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [سورة المدثر: 30] ما الذي يخصص هذا العدد حتى قال بعضهم: أنا أكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة المدثر: 31]»([4]).

وكون معناها «إنها فتنة أي عقوبة للظالمين كما قال تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾ [سورة الذاريات: 14]»([5]).

---

(١) فتح القدير (397/4).

(٢) روح المعاني (95/23).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (171/3).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (86/15)

(٥) المرجع السابق.

فكون الآيات دلت على المعنيين[1]، والسياق يحتملهما[2]، فصح الحمل عليهما جميعًا، والله أعلم بالصواب.

(1) فهو من تفسير القرآن بالقرآن، أفضل وأحسن طرق التفسير. انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(2) دلالة السياق على المعنى. قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (249/1).

معنى: ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾

81- قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الصافات: 66-67].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: خلطًا من الماء الحار يشربونه عليها »(1).

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة وأن الشوب بمعنى الخلط هو ما قاله الأئمة المفسرون، منهم: النحاس(2)، والسمرقندي(3)، والواحدي(4)، والسمعاني(5)، والبغوي(6)، والزمخشري(7)، وابن عطية(8)، والفخر الرازي(9)، والقرطبي(10)، والقرطبي(10)، والبيضاوي(11)، والنسفي(1)، وابن جزي(2)، وابن كثير(3)،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(320).

(2) معاني القرآن (35/6).

(3) بحر العلوم (136/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (910/2).

(5) تفسير القرآن (402/4).

(6) معالم التنزيل (29/4).

(7) الكشاف (49/4).

(8) المحرر الوجيز (476/4).

(9) التفسير الكبير (124/26).

(10) الجامع لأحكام القرآن (87/15).

(11) أنوار التنزيل (15/5).

كثير[3]، والثعالبي[4]، وأبوالسعود[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7]، والشنقيطي[8].

قال النحاس: « يقال: شبت الشيء بالشيء أي خلطته به »[9].

وقال البغوي: « ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ خلطًا ومزاجًا ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ من ماء حار شديد الحرارة يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم، فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوبًا له »[10].

وقال الألوسي: « ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي على الشجرة التي ملؤوا منها بطونهم ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: لشراباً ممزوجاً بماء شديد الحرارة، والشراب هو الغساق »[11].

---

(1) مدارك التنزيل (22/4).
(2) التسهيل لعلوم التنزيل (172/3).
(3) تفسير القرآن العظيم (12/4).
(4) الجواهر الحسان (20/4).
(5) إرشاد العقل السليم (149/7).
(6) فتح القدير (398/4).
(7) روح المعاني (96/23).
(8) أضواء البيان (315/6).
(9) معاني القرآن (35/6).
(10) معالم التنزيل (29/4).
(11) روح المعاني (96/23).

ما ذكرته هو نماذج مما ذكره المفسرون، وأما في اللغة فقالوا: « الشوب: هو الخلط، وسُمّي العسل شوبًا لأنه كان يمزج بغيره من الأشربة، ومن محاورات العرب: فلان ما عنده شوبٌ ولا رَوْب؛ فالشوب العسل، والرَّوْب اللبن الرائب، والشِّياب اسم ما يُمزج به، ويقال: سقاه الشَّوْب بالذَّوْب، أي اللبن بالعسل. ويقال للمخلِّط في القول والعمل: هو يشوب ويروب؛ وهذا في باب إصابة الرجل في منطقِه مرَّة وإخطائه أخرى »[1].

فبما ذكرته يتبين -والله أعلم- صحة ما ذهب إليه ابن قتيبة وغالبية المفسرين في بيان معنى ﴿لَشَوۡبًا﴾ وأنه الخلط، أي: خلط الشيء للشيء، وقد أجمعوا عليه وصَحّ عند علماء اللغة العربية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: شواهد القرآن لأبي تراب الظاهري (115/1).

معنى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾

82- قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣﴾ [سورة الصافات: 103].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرعه على جبينه، فصار أحد جبينيه على الأرض، وهما جبينان والجبهة بينهما، وهي: ما أصاب الأرض في السجود »[1].

وبمثل رأي ابن قتيبة قال النحاس[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، والفخر الرازي[5]، والنسفي[6]، وابن جزي[7]، والمحلي[8]، فهؤلاء الأئمة اتفقوا مع ابن قتيبة في أن معنى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي: « صرعه على الأرض بأن جعل أحد جبينيه على الأرض، وللوجه جبينان والجبهة بينهما »[9].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(321).

(2) معاني القرآن (51/6).

(3) تفسير القرآن (142/3).

(4) معالم التنـزيل (33/4).

(5) التفسير الكبير (137/26).

(6) مدارك التنـزيل (25/4).

(7) التسهيل لعلوم التنـزيل (174/3).

(8) تفسير الجلالين ص(594).

(9) انظر: معالم التنـزيل للبغوي (33/4)، والتفسير الكبير للرازي (137/26).

ويرى آخرون أن معنى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ « أي: صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه »[1] وذهب إلى هذا: السمرقندي[2]، وابن كثير[3].

أما البيضاوي[4]، وأبوالسعود[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7]، فأوردوا فأوردوا القولين معًا عند تفسيرهم للآية.

والذي يظهر -والله أعلم- أن ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه هو الأصح، لاستنادة على « ما صح في اللغة العربية »[8]، فأهل اللغة قالوا: « الجبين: فوق الصدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها »[9]، « والناس لا يكادون يفرقون بين الجبين والجبهة، فالجبهة مسجد الرجل الذي يصيبه ندب السجود، والجبينان يكتنفانها، من كل جانب جبين »[10]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) هذه عبارة ابن كثير في تفسيره (16/4).

(٢) بحر العلوم (142/3).

(٣) تفسير القرآن العظيم (16/4).

(٤) أنوار التنـزيل (21/5).

(٥) إرشاد العقل السليم (201/7).

(٦) فتح القدير (404/4).

(٧) روح المعاني (130/23).

(٨) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

(٩) لسان العرب لابن منظور (85/13).

(١٠) زاد المسير لابن الجوزي (76/7).

معنى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

83- قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة الصافات: 142].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: مذنب، يقال: ألامَ الرجلُ؛ إذا أذنب ذنباً يلام عليه »[1].

هذا الذي ذهب إليه ابن قتيبة في بيان معنى ﴿مُلِيمٌ﴾ هو المروي عن مجاهد[2]، وقول الواحدي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، والزمخشري[6]، والفخر الرازي[7]، والقرطبي[8]، والبيضاوي[9]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(322).

(٢) تفسير مجاهد ص(545/2).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (914/2).

(٤) تفسير القرآن (414/4).

(٥) معالم التنـزيل (43/4).

(٦) الكشاف (63/4).

(٧) التفسير الكبير (143/26).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (124/15).

(٩) أنوار التنـزيل (27/5).

والنسـفي [1]، .... وابن جزي[2]، والمحلي [3]، وأبوالسعود[4]، والشوكاني[5]، والسعدي[6]، والشنقيطي [7].

قال الواحدي « ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أتى بما يلام عليه »[8].

وقال الفخر الرازي: « ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يقال: ألام إذا أتى بما يلام عليه، فالمليم المستحق للوم الآتي بما يلام عليه »[9].

وقال النسفي: « ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ داخل في الملامة »[10].

وقال الشنقيطي: « استحقاق الملامة في قوله ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ لأن المليم اسم فاعل ألام إذا فعل ما يستوجب الملام »[11].

---

(1) مدارك التنـزيل (28/4).

(2) التسهيل لعلوم التنـزيل (176/3).

(3) تفسير الجلالين ص(595).

(4) إرشاد العقل السليم (205/7).

(5) فتح القدير (410/4).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(707).

(7) أضواء البيان (242/4).

(8) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (914/2).

(9) التفسير الكبير (143/26).

(10) مدارك التنـزيل (28/4).

(11) أضواء البيان (242/4).

فبمن ذكرت أسماءهم اختصارًا ومن عرضت أقوالهم مثالاً، تبيّن اتفاقهم في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ﴾

84- قال تعالى: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥﴾ [سورة الصافات: 145].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ﴾ ألقيناه ﴿بِٱلۡعَرَآءِ﴾ وهي: الأرض التي لا يُتوارى فيها بشجر ولا غيره، وكأنه من عري الشيء »[1].

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ قال به أكثر المفسرين، منهم: النحاس[2]، والزمخشري[3]، والفخر الرازي[4]، والقرطبي[5]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي[7]، وابن جزي[8]، وابن كثير[9]، وأبوالسعود[10]، والشوكاني[1]، والألوسي[2]، والسعدي[3].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(322).

(٢) معاني القرآن (58/6).

(٣) الكشاف (63/4).

(٤) التفسير الكبير (144/26).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (128/15).

(٦) أنوار التنـزيل (27/5).

(٧) مدارك التنـزيل (28/4).

(٨) التسهيل لعلوم التنـزيل (176/3).

(٩) تفسير القرآن العظيم (22/4).

(١٠) إرشاد العقل السليم (205/7).

فقال الزمخشري: « والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه » [4].

وقال أبوالسعود: « ﴿فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بأن حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت »[5].

وقال السعدي: « ﴿فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بأن قذفه الحوت من بطنه بالعراء وهي الأرض الخالية العارية من كل أحد بل ربما كانت عارية من الأشجار والظلال »[6].

وفريق من المفسرين ذكروا أن المراد بالعراء: وجه الأرض، على العموم، وقال بهذا: الواحدي[7]، والمحلي[8].

أما الفريق الثالث فيذكرون المعنيين معًا عند بيانهم لمعنى الآية، منهم:

---

(١) فتح القدير (410/4).

(٢) روح المعاني (145/23).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(707).

(٤) الكشاف (63/4).

(٥) إرشاد العقل السليم (205/7).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(707).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (914/2).

(٨) تفسير الجلالين ص(596).

السمرقندي[1]، والسمعاني[2]، والبغوي[3]، والشنقيطي[4].

قال السمعاني: « وقوله ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن العراء وجه الأرض، والآخر: أنه الموضع الخالي »[5].

والذي يظهر -والله أعلم- أن المعنيين يجتمعان، وقد « قال أهل اللغة: العراء هو المكان الخالي من البناء والشجر والنبات »[6]، فالمكان الذي طُرح فيه يونس -عليه السلام- كان خاليًا من البناء والشجر؛ فإنه على وجه الأرض، وليس تحت الأرض أو تحت الماء.

ولقد أحسن الشنقيطي حين قال: « وقوله ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ أي: طرحناه بأن أمرنا الحوت أن يلقيه بالساحل، والعراء الصحراء؛ وقول من قال العراء الفضاء أو المتسع من الأرض أو المكان الخالي أو وجه الأرض راجع إلى ذلك »[7]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) بحر العلوم (145/3).

(٢) تفسير القرآن (416/4).

(٣) معالم التنزيل (43/4).

(٤) أضواء البيان (243/4).

(٥) تفسير القرآن (416/4).

(٦) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (145/3).

(٧) أضواء البيان (243/4).

معنى: ﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾

85- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢﴾ [سورة ص: 12].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: ذو البناء المحكم، والعرب تقول: هم في عز ثابت الأوتاد.. وملك ثابت الأوتاد؛ يريدون أنه دائم شديد.. وأصل هذا أن البيت من بيوقم يثبت بأوتاده، قال الأسود بن يعفر: في ظل ملك ثابت الأوتاد »(1).

وقال قتادة وغيره: هي أوتاد كانت لفرعون، يعذب بها الرجال، فيمده بين أربعة منها حتى يموت »(2).

الذي يظهر -والله أعلم- أن ابن قتيبة يرى أن ﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ معناها: ذو البناء المحكم، كما أنه يرى أن يكون معناها: أي ذو الأوتاد؛ صاحب الأوتاد التي يُعذِّب بها الناس.

---

(1) البيت في ديوان الحماسة المغربية (1402/2).

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة   في ظل ملك ثابت الأوتاد

وقائله هو: الأسود بن يعفر النهشلي، شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية، ليس بالمكثر، أدرك الإسلام و لم يُسلم. الأغاني للأصبهاني (17/13)، والإكمال لابن ماكولا (335/7).

(2) تفسير غريب القرآن ص(325).

وعليه فإن عدداً غير قليل من المفسرين قالوا كابن قتيبة، فذكروا المعنيين معًا عند تفسيرهم للآية، فهم بذلك موافقون تمامًا له، منهم السمرقندي([1])، والسمعاني([2])، .. والبغوي([3])، والزمخشري([4])، وابن عطية([5])، والفخر الرازي([6])، والقرطبي([7])، والبيضاوي([8])، وابن جزي([9])، وأبوالسعود([10])، والشوكاني([11])، والشوكاني([11])، والألوسي([12]).

فمثلاً قال السمرقندي: « ﴿وَفِرْعَوْنَ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ يعني: ذو ملك ثابت شديد دائم، ويقال: وبناء محكم، ويقال: يعني في عز ثابت، والعرب تقول فلان في عز ثابت الأوتاد يريدون دائمًا شديدًا، وأصل هذا أن بيوت العرب تثبت بأوتاد. ويقال: هي

---

(١) بحر العلوم (153/3).

(٢) تفسير القرآن (427/4).

(٣) معالم التنزيل (49/4).

(٤) الكشاف (77/4).

(٥) المحرر الوجيز (495/4).

(٦) التفسير الكبير (158/26).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (154/15).

(٨) أنوار التنزيل (38/5).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (180/3).

(١٠) إرشاد العقل السليم (217/7).

(١١) فتح القدير (423/4).

(١٢) روح المعاني (170/23).

أوتاد كانت لفرعون يعذّب بها وكان إذا غضب على أحد شد بأربعة أوتاد »[1].

»[1].

وثَمَّ فريق آخر من المفسرين ذكروا أن ﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ يراد بها: الأوتاد المعروفة سواء استخدمت للتعذيب أو للّعب بها، فمثلاً قال الطبري: « وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك الأوتاد إما لتعذيب الناس، وإما للّعب؛ كان يلعب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الوتد »[2]. ونحوه قال النحاس[3]، والنسفي[4]، وابن كثير[5]، والمحلي[6].

والذي يظهر -والله أعلم- صحة اعتبار المعنيين تفسيرًا للآية، فأن يراد بـ﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ البناء المحكم ونحوه « أظهر الأقول »[7]، و « حمل الكلام على هذا الوجه أولى، لأنه لما وصف بتكذيب الرسل فيجب فيما وصف به أن يكون تفخيمًا لأمر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من الهلاك مع قوة أمره أبلغ »[8].

---

(١) بحر العلوم (153/3).

(٢) جامع البيان (130/23).

(٣) معاني القرآن (84/6).

(٤) مدارك التنـزيل (34/4).

(٥) تفسير القرآن العظيم (509/4).

(٦) تفسير الجلالين ص(599).

(٧) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (495/4)، وروح المعاني للآلوسي (170/23).

(٨) انظر: التفسير الكبير للرازي (158/26).

وأن يراد بها الأوتاد المعروفة عند الناس، فإن « ذلك هو المعروف من معنى الوتد »[1].

والقاعدة المعتبرة عند المفسرين « إن كان للآية عدة معان كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعًا »[2] تؤيد ذلك، والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (130/23).

(٢) قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ﴾

86- قال تعالى: ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١﴾ [سورة ص: 31].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ﴾ الخيل، يقال: هي القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت اليد الأخرى على طرف الحافر من يد كان أو رجل».

والصافن في كلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها »[1].

وهذا الذي قاله ابن قتيبة هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين، فمنهم من قال مثل ما قال ابن قتيبة، فأشار إلى معنى الصفون عمومًا في اللغة: وأنه الوقوف، وذكر معنى الصافنات المذكور؛ كالسمرقندي[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4].

فمثلاً قال السمعاني: « والصافنات هي الخيل التي قامت على ثلاث قوائم وثنى إحدى قوائمه وقام على السنبك، وقيل: والصافن في اللغة: هو القائم »[5].

وغالبية المفسرين ذكروا معنى الصافنات، وأنها الخيل التي ترفع إحدى قوائمها عند الوقوف»[6]، سواء اختصروا العبارة أو أطالوها في ذكر نواحي الجمال في الخيل

(١) تفسير غريب القرآن ص(327).

(٢) بحر العلوم (159/3).

(٣) تفسير القرآن (439/4).

(٤) معالم التنزيل (60/4).

(٥) تفسير القرآن (439/4).

(٦) هذه عبارة السعدي في تيسير الكريم الرحمن ص(712).

وفضيلتها، فهذاهو المروي عن مجاهد[1]، وقول النحاس[2]، والزمخشري[3]، وابن عطية[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، وابن جزي[7]، وابن كثير[8]، والمحلي[9]، والثعالبي[10]، وأبي السعود[11]، والشوكاني[12]، والألوسي[13]، والسعدي[14].

قال الزمخشري: « فإن قلت ما معنى وصفها بالصفون، قلت: الصفون لا يكاد يكون في الهجن، وإنما هو في العراب الخلَّص، وقيل: وصفها بالصفون ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية، يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعًا »[15].

---

(١) تفسير مجاهد (549/2).

(٢) معاني القرآن (108/6).

(٣) الكشاف (92/4).

(٤) المحرر الوجيز (503/4).

(٥) أنوار التنزيل (45/5).

(٦) مدارك التنزيل (38/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (184/3).

(٨) تفسير القرآن العظيم (34/4).

(٩) تفسير الجلالين ص(601).

(١٠) الجواهر الحسان (38/4).

(١١) إرشاد العقل السليم (225/7).

(١٢) فتح القدير (430/4).

(١٣) روح المعاني (190/23).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص(712).

(١٥) الكشاف (92/4).

وقال ابن عطية: « والصافن الفرس الذي يرفع إحدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك برجله »[1].

وقال الفخر الرازي: « والمقصود وصفها بالفضيلة والكمال حالتي وقوفها وحركتها، أما حال وقوفها فوصفها بالصفون، وأما حال حركتها فوصفها بالجودة، يعني أنها إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال، فإذا جرت كانت سراعًا في جريها، فإذا طَلَبَت لحقت، وإذا طُلِبَت لم تُلحق »[2].

وقال البيضاوي: « ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك[3] يد أو رجل، وهو من الصفات المحمودة في الخيل الذي لا يكاد يكون إلا إلا في العراب الخلَّص »[4].

وعليه فلا خلاف في بيان معنى الصافنات فيما ذكره « المفسرون »[5] فإنه فإنه هو « المشهور »[6] عنهم، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المحرر الوجيز (503/4).

(2) التفسير الكبير (178/26).

(3) السنبك طرف الحافر وجانباه من قدم، وجمعه سنابك. انظر: لسان العرب لابن منظور (444/10).

(4) أنوار التنـزيل (45/5).

(5) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(327).

(6) انظر: روح المعاني للألوسي (190/23).

معنى: ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴾

87- قال تعالى: ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨ ﴾ [سورة ص: 55-58].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ ﴾ أي: من نحوه ﴿أَزۡوَٰجٌ ﴾ أي: أصناف »[1].

وكل من وقفت على أقوالهم من المفسرين في بيان المراد بلفظ الأزواج في الآية؛ لم يخرجوا عن الأصناف أو الألوان أو الأنواع أو الأجناس.

ومن أمثلة ما قالوه، قال الطبري: « وقوله ﴿أَزۡوَٰجٌ ﴾ أي: أصناف وألوان من العذاب »[2].

وقال القرطبي: « و ﴿أَزۡوَٰجٌ ﴾ أي: أصناف وألوان من العذاب »[3].

وقال الشوكاني: « وحاصل معنى الآية أن لأهل النار حميمًا وغساقًا وأنواعًا من العذاب من مثل الحميم والغساق »[4].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(328).

(2) جامع البيان (178/23).

(3) الجامع لأحكام القرآن (222/15).

(4) فتح القدير (441/4).

وقال السعدي: « ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أي: عدة أصناف من أصناف العذاب يعذبون بها »[1].

وأقوال بقية المفسرين نحو أقوال من ذكرت، فمنهم: النحاس[2]، والفخر الرازي[3]، وابن جزي[4]، وابن كثير[5]، والألوسي[6].

فظهر بذلك اتفاقهم، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(715).

(٢) معاني القرآن (130/6).

(٣) التفسير الكبير (193/26).

(٤) التسهيل لعلوم التنـزيل (188/3).

(٥) تفسير القرآن العظيم (42/4).

(٦) روح المعاني (215/23).

معنى: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾

88- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الزمر: 21].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أدخله فيها، فجعله ينابيع: عيونًا تنبع »[1].

ونفس هذا المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة قاله جمهور المفسرين في بيانهم لمعنى الآية، منهم: النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والزمخشري[4]، والفخر الرازي[5]، وابن جزي[6]، وابن كثير[7]، والمحلي[8]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(329).
(2) معاني القرآن (164/6).
(3) بحر العلوم (173/3).
(4) الكشاف (123/4).
(5) التفسير الكبير (230/26).
(6) التسهيل لعلوم التنزيل (194/3).
(7) تفسير القرآن العظيم (50/4).
(8) تفسير الجلالين ص(609).

.... والشوكاني[1]، والسعدي[2]، والشنقيطي[3].

قال النحاس: « وقوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ أي: فأدخله فجعله ﴿يَنَابِيعَ﴾ جمع ينبوع يفعول من نبع ينبع »[4].

وقال ابن جزي: « معنى سلكه أدخله وأجراه، والينابيع جمع ينبوع وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر »[5].

وجاءت عبارة الشوكاني أشمل وأوسع، فقال: « ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: من السحاب مطرًا ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَابِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: فأدخله وأسكنه فيها، والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع، والينبوع عين الماء، والأمكنة التي ينبع منها الماء، والمعنى أدخل الماء النازل من السماء في الأرض وجعله فيها عيونًا جارية، أو جعله ينابيع أي في أمكنة ينبع منها الماء »[6].

وبما ذكرته يظهر اتفاقهم في بيان معنى الآية على ما ذكره ابن قتيبة –رحمه الله– ، والله أعلم بالصواب.

---

(1) فتح القدير (457/4).

(2) تيسير الكريم الرحمن ص(722).

(3) أضواء البيان (328/5).

(4) معاني القرآن (164/6).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (194/3).

(6) فتح القدير (457/4).

معنى: ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾

89- قال تعالى ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الزمر: 29].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: «﴿شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي: مختلفون يتنازعون ويتشاحون فيه، يقال: رجل شكس أي: مُتعب الخلق»(1).

وهذا الذي ذكره في معنى متشاكسون هو المروي عن ابن عباس(2)، وقول الطبري(3)، والسمرقندي(4)، والواحدي(5)، والسمعاني(6)، والبغوي(7)، والزمخشري(8)، وابن عطية(9)،

(1) تفسير غريب القرآن ص(330).
(2) تنوير المقباس للفيروز أبادي ص(388).
(3) جامع البيان (558/23).
(4) بحر العلوم (176/3).
(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (933/2).
(6) تفسير القرآن (468/4).
(7) معالم التنزيل (78/4).
(8) الكشاف (128/4).
(9) المحرر الوجيز (529/4).

.... والفخر الرازي[1]،

والقرطبي[2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، والمحلي[7]، والثعالبي[8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10]، والسعدي[11].

فاتفقوا في بيان معنى لفظة ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ وأشاروا إلى كونه مثلاً ضربه الله تعالى لبيان حال المؤمن الموحد، والمشرك الذي يعبد آلهة متعددة، فمثلاً: قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلاً للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلاً لهذا الكافر رجلاً فيه شركاء يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين يعني مختلفين متنازعين سيئةً أخلاقهم؛ من قولهم رجل شكس إذا كان سيء الخلق وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ورجلاً سلمًا

---

(١) التفسير الكبير (241/26).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (252/15).
(٣) أنوار التنزيل (65/5).
(٤) مدارك التنزيل (53/4).
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (195/3).
(٦) تفسير القرآن العظيم (53/4).
(٧) تفسير الجلالين ص(610).
(٨) الجواهر الحسان (56/4).
(٩) فتح القدير (461/4).
(١٠) روح المعاني (262/23).
(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(724).

لرجل يقول: ورجلاً خلوصًا لرجل يعني: المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية »[1].

وقال البيضاوي: « ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ للمشرك الموحد ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ مثّل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعوا فيه؛ بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه، والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره على سبيل والتشاكس التشاخص والاختلاف »[2].

وقال ابن كثير: « ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي: يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ أي سالمًا ﴿لِّرَجُلٍ﴾ أي خالصًا لا يملكه أحد غيره ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: لا يستوي هذا وهذا، كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله؛ والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فأين هذا من هذا »[3].

وقال السعدي: « ثم ضرب مثلاً للشرك والتوحيد فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ أي: عبدًا ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ فهم كثيرون وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة

---

(١) جامع البيان (558/23).

(٢) أنوار التنـزيل (65/5).

(٣) تفسير القرآن العظيم (53/4).

من الحالات حتى تمكن راحته بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصًا له قد عرف مقصود سيده وحصلت له الراحة التامة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي: هذان الرجلان ﴿مَثَلًا﴾ لا يستويان، كذلك المشرك فيه شركاء متشاكسون يدعو هذا ثم يدعو هذا فتراه لا يستقر له قرار ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه قد خلصه الله تعالى من الشركة لغيره فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على تبيين الحق من الباطل وإرشاد الجهال »[1].

وكلام أهل اللغة في معنى متشاكسون، قالوا: « الشكس: السيء الخلق، وقيل: هو السيء الخلق في المبايعة وغيرها والشركاء المتشاكسون: العسرون المختلفون الذين لا يتفقون »[2].

فبناءً على ما صح معناه في اللغة جاء اتفاق المفسرين في بيان معنى ﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾ وإيضاح المثل الذي ضربه الله تعالى للموحِّد والمشرك، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(724).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (112/6)، وتهذيب اللغة للأزهري (6/10).

معنى: ﴿مَقَالِيدُ﴾

90- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ [سورة الزمر: 63].

قال ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مفاتيحها وخزائنها، واحدها: إقليد »(1).

فابن قتيبة يرى احتمال معنى المقاليد للمفاتيح وللخزائن، ونفس المعنى قاله عدد غير قليل من المفسرين، منهم: الطبري(2)، والنحاس(3)، والسمرقندي(4)، والواحدي(5)، والبغوي(6)، والزمخشري(7)، والفخر الرازي(8)، والقرطبي(9)، والقرطبي(9)، والبيضاوي(1)، والنسفي(2)، وابن جزي(3)، وابن كثير(4)، كثير(4)، والثعالبي(5)، والشوكاني(6)، والألوسي(7).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(330).

(2) جامع البيان (13/25).

(3) معاني القرآن (189/6).

(4) بحر العلوم (184/3).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (937/2).

(6) معالم التنزيل (86/4).

(7) الكشاف (143/4).

(8) التفسير الكبير (133/27).

(9) الجامع لأحكام القرآن (274/15).

قال الطبري: « له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء، ويمسكها عمن أحب من خلقه، واحدها مقليد »(8).

وقال السمرقندي: « يعني مفاتيحها وخزائنها وواحدها إقليد »(9).

وقال البيضاوي: « ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره، وهو كناية عن قدرته وحفظه لها، وفيها مزيد دلالة على الاختصاص، لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها »(10).

والذي يظهر –والله أعلم– صحة حمل المقاليد على إرادة المفاتيح أو الخزائن، فقد قال ابن كثير –بعد ذكره للقولين–: « والمعنى على كلا القولين أن أزمّة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »(11).

---

(1) أنوار التنزيل (75/5).

(2) مدارك التنزيل (61/4).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (198/3).

(4) تفسير القرآن العظيم (62/4).

(5) الجواهر الحسان (62/4).

(6) فتح القدير (474/4).

(7) روح المعاني (21/24).

(8) جامع البيان (13/25).

(9) بحر العلوم (184/3).

(10) أنوار التنزيل (75/5).

(11) تفسير القرآن العظيم (62/4).

ولا فرق إن كان واحدها إقليد أو مقليد؛ فأهل اللغة ساووا بينهما فقالوا: « الإقليد المفتاح وهو المقليد والمقلد والإقلاد: كالإقليد، والمقلاد: الخزانة، والمقاليد: الخزائن وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يجوز أن تكون المفاتيح ويجوز أن تكون الخزائن »[1].

فباتفاق المفسرين وتأييد أهل اللغة، فصح الحمل على المعنيين، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (366/3).

معنى: ﴿ٱلطَّوۡلِ﴾

91- قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [سورة غافر: 3].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلطَّوۡلِ﴾ التفضل، يقال: طُلْ عليَّ برحمتك، أي تفضل »[1].

ونفس هذا المعنى قال به كثير من المفسرين، فهو المروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما- وقول الطبري[3]، وابن عطية[4]، والنسفي[5]، وابن جزي[6]، والمحلي[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9]، والسعدي[10].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(332).
(2) تنوير المقباس للفيروز أبادي ص(392).
(3) جامع البيان (41/24).
(4) المحرر الوجيز (546/5).
(5) مدارك التنزيل (65/4).
(6) التسهيل لعلوم التنزيل (2/4).
(7) تفسير الجلالين ص(618).
(8) فتح القدير (481/4).
(9) روح المعاني (42/24).
(10) تيسير الكريم الرحمن ص(731).

فقد قال الطبري: « وقوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ يقول ذي الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه، يقال منه إن فلانًا لذو طول على أصحابه إذا كان ذا فضل عليهم »[1].

وقال ابن كثير: « والمعنى أنه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والإنعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها »[2].

وقال الشوكاني: « وأصل الطَّوْل الإنعام والتفضل أي ذي الإنعام على عباده والتفضل عليهم »[3].

وأهل اللغة قالوا: « والطَّوْل: الفضل، يقال: لفلان على فلان طَوْل، أي فضل »[4].

فكلام أهل اللغة مؤيدٌ لقول أئمة التفسير، فصح حمل معنى اللفظ عليه، والله أعلم بالصواب.

---

(١) جامع البيان (41/24).

(٢) تفسير القرآن العظيم (71/4).

(٣) فتح القدير (481/4).

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (15/14)، وأساس البلاغة للزمخشري ص(399).

معنى: ﴿ٱلۡأٓزِفَةِ﴾

92- قال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [سورة غافر: 18].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ القيامة، سميت بذلك لقربها، يقال: أزفت فهي آزفة، وأزف شخوص فلان: أي قرب »[1].

هذا الذي قاله ابن قتيبة في بيان معنى الآزفة هو الذي « قاله الجمهور »[2]، فهو قول: الطبري[3]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(333).
(2) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (212/7).
(3) جامع البيان (52/24).
(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (943/2).
(5) تفسير القرآن (12/5).
(6) معالم التنزيل (94/4).
(7) الكشاف (162/4).
(8) المحرر الوجيز (552/4).
(9) التفسير الكبير (44/27).
(10) الجامع لأحكام القرآن (302/15).

.... والبيضاوي([1])، والنسفي([2])، وابن جزي([3])، وابن كثير([4])، والمحلي([5])، وأبي السعود([6])، والألوسي([7])، والسعدي([8])، وابن وابن عاشور([9])، والشنقيطي([10]).

قال البغوي: « ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ ﴾ يعني: يوم القيامة، سميت بذلك لأنها قريبة، إذ كل ما هو آت قريب، نظيره قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة النجم: 57] أي: قربت القيامة »([11]).

وقال ابن كثير: « يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة النجم: 57-58]، وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ [سورة القمر: 1]، وقال جل

([1]) أنوار التنزيل (88/5).
([2]) مدارك التنزيل (70/4).
([3]) التسهيل لعلوم التنزيل (4/4).
([4]) تفسير القرآن العظيم (76/4).
([5]) تفسير الجلالين ص(620).
([6]) إرشاد العقل السليم (272/7).
([7]) روح المعاني (58/24).
([8]) تيسير الكريم الرحمن ص(735).
([9]) التحرير والتنوير (113/24).
([10]) أضواء البيان (380/6).
([11]) معالم التنزيل (94/4).

وعلا ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ [سورة الأنبياء: 1]، وقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [سورة النحل: 1] »[1].

وقال السعدي: « يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ أي: يوم القيامة التي قد أزفت وقربت، وآن الوصول إلى أهوالها، وقلاقلها، وزلازلها »[2].

فإجماع الجمهور[3] المبني على دلالة آيات أخرى من القرآن[4] على المعنى المعنى دليل رجحانه، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (76/4).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(735).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

(٤) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾

93- قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧﴾ [سورة فصلت: 47].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ أي: من المواضع التي كانت فيها مستترة، وغلاف كل شيء: كمه، وإنما قيل: كم القميص؛ من هذا »(1).

بدراسة أقوال المفسرين في بيان المراد بالأكمام في هذه الآية يلاحظ اجتماع ما ذكروه على معنى الشيء الذي يستر أو يكون غلافًا أو وعاءً ونحو ذلك.

فمثلاً قال النحاس: « أي وما تخرج من ثمرة من غلافها الذي كانت فيه وذلك أول ما تطلع، وغلاف كل شيء كمه »(2).

وقال السمرقندي: « ﴿وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ يعني: حين تطلع وغلاف كل شيء كمه، أي تخرج من موضعها الذي كانت فيه »(3).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(337).

(2) معاني القرآن (282/6).

(3) بحر العلوم (220/3).

وقال النسفي: « ﴿مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ أو عينها قبل أن تنشق، جمع كم »[1].

وقال السعدي: « ﴿وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ أي: وعائها الذي تخرج منه، وهذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان والبراري، فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار إلا وهو يعلمها تفصيليًا »[2].

وقال الشوكاني: « والأكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة، ويطلق على كل ظرف لمال أو غيره »[3].

ونحو عبارات من ذكرهم؛ قال: الواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، والقرطبي[8]، والبيضاوي[9]، والمحلي[10]، وأبوالسعود[11]، والألوسي[12].

---

(1) مدارك التنزيل (93/4).

(2) تيسير الكريم الرحمن ص(751).

(3) فتح القدير (521/4).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (958/2).

(5) تفسير القرآن (58/5).

(6) معالم التنزيل (117/4).

(7) الكشاف (209/4).

(8) الجامع لأحكام القرآن (371/15).

(9) أنوار التنزيل (118/5).

(10) تفسير الجلالين ص(637).

(11) إرشاد العقل السليم (17/8).

(12) روح المعاني (2/25).

فتبين -والله أعلم- بما ذكرته من أقوال بعضهم والإشارة إلى البقية؛ اجتماعهم على المعنى المراد من عباراتهم المتنوعة لفظًا، الموصلة إلى معنى واحد، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾

94- قال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى: 11].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ يريد: الإناث، ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾ يريد: جعل للأنعام منها أزواجًا؛ أي: إناثًا، ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾ أي: يخلقكم في الرحم، أو في الزوج »(1).

تنوع أقوال المفسرين في بيان معنى هذه الآية بناء على مرجع الضمير المتصل في قوله: ﴿فِيهِ﴾، فمن المفسرين من يرى رجوع الضمير إلى الجعل المدلول عليه بالفعل ﴿جَعَلَ﴾، منهم:

الواحدي قال: « ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾ أي: يكثركم بجعله لكن حلائل، لأنهن سبب النسل »(2).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(338).

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (961/2).

ابن عطية: « وقوله ﴿فِيهِ﴾ الضمير عائد على الجعل الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، وهذا كما تقول: كلمت زيدًا كلامًا أكرمته فيه »[1].

السعدي: « ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يبثكم ويكثركم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم وجعل لكم من الأنعام أزواجًا »[2].

ونحوًا من هذا قال كل من: المحلي[3]، وابن عاشور[4].

ومن المفسرين من يرى رجوع الضمير إلى التدبير، منهم:

البيضاوي، حيث قال: « ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجًا يكون بينهم توالد فإنه كالمنبع للبث والتكبير »[5].

النسفي: « ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجًا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، واختير (فيه) على (به) لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير »[6].

---

(١) المحرر الوجيز (28/5).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(754).

(٣) تفسير الجلالين ص(639).

(٤) التحرير والتنوير (45/25).

(٥) أنوار التنـزيل (123/5).

(٦) مدارك التنـزيل (97/4).

البقاعي: « ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ أي: يخلقكم ويكثركم، ولما كان الأزواج في غاية المحبة للزوج بحيث أنه مستولٍ على القلوب كان كأنه محيط بهم فقال (فيه) أي: في ذلك التزاوج بحيث يجعلكم مولعين به، من قوله ذرأه: خلقه وكثره وأولعه بالشيء، فيكون لكم في الأزواج من البشر نطفًا وجمالاً وولادة، وفي الأنعام غذاءً وشرابًا وأكلاً، وغير ذلك مما لكم فيه من المنافع، ولا تزالون في هذا الوجه من الخلق والتزاوج نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل »[1].

وبنحو هذا جاء كلام الزمخشري [2]، والفخر الرازي[3].

ومن المفسرين من لم يحدد قولاً واحدًا بعينه معنى للآية إنما يذكر عدة أقوال تحت تفسير الآية دون ترجيح بينها، فمنهم:

البغوي قال: « ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ أي: في الرحم، وقيل: في البطن، وقيل: على هذا الوجه من الخلقة»[4].

القرطبي: « ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ أي: يخلقكم وينشؤكم ﴿فِيهِ﴾ أي: في الرحم، وقيل: في البطن وقيل: إن الهاء في ﴿فِيهِ﴾ للجعل، ودل عليه ﴿جَعَلَ﴾ فكأنه قال: يخلقكم ويكثركم في الجعل »[5].

---

(١) نظم الدرر (606/6).

(٢) الكشاف (217/4).

(٣) التفسير الكبير (129/27).

(٤) معالم التنـزيل (121/4).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (8/16).

ابن جزي: « والضمير المجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، وهذا كما تقول: كلمت زيدًا كلامًا أكرمته فيه، وقيل الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله أزواجًا »[1].

الشنقيطي: « الضمير في قوله ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ سواء قلنا إنّ المعنى: أنه جعل للآدميين إناثًا من أنفسهم أي: من جنسهم وجعل للأنعام أيضًا إناثًا كذلك، أو قلنا إن المراد بالأزواج الذكور والإناث منهما معًا، وإذا كان ذلك كذلك؛ فمعنى الآية الكريمة يذرؤكم أي يخلقكم ويبثكم وينشركم فيه، أي: فيما ذكر من الذكور والإناث، أي في ضمنه، عن طريق التناسل كما هو معروف »[2].

ونحو كلامهم كلام ابن الجوزي[3]، والخازن[4]، والشوكاني[5].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (18/4).

(2) أضواء البيان (58/7).

(3) زاد المسير (275/7).

(4) لباب التأويل (118/6).

(5) فتح القدير (528/4).

والذي يظهر -والله أعلم- صحة ما قاله جميع المفسرين، فيصح رجوع الضمير إلى الجعل المدلول عليه بالفعل ﴿جَعَلَ﴾، وكذلك يصح رجوعه إلى التدبير، أو إلى الرحم، أو البطن، أو الزوج، أو ما ذكر في الآية من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام، سواء أريد بالأزواج الإناث من الآدميين والأنعام، أو أريد بالأزواج الذكور والإناث منهما معًا.

والسبب في صحة إرجاعه إلى كل ما ذُكر أن كل مراجع الضمير التي ذكرها المفسرون ليس فيها أي: مرجع ظاهر مذكور، إنما كلها مراجع مقدرة يستدل عليها بكلمات أو عبارات مذكورة تدل عليها، ولهذا فلا مانع من إرجاع الضمير إلى كل ما ذُكر من الأقوال، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿مُقۡرِنِينَ﴾

95- قال تعالى: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣﴾ [سورة الزخرف: 13].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ أي: مطيقين، يقال: أنا مقرن لك؛ أي: مطيق لك »[1].

ونفس المعنى الذي قاله ابن قتيبة؛ قاله أيضًا: النحاس[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والزمخشري[6]، والبيضاوي[7]، والنسفي[8]، والنسفي[8]، والمحلي[1]، وأبوالسعود[2]، والشوكاني[3]، والألوسي[4]، والسعدي[5]، والشنقيطي[6].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(341).

(2) معاني القرآن (340/6).

(3) بحر العلوم (240/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (971/2).

(5) تفسير القرآن (93/5).

(6) الكشاف (243/4).

(7) أنوار التنزيل (140/5).

(8) مدارك التنزيل (110/4).

قال الواحدي: « ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين »[7].

وقال النسفي: « ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ مطيقين، يقال أقرن الشيء إذا أطاقه، وحقيقة أقرنه وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف »[8].

وقال السعدي: « ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك والأنعام ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى سخرها وذللها ويسر أسبابها، والمقصود من هذا بيان أن الرب الموصوف بما ذكره من إفاضة النعم على العباد هو الذي يستحق أن يُعبد، ويُصلى له ويُسجد »[9].

ومع ورود معانٍ أخرى للآية؛ فقد قيل في معناها: « مالكين »[10]، وقيل: « ضابطين »[11]،و قيل: « مقاومين »[1]، إلا أن الراجح هو ما ذكره ابن قتيبة

---

(1) تفسير الجلالين ص(648).

(2) إرشاد العقل السليم (41/8).

(3) فتح القدير (550/4).

(4) روح المعاني (69/25).

(5) تيسير الكريم الرحمن ص(763).

(6) أضواء البيان (87/7).

(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (971/2).

(8) مدارك التنزيل (110/4).

(9) تيسير الكريم الرحمن ص(763).

(10) حكاه السمرقندي في بحر العلوم (240/3).

(11) حكاه البغوي في معالم التنزيل (135/4).

وموافقوه؛ لتأييد « أهل اللغة »[2] له؛ كما حكى ذلك النحاس[3]، والسمرقندي[4]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) حكاه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (124/4).

(٢) انظر: كتاب العين للفراهيدي (143/5).

(٣) معاني القرآن (340/6).

(٤) بحر العلوم (240/3).

معنى: ﴿يَظۡهَرُونَ﴾

96- قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣﴾ [سورة الزخرف: 33].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ أي: يعلون، يقال: ظهرت على البيت؛ إذا علوت سطحه »[1].

وبمثل عبارة ابن قتيبة قال الزمخشري[2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، والمحلي[5]، وأبوالسعود[6]، وابن عاشور[7].

وعبارات غيرهم من المفسرين متنوعة على سبيل الترادف لا التنازع والتضاد، فمنهم: النحاس[8]، والسمرقندي[9]، والواحدي[1]، والسمعاني[2]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(343).

(2) الكشاف (253/4).

(3) أنوار التنـزيل (145/5).

(4) مدارك التنـزيل (114/4).

(5) تفسير الجلالين ص(650).

(6) إرشاد العقل السليم (46/8).

(7) التحرير والتنوير (206/25).

(8) معاني القرآن (354/6).

(9) بحر العلوم (244/3).

والسمعاني[2]، والبغوي[3]، والقرطبي[4]، وابن كثير[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7]، والسعدي[8]، والشنقيطي[9].

فمثلاً قال الواحدي: « ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ يعلون ويصعدون »[10].

وقال البغوي: « ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته »[11].

وقال القرطبي: « ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ أي: على المعارج يرتقون ويصعدون يقال: ظهرت على البيت، أي: علوت سطحه، وهذا لأن من علا شيئًا وارتفع عليه ظهر للناظرين »[12].

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (974/2).

(2) تفسير القرآن (101/5).

(3) معالم التنـزيل (138/4).

(4) الجامع لأحكام القرآن (85/16).

(5) تفسير القرآن العظيم (128/4).

(6) فتح القدير (554/4).

(7) روح المعاني (79/25).

(8) تيسير الكريم الرحمن ص(765).

(9) أضواء البيان (115/7).

(10) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (974/2).

(11) معالم التنـزيل (138/4).

(12) الجامع لأحكام القرآن (85/16).

وقال الشنقيطي: « ﴿يَظْهَرُونَ﴾ أي: يصعدون ويرتفعون حتى يصيروا على ظهور البيوت، ومن ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الكهف: 97] »[1].

فالمفسرون متفقون على أن معنى الظهور: العلو والارتفاع، وهو متوافق مع ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ وفيه: (**اللهم ربَّ السموات ورب الأرض، أنت الظاهر فليس فوقك شيء**)[2]، فلا جرم بعد ذلك أن يقول به خطيب أهل السنة الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أضواء البيان (115/7).

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع حديث رقم (2713) عن أبي هريرة ﷺ.

معنى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾

97- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ ﴾ [سورة الزخرف: 55].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا، والأسف: الغضب، يقال: أسفت آسف أسفًا؛ أي غضبت »[1].

وما ذهب إليه ابن قتيبة هو نفسه ما ذهب إليه جمهور المفسرين، فهو المروي عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، وقول الطبري[4]، والنحاس[5]، والسمرقندي[6]، والواحدي[7]، والسمعاني[8]، والبغوي[9]، وابن عطية[10]، والقرطبي[1]، والبيضاوي[2]، والنسفي[3]، وابن كثير[4]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(344).
(2) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(414).
(3) تفسير مجاهد (582/2).
(4) جامع البيان (84/25).
(5) معاني القرآن (372/6).
(6) بحر العلوم (248/3).
(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (976/2).
(8) تفسير القرآن (110/5).
(9) معالم التنزيل (142/4).
(10) المحرر الوجيز (60/5).

والمحلي[5]، والثعالبي[6]، والبقاعي[7]، وأبي السعود[8]، والشوكاني[9]، والسعدي[10]، وابن عاشور[11]، والشنقيطي[12].

قال الواحدي: « ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا بكفرهم »[13].

وقال ابن عطية: « و ﴿ءَاسَفُونَا﴾ معناه أغضبونا؛ بلا خلاف، وإغضاب الله تعالى هو أن تعمل الأعمال الخبيثة التي تظهر من أجلها أفعاله الدالة على إرادة السوء بمن شاء »[14].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (101/16).
(٢) أنوار التنزيل (149/5).
(٣) مدارك التنزيل (117/4).
(٤) تفسير القرآن العظيم (131/4).
(٥) تفسير الجلالين ص(653).
(٦) الجواهر الحسان (368/2).
(٧) نظم الدرر (38/7).
(٨) إرشاد العقل السليم (50/8).
(٩) فتح القدير (560/4).
(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص(768).
(١١) التحرير والتنوير (234/25).
(١٢) أضواء البيان (122/7).
(١٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (976/2).
(١٤) المحرر الوجيز (60/5).

وقال الشوكاني: « ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ قال المفسرون: أغضبونا؛ والأسف: الغضب، وقيل: أشد الغضب، وقيل: السخط »[1].

وقال الشنقيطي: « قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ آسفونا معناه: أغضبونا وأسخطونا، وكون المراد بالأسف الغضب يدل عليه إطلاق الأسف على أشد الغضب في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [سورة الأعراف: 150] »[2].

فظهر -والله أعلم- اتفاقهم على المعنى المذكور لكونه من تفسير القرآن بالقرآن[3]، فقد دلت عليه آية أخرى، وأجمع « المفسرون »[4] عليه « بلا خلاف »[5]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) فتح القدير (560/4).

(2) أضواء البيان (122/7).

(3) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(4) انظر: فتح القدير للشوكاني (560/4).

(5) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (60/5).

معنى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾

98- قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزخرف: 61].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: نـــزول المسيح -عليه السلام- يُعلم به قرب الساعة، ومن قرأ « لَعَلَمٌ للساعة » فإنه يعني العلامة والدليل »(1).

وهذا الذي قاله ابن قتيبة هو الذي أجمع عليه المفسرون، فهو المروي عن ابن عباس(2)، ومجاهد(3)، وقول النحاس(4)، والسمرقندي(5)، والواحدي(6)، والسمعاني(7)، والبغوي(8)،..

(1) تفسير غريب القرآن ص(345).

(2) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(415).

(3) تفسير مجاهد (583/2).

(4) معاني القرآن (380/6).

(5) بحر العلوم (249/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (977/2).

(7) تفسير القرآن (113/5).

(8) معالم التنـــزيل (143/4).

والزمخشري[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والنسفي[5]، وابن جزي[6]، وابن كثير[7]، وأبي السعود[8]، والشوكاني[9]، والشوكاني[9]، والألوسي[10]، والسعدي[11]، والشنقيطي[12].

قال النحاس: « ومعنى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعلم بنـزول عيسى -عليه السلام- أن الساعة قد قربت »[13].

وقال الفخر الرازي: « ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: عيسى -عليه السلام- ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ شرط من أشراطها تعلم به، فسمي الشرط الدال على الشيء علمًا؛ لحصول العلم به »[14].

---

(١) الكشاف (264/4).

(٢) التفسير الكبير (191/27).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (105/16).

(٤) أنوار التنـزيل (150/5).

(٥) مدارك التنـزيل (118/4).

(٦) التسهيل لعلوم التنـزيل (32/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (133/4).

(٨) إرشاد العقل السليم (52/8).

(٩) فتح القدير (562/4).

(١٠) روح المعاني (92/25).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(768).

(١٢) أضواء البيان (128/7).

(١٣) معاني القرآن (380/6).

(١٤) التفسير الكبير (191/27).

وقال أبوالسعود: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن عيسى -عليه السلام- ﴿لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: إنه بنــزوله شرط من أشراطها وتسميته علمًا لحصوله به »[1].

وأفاض الشنقيطي في بيان المعنى واستطرد، فأقتطع من كلامه موضع الشاهد منه، حيث قال: « قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ التحقيق أن الضمير في قوله ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ راجع إلى عيسى -عليه السلام-، لا إلى القرآن، ولا إلى النبي ﷺ.

ومعنى قوله ﴿لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة هو أن نــزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان حيًا علم للساعة أي علامة لقرب مجيئها لأنه من أشراطها الدالة على قربها. وإطلاق علم الساعة على نفس عيسى -عليه السلام- جار على أمرين كلاهما أسلوب عربي معروف:

أحدهما: أن نــزول عيسى -عليه السلام- المذكور لما كان علامة لقربها كانت تلك العلامة سببًا لعلم قربها فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب؛ وإطلاق المسبب وإرادة السبب أسلوب عربي معروف في القرآن وفي كلام العرب، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [سورة غافر: 13]، فالرزق مسبب عن المطر والمطر سببه فأطلق المسبب الذي هو الرزق وأريد سببه الذي هو المطر للملابسة القوية التي بين السبب والمسبب.

---

(1) إرشاد العقل السليم (52/8).

والثاني من الأمرين: أن غاية ما فيه أن الكلام على حذف مضاف والتقدير وإنه لذو علم للساعة أي: وإنه لصاحب إعلام الناس بقرب مجيئها لكونه علامة لذلك وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في القرآن وكلام العرب.

أما دلالة القرآن الكريم على هذا القول الصحيح ففي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [سورة النساء: 159]، أي: ليؤمنن بعيسى -عليه السلام- قبل موت عيسى -عليه السلام- وذلك صريح في أن عيسى -عليه السلام- حيّ وقت نـــزول آية النساء هذه وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب، ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نـــزوله إلى الأرض فاتضح مما ذكرنا أن آية الزخرف هذه تبيّنها آية النساء المذكورة وأن عيسى -عليه السلام- لم يمت وأنه ينـــزل في آخر الزمان، وإنما قلنا إن قوله تعالى هنا ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: علامة ودليل على قرب مجيئها لأن وقت مجيئها بالفعـــل لا يعلمه إلا الله -عز وجل- »[1].

فبما ذكرته تبيّن اتفاقهم على المعنى الراجح، وأما القول بأنه يراد به القرآن الكريم أو النبي ﷺ ، فلم يجزم أحد به معنىً للآية، إنما ذكره الماوردي[2] ضمن أقوال أخرى ، وأشار إليه الشنقيطي في كلامه المذكور آنفًا دون ترجيح، والله أعلم بالصواب.

---

(1) أضواء البيان (128/7) بتصرف.

(2) النكت والعيون (235/5).

معنى: ﴿مُبْلِسُونَ﴾

99- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الزخرف: 74-75].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من رحمة الله »([1]).

وبنفس عبارة ابن قتيبة فسرها: السمرقندي([2])، والقرطبي([3]).

وقيل في معنى ﴿مُبْلِسُونَ﴾: « آيسون من كل خير » وهذا المعنى مروي عن ابن عباس([4])، وقال به النحاس([5])، والبغوي([6])، وابن عطية([7])، وابن جزي([8])، جزي([8])، وابن كثير([1])، والسعدي ([2]).

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(345).
(٢) بحر العلوم (251/3).
(٣) الجامع لأحكام القرآن 115/016).
(٤) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(416).
(٥) معاني القرآن (385/6).
(٦) معالم التنـزيل (314/3).
(٧) المحرر الوجيز (64/5).
(٨) التسهيل لعلوم التنـزيل (32/4).

وقيل أيضًا: ﴿مُبۡلِسُونَ﴾ أي: آيسون من النجاة أو الفرج، فاستسلموا للعذاب والبلاء، قاله: الطبري[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وأبوالسعود[6].

وقيل معناها: « ساكتون سكوت يأس » وهو قول الواحدي[7]، والسمعاني[8]، والزمخشري[9]، والفخر الرازي[10]، والمحلي[11].

أما الشوكاني فقد جمع معنيين معًا اعتبرهما تفسيرًا للآية، فقال: « ﴿وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ أي: آيسون من النجاة، وقيل: ساكتون سكون يأس »[12].

والذي يظهر –والله أعلم– أن المعاني كلها الواردة عن الأئمة المفسرين يصح حمل الآية عليها، فإنه لا تنافر بينها وكلها تجتمع على المعنى نفسه، وقد قال أهل اللغة: « وأبلس: سكت، وأبلس من رحمة الله: يئس وندم، والمبلس: اليائس،

---

(1) تفسير القرآن العظيم (136/4).
(2) تيسير الكريم الرحمن ص(770).
(3) جامع البيان (98/25).
(4) أنوار التنـزيل (153/5).
(5) مدارك التنـزيل (120/4).
(6) إرشاد العقل السليم (55/8).
(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (978/2).
(8) تفسير القرآن (117/5).
(9) الكشاف (266/4).
(10) التفسير الكبير (194/27).
(11) تفسير الجلالين ص(654).
(12) فتح القدير (565/4).

ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أبلس، والمبلس: الساكت من الحزن أو الخوف، والإبلاس الحيرة، ويقال: أبلس فلان إذا سكت غمًا »[1].

فتبين صحة جميع المعاني، واعتبارها جميعًا معنى للآية[2]، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (29/6).

(2) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ﴾

100- قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧﴾ [سورة الدخان: 47].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ﴾ أي: قودوه بالعنف؛ يقال: جيء بفلان يعتل إلى السلطان؛ أي: يقاد ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ وسط النار »([1]).

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة هو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين؛ منهم: النحاس([2])، والسمرقندي([3])، والسمعاني([4])، والزمخشري([5])، وابن عطية([6])، والفخر الرازي([7])، وابن كثير([8])، والشوكاني([9])، والألوسي([10])، وابن عاشور([11])، والشنقيطي([1]).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(347).

(2) معاني القرآن (413/6).

(3) بحر العلوم (260/3).

(4) تفسير القرآن (131/5).

(5) الكشاف (284/4).

(6) المحرر الوجيز (76/5).

(7) التفسير الكبير (215/27).

(8) تفسير القرآن العظيم (146/4).

(9) فتح القدير (578/4).

(10) روح المعاني (133/25).

(11) التحرير والتنوير (315/25).

قال ابن عطية: « ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ﴾ والعتل السوق بعنف وإهانة ودفع قوي متصل كما يُساق أبدًا مرتكب الجرائم »[2].

وقال ابن كثير: « ﴿فَٱعۡتِلُوهُ﴾ أي: سوقوه سحبًا ودفعًا في ظهره »[3].

وقال الشوكاني: « ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: يقال للملائكة الذين هم خزنة النار ﴿خُذُوهُ﴾ أي: الأثيم ﴿فَٱعۡتِلُوهُ﴾ العتل القود بالعنف يقال: عتله يعتله إذا جرّه وذهب به إلى مكروه »[4].

فالظاهر -والعلم عند الله تعالى- إجماع المفسرين واتفاقهم على المعنى الذي ذهب إليـه ابن قتيبة، فصح حمل معنى الآية عليه، بل إنه أيضًا « قول جميع أهل اللغة »[5] كما قال ذلك الفخر الرازي[6]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أضواء البيان (453/7).

(٢) المحرر الوجيز (76/5).

(٣) تفسير القرآن العظيم (146/4).

(٤) فتح القدير (578/4).

(٥) انظر: كتاب العين للفراهيدي (69/2)، وتهذيب للأزهري (160/2)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (223/4)، ولسان العرب لابن منظور (423/11)، ومختار الصحاح ص(173).

(٦) التفسير الكبير (215/27).

معنى: ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾

101- قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجاثية: 18].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملة ومذهب، ومنه يقال: شرعت لك كذا، وشرع فلان في كذا: إذا أخذ فيه، ومنه: « مشارع الماء » وهي: الفُرَض التي يشرع فيها الناس والواردة »[1].

ولقد وافق ابن قتيبة على المعنى الذي ذكره كل من: النحاس[2]، والسمعاني[3]، والقرطبي[4]، والشوكاني[5].

فمثلاً: قال الشوكاني: « ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ الشريعة -في اللغة- المذهب والملة والمنهاج، ويقال لمشرعة الماء وهي مورد شاربيه شريعه، ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد، فالمراد بالشريعة هنا: ما شرعه الله لعباده من

(١) تفسير غريب القرآن ص(348).
(٢) معاني القرآن (424/6).
(٣) تفسير القرآن (139/5).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (163/16).
(٥) فتح القدير (7/5).

الدين، والجمع شرائع، أي جعلناك يا محمد على منهاج واضح من أمر الدين يوصلك إلى الحق ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾ فاعمل بأحكامها في أمتك ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ توحيد الله وشرائعه »[1].

وأقوال غيرهم من المفسرين لم تبتعد عن ما ذكروه، فقال الزمخشري ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٖ﴾ على طريقة ومنهاج﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة »[2] ومثله تمامًا قال الفخر الرازي[3].

وقال ابن كثير: « ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا﴾ أي: اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين »[4].

وقال السعدي: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾ فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح »[5].

---

(١) المرجع السابق (7/5).

(٢) الكشاف (292/4).

(٣) التفسير الكبير (228/27).

(٤) تفسير القرآن العظيم (150/4).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(777).

فمما ذُكر يظهر -والله أعلم- أن اختلاف عبارات المفسرين في بيان المعنى جاءت على سبيل التنوع لا التضاد، واجتمعوا في إراد المعنى المقصود، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿جَاثِيَةً﴾

102- قال تعالى ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الجاثية: 28].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ باركة على الركب، يراد: أنها غير مطمئنة »[1].

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة هو المروي عن مجاهد[2]، وقول النحاس[3]، والسمرقندي[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، والزمخشري[8]، وابن عطية[9]، والفخر...

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(348).
(2) تفسير مجاهد (592/2).
(3) معاني القرآن (430/6).
(4) بحر العلوم (267/3).
(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (992/2).
(6) تفسير القرآن (144/5).
(7) معالم التنزيل (161/4).
(8) الكشاف (295/4).
(9) المحرر الوجيز (88/5).

الرازي[1]، وابن جزي[2]، والثعالبي[3]، وأبوالسعود[4]، والشوكاني[5]، والألوسي[6]، والسعدي[7]، وابن عاشور[8]، والشنقيطي[9].

قال البغوي: « ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله تعالى »[10].

وقال ابن جزي: « ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي: تجثوا على الركب، وتلك هيئة الخائف الذليل »[11].

---

(١) التفسير الكبير (233/27).

(٢) التسهيل لعلوم التنـزيل (40/4).

(٣) الجواهر الحسان (147/4).

(٤) إرشاد العقل السليم (74/8).

(٥) فتح القدير (10/5).

(٦) روح المعاني (155/25).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص(778).

(٨) التحرير والتنوير (147/16) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ [سورة مريم: 68].

(٩) أضواء البيان (475/3) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ [سورة مريم: 68].

(١٠) معالم التنـزيل (161/4).

(١١) التسهيل لعلوم التنـزيل (40/4).

وقال السعدي: « ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ على ركبها خوفًا وذعرًا وانتظارًا لحكم الملك الرحمن »[1].

وقد وردت معانٍ أخرى للفظ ﴿جَاثِيَةً﴾ فقيل: « مجتمعة، وقيل: متميزة، وقيل: خاضعة »[2] إلا أن « القول الأول أعرف وأشهر »[3]، وهو « المختار المعروف »[4]، وهو « الأوْلى »، وهو « قول الأكثر »[5]، ومع ذلك « فلا ينافيه ورود اللفظ لمعنى آخر »[6]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(778).

(2) حكاها الماوردي في النكت والعيون (267/5).

(3) معاني القرآن للنحاس (430/6).

(4) تفسير القرآن للسمعاني (144/5).

(5) قاله ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (152/4)، والشوكاني في فتح القدير (10/5).

(6) أضواء البيان للشنقيطي (475/3).

معنى: ﴿أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾

103- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأحقاف: 4].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم تؤثر عن الأولين »[1].

وإلى نفس هذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة ذهب الغالبية العظمى من المفسرين، منهم: الطبري[2]، والنحاس[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، وابن عطية[7]، ....

(١) تفسير غريب القرآن ص(350).

(٢) جامع البيان (2/26).

(٣) معاني القرآن (438/6).

(٤) تفسير القرآن (149/5).

(٥) معالم التنزيل (163/4).

(٦) الكشاف (298/4).

(٧) المحرر الوجيز (92/5).

والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، وابن جزي[3]، وأبوالسعود [4]، والشوكاني[5]، والشوكاني[5]، والألوسي[6]، والسعدي[7].

قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال الأثارة: البقية من علم »[8].

وقال الزمخشري: « أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين »[9].

وقال ابن عطية: « ﴿أَوۡ أَثَـٰرَةٍ﴾ معناه: أو بقية قديمة من علم أحد العلماء يقتضي عبادة الأصنام »[10].

ووردت أقوال أخرى في بيان معنى ﴿أَوۡ أَثَـٰرَةٍ﴾ منها: « رواية من علم، وقيل: أو علم تأثرونه عن غيركم »[11].

---

(١) أنوار التنـزيل (177/5).

(٢) مدارك التنـزيل (135/4).

(٣) التسهيل لعلوم التنـزيل (41/4).

(٤) إرشاد العقل السليم (78/8).

(٥) فتح القدير (14/5).

(٦) روح المعاني (5/26).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص(779).

(٨) جامع البيان (2/26).

(٩) الكشاف (298/4).

(١٠) المحرر الوجيز (92/5).

(١١) حكاها الماوردي في النكت والعيون (271/5).

لكن الذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح في معنى الآية ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه « لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب »[1]، ولا يمنع أيضًا إرادة المعاني الأخرى فإن كل « الأقوال متقاربة »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: جامع البيان للطبري (2/26)، ومعاني القرآن للنحاس (438/6).
(2) انظر: المرجع السابق (438/6)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (155/4).

معنى: ﴿عَارِضًا﴾

104- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأحقاف: 24].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ العارض: السحاب »[1].

وأجمع المفسرون على المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، وأن العارض المذكور في الآية يراد به السحاب، لأنه « يعرض في الجو »[2]، فقد قاله: الطبري[3]، والنحاس[4]، والسمرقندي[5]، والواحدي[6]، والسمعاني[7]، والزمخشري[8]، وابن عطية[9]، .... والفخر

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(351).

(2) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (102/5).

(3) جامع البيان (220/8).

(4) معاني القرآن (453/6).

(5) بحر العلوم (276/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (997/2).

(7) تفسير القرآن (158/5).

(8) الكشاف (311/4).

(9) المحرر الوجيز (102/5).

الرازي([1])، والقرطبي([2])، والبيضاوي([3])، والنسفي([4])، والمحلي([5])، وأبوالسعود([6])، وأبوالسعود([6])، والشوكاني([7])، والسعدي([8])، وابن عاشور([9]).

قال النحاس: « أي فلما رأوا الذي أوعدوا كسحاب عارض قد اعترض فيه عذاب و لم يعلموا أن فيه عذابًا قالوا هذا عارض ممطرنا »([10]).

وقال الزمخشري: « والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء »([11]).

وقال النسفي: « فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحًا »([12]).

وقال السعدي: « ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: هذا السحاب سيمطرنا »([13]).

وإجماعهم علامة صحة المعنى ورجحانه بيانًا للمعنى، والله أعلم بالصواب.

---

(١) التفسير الكبير (24/28).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (205/16).

(٣) أنوار التنـزيل (183/5).

(٤) مدارك التنـزيل (141/4).

(٥) تفسير الجلالين ص(670).

(٦) إرشاد العقل السليم (86/8).

(٧) فتح القدير (23/5).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص(782).

(٩) التحرير والتنوير (49/26).

(١٠) معاني القرآن (453/6).

(١١) الكشاف (311/4).

(١٢) مدارك التنـزيل (141/4).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(782).

معنى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾

105- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤﴾ [سورة محمد: 4].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ أي: يضع أهل الحرب السلاح، قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها   رماحًا طوالاً وخيلاً ذكورًا[1]

وأصل (الوزر) ما حملته؛ فسُمي السلاحُ أوزارًا لأنه يُحمل »[2].

إلى مثل ما ذهب إليه ابن قتيبة أن أوزار الحرب يراد بها السلاح ونحوه ذهب قلة من المفسرين، منهم:

---

(1) البيت من قصيدة للأعشى مطلعها:

غَشيتَ لليلى بليلٍ خدورا   وطالبتها ونذرت النذورا

وقد سبقت ترجمة الأعشى. انظر: شرح ديوان الأعشى ص(89).

(2) تفسير غريب القرآن ص(352).

ابن عاشور: « والأوزار: الأثقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل، فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمّال أو المسافر أثقاله »[1].

الشنقيطي: « ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أي: إذا لقيتم الكفار فاضربوا أعناقهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ قتلاً فأسروهم ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: حتى تنتهي الحرب. وأظهر الأقوال في معنى وضع الحرب أوزارها أنه وضع السلاح، والعرب تسمي السلاح وزراً[2]، وتطلق العرب الأوزار على آلات الحرب وما يساعد فيها كالخيل، ومنه قول الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحًا طوالاً وخيلاً ذكورا »[3].

قيل: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: الأوزار في هذه الآية الآثام، جمع وزر، لأن الحرب لابد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين[4].

أقول: وعلى هذا القول يُفهم أن أي حرب بين فريقين لابد أن يكون فيها جانب مصيب وجانب مخطئ، وهذا بصورة عامة؛ وعليه فُسِّر لفظ الأوزار هنا، وإلا فإن الحرب بين المسلمين والكفار واضح فيها أن الآثام على الكفار لعدم استجابتهم للدعوة إلى الإسلام.

---

(١) التحرير والتنوير (82/26).

(٢) انظر: كتاب العين للفراهيدي (380/7)، وتهذيب اللغة للأزهري (167/13)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (108/6)، ولسان العرب لابن منظور (282/5).

(٣) أضواء البيان (251/7).

(٤) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (110/5).

وثَمَّ قول آخر في بيان المراد بـــ ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ مؤداه: حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا أو يسالموا([1]).

أقول: وعلى هذا القول يُراد أن أي حرب يخوضها المسلمون مع المشركين أو الكفار عمومًا في أي منطقة، فإذا أسلم كفار تلك المنطقة بأن دخلوا في دين الإسلام، فقد وضعوا عن أنفسهم وزر الكفر، أو يسالموا بأن يدخلوا في الذمة.

وقول أيضًا في معنى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: حين يظهر الإسلام على الدين كله([2]).

أقول: وهذا القول مبني على عموم العلاقة مع الكفار، فإن المسلمين يقومون بواجب نشر الإسلام في الأرض، فإذا وقف في طريقهم من الكفار من يريد منع نشر الإسلام، قاتلوه، أما إذا أسلم أهل الأرض جميعًا ودخلوا في دين الإسلام و لم يبق كافر، فقد وضعت الحرب أوزارها.

وقول أخير في معنى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: يعني حتى ينـــزل عيسى بن مريم -عليه السلام-([3]).

أقول: وعلى هذا القول فمعلوم من النصوص الواردة في نـــزول عيسى -عليه السلام-؛ وقتله للدجال، أن يعيش الناس بعد ذلك تحت حكمه في أمن وأمان وإيمان، فلا كافر يُقاتَل، ولا ذِمّي تُؤخذ منه الجزية([1]).

([1]) انظر: معاني التنـــزيل للبغوي (179/4)، ومدارك التنـــزيل للنسفي (!45/4).

([2]) انظر: النكت والعيون للماوردي (293/5).

([3]) المرجع السابق.

وبدراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآية لوحظ أن أكثرهم قد جعلوا المراد بوضع الحرب أوزارها شاملاً لأكثر من معنى، فمنهم من يسرد الأقوال كلها عند تفسيره للآية، أو يُوجد رابطة بين بعض الأقوال وبعضها يكون بمجملها تفسير الآية، وسأذكر أقوال بعضهم؛ وأشير إلى البقية اختصارًا:

قال الطبري: « وقوله ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يقول تعالى ذكره فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها المشركين بالله -عَزَّ وَجَلَّ- بأن يتوبوا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- من شركهم فيؤمنوا به وبرسوله ويطيعوه في أمره ونهيه فذلك وضع الحرب أوزارها. وقيل: حتى تضع الحرب أوزارها، والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها، وقيل: معنى ذلك حتى يضع المحارب أوزاره »[2].

وقال الواحدي: « ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: اقتلوهم وأسروهم حتى لا يبقى كافر يقاتلكم، فتسكن الحرب، وتنقطع، وهو معنى قوله ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: يضع أهلها آلة الحرب من السلاح وغيره، ويدخلوا في الإسلام أو الذمَّة »[3].

---

(1) انظر: أشراط الساعة ليوسف الوابل ص(337-364).

(2) جامع البيان (42/26).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1001/2).

وقال البيضاوي: « ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع، أي تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم. وقيل: آثامها، والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب أو الشد، أو للمن والفداء، أو للمجموع، بمعنى أن هذه الأحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب من المشركين بزوال شوكتهم. وقيل: بنـــزول عيسى عليه الصلاة والسلام »[1].

وقال ابن كثير: « ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ حتى لا يبقى شرك، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: 193]، ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أي: أوزار المحاربين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله -عز وجل-، وقيل: أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى »[2].

وقال البقاعي: « ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ وهي أثقالها، أي الآلات التي تثقل القائمين بها من النفقات والسلاح والكراع ونحوه، وذلك لا يكون وفي الأرض كافر، وذلك على زمن عيسى عليه الصلاة والسلام حين تخرج الأرض بركاتها، وتكون الملة واحدة وهي الإسلام لله رب العالمين »[3].

---

(1) أنوار التنـزيل (189/5).

(2) تفسير القرآن العظيم (174/4).

(3) نظم الدرر (152/7).

ونحو أقوال المذكورين جاءت أقوال كل من الماوردي[1]، والبغوي[2]، والزمخشري[3]، وابن عطية[4]، وابن الجوزي[5]، والفخر الرازي[6]، والقرطبي[7]، وابن جزي[8]، وأبي حيان[9].

ومنه يظهر –والله أعلم– أن المراد بوضع الحرب أوزارها أحد المعاني الآتية:

أولاً: على القول بأن أوزار الحرب هي آلاتها وأثقالها من السلاح والخيول ونحوها، فالأمر من الله لعباده المؤمنين بأن يقاتلوا الكفار، بعد أن يكون المسلمون قد دعوهم إلى الإسلام، ورفض الكفار أيضًا دفع الجزية، فلم يبق إلا قتالهم وإزاحتهم من الطريق لتبليغ دعوة الإسلام لكل الناس، فالمؤمنون عليهم إذا التقوا مع الكفار في ساحة القتال أن يضربوا رقابهم « وعيّن من أنواع القتل أشهره وأعرفه فذكره، والمراد: اقتلوهم بأي وجه أمكن، وقد زادت آية أخرى: ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [سورة الأنفال: 12]، وهي من أنكى ضربات الحرب لأنها تعطل من المضروب جميع جسده، إذ البنان أعظم

(1) النكت والعيون (293/5).

(2) معالم التنزيل (179/4).

(3) الكشاف (320/4).

(4) المحرر الوجيز (110/5).

(5) زاد المسير (397/7).

(6) التفسير الكبير (39/28).

(7) الجامع لأحكام القرآن (228/16).

(8) التسهيل لعلوم التنزيل (47/4).

(9) البحر المحيط (74/8).

آلة المقاتل وأصلها »[1]، وعلى المؤمنين أن يثخنوا الكفار بالقتل « والإثخان والإثخان في القوم: أن يكثر فيهم القتلى والجرحى »[2]، ثم بعد ذلك يشدوا يشدوا وثاق من بقي حيًا من الكافرين ليقع أسيرًا في يد المسلمين، وبالطبع عندما تنتهي الحرب أو المعركة سيضع المحاربون أسلحتهم وأثقالهم عن كاهلهم.

ثانيًا: وعلى القول بأن يراد بوضع الحرب أوزارها؛ إسلام المشركين أو مسالمتهم، فهذا مبني على أن معنى أوزار الحرب: آثامها، فدخول كفار منطقة ما في الإسلام أو رضاهم بدفع الجزية مع استسلامهم لحكم المسلمين، يكونوا قد رفعوا عن أنفسهم إثم الصدّ عن سبيل الله -عز وجل-، وإثم منع تبليغ دعوة الإسلام.

ثالثًا: وعلى القولين « حتى يظهر الإسلام على الدين كله، ونـزول عيسى -عليه السلام-، يدلان -عند حمل الآية عليهما- على دوام مقاتلة المسلمين للكفار إلى يوم القيامة، فإن المعارك بين الإسلام والكفر والحق والباطل لا تتوقف، بناءً على سنة التدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: 40]، قال ابن عطية عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ « وظاهر اللفظة أنها استعارة يراد

---

(1) المحرر الوجيز لابن عطية (110/5).

(2) المرجع السابق.

بها التزام الأمر أبدًا، وذلك أن الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها، فجاء هذا اللفظ كما تقول: أنا أفعل كذا وكذا إلى يوم القيامة، وإنما تريد أنك تفعله دائمًا »[1].

فالظاهر صحة حمل الآية على ما ذكرته من المعاني، استنادًا إلى قاعدة: « أن الآية إن كان لها معان كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعًا »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المرجع السابق.

(2) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾

106- قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [سورة محمد: 6].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ يقال في التفسير: بينها لهم، وعرفهم منازلهم منها. وقال أصحاب اللغة: عرفها لهم: طيّبها، يقال: طعام معرَّف أي: مطيَّب »[1].

من المفسرين من سار على نفس المنهج الذي ذكره ابن قتيبة في إيراد المعنيين المذكورين بيانًا لمعنى الآية، منهم: الزمخشري[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وأبوالسعود[6].

لكن « عامة المفسرين »[7] على المعنى الأول؛ « أي: بيّن لهم مساكنهم فيها وعرفهم منازلهم »[8]، فمنهم: النحاس[1]، والسمرقندي[2]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(352).

(2) الكشاف (321/4).

(3) الجامع لأحكام القرآن (231/16).

(4) أنوار التنزيل (190/5).

(5) مدارك التنزيل (146/4).

(6) إرشاد العقل السليم (93/8).

(7) حكاه الشوكاني عن الواحدي، انظر: فتح القدير (31/5).

(8) هذه عبارة الواحدي في الوجيز (1001/2).

والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، والفخر الرازي[6]، وابن كثير[7]، والشوكاني[8]، والسعدي[9].

وثَمَّ قول ثالث: عرّفها « معناه: شرفها ورفعها فهو من الأعراف التي هي الجبال »[10].

والذي يظهر -والله أعلم- أن القول الأول هو « أحسن الأقوال وأصحها »[11]، وهو « القول المشهور »[12] الذي عليه « أكثر المفسرين »[13]، ولا يمنع هذا من إرادة الأقوال الأخرى، فإن من المفسرين مَنْ ذكروا الأقوال الثلاثة معًا عند تفسيرهم للآية؛ في إشارة منهم إلى اعتبارها معًا بيانًا لمعنى الآية، فمنهم: ابن عطية[14]، وابن جزي[1]، والثعالبي[2]، والألوسي[3]، فيكون

---

(١) معاني القرآن (465/6).

(٢) بحر العلوم (283/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1001/2).

(٤) تفسير القرآن (170/5).

(٥) معالم التنزيل (179/4).

(٦) التفسير الكبير (42/28).

(٧) تفسير القرآن العظيم (175/4).

(٨) فتح القدير (31/5).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص(785).

(١٠) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (47/4).

(١١) انظر: معاني القرآن للنحاس (465/6).

(١٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (170/5).

(١٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (231/16)، والجواهر الحسان للثعالبي (163/4).

(١٤) المحرر الوجيز (111/5).

فيكون المراد: « أن الله -سبحانه وتعالى- لم يزل يمدح الجنة لعباده المؤمنين حتى عشقوها فاجتهدوا فيما يوصلهم إليها »[4]، والله أعلم بالصواب.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (47/4).

(2) الجواهر الحسان (163/4).

(3) روح المعاني (43/26).

(4) انظر: المرجع السابق (43/26) بتصرف يسير.

معنى: ﴿ءَاسِنٍ﴾

107- قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة محمد: 15].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غير متغير الريح والطعم »[1].

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة أجمع المفسرون عليه، منهم: الطبري[2]، والنحاس[3]، والسمرقندي[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، .... والبغوي[7]، وابن عطية[1]، وابن الجوزي[2]، والفخر الرازي[3]، والقرطبي[4]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(353).

(2) جامع البيان (49/26).

(3) معاني القرآن (473/6).

(4) بحر العلوم (285/3).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1002/2).

(6) تفسير القرآن (173/2).

(7) معالم التنــزيل (181/4).

والقرطبي([4])، والبيضاوي([5])، والنسفي([6])، وابن جزي([7])، وابن كثير([8])، والمحلي([9])، والثعالبي([10])، وأبوالسعود([11])، والألوسي([12])، والسعدي([13])، والشنقيطي([14]).

قال السمعاني: « وقوله ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ أي: غير متغير، يقال أسن الماء يأسن إذا تغيّر، وإنما قال ذلك لأن الماء يتغير بطول المكث، وماء الجنة لا يتغير بطول المكث »([15]).

---

(١) المحرر الوجيز (114/5).

(٢) زاد المسير (401/7).

(٣) التفسير الكبير (48/28).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (236/16).

(٥) أنوار التنزيل (192/5).

(٦) مدارك التنزيل (147/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (48/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (177/4).

(٩) تفسير الجلالين ص(674).

(١٠) الجواهر الحسان (164/4).

(١١) إرشاد العقل السليم (95/8).

(١٢) روح المعاني (48/26).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(786).

(١٤) أضواء البيان (254/7).

(١٥) تفسير القرآن (173/5).

وقال السعدي: « ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ أي: غير متغير لا بوخم ولا بريح منتنة ولا بحرارة ولا بكدورة بل هو أعذب المياه وأصفاها وأطيبها ريحًا وألذها شربًا »[1].

ولإجماع المفسرين عليه، وتأييد أهل اللغة[2] للمعنى المذكور، صح حمل الآية عليه، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(786).

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور (17/13).

معنى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾

108- قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة محمد: 35].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم، يقال: وترتني حقي؛ أي: بخستنيه »[1].

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة هو المروي عن مجاهد[2]، وقول الطبري[3]، والنحاس[4]، والسمرقندي[5]، والواحدي[6]، والسمعاني[7]، والبغوي [8]، والزمخشري[9]،.. والفخر

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(354).

(2) تفسير مجاهد (599/2).

(3) جامع البيان (64/26).

(4) معاني القرآن (486/6).

(5) بحر العلوم (291/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1005/2).

(7) تفسير القرآن (185/5).

(8) معالم التنزيل (186/4).

(9) الكشاف (332/4).

الرازي[1]، والقرطبي[2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وابن جزي[5]، وابن وابن كثير[6]، والمحلي[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10]، والسعدي[11]، والشنقيطي[12].

قال الواحدي: « ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ لن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم »[13].

وقال الزمخشري: « ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم، وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله؛ من الوتر وهو الفرد، فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام »[14].

---

(١) التفسير الكبير (64/28).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (256/16).

(٣) أنوار التنزيل (197/5).

(٤) مدارك التنزيل (151/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (50/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (182/4).

(٧) تفسير الجلالين ص(677).

(٨) إرشاد العقل السليم (102/8).

(٩) فتح القدير (42/5).

(١٠) روح المعاني (80/26).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(790).

(١٢) أضواء البيان (390/7).

(١٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1005/2).

(١٤) الكشاف (332/4).

وقال أبوالسعود: « وعبر عن ترك الإثابة في مقابلة الأعمال بالوتر الذي هو إضاعة شيء معتد به من الأنفس والأموال، مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة إبرازاً لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنـــزيل ترك الإثابة منـــزلة إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها »[1].

وقال الشنقيطي : « وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم، وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم نقصه تعالى شيئًا من ثواب الأعمال جاء موضحًا في آيات أخر كقوله تعالى : ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [سورة الحجرات: 14] أي: لا ينقصكم من ثوابها شيئًا، وكقوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [سورة الأنبياء: 47] والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ أصله من الوتر وهو الفرد؛ فأ صل قوله لن يتركم لن يفردكم ويجردكم من أعمالكم بل يوفيكم إياها »[2].

---

(١) إرشاد العقل السليم (102/8).

(٢) أضواء البيان (390/7).

وفي الحديث المرفوع: (الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله) [1].

فهذا المعنى الذي أجمع عليه « المفسرون »[2] قد دلت عليه آيات أخرى من القرآن، وتفسير القرآن بالقرآن أحسن أنواع التفسير وأفضلها[3]، ودل عليه الحديث النبوي فنال بكل ذلك مراتب الصحة، والله أعلم بالصواب.

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب إثم من فلتته العصر حديث رقم (527)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب التغليظ في تفويت العصر حديث رقم (626) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(2) حكى إجماعهم ابن الجوزي في زاد المسير (414/7).

(3) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾

109- قال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الفتح: 20].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي: عن عيالكم ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ »[1].

أقوال المفسرين في هذه الآية دارت حول معنيين: (عن عيالكم) وهو الذي ذهب إليه ابن قتيبة، ووافقه الطبري[2]، والنحاس[3]، والواحدي[4]، والمحلي[5].

والمعنى الآخر: أن ﴿عَنكُمْ﴾ على أصله[6]، وقال به فقط معنىً للآية: السمرقندي[1]، والسمعاني[2]، والسعدي[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(356).

(2) جامع البيان (90/26).

(3) معاني القرآن (507/6).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1011/2).

(5) تفسير الجلالين ص(782).

(6) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (435/7).

ولكن غالبية المفسرين يذكرون المعنيين معًا عند تفسيرهم للآية، منهم: البغوي[4]، وابن عطية[5]، والقرطبي[6]، والبيضاوي[7]، والنسفي[8]، وابن كثير[9]، والثعالبي[10]، وأبوالسعود[11]، والشوكاني[12]، والألوسي[13].

وقد قال الطبري عند تفسيره للآية، وتأييده للمعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة: إنه « أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كف الله تعالى أيدي المشركين من أهل الحديبية قد ذكره الله تعالى بعد هذه الآية في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [سورة الفتح: 24]، فعلم بذلك أن الكف الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ غير الكف الذي ذكر الله تعالى بعد

(1) بحر العلوم (301/3).
(2) تفسير القرآن (202/5).
(3) تيسير الكريم الرحمن ص(794).
(4) معالم التنزيل (194/4).
(5) المحرر الوجيز (135/5).
(6) الجامع لأحكام القرآن (278/16).
(7) أنوار التنزيل (205/5).
(8) مدارك التنزيل (156/4).
(9) تفسير القرآن العظيم (192/4).
(10) الجواهر الحسان (177/4).
(11) إرشاد العقل السليم (110/8).
(12) فتح القدير (51/5).
(13) روح المعاني (109/26).

هذه الآية في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [سورة الفتح: 24]، وقوله تعالى ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم ع عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله تعالى هو المتولي حياطتهم وكلاءهم في مشهدهم ومغيبهم ويتقوا الله تعالى في أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته منتهين إلى أمره ونهيه »[1].

وممن ذكر القولين معًا تفسيرًا للآية البغوي حيث قال: « ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله تعالى أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعني: أهل مكة بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ كفهم وسلامتكم ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على صدقك ويعلموا أن الله تعالى هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم »[2].

وحكى ابن الجوزي أن القول بأن ﴿عَنكُمْ﴾ على أصله أنه قد «قاله الأكثرون»[3].

---

(١) جامع البيان (90/26).

(٢) معالم التنزيل (194/4).

(٣) زاد المسير (435/7).

والذي يظهر -والله أعلم- صحة حمل الآية على المعنيين، ولقد أحسن ابن كثير حين جمع بينهما بقوله: «﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي: لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال، وكذلك كف أيدي الناس عنكم الذين خلفتموهم وراء ظهوركم من عيالكم وحريمكم»[1]. و «الآية إذا كانت تحتمل عدة معانٍ كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعاً»[2]، والله أعلم بالصواب.

(1) تفسير القرآن العظيم (192/4).

(2) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾

110- قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الفتح: 25].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ لو تميزوا » (1).

وإلى نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة ذهب كل من: السمرقندي(2)، والواحدي(3)، والسمعاني(4)، والبغوي(5)، والفخر الرازي(6)، وابن كثير(7)، والمحلي(1).

(1) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (440/7).

(2) بحر العلوم (303/3).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1012/2).

(4) تفسير القرآن (205/5).

(5) معالم التنزيل (204/4).

(6) التفسير الكبير (87/28).

(7) تفسير القرآن العظيم (194/4).

وقد روى عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن معنى ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾: أي: لو تفرقوا[2].

وقيل: في معنى: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾: « أي: لو ذهبوا عن مكة، تقول أزلت زيدًا عن موضعه إزالةً أي أذهبته »[3]، واختار هذا القول تفسيرًا للآية: ابن عطية[4]، والثعالبي[5]، والسعدي[6].

وإضافة إلى ما سبق فإن عددًا من المفسرين جمعوا بين المعنيين (التميز) و (التفرق) معًا بيانًا لمعنى الآية، منهم: الزمخشري[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، وأبوالسعود[10]، والألوسي[11].

وفريق منهم ذكروا المعاني الثلاثة كلها في بيان معنى الآية، منهم: القرطبي[12]، والشوكاني[1].

---

(1) تفسير الجلالين ص(683).

(2) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(434).

(3) هذه عبارة ابن عطية في المحرر الوجيز (137/5).

(4) المرجع السابق.

(5) الجواهر الحسان (179/4).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(794).

(7) الكشاف (345/4).

(8) أنوار التنزيل (207/5).

(9) مدارك التنزيل (158/4).

(10) إرشاد العقل السليم (112/8).

(11) روح المعاني (115/26).

(12) الجامع لأحكام القرآن (286/16).

وعليه يظهر -والله أعلم- صحة اعتبار المعاني الثلاثة كلها تفسيرًا للآية، فإن « المعاني متقاربة »[2] ومتداخلة، والله أعلم بالصواب.

---

(1) فتح القدير (54/5).

(2) انظر: المرجع السابق.

معنى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾

111- قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح: 29].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: «﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: أعانه وقواه»[1].

وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس[2]، ومجاهد[3]، وقول الطبري[4]، والنحاس[5]،..

(١) تفسير غريب القرآن ص(356).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(434).

(٣) تفسير مجاهد (604/2).

(٤) جامع البيان (114/26).

(٥) معاني القرآن (517/6).

والسمرقندي[1]، والواحدي[2]، والبغوي[3]، والزمخشري[4]، وابن عطية[5]، والقرطبي[6]،والبيضاوي[7]، والنسفي[8]، وابن جزي[9]، وابن كثير[10]، والمحلي[11]، وأبي السعود[12]، والشوكاني[13]، والألوسي[14]، والشنقيطي[15].

قال الواحدي: « ﴿فَآزَرَهُۥ﴾ قواه وأعانه، أي: قوى الشطأ الزرع كما قوى أمر محمد وأصحابه، والمعنى أنهم يكونون قليلاً ثم يكثرون، وهذا مثل ضربه الله

---

(١) بحر العلوم (305/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1014/2).

(٣) معالم التنزيل (206/4).

(٤) الكشاف (350/4).

(٥) المحرر الوجيز (142/5).

(٦) الجامع لأحام القرآن (295/16).

(٧) أنوار التنزيل (209/5).

(٨) مدارك التنزيل (160/4).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (57/4).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (205/4).

(١١) تفسير الجلالين ص(684).

(١٢) إرشاد العقل السليم (115/8).

(١٣) فتح القدير (65/5).

(١٤) روح المعاني (126/26).

(١٥) أضواء البيان (398/7).

تعالى لنبيه -عليه السلام- إذ خرج وحده فأيده بأصحابه كما قوى الطاقة من الزرع بما ينبت حوله »[1].

وقال ابن جزي: « ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: قواه، وهو من الموازرة بمعنى المعاونة »[2].

وقال الشنقيطي: « وهذه الآية الكريمة قد بين الله فيها أنه ضرب المثل في الإنجيل للنبي ﷺ وأصحابه بأنهم كالزرع يظهر في أول نباته رقيقًا ضعيفًا متفرقًا ثم ينبت بعضه حول بعض ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد وتعجب جودته أصحاب الزراعة العارفين بها فكذلك النبي ﷺ وأصحابه كانوا في أول الإسلام في قلة وضعف ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوة حتى بلغوا ما بلغوا »[3].

وبما ذكرته تبين -والعلم عند الله تعالى- إجماع المفسرين على هذا المعنى، مع كونه المعروف عند أهل اللغة[4]، فثبت اعتبار ما ذكره الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- معنىً للآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1014/2).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (57/4).

(3) أضواء البيان (398/7).

(4) انظر: لسان العرب لابن منظور (17/4)، وتاج العروس للزبيدي (42/10).

معنى: ﴿لَعَنِتُّمْ﴾

112- قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحجرات: 7].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ من العنت، وهو: الضرر والفساد »(1).

أقوال المفسرين في بيان معنى ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ تتشابه في المعنى وتختلف في الألفاظ، وسأذكر بعضهم بيانًا، وأشير لبقيتهم اختصارًا:

قال الطبري: « وقوله ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له

(1) تفسير غريب القرآن ص(359).

فيعطيكم ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ يقول لنا لكن عنت؛ يعني: الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم »[1].

وقال البغوي: «﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم وهلكتم، والعنت: الإثم والهلاك»[2].

وقال ابن كثير: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّى ذلك إلى عنَتكم وحرجكم، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة المؤمنون: 71] »[3].

وقال الشوكاني: « والمعنى لو يطيعكم في كثير مما تخبرونه به من الأخبار الباطلة وتشيرون به عليه من الآراء التي ليست بصواب لوقعتم في العنت وهو التعب والجهد والإثم والهلاك ولكنه لا يطيعكم في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له، ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه »[4].

وحول هذا المعنى تدور أقوال بقية المفسرين، منهم: السمرقندي[5]، والواحدي[1]،...

(١) جامع البيان (125/26).

(٢) معالم التنـزيل (212/4).

(٣) تفسير القرآن العظيم (211/4).

(٤) فتح القدير (60/5).

(٥) بحر العلوم (309/3).

وابن عطية[2]، والفخر الرازي[3]، والقرطبي[4]، والبيضاوي[5]، وابن جزي[6]، والمحلي[7]، والثعالبي[8]، وأبوالسعود[9]، والألوسي[10]، والسعدي[11].

فيظهر -والله أعلم- مما سبق بيانه أن اختلاف المفسرين في بيان معنى هذه الآية هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فيصح اعتبار الجميع معنىً للآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1017/2).
(2) المحرر الوجيز (147/5).
(3) التفسير الكبير (105/28).
(4) الجامع لأحكام القرآن (314/16).
(5) أنوار التنزيل (215/5).
(6) التسهيل لعلوم التنزيل (59/4).
(7) تفسير الجلالين ص(686).
(8) الجواهر الحسان (187/4).
(9) إرشاد العقل السليم (125/4).
(10) روح المعاني (148/26).
(11) تيسير الكريم الرحمن ص(800).

معنى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾

113- قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [سورة الحجرات: 11].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تتداعوا بها، والألقاب والأنباز واحد »[1].

فهذا الذي قاله ابن قتيبة هو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين، فهو المروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، ومجاهد[3]، وقول الطبري[4]، والسمرقندي[5]، والواحدي[6]، والسمعاني[7]، والبغوي[8]، والزمخشري[9]، والزمخشري[9]، وابن عطية[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(359).

(2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(436).

(3) تفسير مجاهد (607/2).

(4) جامع البيان (132/26).

(5) بحر العلوم (311/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1018/2).

(7) تفسير القرآن (222/5).

(8) معالم التنزيل (215/4).

(9) الكشاف (372/4).

والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وابن جزي[6]، وابن كثير[7]، والمحلي[8]، والثعالبي[9]، وأبوالسعود[10]، والشوكاني[11]، والألوسي[12]، والسعدي[13].

حيث اتفقوا على المعنى المراد، وإن وردت اختلافات يسيرة في الألفاظ المعبر بها.

وسأذكر أمثلة مما قالوه لإيضاح المراد:

قال الطبري: « قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ يقول: ولا تداعوا بالألقاب والنبز واللقب بمعنى واحد يجمع النبز أنبازًا واللقب ألقابًا [ثم أورد عددًا من الروايات إلى أن قال:] والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة وعم الله بنهيه ذلك و لم يخص به بعض

---

(1) المحرر الوجيز (150/5).

(2) التفسير الكبير (114/28).

(3) الجامع لأحكام القرآن (328/16).

(4) أنوار التنـزيل (217/5).

(5) مدارك التنـزيل (165/4).

(6) التسهيل لعلوم التنـزيل (60/4).

(7) تفسير القرآن العظيم (213/4).

(8) تفسير الجلالين ص(787).

(9) الجواهر الحسان (189/4).

(10) إرشاد العقل السليم (121/8).

(11) فتح القدير (64/5).

(12) روح المعاني (154/26).

(13) تيسير الكريم الرحمن ص(801).

الألقاب دون بعض فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها و لم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضًا »[1].

وقال الماوردي: « ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ في النبز وجهان:

أحدهما: أنه اللقب الثابت.

الثاني: أن النبز القول القبيح، وفيه هنا أربعة أوجه:

أحدها: أنه وضع اللقب المكروه على الرجل ودعاؤه به.

الثاني: أنه تسمية الرجل بالأعمال السيئة بعد الإسلام يا فاسق يا سارق يا زاني.

الثالث: أنه يعيره بعد الإسلام بما سلف من شركه.

الرابع: أن يسميه بعد الإسلام باسم دينه قبل الإسلام، لمن أسلم من اليهود يا يهودي، ومن النصارى يا نصراني.

فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره، وقد وصف النبي ﷺ عددًا من أصحابه بأوصاف فصارت لهم من أجمل الألقاب »[2]، فالأوجه التي ذكرها اختلفت في ماهية اللقب، واتفقت في أن النبز باللقب هو التداعي به.

قال الواحدي: « ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ وهو أن يدعى الرجل بلقب يكرهه؛ نهى الله تعالى عن ذلك »[1].

---

(١) جامع البيان (132/26).

(٢) النكت والعيون (332/5) بتصرف يسير.

وقال ابن عطية: « والتنابز: التلقب، والنبز واللقب واحد، واللقب هو ما يعرف به الإنسان من الأسماء التي يكره سماعها »(2).

وقال السعدي: « ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ أي لا يعير أحدكم أخاه ويلقبه بلقب يكره أن يقال فيه وهذا هو التنابز وأما الألقاب غير المذمومة فلا تدخل في هذا »(3).

فيظهر -والله أعلم- بما تم بيانه اجتماعهم على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

فائدة:

وأختم بقول القرطبي فيما استثني من الألقاب التي يبدو في ظاهرها الذم حيث قال: « وقع من ذلك مستثنى مَن غَلَب عليه الاستعمال كالأعرج والأحدب و لم يكن له فيه كسب يجد في نفسه منه عليه، فجوّزته الأمة واتفق على قوله أهل الملة »(4).

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1018/2).

(2) المحرر الوجيز (150/5).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(801).

(4) الجامع لأحكام القرآن (328/16).

معنى: ﴿مَّرِيجٍ﴾

114- قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [سورة ق: 5].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مختلط، يقال: مرج أمر الناس، ومرج الدين وأصل المرج: أن يقلق الشيء فلا يستقر. يقال: مرج الخاتم في يدي مرجًا؛ إذا قلق من الهزال »[1].

بدراسة أقوال المفسرين؛ لا يمكن اعتبار أحد من المفسرين خالف بقول لا يوافق فيه ما قاله « المفسرون »[2]، فكل ما ورد عنهم من أقوال « في المعنى متقاربات »[3]، «والمعنى واحد»[4].

فقالوا في معنى ﴿مَّرِيجٍ﴾: « أي: منكر

وقال آخرون: مختلف

وقال آخرون: ضلالة

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(360).

(2) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (6/8).

(3) انظر: جامع البيان للطبري (150/26).

(4) انظر: أضواء البيان (438/7).

وقال آخرون: ملتبس »[1].

وقال آخرون: مضطرب »[2].

فهذه مجمل الأقوال الواردة عن أئمة التفسير، منهم: الطبري[3]، والسمرقندي[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، والزمخشري[8]، والزمخشري[8]، وابن عطية[9]، والفخر الرازي[10]، والقرطبي[11]، والبيضاوي[12]، والنسفي[13]، وابن جزي[14]، وابن كثير[15]، والمحلي[16]،

---

(١) كلها ذكرها الطبري ، انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (384/4).

(٣) جامع البيان (150/26).

(٤) بحر العلوم (316/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1022/2).

(٦) تفسير القرآن (235/5).

(٧) معالم التنزيل (221/4).

(٨) الكشاف (384/4).

(٩) المحرر الوجيز (214/4).

(١٠) التفسير الكبير (133/28).

(١١) الجامع لأحكام القرآن (5/17).

(١٢) أنوار التنزيل (224/5).

(١٣) مدارك التنزيل (170/4).

(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل (63/4).

(١٥) تفسير القرآن العظيم (223/4).

(١٦) تفسير الجلالين ص(689).

وأبوالسعود(1)، .... والشوكاني(2)، والألوسي (3)، والسعدي(4)، والشنقيطي(5).

ومن الأمثلة:

قال الواحدي: « ﴿فِىٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ ملتبس عليهم، مرة يقولون للنبي ﷺ ساحر، ومرة شاعر، ومرة معلم »(6).

وقال ابن كثير: « ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِىٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ أي: وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمريج المختلف المضطرب الملتبس المنكر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ لَفِى قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩﴾ [سورة الذاريات: 8-9] »(7).

وقال الشنقيطي: « ﴿مَّرِيجٍ﴾ أي: مختلط، وقال بعضهم: مختلف، والمعنى واحد »(8).

---

(1) إرشاد العقل السليم (126/8).
(2) فتح القدير (72/5).
(3) روح المعاني (175/26).
(4) تيسير الكريم الرحمن ص(803).
(5) أضواء البيان (438/7).
(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1022/2).
(7) تفسير القرآن العظيم (223/4).
(8) أضواء البيان (438/7).

ولقد أحسن إمام المفســرين الطبري حين أكّد أمر تقارب المعــاني بقوله: « وإنما قلت هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس معناه مشكل، وإذا كان كذلك كان منكرًا، لأن المعروف واضح بيّن، وإذا كان غير معروف كان لا شــك ضلالة، لأن الهدى بيّن لا لبس فيه »[1].

فبهذا العرض والبيان تبيّن اتفاقهم في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

(1) جامع البيان (150/26).

معنى: ﴿بَاسِقَاتٍ﴾

115- قال تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٠﴾ [سورة ق: 10].

قال الإمام ابن قتيبة-رحمه الله-: « ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوالاً، يقال: بسق الشيء يبسق بسوقًا؛ إذا طال »(1).

وقد وافق المفسرون ابن قتيبة في هذا المعنى، منهم: الطبري(2)، والسمرقندي(3)، والواحدي(4)، والسمعاني(5)، والبغوي(6)، والزمخشري(7)،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(361).

(2) جامع البيان (152/26).

(3) بحر العلوم (317/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1022/2).

(5) تفسير القرآن (236/5).

(6) معالم التنزيل (221/4).

(7) الكشاف (385/4).

وابن عطية [1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والنسفي[4]، وابن جزي[5]، جزي[5]، وابن كثير[6]، والمحلي[7]، والشوكاني[8].

ووافق أهل اللغة على هذا المعنى أيضًا؛ فقالوا: « بسقت النخلة بسوقًا طالت وكملت »[9]، وقالوا: « الباء والسين والقاف أصل واحد؛ وهو ارتفاع الشيء وعلوه »[10].

وعلى قاعدة: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »[11]؛ صح حمل الآية على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المحرر الوجيز (158/5).

(2) التفسير الكبير (136/28).

(3) الجامع لأحكام القرآن (6/17).

(4) مدارك التنـزيل (171/4).

(5) التسهيل لعلوم التنـزيل (63/4).

(6) تفسير القرآن العظيم (223/4).

(7) تفسير الجلالين ص(689).

(8) فتح القدير (74/5).

(9) هذه عبارة الفراهيدي في كتاب العين (85/5).

(10) هذه عبارة ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (247/1)، وانظر أيضًا: تهذيب اللغة للأزهري (318/8)، ولسان العرب لابن منظور (20/10)، ومختار الصحاح للرازي ص(21).

(11) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿قَعِيدٌ﴾

116- قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة ق: 17].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أراد: قعيدًا من كل جانب، فاكتفى بذكر واحد؛ إذ كان دليلاً على الآخر. و ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى: قاعد، كما يقال: (قدير) بمعنى قادر.

ويكون بمنزلة (أكيل وشريب ونديم) أي: مُؤاكل ومُشارب ومُنادم، كذلك (قعيد) أي: مُقاعد »[1].

فابن قتيبة حمل معنى الآية على الاعتبارَيْن معًا:

الأول: على اعتبار أن ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى قاعد، والثاني: على اعتبار أن ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى مُقاعد. ووافقه على هذه الطريقة: القرطبي[2]، وابن جزي[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(361).

(2) الجامع لأحكام القرآن (10/17).

(3) التسهيل لعلوم التنـزيل (64/4).

وممن اعتبر أن ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى قاعد: السمرقندي[1]، والواحدي[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، والمحلي[5].

وأما ممن اعتبر أن ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى مُقاعد: الزمخشري[6]، وابن عطية[7]، والبيضاوي[8]، وأبوالسعود[9]، والشوكاني[10]، والشنقيطي[11].

قال البغوي: « ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد، و لم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر وأراد قعودًا كالرسول يجعل للاثنين والجمع؛ كما قال الله تعالى في الاثنين: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: 16] »[12].

---

(١) بحر العلوم (318/3).
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1023/2).
(٣) تفسير القرآن (239/5).
(٤) معالم التنزيل (222/4).
(٥) تفسير الجلالين ص(690).
(٦) الكشاف (388/4).
(٧) المحرر الوجيز (160/5).
(٨) أنوار التنزيل (226/5).
(٩) إرشاد العقل السليم (129/8).
(١٠) فتح القدير (75/5).
(١١) أضواء البيان (427/7).
(١٢) معالم التنزيل (222/4).

قال الزمخشري: « والقعيد المُقاعد كالجليس بمعنى المُجالس، وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه »([1]).

وعليه يظهر –والله أعلم– أنه سواء كان على معنى (قاعد) أو على معنى (مُقاعد) فإن المعنى أن المراد بـــ ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: « الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم »([2]).

وإن كان ابن عطية والشنقيطي رجحا أن « الأصوب »([3]) و «الأظهر»([4]) أن يكون ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى مُقاعد لأن: « المُقاعد: إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد: يكون على جميع هيئة الإنسان »([5])، فهو راجع إلى ما ذكرت، ذكرت، والله أعلم بالصواب.

---

(1) الكشاف (388/4).

(2) انظر: معالم التنـزيل للبغوي (222/4).

(3) المحرر الوجيز (160/5).

(4) أضواء البيان (427/7).

(5) انظر: التسهيل لعلوم التنـزيل (64/4).

معنى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾

117- قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾ [سورة الذاريات: 26].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: عدل إليهم في خفية، ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك »[1].

وهذا الذي قاله ابن قتيبة هو ما ذهب إليه المفسرون، منهم: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، والزمخشري[4]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي[7]، والنسفي[7]، وابن كثير[8]، وأبوالسعود[9]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(364).

(٢) جامع البيان (208/16).

(٣) بحر العلوم (327/3).

(٤) الكشاف (404/4).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (45/17).

(٦) أنوار التنزيل (238/5).

(٧) مدارك التنزيل (179/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (236/4).

(٩) إرشاد العقل السليم (140/8).

.... والشوكاني[1]، والألوسي[2]، والسعدي[3].

قال الزمخشري: « ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه، ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف؛ حذرًا من أن يكفه أو يعذره »[4].

وقال ابن كثير: « ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: انسل خفية في سرعة »[5].

وقال السعدي: « ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: ذهب سريعًا في خفية ليحضر لهم قِراهم »[6].

وما قاله المفسرون أكّده أهل اللغة؛ فقالوا: « راغ فلان إلى فلان أي مال إليه سرًا »[7].

والمعنى الذي صحَّ وجهه في لغة العرب؛ صح حمل كلام الله تعالى عليه، هذه قاعدة عند أهل الفن معتبرة[8]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) فتح القدير (88/5).

(2) روح المعاني (12/27).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(810).

(4) الكشاف (404/4).

(5) تفسير القرآن العظيم (236/4).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(810).

(7) هذه عبارة الفراهيدي في كتاب العين (445/8)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (430/8)، ومختار الصحاح ص(111).

(8) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿ذَنُوبًا﴾

118- قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الذاريات: 59].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « الذنوب: الحظ والنصيب، وأصله: الدلو العظيمة، وكانوا يستقون فيكون لكل واحد ذنوب، فجعل (الذنوب) مكان (الحظ والنصيب) على الاستعارة »[1].

كل المفسرين اتفقوا أن معنى الآية: هو أن « للذين أشركوا من أهل مكة نصيبًا من العذاب، مثل نصيب الذين مضوا قبلهم وأهلكوا بسبب تكذيبهم، نحو قوم عاد وثمود وغيرهم »[2]. لكن منهم من اكتفى بذكر هذا المعنى المراد دون توسع واستطراد بذكر أصل المعنى اللغوي للفظ (ذنوب)، وعليه فإن مِنَ المفسرين مَنْ وافق ابن قتيبة في إشارته إلى المعنى اللغوي للفظ (ذنوب) عند بيانه للمراد بالآية، منهم: الطبري[3]، والسمرقندي[4]، والسمعاني[5]، ....

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(365).

(٢) هذه عبارة السمرقندي في بحر العلوم (331/3).

(٣) جامع البيان (13/27).

(٤) بحر العلوم (331/3).

(٥) تفسير القرآن (265/5).

.... والبغوي[1]، والزمخشري[2]، والقرطبي[3]، وابن جزي[4]، والشوكاني[5]، والألوسي[6]، والشنقيطي[7].

قال الطبري : « وقوله ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ يقول تعالى ذكره فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوبًا وهي الدلو العظيمة وهو السجل أيضًا إذا مُلئت أو قاربت الملء، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع الحظ والنصيب ومعنى الكلام فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبًا وحظًا نازلاً بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا قبلهم من الأمم على منهاجهم من العذاب فلا يستعجلون به »[8].

وقال الشنقيطي: « أصل الذنوب في لغة الغرب الدلو، وعادة العرب أنهم يقتسمون ماء الآبار والقُلُب بالدلو فيأخذ هذا منه ملء دلو ويأخذ الآخر كذلك ومن هنا أطلقوا اسم الذنوب التي هي الدلو على النصيب ومعنى الآية الكريمة: فإن للذين ظلموا بتكذيب النبيﷺ ذنوبًا أي: نصيبًا من عذاب الله تعالى مثل ذنوب أصحابهم من الأمم الماضية من العذاب لما كذبوا رسلهم . وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية

---

(١) معالم التنـزيل (236/4).
(٢) الكشاف (409/4).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (57/17).
(٤) التسهيل لعلوم التنـزيل (71/4).
(٥) فتح القدير (93/5).
(٦) روح المعاني (24/27).
(٧) أضواء البيان (449/7).
(٨) جامع البيان (13/27).

الكريمة جاء موضحًا في آيات من كتاب الله تعالى كقوله تعالى: ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٥٠ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥١﴾ [سورة الزمر: 50-51] »[1].

ومن الفريق الثاني الذين اكتفوا ببيان معنى الآية دون توسع في المعنى اللغوي للفظ (ذنوب): الواحدي[2]، والفخر الرازي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والنسفي[5]، وابن كثير[6]، والمحلي[7]، والثعالبي[8]، وأبوالسعود[9]، والسعدي[10].

قال الواحدي: ﴿ذَنُوبًا﴾ نصيبًا من العذاب »[11].

---

(1) أضواء البيان (449/7).

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1032/2).

(3) التفسير الكبير (204/28).

(4) أنوار التنزيل (242/5).

(5) مدارك التنزيل (182/4).

(6) تفسير القرآن العظيم (239/4).

(7) تفسير الجلالين ص(696).

(8) الجواهر الحسان (213/4).

(9) إرشاد العقل السليم (145/8).

(10) تيسير الكريم الرحمن ص(813).

(11) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1032/2).

وقال السعدي: « ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بتكذيبهم محمدًا ﷺ من العذاب والنكال ﴿ذَنُوبًا﴾ أي: نصيبًا وقسطًا مثل ما فُعل بأصحابهم من أهل الظلم والتكذيب »[1].

فيظهر اجتماعهم على القول المذكور معنىً للآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(813).

معنى: ﴿يُدَعُّونَ﴾

119- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الطور: 13].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي: يُدفعون، يقال: دععته أدعّه دعًّا، أي: دفعته، ومنه ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الماعون: 2]»[1].

إن « الدّعّ في اللغة هو الدفع بشدة وعنف »[2]، « وذلك أن خزنة جهنم يَغُلّون أيدي المكذبين إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم وزجًا في أقفيتهم حتى يَرِدوا النار »[3].

وهذا المعنى هو ما أجمع عليه المفسرون موافقين في ذلك لما ذهب إليه ابن قتيبة، فمنهم: الطبري[4]، .... والسمرقندي[5]، والواحدي[1]، والسمعاني[2]، والبغوي[3]، والزمخشري[4]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(367).

(٢) هذه عبارة السمعاني في تفسير القرآن (269/5)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (85/8).

(٣) انظر: معالم التنـزيل للبغوي (238/4) بتصرف.

(٤) جامع البيان (22/27).

(٥) بحر العلوم (333/3).

وابن عطية[5]، والقرطبي[6]، والبيضاوي[7]، والنسفي[8]، وابن جزي[9]، وابن كثير[10]، والمحلي[11]، وأبوالسعود[12]، والشوكاني[13]، والألوسي[14]، والسعدي[15]، والشنقيطي[16].

قال السمعاني: « قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ أي: يُدفعون في نار جهنم، وقوله ﴿دَعًّا﴾ أي: دفعًا، والدّعْ في اللغة هو الدفع بشدة وعرف »[17].

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1034/2).
(٢) تفسير القرآن (269/5).
(٣) معالم التنزيل (238/4).
(٤) الكشاف (412/4).
(٥) المحرر الوجيز (187/5).
(٦) الجامع لأحكام القرآن (64/17).
(٧) أنوار التنزيل (245/5).
(٨) مدارك التنزيل (183/4).
(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (71/4).
(١٠) تفسير القرآن العظيم (242/4).
(١١) تفسير الجلالين ص(697).
(١٢) إرشاد العقل السليم (147/8).
(١٣) فتح القدير (97/5).
(١٤) روح المعاني (30/27).
(١٥) تيسير الكريم الرحمن ص(814).
(١٦) أضواء البيان (452/7).
(١٧) تفسير القرآن (269/5).

وقال الشنقيطي: « ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ الدّعّ في لغة العرب: الدفع بقوة وعنف، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [سورة الماعون: 2] أي: يدفعه عن حقه بقوة وعنف وقد جاء هذا الأمر موضحًا في آيات أخر من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧﴾ [سورة الدخان: 47] أي جرّوه بقوة وعنف إلى وسط النار، والعتل في لغة العرب: الجر بعنف وقوة[1]، وكقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾ [سورة الرحمن: 41] أي: تجمع الزبانية بين ناصية الواحد منهم، أي: مقدم شعر رأسه وقدمه، ثم تدفعه في النار بقوة وشدة.

وقد بين جل وعلا أنهم أيضًا يسحبون في النار على وجوههم في آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [سورة القمر: 48]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (423/11).

بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة غافر: 70-72] »[1].

فإجماع المفسرين على المعنى بناءً على دلالة الآيات الأخرى عليه من تفسير القرآن بالقرآن، أفضل طرق التفسير وأحسنها[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أضواء البيان (452/7) بتصرف.

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين -رحمه الله- ص(127).

معنى: ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾

120- قال تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الطور: 23].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا تذهب بعقولهم فيلغوا أو يرفثوا؛ فيأثموا، كما يكون ذلك في خمر الدنيا »[1].

لم أجد فيما وقفت عليه من أقوال الأئمة المفسرين مَنْ خالفه، بل كلهم موافقون؛ ذكروا نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة ما بين مُسْهِب في الشرح ومُختصِر، فمنهم: الطبري[2]، والسمرقندي [3]، والواحدي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(367).
(٢) جامع البيان (28/27).
(٣) بحر العلوم (334/3).
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1035/2).
(٥) تفسير القرآن (275/5).
(٦) معالم التنـزيل (239/4).
(٧) الكشاف (414/4).
(٨) المحرر الوجيز (190/5).

.... والفخر الرازي[1]، والقرطبي[2]،

والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، والمحلي[7]، والثعالبي[8]، وأبوالسعود[9]، والشوكاني[10]، والألوسي[11]، والشنقيطي[12].

والشنقيطي[12].

قال الواحدي: « ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ لا يجري بينهم فيها باطل ولا إثم كما يجري بين شرَبة الخمر في الدنيا »[13].

وقال الزمخشري: « ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث ومال لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم

---

(١) التفسير الكبير (218/28).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (68/17).

(٣) أنوار التنـزيل (247/5).

(٤) مدارك التنـزيل (184/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنـزيل (73/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (243/4).

(٧) تفسير الجلالين ص(698).

(٨) الجواهر الحسان (217/4).

(٩) إرشاد العقل السليم (149/8).

(١٠) فتح القدير (98/5).

(١١) روح المعاني (34/27).

(١٢) أضواء البيان (454/7).

(١٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1035/2).

وعربدتهم، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشحُ والفواحش وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لأن عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء »[1].

وقال ابن عطية: « والتأثيم يلحق خمر الدنيا في نفس شربها وفي الأفعال التي تكون من شرابها وذلك كله مرتفع في الآخرة »[2].

وقال الشنقيطي: « وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ يعني: أن خمر الجنة التي يتعاطاها المؤمنون فيها مخالفة في جميع الصفات لخمر الدنيا، فخمر الآخرة لا لغو فيها واللغو كل كلام ساقط لا خير فيه فخمر الآخرة لا تحمل شاربيها على الكلام الخبيث والهذيان لأنها لا تؤثر في عقولهم بخلاف خمر الدنيا فإنهم إن يشربوها سكروا وطاشت عقولهم فتكلموا بالكلام الخبيث والهذيان وكل ذلك من اللغو، والتأثيم هو ما ينسب به فاعله إلى الإثم فخمر الآخرة لا يأثم شاربها بشربها لأنها مباحة له فنعم بلذتها كما قال تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [سورة محمد: 15]، ولا تحمل شاربها على أن يفعل إثمًا بخلاف خمر الدنيا فشاربها يأثم بشربها ويحمله السكر على الوقوع في المحرمات كالقتل والزنا والقذف.

وما تضمنته هذه الآية الكريم من مخالفة خمر الآخرة لخمر الدنيا جاء موضحًا في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾

---

(١) الكشاف (414/4).

(٢) المحرر الوجيز (190/5).

بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الصافات: 45-47] فقوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي ليس فيها غول يغتال العقول فيذهبها كخمر الدنيا ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي: لا يسكرون، وكقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الواقعة: 17-19] فقوله ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ أي: لا يصيبهم الصداع الذي هو وجع الرأس بسببها »[1].

فهذا المعنى المذكور أجمع عليه المفسرون لدلالة آيات أخرى من القرآن الكريم عليه، «أفضل أنواع التفسير وأحسنها »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أضواء البيان (454/7).

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾

121- قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الطور: 30].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ أي: حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه.

و ﴿ٱلْمَنُونِ﴾ الدهر؛ قال أبوذؤيب:

أَمِن المنون ورَيبـه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع[1]

هكذا كان الأصمعي يرويه: (وريبه) ويذهب إلى أنه الدهر، قال: وقوله (والدهر ليس بمعتب) يدل على ذلك، كأنه قال: (أمن الدهر وريبه تتوجع، والدهر لا يعتب من يجزع).

قال الكسائي: « تقول العرب: لا أكلمك آخر المنون، أي آخر الدهر »[2].

---

(1) هذا البيت مطلع قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي يرثي فيها بنيه، ذكر أبياتًا منها ياقوت الحموي في معجم الأدباء (308/3)، وقد تقدمت ترجمة أبي ذؤيب.

(2) تفسير غريب القرآن ص(367).

وما ذهب إليه ابن قتيبة من أن ﴿رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ تعني: الدهر؛ هو المروي عن مجاهد[1]، وقول الطبري[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، والنسفي[7]، والمحلي[8]، والثعالبي[9]، والشوكاني[10]، والشنقيطي[11].

ومَنْ قال بأن المنون تعني: الموت؛ منهم الواحدي[12]، والسعدي[13].

وعدد من المفسرين جَمعوا القولين معًا عند بيانهم لمعنى الآية، دون تحديد أحد القولين راجحًا دون الآخر في بيان المعنى، وإنما على اعتبار أن كليهما محتمل؛

---

(١) تفسير مجاهد (626/2).

(٢) جامع البيان (31/27).

(٣) تفسير القرآن (267/5).

(٤) معالم التنزيل (240/4).

(٥) الكشاف (415/4).

(٦) المحرر الوجيز (191/5).

(٧) مدارك التنزيل (185/4).

(٨) تفسير الجلالين ص(698).

(٩) الجواهر الحسان (219/4).

(١٠) فتح القدير (99/5).

(١١) أضواء البيان (459/7).

(١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1035/2).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(816).

فمنهم: السمرقندي[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، وابن وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، وأبوالسعود[7]، والألوسي[8].

قال السمعاني: « ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ معناه: حوادث الدهر »[9].

وقال البغوي: « ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من قبله الشعراء ويتفرق أصحابه »[10].

وقال ابن كثير: « ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ أي: قوارع الدهر، والمنون الموت، يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه »[11].

وقال الشنقيطي: « ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ أي ننتظر به حوادث الدهر حتى يحدث له منها الموت، فالمنون الدهر، وريبه حوادثه التي يطرأ فيها الهلاك والتغيير »[12].

---

(١) بحر العلوم (35/33).

(٢) التفسير الكبير (219/28).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (71/17).

(٤) أنوار التنـزيل (248/5).

(٥) التسهيل لعلوم التنـزيل (73/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (244/4).

(٧) إرشاد العقل السليم (150/8).

(٨) روح المعاني (36/27).

(٩) تفسير القرآن (335/3).

(١٠) معالم التنـزيل (240/4).

(١١) تفسير القرآن العظيم (244/4).

(١٢) أضواء البيان (459/7).

والذي يظهر -والله أعلم- في بيان معنى هذه الآية: أن الأقوال الواردة عن المفسرين متشابهة « وإن اختلفت عباراتهم »[1]، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾

122- قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [سورة النجم: 5].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ جبريل -عليه السلام-، وأصله من قوى الحبل: وهي طاقاته، الواحدة: قوة »[2].

وما ذكره ابن قتيبة من أن المراد بـ ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ أي: جبريل -عليه السلام-، هذا هو المروي عن ابن عباس[3]، ومقاتل[4]، وقول الطبري[5]، والماوردي[6]، والماوردي[6]، والواحدي[7]، والسمعاني[8]، والبغوي[9]، والزمخشري[10]،

---

(1) قال ذلك الإمام الطبري في جامع البيان (31/27).

(2) تفسير غريب القرآن ص(369).

(3) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(446).

(4) تفسير مقاتل بن سليمان (289/3).

(5) جامع البيان (42/27).

(6) النكت والعيون (305/5).

(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1038/2).

(8) تفسير القرآن (285/5).

(9) معالم التنزيل (245/4).

والزمخشري[1]، وابن عطية[2]، والفخر الرازي[3]، والعز بن عبدالسلام[4]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي[7]، ونظام الدين النيسابوري[8]، وابن وابن جزي[9]، وأبي حيان[10]، وابن كثير[11]، والمحلي[12]، والبقاعي[13]، وأبي السعود[14]، والشوكاني[15]، والألوسي[16]، والسعدي[17]، وابن عاشور[18]، والشنقيطي[19].

---

(١) الكشاف (245/4).

(٢) المحرر الوجيز (196/5).

(٣) التفسير الكبير (196/28).

(٤) تفسير القرآن (243/3).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (85/17).

(٦) أنوار التنزيل (252/5).

(٧) مدارك التنزيل (188/4).

(٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (188/6).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (75/4).

(١٠) البحر المحيط (75/8).

(١١) تفسير القرآن العظيم (248/4).

(١٢) تفسير الجلالين ص(700).

(١٣) نظم الدرر (446/7).

(١٤) إرشاد العقل السليم (155/8).

(١٥) فتح القدير (105/5).

(١٦) روح المعاني (47/27).

(١٧) تيسير الكريم الرحمن ص(818).

(١٨) التحرير والتنوير (47/27).

(١٩) أضواء البيان (818/7).

قال الطبري: « وقوله ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره علم محمدًا ﷺ هذا القرآن جبريل -عليه السلام- »[1].

وقال الشنقيطي: « قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ المراد بـــ ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريل -عليه السلام-.

وهذه الآية الكريمة قد تضمنت أمرين: أحدهما: أن هذا الوحي الذي من أعظمه هذا القرآن العظيم، علمه جبريل -عليه السلام- النبي ﷺ بأمر من الله -عز وجل- والثاني: أن جبريل -عليه السلام- شديد القوة.

وهذان الأمران جاءا موضحين في غير هذا الموضع:

أما الأول منهما: وهو كون جبريل نـــزل عليه بهذا الوحي وعلمه إياه، فقد جاء موضحًا في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: 97]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة الشعراء: 192-194]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [سورة طه: 114]. وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ

---

(1) جامع البيان (42/27).

لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة القيامة: 16-18] أي: إذا قرأه عليك الملك المرسل به إليك منا مبلغًا له عنا فاتبع قرآنه، أي اقرأ كما سمعته يقرأ.

وأما الأمر الثاني: وهو شدة قوة جبريل -عليه السلام- النازل بهذا الوحي، فقد ذكره في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ وقوله في آية التكوير هذه: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ أي: لقوله المبلغ له عن الله، فقرينة ذكر الرسول تدل على أنه إنما يبلغ شيئًا أرسل به، فالكلام كلام الله بألفاظه ومعانيه، وجبريل مبلغ عن الله، وبهذا الاعتبار نسب القول له، لأن النبي ﷺ ما سمعه إلا منه، فهو القول الذي أرسله الله به، وأمره بتبليغه، كما تدل عليه قرينة ذكر الرسول »[1].

فهذا القول الذي « اتفق المفسرون »[2] عليه، هو « الراجح »[3] في بيان المراد، وقد دلت عليه آيات أخرى من كتاب الله، ذُكرت في أثناء كلام الشيخ الشنقيطي، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أضواء البيان (818/7)

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (305/5)، والتحرير والتنوير (47/27).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنـزيل (75/4).

معنى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾

123- قال تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [سورة النجم: 9].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي: قدر قوسين عربيتين.

وقال قوم: (القوس) الذراع؛ أي: كان ما بينهما قدر ذراعين.

والتفسير الأول أعجب إليّ؛ لقول النبي ﷺ: « **لقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قِدِّه، خير له من الدنيا وما فيها** »[1] والقدُّ: السوط »[2].

ما ذهب إليه ابن قتيبة من أن ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ تعني: مقدار قوسين عربيَّتين، هذا المعنى هو المروي عن ابن عباس[3]، ....

---

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (1029/3) رقم الحديث (2643)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الحور العين وصفتهن يحار فيها الطرف، شديدة سواد العين شديدة بياض العين وزوجناهم أنكحناهم. ونص الحديث الذي رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ **لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطّلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها** ».

(2) تفسير غريب القرآن ص(370).

(3) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(446).

ومقاتل[1]، وقال به: الطبري[2]، والواحدي[3]، والبغوي[4]، والزمخشري[5]، والفخر الرازي[6]، والقرطبي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي [9]، ونظام الدين النيسابوري[10]، وأبوحيان[11]، والمحلي[12]، والبقاعي[13]، وأبوالسعود[14]، والشوكاني[15]، والألوسي[16]، والسعدي[17]، وابن عاشور[18].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (289/3).
(٢) جامع البيان (45/27).
(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1039/2).
(٤) معالم التنـزيل (246/4).
(٥) الكشاف (420/4).
(٦) التفسير الكبير (248/28).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (90/17).
(٨) أنوار التنـزيل (253/5).
(٩) مدارك التنـزيل (188/4).
(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (257/6).
(١١) البحر المحيط (75/8).
(١٢) تفسير الجلالين ص(701).
(١٣) نظم الدرر (315/7).
(١٤) إرشاد العقل السليم (155/8).
(١٥) فتح القدير (106/5).
(١٦) روح المعاني (49/27).
(١٧) تيسير الكريم الرحمن ص(819).
(١٨) التحرير والتنوير (96/27).

والقول بأن ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ تعني: قدر ذراعين، قال به من المفسرين: السمرقندي(1)، وابن أبي زمنين(2)، وابن عطية(3)، وابن كثير(4).

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح هو « ما درج عليه أكثر المفسرين »(5)، لأنه « ورد على استعمال العرب وعادتهم »(6)، وأصله « أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه »(7)، وفي الآية: « إشارة إلى تأكيد المحبة والقربة ورفع المنـــزلة والمرتبة »(8)، والله أعلم أعلم بالصواب.

---

(1) بحر العلوم (340/3).

(2) تفسير القرآن العزيز (306/4).

(3) المحرر الوجيز (198/5).

(4) تفسير القرآن العظيم (250/4).

(5) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (96/27).

(6) انظر: التفسير الكبير للرازي (248/28).

(7) انظر: معالم التنـــزيل للبغوي (246/4).

(8) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (306/9).

معنى: ﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾

124- قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة النجم: 33-34].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾ أي: قطع، وهو من: كُدْية الرَّكيَّة، وهي: الصلابة فيها، وإذا بلغها الحافر يئس من حفرها، فقطع الحفر، فقيل لكل من طلب شيئًا فلم يبلغ آخره، أو أعطى و لم يتمم: أكدى »[1].

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى أكدى هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين، منهم الطبري[2]، والسمرقندي[3]، وابن أبي زمنين[4]، والواحدي[5]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، والزمخشري[8]،

---

(1) تفسير القرآن ص(371).

(2) جامع البيان (293/27).

(3) بحر العلوم (346/3).

(4) تفسير القرآن العزيز (312/4).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1042/2).

(6) تفسير القرآن (299/5).

(7) معالم التنزيل (253/4).

(8) الكشاف (427/4).

..................................وابن عطية[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسـفي [5]، وابن جزي[6]، وأبوحيان[7]، وأبوحيان[7]، وابن كثير[8]، والمحلي[9]، والبقاعي[10]، وأبوالسعود [11]، والشوكاني[12]، والألوسي[13]، وابن عاشور[14]، والشنقيطي [15].

قال الطبري: « وذكر أن هذه الآية نـــزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين وكان قد التبع رسول الله ﷺ على دينه فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئًا من ماله إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له

---

(١) المحرر الوجيز (205/5).

(٢) التفسير الكبير (205/29).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (112/17).

(٤) أنوار التنـــزيل (259/5).

(٥) مدارك التنـــزيل (191/4).

(٦) التسهيل لعلوم التنـــزيل (78/4).

(٧) البحر المحيط (164/8).

(٨) تفسير القرآن العظيم (258/4).

(٩) تفسير الجلالين ص(703).

(١٠) نظم الدرر (330/7).

(١١) إرشاد العقل السليم (162/8).

(١٢) فتح القدير (114/5).

(١٣) روح المعاني (65/27).

(١٤) التحرير والتنوير (128/27).

(١٥) أضواء البيان (467/7).

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: اشتق قوله: أكدى من كدية الركية؛ وهو أن يحفر حتى ييأس من الماء، فيقال حينئذ: بلغنا كُدْيتها »[1].

وقال السمرقندي « ﴿ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا﴾ يعني: وأنفق قليلاً من ماله﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾ يعني: أمسك عن النفقة »[2].

وقال الشوكاني: « وأصل أكدى من الكدية وهي الصلابة، يقال لمن حفر بئرًا بلغ فيها إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر؛ قد أكدى، ثم استعمله العرب لمن أعطى فلم يتم، ولمن طلب شيئًا فلم يبلغ آخره »[3].

وإجماع المفسرين على المعنى دلالة صحة حمل الآية عليه، والعمل به، والله أعلم بالصواب.

---

(1) جامع البيان (293/27).

(2) بحر العلوم (436/3).

(3) فتح القدير (114/5).

معنى: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

125- قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة النجم: 40-41].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- « ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ﴾: عمله، ﴿سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي: يعلم، ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾: يجزى به »[1].

وبدراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآية لوحظ أنهم فسروا ﴿سَوْفَ يُرَىٰ﴾ على معناها الأصلي المتبادر إلى الذهن، سواء « كان من الرؤية فكقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: 105]، أو إن كـــان من الإراءة فالفائدة في إراءته وعرضه عليه أن يفرح به هو ويحزن الكافر» [2]، « كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة: 7-8] »[3].

ومنهم: الطبري[4]، والسمرقندي[5]، وابن أبي زمنين[6]، والسلمي[7]، والواحدي[1]، والسمعاني[2]، والبغوي[3]، والرازي[4]، والقرطبي[5]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(371).
(٢) هذه عبارة النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان (192/6).
(٣) انظر: التسهيل لعلوم التـنـزيل (78/4).
(٤) جامع البيان (74/27).
(٥) بحر العلوم (346/3).
(٦) تفسير القرآن العزيز (313/4).
(٧) حقائق التفسير (288/2).

والبيضاوي[6]، والنسفي[7]، ونظام الدين النيسابوري[8]، وابن جزي[9]، وابن كثير[10]، والمحلي[11]، وأبوالسعود[12]، والشوكاني[13]، والألوسي[14]، والشنقيطي[15].

قال الطبري: « قوله جل ثناؤه ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ يقول تعالى ذكره وأن عمل كل عامل سوف يراه يوم القيامة مَنْ وَرَد القيامة بالجزاء الذي يجازى عليه خيرًا كان أو شرًا، لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره »[16].

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1042/2).

(٢) تفسير القرآن (301/5).

(٣) معالم التنـزيل (254/4).

(٤) التفسير الكبير (14/29).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (115/17).

(٦) أنوار التنـزيل (259/5).

(٧) مدارك التنـزيل (192/4).

(٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (192/6).

(٩) التسهيل لعلوم التنـزيل (78/4).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (259/4).

(١١) تفسير الجلالين ص(703).

(١٢) إرشاد العقل السليم (164/8).

(١٣) فتح القدير (114/5).

(١٤) روح المعاني (67/27).

(١٥) أضواء البيان (471/7).

(١٦) جامع البيان (74/27).

وقال الواحدي: « ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ ﴾ عمله ﴿سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ في ميزانه من خير وشر »[1].

وبما ذكرته يتبين اتفاق ابن قتيبة مع بقية المفسرين في بيان معنى الآية، لا خلاف في ذلك، والله أعلم بالصواب.

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1042/2).

المراد بـ: ﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾

126- قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة النجم: 49].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾: الكوكب المضيئ الذي يطلع بعد الجوزاء، وكان ناس في الجاهلية يعبدونها »[1].

جمهور المفسرين ذكروا نفس المعنى أيضًا، فهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، وقال به الطبري[3]، والسمرقندي[4]، وابن أبي زمنين[5]، والماوردي[6]، والواحدي[7]، والسمعاني[8]، والبغوي[9]، والزمخشري[10]،..

---

(1) تفسير غريب اقرآن ص(372).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(448).

(3) جامع البيان (76/27).

(4) بحر العلوم (347/3).

(5) تفسير القرآن العزيز (313/4).

(6) النكت والعيون (405/5).

(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1043/2).

(8) تفسير القرآن (302/5).

(9) معالم التنزيل (256/4).

(10) الكشاف (429/4).

وابن عطية[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والنسفي[5]، والخازن[6]، ونظام الدين النيسابوري[7]، وابن جزي[8]، وأبو حيان[9]، وابن كثير[10]، والمحلي [11]، وابن عادل[12]، والبقاعي[13]، وأبوالسعود[14]، والشوكاني [15]، والسعدي[16]، وابن عاشور[17].

(1) المحرر الوجيز (208/5).
(2) التفسير الكبير (21/29).
(3) الجامع لأحكام القرآن (119/17).
(4) أنوار التنزيل (260/5).
(5) مدارك التنزيل (192/4).
(6) لباب التأويل (271/6).
(7) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (212/6).
(8) التسهيل لعلوم التنزيل (79/4).
(9) البحر المحيط (153/8).
(10) تفسير القرآن العظيم (260/4).
(11) تفسير الجلالين ص(704).
(12) اللباب في علوم الكتاب (215/18).
(13) نظم الدرر (334/7).
(14) إرشاد العقل السليم (164/8).
(15) فتح القدير (117/5).
(16) تيسير الكريم الرحمن ص(822).
(17) التحرير والتنوير (150/27).

قال الطبري: « قوله ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك يا محمد هو رب الشعرى، يعني بالشعرى النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله »[1].

وقال الماوردي: « وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان ربًا لغيره، لأن العرب كان تعبده، فأُعْلموا أن الشعرى مربوب وليس برب»[2].

وقال السعدي: « ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ وهو النجم المعروف بالشعرى البور، المسماة بالمرزم، وخصها الله بالذكر، وإن كان هو رب كل شيء، لأن هذا النجم مما عُبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبد المشركون، مربوب مدبر مخلوق، فكيف يتخذ مع الله آلهة »[3].

فظهر بذلك اتفاقهم على بيان معنى الآية، بلا خلاف بينهم، والله أعلم بالصواب.

---

(1) جامع البيان (76/27).

(2) النكت والعيون (405/5).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(822).

معنى: ﴿مُّنۡهَمِرٖ﴾

127- قال تعالى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١﴾ [سورة القمر: 11].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ أي: كثير سريع الانصباب، ومنه يقال: همر الرجل؛ إذا أكثر من الكلام وأسرع »(1).

لقد أجمع « المفسرون »(2) في بيان معنى ﴿بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ على نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، فمنهم: الطبري(3)، والسمرقندي(4)، وابن أبي زمنين(5)، والسمعاني(6)، والبغوي(7)، والزمخشري(8)، وابن عطية(9)، والفخر الرازي(10)، والقرطبي(1)، والبيضاوي(2)، والنسفي(3)، ونظام الدين

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(373).
(2) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (92/8).
(3) جامع البيان (92/27).
(4) بحر العلوم (351/3).
(5) تفسير القرآن العزيز (318/4).
(6) تفسير القرآن (311/5).
(7) معالم التنزيل (260/4).
(8) الكشاف (434/4).
(9) المحرر الوجيز (214/5).
(10) التفسير الكبير (33/29).

النيسابوري[4]، والخازن[5]، وابن جزي[6]، وأبوحيان[7]، وابن كثير[8]، والمحلي[9]، وابن عادل[10]، والبقاعي[11]، وأبوالسعود[12]، والشوكاني[13]، والألوسي[14]، والسعدي[15]، وابن عاشور[16]، والشنقيطي[17].

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره: ففتحنا لما دعانا نوح مستغيثًا بنا على قومه أبواب السماء بماء منهمر وهو المندفق »[18].

وقال ابن عطية: « والمنهمر: الشديد الوقوع العزيز »[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (131/17).

(٢) أنوار التنزيل (265/5).

(٣) مدارك التنزيل (195/4).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (218/6).

(٥) لباب التأويل (274/6).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (80/4).

(٧) البحر المحيط (170/8).

(٨) تفسير القرآن العظيم (264/4).

(٩) تفسير الجلالين ص(705).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب (246/18).

(١١) نظم الدرر (350/7).

(١٢) إرشاد العقل السليم (164/9).

(١٣) فتح القدير (122/5).

(١٤) روح المعاني (81/27).

(١٥) تيسير الكريم الرحمن ص(825).

(١٦) التحرير والتنوير (182/27).

(١٧) أضواء البيان (477/7).

(١٨) جامع البيان (92/27).

وقال البيضاوي: « ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾ منصبّ، وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها »(2).

وقال البقاعي: « ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾ أي: منصبّ بأبلغ ما يكون من السيلان والصبّ عظمًا وكثرة، ولذلك لم يقل: بمطر، لأنه خارج عن تلك العادة، واستمر ذلك أربعين يومًا »(3).

وفيمن ذكرت كلامهم إشارة إلى البقية للدلالة على اتفاقهم واجتماعهم على المعنى، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المحرر الوجيز (214/5).

(2) أنوار التنزيل (265/5).

(3) نظم الدرر (350/7).

معنى: ﴿أَشِرٌ﴾

128- قال تعالى: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة القمر: 25-26].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « و ﴿أَشِرٌ﴾: المرح المتكبر »[1].

المعنى الذي ذكره ابن قتيبة هو المروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما- ومقاتل[3]، وقال به الطبري[4]، وابن أبي زمنين[5]، والواحدي[6]، والسمعاني[7]، والزمخشري[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(375).
(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(449).
(3) تفسير مقاتل (299/3).
(4) جامع البيان (100/27).
(5) تفسير القرآن العزيز (320/4).
(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1048/2).
(7) تفسير القرآن (313/5).
(8) الكشاف (437/4).
(9) التفسير الكبير (46/29).
(10) الجامع لأحكام القرآن (138/17).

والبيضاوي[1]، .... والنسفي[2]، والخازن[3]، وابن جزي[4]، والمحلي[5]، وابن عادل[6]، وأبوالسعود[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9]، وابن وابن عاشور[10].

قال الطبري: « وقوله ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ يقول: قالوا ما ذلك كذلك بل هو كذاب أشر يعنون بالأشر: المرِح ذا التجبر والكبرياء »[11].

وقال الواحدي: « ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ بطر يريد أن يتعظم علينا »[12].

وقال الخازن: « ﴿أَشِرٌ﴾ أي: بطر متكبد يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة »[13].

---

(١) أنوار التنزيل (268/5).
(٢) مدارك التنزيل (196/4).
(٣) لباب التأويل (276/6).
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (81/4).
(٥) تفسير الجلالين ص(706).
(٦) اللباب في علوم الكتاب (262/18).
(٧) إرشاد العقل السليم (171/8).
(٨) فتح القدير (126/5).
(٩) روح المعاني (88/27).
(١٠) التحرير والتنوير (198/27).
(١١) جامع البيان (100/27).
(١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1048/2).
(١٣) لباب التأويل (276/6).

وقال ابن عاشور: « ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ إضراب عمّا أنكروه بقولهم:

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: لم ينـــزل الذكر عليه من بيننا، بل هو كذاب فيما ادّعاه، بطر متكبر. والأشر: بكسر الشين وتخفيف الراءِ: اسم فاعل أشِر؛ إذا مرح وبطر، والمعنى: هو معجب بنفسه مدّعٍ ما ليس فيه »[1].

فلا خلاف بين المفسرين فيما ذكروه من معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) التحرير والتنوير (198/27).

معنى: ﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾

129- قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣ ﴾ [سورة القمر: 53].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾ أي: مكتوب، مفتعل من سطرت؛ إذا كتبت، وهو مثل مسطور »[1].

كل المفسرين فسّروا الآية بنفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، منهم: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، وابن أبي زمنين[4]، والقشيري[5]، والواحدي[6]، والبغوي[7]، والزمخشري[8]، وابن عطية[9]، والقرطبي[10]، والبيضاوي[11]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(376).

(2) جامع البيان (112/27).

(3) بحر العلوم (357/3)

(4) تفسير القرآن العزيز (324/4).

(5) لطائف الإشارات (260/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1050/2).

(7) معالم التنـزيل (266/4).

(8) الكشاف (441/4).

(9) المحرر الوجيز (222/5).

(10) الجامع لأحكام القرآن (149/17).

(11) أنوار التنـزيل (199/4).

والنسفي[1]، ونظام الدين النيسابوري[2]، والخازن[3]، وابن جزي[4]، وأبوحيان[5]، وابن كثير[6]، والمحلي[7]، وابن عادل[8]، والبقاعي[9]، وأبوالسعود[10]، والشوكاني[11]، والألوسي[12]، والسعدي[13]، وابن عاشور[14]، والشنقيطي[15].

قال ابن عطية: « ﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾ مفتعل من السطر تقول سطرت واستطرت بمعنى »[16].

---

(١) مدارك التنـزيل (199/4).
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (224/6).
(٣) لباب التأويل (281/6).
(٤) التسهيل لعلوم التنـزيل (83/4).
(٥) البحر المحيط (182/8).
(٦) تفسير القرآن العظيم (269/4).
(٧) تفسير الجلالين ص(708).
(٨) اللباب في علوم الكتاب (285/18).
(٩) نظم الدرر (368/7).
(١٠) إرشاد العقل السليم (175/8).
(١١) فتح القدير (130/5).
(١٢) روح المعاني (95/27).
(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(828).
(١٤) التحرير والتنوير (224/27).
(١٥) أضواء البيان (486/7).
(١٦) المحرر الوجيز (222/5).

وقال القرطبي: « ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: كل ذنب كبير وصغير مكتوب على عامله قبل أن يفعله ليجازى به، ومكتوب إذا فعله، سطر يسطر سطرًا: كتب، واستطر مثله »(1).

وقال ابن كثير: « ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها »(2).

وقال الشنقيطي: « ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ أي: مكتوب عليهم لا يترك منه شيء، وهذا المعنى جاء موضحًا في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾ [سورة الكهف: 49]، وكقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [سورة آل عمران : 30]، والمستطر معناه المسطور أي المكتوب »(3).

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (149/17).

(2) تفسير القرآن العظيم (269/4).

(3) أضواء البيان (486/7).

فعلى قاعدة: أنّ تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير وأحسنها[1]، وإجماع المفسرين عليه، تبين صحة حمل الآية على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾

130- قال تعالى: ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢﴾ [سورة الرحمن: 12].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلۡعَصۡفِ﴾: ورق الزرع؛ ثم يصير إذا جف ودرس تبنًا »([1]).

ولقد وافق ابن قتيبة على نفس المعنى الذي ذكره في بيان ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ من المفسرين: الطبري([2])، والواحدي([3])، والسمعاني([4])، وابن عطية([5])، ونظام الدين النيسابوري([6])، وابن كثير([7])، والمحلي([8])، وابن عادل([9])، والبقاعي([10])،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(378).
(2) جامع البيان (120/27).
(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1053/2).
(4) تفسير القرآن (324/5).
(5) المحرر الوجيز (225/5).
(6) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (229/6).
(7) تفسير القرآن العظيم (272/4).
(8) تفسير الجلالين ص(709).
(9) اللباب في علوم الكتاب (307/18).

والبقاعي[1]، والألوسي[2]، والسعدي[3]، وابن عاشور[4]، والشنقيطي[5].
والشنقيطي[5].

قال نظام الدين النيسابوري: « والعصف ورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد تفتته الرياح وتأكله المواشي »[6].

وقال ابن عاشور: « ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾: هو الحب الذي لنباته سنابل ولها ورق وقصب فيصير تبنًا، وذلك الورق والقصب هو العصب، أي الذي تعصفه الرياح وهذا وصف لحبّ الشعير والحنطة وبهما قوام حياة معظم الناس، وكذلك ما أشبهها من نحو السلت والأرز. وسمي العصف عصفًا لأن الرياح تعصفه، أي تحركه، ووصف الحب بأنه ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ للتحسين وللتذكير بمنة جمال الزرع حين ظهوره في سنبله في حقوله نظير وصف النخل بذات الأكمام، ولأن في الموصوف ووصفه أقوات البشر وحيوانهم »[7].

---

(1) نظم الدرر (377/7).
(2) روح المعاني (103/27).
(3) تيسير الكريم الرحمن ص(829).
(4) التحرير والتنوير (242/27).
(5) أضواء البيان (493/7).
(6) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (229/6).
(7) التحرير والتنوير (242/27).

ومن المفسرين من ذكر أن المراد بـ ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾: ورق الزرع دون تحديد يبس أم لا، قال السمرقندي: « ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ يعني: والورق »[1]، ومثله قال القشيري[2]، والبغوي[3]، وأبوحيان[4].

وزاد الفخر الرازي قولاً ثالثاً ولم يرجحه -بعد أن ذكر القولين السابقين- فقال: « العصف: هو ورق ما يؤكل فحسب »[5].

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح في بيان معنى الآية هو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه؛ لأنه المعنى الذي أيّده علماء اللغة؛ بقولهم: « العصف: ما على ساق الزرع من الورق الذي يبس فتفتت »[6]، وهذا جارٍ على قاعدة: حمل كلام كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »[7]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) بحر العلوم (359/3).

(2) لطائف الإشارات (264/3).

(3) معالم التنزيل (268/4).

(4) البحر المحيط (184/8).

(5) التفسير الكبير (84/29).

(6) انظر: العين للفراهيدي (306/1)، وتهذيب اللغة للأزهري (26/6)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (328/4)، ولسان العرب لابن منظور (247/9).

(7) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿ءَالَآءِ﴾

131- قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الرحمن: 13].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « الآلاء: النعم »[1].

وكل من وقفت على أقوالهم من المفسرين فسروا الآلاء بالنعم، فهو مروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، وقال به: الطبري[3]، والسمرقندي[4]، وابن أبي زمنين[5]، والقشيري[6]، والواحدي[7]، والسمعاني[8]، والبغوي[9]، والبغوي[9]، والقرطبي[10]، والنسفي[11]، وابن تيمية[12]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(378).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(451).

(٣) جامع البيان (123/27).

(٤) بحر العلوم (359/3).

(٥) تفسير القرآن العزيز (327/4).

(٦) لطائف الإشارات (265/3).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1053/2).

(٨) تفسير القرآن (324/5).

(٩) معالم التنـزيل (268/4).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (159/17).

(١١) مدارك التنـزيل (201/4).

(١٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (170/16).

.... ونظام الدين النيسابوري[1]، والخازن[2]، وابن

وابن جزي[3]، وأبوحيان[4]، وابن كثير[5]، والمحلي[6]، وابن عادل[7]، والبقاعي[8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10]، والسعدي[11]، وابن عاشور[12]، عاشور[12]، والشنقيطي[13].

قال الطبري: « يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس من هذه النعم تكذبان »[14].

وفي لسان العرب: « الآلاء: النعم، واحدها آلى؛ بالفتح، وقد تكسر وتكتب بالياء »[1].

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (227/6).

(٢) لباب التأويل (3/7).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (83/4).

(٤) البحر المحيط (189/8).

(٥) تفسير القرآن العظيم (272/4).

(٦) تفسير الجلالين ص(709).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (311/18).

(٨) نظم الدرر (453/7).

(٩) فتح القدير (133/5).

(١٠) روح المعاني (104/27).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(829).

(١٢) التحرير والتنوير (156/27).

(١٣) أضواء البيان (492/7).

(١٤) جامع البيان (123/27).

وفي المعجم الوسيط: « الإلى والألى: النعمة، جمعها: آلاء »[2].

وقد رُوي عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قرأ على أصحابه سورة الرحمن، فسكت القوم، فقال النبي ﷺ: « **الجن كانوا أحسن ردًا منكم ما قرأت عليهم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد** »[3].

فبدلالة الحديث النبوي[4]، ثم ما صح في لغة العرب[5]، وأجمعوا عليه؛ يصح ما ذكره الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- معنى للآية، والله أعلم بالصواب.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (44/14).

(٢) المعجم الوسيط (25/1).

(٣) أخرجه الترمذي (399/5) رقم الحديث (3291)، وقال: « حديث غريب »، والحاكم في المستدرك (473/2)، وقال: « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي، والصحيح ما قاله الترمذي -رحمه الله- ، إلا أن للحديث شواهد ترتقي به إلى الحسن، انظر: الصحيحة للألباني (2150).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (191/1).

(٥) المرجع السابق (369/2).

معنى: ﴿مَّارِجٍ﴾

132- قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الرحمن: 15].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « والمارج ههنا: لهب النار؛ من قولك: مرج الشيء؛ إذا اضطرب و لم يستقر »[1].

تنوعت أقوال المفسرين في بيان معنى الآية نوعًا ما، وسأسوق أقوال بعضهم وأشير إلى البقية.

قال الطبري: « وقوله ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الجان من مارج من نار وهو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط »[2].

وابن أبي زمنين: « قوله ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ أي: من لسان النار ولهبها ويقال للهب النار: مارج لاضطرابه، من مرج الشيء يعني اضطرب و لم يستقر »[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(379).

(2) جامع البيان (125/27).

(3) تفسير القرآن العزيز (327/4).

والبغوي: « ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت؛ من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط »[1].

وقال الفخر الرازي: « والمارج المختلط ثم فيه وجهان أحدهما: أن المارج هو النار المشوبة بدخان، والثاني: النار الصافية.

والثاني أصح من حيث اللفظ والمعنى، أما اللفظ: فلأنه تعالى قال: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ أي: نار مارجة، وهذا كقول القائل: هو مصوغ من ذهب، فإن قوله من ذهب؛ فيه بيان تناسب الأخلاط فيكون المعنى الكل من ذهب غير أنه يكون أنواعًا مختلفة مختلطة بخلاف ما إذا قلت: هذا قمح مختلط فلك أن تقول: مختلط بماذا فيقول: من كذا وكذا فلو اقتصر على قوله: من قمح وكان منه ومن وغيره أيضًا لكان اقتصاره عليه مختلط بم طلب من البيان، وأما المعنى: فلأنه تعالى كما قال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ [سورة الرحمن: 14] أي: من طين حر كذلك بين أن خلق الجان من نار خالصة. فإن قيل: فكيف يصح قوله: ﴿مَّارِجٍ﴾ بمعنى مختلط مع أنه خالص؟ نقول: النار إذا قويت التهبت، ودخل بعضها في بعض كالشيء الممتزج امتزاجًا جيدًا لا تميز فيه بين الأجزاء المختلطة وكأنه من حقيقة واحدة »[2].

---

(1) معالم التنزيل (268/4).

(2) التفسير الكبير (87/29).

قال نظام الدين النيسابوري: « والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه من مرج إذا اضطرب ولعلها المخلوطة بسواد النار من مرج الشيء اختلط وقوله ﴿ مِّن نَّارٍ﴾ بيان لمارج كأنه قيل: من صاف من نار »(1).

وقال أبوحيان: « والمارج: ما اختلط من أصفر وأحمر وأخضر، أو اللهب، أو الخالص، أو الحمرة في طرف النار، أو المختلط بسواد، أو المضطرب بلا دخان، أقوال »(2).

وقال البقاعي: « ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ أي: شيء صاف خالص مضطرب شديد الاضطراب جدًا والاختلاط ومرجت نارهم -أي اختلطت- ببرد الزمهرير. ولما كان المارج عامًا في النار وغيرها؛ بينه بقوله: ﴿ مِّن نَّارٍ﴾ هي أغلب من عناصر، فتعين المراد بذكر النار، لأن الملائكة عليهم السلام من نور لا من نار، وليس عندهم مروج ولا اضطراب، بل هم في غاية الثبات على الطاعة فيما أمروا به، وقد عرف بهذا كل مضطرب قدره لئلا يتعدى طوره »(3).

وقال الألوسي: « ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ من لهب لا دخان، وقيل: هو اللهب المختلط بسواد النار أو بخضرة وصفرة وحمرة وقوله تعالى: ﴿مِّن نَّارٍ﴾ بيان لمارج

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (229/6).

(2) البحر المحيط (189/8).

(3) نظم الدرر (380/7).

والتنكير للمطابقة فالتنكير لأنه أريد نار مخصوصة متميزة من بين النيران لا هذه المعروفة »[1].

وأقوال بقية المفسرين نحو أقوال من ذكرت، منهم: وابن عطية[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والخازن[6]، وابن جزي[7]، وابن كثير[8]، والمحلي[9]، وابن عادل[10]، وأبوالسعود[11]، والشوكاني[12]، والشنقيطي[13].

والذي يظهر -والله أعلم- في الأمر أنها « أقوال »[14] كلها « متقاربة المعنى »[15] يجمعها أن المراد هو « الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وكان

---

(١) روح المعاني (105/27).

(٢) المحرر الوجيز (226/5).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (161/17).

(٤) أنوار التنزيل (274/5).

(٥) مدارك التنزيل (201/4).

(٦) لباب التأويل (4/7).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (84/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (272/4).

(٩) تفسير الجلالين ص(709).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب (314/18).

(١١) إرشاد العقل السليم (179/8).

(١٢) فتح القدير (133/5).

(١٣) أضواء البيان (499/7).

(١٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (189/8).

(١٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (161/17).

مختلط اللون من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت »[1]، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: معالم التنزيل للبغوي (268/4)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص(262).

معنى: ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾

133- قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٢٤﴾ [سورة الرحمن: 24].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾: السفن، و ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾: اللواتي أُنشئن، أي ابتدئ بهن ﴿فِى ٱلۡبَحۡرِ﴾، ومن قرآ ﴿ٱلۡمُنشِـَٔاتُ﴾ جعلهن اللواتي ابتدأن، يقال: أنشأت السحابة تُمطر؛ أي ابتدأت، وأنشأ الشاعر يقول »[1].

فابن قتيبة بيّن معنى الآية على كلا القراءتين؛ بفتح الشين وبكسرها[2]، فمن ذكر المعنى من المفسرين على كلا القراءتين فهو موافق له، منهم: السمرقندي[3]، والسمعاني[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، ونظام الدين النيسابوري[7]، وابن جزي[8]،

....

(1) تفسير غريب القرآن ص(379).

(2) انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح ص(532).

(3) بحر العلوم (361/3).

(4) تفسير القرآن (327/5).

(5) الكشاف (445/4).

(6) المحرر الوجيز (228/5).

(7) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (230/6).

(8) التسهيل لعلوم التنـزيل (84/4).

وأبوحيان(1)، وابن عادل(2)، والبقاعي(3)، وأبوالسعود(4)، والألوسي(5)، والألوسي(5)، وابن عاشور(6).

قال ابن جزي: « ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ يعني: السفن، وسماها منشآت لأن الناس ينشئونها، وقريء بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج، والأعلام: الجبال؛ شبّه السفن بها »(7).

وقال ابن عاشور: « ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ بفتح الشين، فهو اسم مفعول، إذا أُوجد وصُنع، أي التي أنشأها الناس بإلهام من الله تعالى فحصل من الكلام مِنّتان: منّة تسخير السفن للسير في البحر ومنّة إلهام الناس لإنشائها، وقُرئ بكسر الشين فهو اسم فاعل، فيجوز أن يكون المنشئات مشتقًا من أنشأ السير إذا أسرع، أي التي يسير بها الناس سيرًا سريعًا والآية تحتمل المعنيين على القراءتين باستعمال الاشتقاق في معنيي المشتق منه ويكون في ذلك تذكير بنعمة إلهام الناس إلى اختراع الشراع لإسراع سير السفن وهي مما اخترع بعد صنع سفينة نوح. ووصفت الجَوَارِي بأنها كالأعلام، أي الجبال وصفًا

---

(1) البحر المحيط (191/8).

(2) اللباب في علوم الكتاب (321/18).

(3) نظم الدرر (384/7).

(4) إرشاد العقل السليم (180/8).

(5) روح المعاني (108/27).

(6) التحرير والتنوير (251/27).

(7) التسهيل لعلوم التنزيل (84/4).

يفيد تعظيم شأنها في صنعها المقتضي بداعة إلهام عقول البشر لصنعها، والمقتضي عظم المِنّة بها لأن السفن العظيمة أمكن لحمل العدد الكثير من الناس والمتاع»[1].

ومن ذكر قولاً واحدا فقط؛ منهم: ابن أبي زمنين قال: « معنى المنشآت: التي أُنشئت »[2].

والسعدي قال: « ينشئها الآدميون، فتكون من عظمها وكبرها كالأعلام؛ وهي الجبال العظيمة »[3].

فتفسيرهم منصبّ على قراءة واحدة دون الالتفات إلى القراءة الأخرى، وليس نفياً للمعنى على القراءة الأخرى.

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأمر كما قال ابن عاشور أن « الآية تحتمل المعنيين على القراءتين باستعمال الاشتقاق في معنيي المشتق منه »[4]، وهذا على قاعدة متبعة في الترجيح عند المفسرين، « أن الآية إن كانت تحتمل معانٍ كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعًا »[5]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) التحرير والتنوير (251/27).

(٢) تفسير القرآن العزيز (329/4).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(380).

(٤) التحرير والتنوير (251/27).

(٥) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾

134- قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ٣٧﴾ [سورة الرحمن: 37].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ أي: حمراء في لون الفرس الوردة، والدهان: جمع دهن، ويقال: الدهان: الأديم الأحمر»[1].

فابن قتيبة يرى أن المراد بلفظ: ﴿وَرۡدَةً﴾ يعني: كلون الفرس الوردة، فهو تشبيه لتغير لون السماء في أحوالها يوم القيامة بلون الفرس في الأزمنة المختلفة، وأن لفظ: (الدهان) يحمل على المعنيين: إما الدهن المعروف؛ وهو الزيت، أو يراد به الأديم الأحمر، وهو الجلد.

وقد وافق ابن قتيبة فيما ذهب إليه، من أن لفظ ﴿وَرۡدَةً﴾ يراد به: أي كلون الفرس الوردة، من المفسرين: الطبري[2]، والسمرقندي[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(380).

(2) جامع البيان (142/27).

(3) بحر العلوم (364/3).

ووافقه في أن ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ جمع دهن، أو يراد به الأديم الأحمر، من

المفسرين: الزمخشري[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والخازن[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]،والبقاعي[7]، والشوكاني[8].

ومن المفسرين من حمل لفظ ﴿وَرْدَةً﴾ على المعنى المتبادر إلى الذهن، وأن

المراد هو الوردة المعروفة التي يضرب بها المثل في لون الحمرة، فمنهم: الجصاص[9]،

الجصاص[9]، والزمخشري[10]، وأبوحيان[11]، والبقاعي[12]، والشنقيطي[13].

والشنقيطي[13].

---

(١) الكشاف (436/4).

(٢) التفسير الكبير (103/29).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (173/17).

(٤) لباب التأويل (7/7).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (85/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (276/4).

(٧) نظم الدرر (390/7).

(٨) فتح القدير (137/5).

(٩) أحكام القرآن (299/5).

(١٠) الكشاف (436/4).

(١١) البحر المحيط (184/8).

(١٢) نظم الدرر (390/7).

(١٣) أضواء البيان (501/7).

وبعضهم حمل لفظ ﴿وَرْدَةً﴾ على المعنيين معًا، منهم: الماوردي[1]، والفخر الرازي[2]، وابن جزي[3]، والشوكاني[4].

قال الماوردي: « ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وردة البستان، وهي حمراء، وقد تختلف ألوانها لكن الأغلب من ألوانها الحمرة، وبها يضرب المثل في لون الحمرة، كذلك تصير السماء يوم القيامة حمراء كالورد[5].

الثاني: أنه أراد بالوردة الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي الشتاء أغبر، فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالفرس الورد، لاختلاف ألوانه[6] »[7].

والذي يظهر -والله أعلم- أن « القول بأن الوردة تشبيه بالفرس الكميت وهو الأحمر لأن حمرته تتلون باختلاف الفصول، فتشتد حمرتها في فصل، وتميل إلى الصفرة في فصل، وإلى الغبرة في فصل، وأن المراد بالتشبيه كون السماء عند

---

(1) النكت والعيون (435/5).

(2) التفسير الكبير (103/29).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (85/4).

(4) فتح القدير (137/5).

(5) حكاه عن ابن بحر.

(6) حكاه عن الكلبي والفراء.

(7) النكت والعيون (435/5).

انشقاقها تتلون بألوان مختلفة؛ واضح البعد عن ظاهر الآية »[1]، والقاعدة لدى علماء التفسير: أنه « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل »[2].

« وقوله: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: فيه قولان معروفان للعلماء:

الأول منهما: أن الدهان هو الجلد الأحمر، وعليه فالمعنى أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مشابهة للجلد الأحمر في لونه.

والثاني: أن الدهان هو ما يدهن به، وعليه، فالدهان؛ قيل: هو جمع دهن، وقيل: هو مفرد، لأن العرب تسمي ما يدهن به دهانًا، وهو مفرد.

وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر، يكون الله وصف السماء عند انشقاقها يوم القيام بوصف واحد وهو الحمرة فشبهها بحمرة الوردة، وحمرة الأديم الأحمر وأما على القول بأن الدهان هو ما يدهن به، فإن الله قد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما: حمرة لونها، والثاني: أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن. أما على القول الأول، فلم نعلم آية من كتاب الله تبين هذه الآية، بأن السماء ستحمر يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر. وأما على القول الثاني الذي هو أنها تذوب وتصير مائعة، فقد أوضحه الله في غير هذا الموضع وذلك في قوله تعالى في المعارج ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ [سورة المعارج: 6-8]، والمهل شيء ذائب على كلا القولين سواء قلنا: إنه دردي الزيت وهو عكره، أو قلنا إنه الذائب

---

(١) قاله الشنقيطي في أضواء البيان (501/7).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (137/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (843/2).

من حديد أو نحاس أو نحوهما. وقد أوضح تعالى في الكهف أن المهل شيء ذائب يشبه الماء شديد الحرارة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: 29] »[1].

وعلى قاعدة: تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير وأحسنها[2]، فيحمل لفظ (الدهان) على أن يراد به: الدهن، و « لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب »[3]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) قاله الشنقيطي في أضواء البيان (501/7).

(2) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(3) انظر: جامع البيان للطبري (142/27).

معنى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾

135- قال تعالى ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الرحمن: 44].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « والحميم: الماء المغلي، والآني: الذي قد انتهت شدة حره »[1].

وقد ذكر الماوردي في النكت والعيون أن « قوله تعالى: ﴿ءَانٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الذي انتهى حره وحميمه[2].

الثاني: أنه الحاضر[3].

الثالث: أنه الذي قد آن شربه وبلغ غايته[4] »[5].

ولكن الذي عليه جمهور المفسرين، وهو « الأظهر »[6] هو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه من أن ﴿ءَانٍ﴾ تعني: الذي قد انتهت شدة حره، فهو المروي

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(380).

(2) حكاه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي.

(3) حكاه عن محمد بن كعب.

(4) حكاه عن مجاهد.

(5) انظر: النكت والعيون (437/5).

(6) انظر: التسهيل لعلوم التنـزيل لابن جزي (85/4).

عن ابن عباس[1] -رضي الله عنهما- حبر الأمة وترجمان القرآن، وقاله الطبري[2]، والسمرقندي[3]، وابن أبي زمنين[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، وابن عطية[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]، والقرطبي[10]، ونظام الدين النيسابوري[11]، والخازن[12]، وابن جزي[13]، وابن كثير[14]، وابن عادل[15]، والبقاعي[16]، وأبوالسعود[17]،

---

(١) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(452).

(٢) جامع البيان (143/27).

(٣) بحر العلوم (365/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (332/4).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1056/2).

(٦) تفسير القرآن (332/5).

(٧) معالم التنزيل (273/4).

(٨) المحرر الوجيز (473/5).

(٩) التفسير الكبير (107/29).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (175/17).

(١١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (232/6).

(١٢) لباب التأويل (8/7).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (85/4).

(١٤) تفسير القرآن العظيم (277/4).

(١٥) اللباب في علوم الكتاب (317/18).

(١٦) نظم الدرر (392/7).

(١٧) إرشاد العقل السليم (183/8).

والشوكاني[1]، والألوسي[2]، والسعدي[3]، وابن عاشور[4]، والشنقيطي[5].
والشنقيطي[5].

وأيّد أهل اللغة ما ذهب إليه المفسرون، فقالوا: « ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قد انتهى حره »[6]، فصح حمل الآية على المعنى الذي أجمعوا عليه، والله أعلم بالصواب.

---

(1) فتح القدير (138/5).

(2) روح المعاني (115/27).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(831).

(4) التحرير والتنوير (264/27).

(5) أضواء البيان (505/7) وأيضًا (289/4).

(6) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (143/1).

معنى: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾

136- قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الرحمن: 66].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ تفوران بالماء، والنضخ أكثر من النضح »[1].

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة هو المروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما- ، وقاله الطبري[3]، والسمرقندي[4]، وابن أبي زمنين[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، والزمخشري[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]، والبيضاوي[11]، .... والنسفي[1]،والخازن[2]، وابن جزي[3]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(383).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(452).

(3) جامع البيان (157/27).

(4) بحر العلوم (367/3).

(5) تفسير القرآن العزيز (334/4).

(6) تفسير القرآن (337/5).

(7) معالم التنـزيل (276/4).

(8) الكشاف (451/4).

(9) التفسير الكبير (117/29).

(10) الجامع لأحكام القرآن (183/17).

(11) أنوار التنـزيل (281/5).

والمحلي([4])، وابن عادل([5])، والبقاعي([6])، وأبوالسعود([7])، والألوسي([8])، والسعدي([9])، وابن عاشور([10]).

وقد أورد الماوردي وجوهًا أخرى في معناها: « ممتلئتان لا تنقطعان، أو جاريتان »([11])، لكن الذي يظهر -والله أعلم أن الراجح هو قول الجمهور، لأنه «الظاهر»([12]) و «المعروف»([13]) في لغة العرب حيث قالوا: « نضخ الماء: اشتد فورانه من ينبوعه، وما كان منه من سفل إلى علو »([14])، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾

---

(١) مدارك التنزيل (5/4).

(٢) لباب التأويل (12/7).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (86/4).

(٤) تفسير الجلالين ص(712).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (354/18).

(٦) نظم الدرر (397/7).

(٧) إرشاد العقل السليم (186/8).

(٨) روح المعاني (122/27).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص(831).

(١٠) التحرير والتنوير (272/27).

(١١) انظر: النكت والعيون للماوردي (441/5).

(١٢) انظر: روح المعاني للألوسي (122/27).

(١٣) انظر: جامع البيان للطبري (157/27).

(١٤) هذه عبارة الفيروز آبادي في القاموس المحيط ص(334)، وانظر أيضًا: العين للفراهيدي (177/4)، ولسان العرب لابن منظور (62/3)، وتاج العروس للزبيدي (357/7).

137- قال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة الرحمن: 76].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « والعبقري: الطنافس الثخان، يقال لكل شيء من البُسط: عبقري، ويذكر أن عبقر: أرض كان يعمل فيها الوشي؛ فنسب إليها كل شيء جيد »(1).

وقد وافق ابن قتيبة في أن العبقري: الطنافس الثخان، وعلى اعتبار أن كل شيء من البسط عند العرب يسمى: عبقري، عدد من المفسرين، منهم: الطبري(2)، والواحدي(3)، والبغوي(4)، والمحلي(5).

لكن غالبية المفسرين فسروا الآية على احتمال أن ﴿وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ يراد بها: الطنافس الثخان، أو يراد بها: الزرابي، أو يراد بها: الديباج يعني الثياب الموشاة، دون ترجيح لأحد الأقوال، منهم: السمرقندي(6)، والسمعاني(7)، .... وابن عطية(8)، والقرطبي(1)، والبيضاوي(2)، والنسفي(3)،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(383).
(2) جامع البيان (164/27).
(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1057/2).
(4) معالم التنزيل (278/4).
(5) تفسير الجلالين ص(713).
(6) بحر العلوم (368/3).
(7) تفسير القرآن (339/5).
(8) المحرر الوجيز (236/5).

ونظام الدين النيسابوري([4])، والخازن([5])، وابن جزي([6])، وأبوحيان([7])، وابن كثير([8])، وابن عادل([9])، والبقاعي([10])، والشوكاني([11])، والألوسي([12]).

قال النسفي: « ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ديباج أو طنافس »([13]).

وقال ابن جزي: « ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ العبقري: الطنافس، وقيل: الزرابي، وقيل: الديباج الغليظ »([14]).

والذي يظهر -والله أعلم- استنادًا إلى قاعدة مراعاة السياق القرآني، بـــ «إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى من الخروج به عن ذلك »([15])؛ أن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (191/17).

(٢) أنوار التنزيل (282/5).

(٣) مدارك التنزيل (205/4).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (234/6).

(٥) لباب التأويل (13/7).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (87/4).

(٧) البحر المحيط (198/8).

(٨) تفسير القرآن العظيم (281/4).

(٩) اللباب في علوم الكتاب (364/18).

(١٠) نظم الدرر (400/7).

(١١) فتح القدير (143/5).

(١٢) روح المعاني (146/27).

(١٣) مدارك التنزيل (205/4).

(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل (87/4).

(١٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي(125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (249/1).

الراجح هو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه وأن يراد بها الطنافس الثخان، لأن الآية في الجلوس والاتكاء، وهو على البسط أوضح منه على الثياب، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾

138- قال تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾ [سورة الواقعة: 5-6].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾: فتتت، حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس »[1].

هذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة وافقه عليه عدد من المفسرين، منهم: الطبري[2]، وابن أبي زمنين[3]، والواحدي[4]، والمحلي[5]، والسعدي[6].

لكن غالبية المفسرين يذكرون أكثر من معنى عند تفسير الآية، وربما جعلها بعضهم مترابطة أو يسردها سردًا لبيان المعاني الواردة فقط، فمنهم: السمرقندي[7]، والماوردي[8]، والسمعاني[9]، والبغوي[1]، والزمخشري[2]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(384).
(٢) جامع البيان (317/27).
(٣) تفسير القرآن العزيز (336/4).
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1058/2).
(٥) تفسير الجلالين ص(713).
(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(832).
(٧) بحر العلوم (369/3).
(٨) النكت والعيون (446/5).
(٩) تفسير القرآن (342/5).

والزمخشري[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والخازن[6]، وابن جزي[7]، وأبوحيان[8]، وابن كثير[9]، وابن عادل[10]، والبقاعي[11]، وأبوالسعود[12]، والشوكاني[13]، والألوسي[14]، وابن عاشور[15]، والشنقيطي[16].

فمثلاً قال السمرقندي: « ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ يعني: فتتت الجبال فتًا، ويقال: قلعت الجبال قلعًا، ويقال: كسرت الجبال كسرًا »[17].

---

(١) معالم التنزيل (279/4).
(٢) الكشاف (455/4).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (196/3).
(٤) أنوار التنزيل (206/4).
(٥) مدارك التنزيل (206/4).
(٦) لباب التأويل (15/7).
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (88/4).
(٨) البحر المحيط (201/8).
(٩) تفسير القرآن العظيم (283/4).
(١٠) اللباب في علوم الكتاب (374/18).
(١١) نظم الدرر (403/7).
(١٢) إرشاد العقل السليم (188/8).
(١٣) فتح القدير (147/5).
(١٤) روح المعاني (131/27).
(١٥) التحرير والتنوير (284/27).
(١٦) أضواء البيان (511/7).
(١٧) بحر العلوم (369/3).

وقال الزمخشري: « ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ ﴾ وفتت حتى تعود كالسويق، أو سيقت؛ من بس الغنم إذا ساقها، كقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [سورة النبأ: 20] »[1].

وقال البقاعي: « ولما ذكر حركتها المزعجة، أتبعها غايتها، فقال: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ ﴾ أي: فتتت على صلابتها وعظمها بأدنى إشارة، وخلط حجرها بترابها حتى صار شيئًا واحدًا، وصارت كالعهن المنفوش، وسيرت وكانت تمرّ مرّ السحاب »[2].

وقد قال القرطبي بعد ذكره لعدد من المعاني: « والمعنى المتقارب »[3].

وما أحسن ما بيّن به الشنقيطي معنى الآية في الأضواء، فلقد أجاد وأفاد، وأشبع وأمتع، وفصّل وجمّل، حتى جاء البيان مضيئًا، والضوء لامعاً فريدًا، فقال: « وقوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ في معناه لأهل العلم أوجه متقاربة، لا يكذب بعضها بعضًا وكلها حق، وكلها يشهد له قرآن.

قال أكثر المفسرين: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ أي: فتت تفتيتًا حتى صارت كالبسيسة، وهي دقيق ملتوت بسمن، وهذا الوجه يشهد له قرآن كقوله تعالى:

---

(١) الكشاف (455/4).

(٢) نظم الدرر (403/7).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (196/17).

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة المزمل: 14]، فقوله: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي: رملاً متهايلاً، ومشابهة الدقيق المبسوس بالرمل المتهايل واضحة، فقوله: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ مطابق في المعنى لتفسير ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ بأن بسها هو تفتيتها وطحنها كما ترى.

وما دلت عليه هذه الآيات من أنها تسلب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق، والرمل المتهايل بشهد له في الجملة تشبيهها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن، كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [سورة القارعة: 5]، وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [سورة المعارج: 9] وأصل العهن أخص من مطلق الصوف لأنه الصوف المصبوغ خاصة.

وقال بعضهم: الجبال منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بست وفتتت يوم القيامة وطيرت في الجو أشبهت العهن إذا طيرته الريح في الهوى، وهذا الوجه يدل عليه ترتيب كينونتها ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ بالفاء على قوله: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ لأن الهباء هو ما ينـــزل من الكوة من شعاع الشمس إذا قابلتها: ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ أي: متفرقًا، ووصفها بالهباء المنبث أنسب لتكون البس بمعنى التفتيت والطحين.

الوجه الثاني: أن معنى قوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: سيرت بين السماء والأرض، وعلى هذا فالمراد ببسها سوقها وتسييرها من قول العرب: بست الإبل أبسها، بضم الباء وأبستها أبسها بضم الهمزة وكسر الباء، لغتان بمعنى سقتها[1]، وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [سورة الكهف: 47]، وقوله: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الطور: 10]، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل [2]، في الكلام على قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [سورة النمل: 88].

الوجه الثالث: أن معنى ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ نـــزعت من أماكنها وقلعت، وقد أوضحنا أن هذا الوجه راجع للوجه الأول مع الإيضاح التام لأحوال الجبال يوم القيامة، وأطوارها، بالآيات القرآنية، في سورة طه [3]، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة طه: 105].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (27/6).

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (145/6) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [سورة النحل: 88].

(٣) انظر: المرجع السابق (97/4) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [سورة طه: 105].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كقوله تعالى:

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النبأ: 20]، والهباء إذا انبث، أي:

تفرق، واضمحل وصار لا شيء كالسراب»[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المرجع السابق (511/7).

معنى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾

139- قال تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ ﴾ [سورة الواقعة: 15].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ أي: منسوجة، كأن بعضها أدخل في بعض، أو نضِّد بعضها على بعض، ومنه قيل للدّرع: موضونة، ومنه قيل: وضين الناقة؛ وهو بطان من سيور يرصّ ويدخل بعضه في بعض »[1].

وما قاله ابن قتيبة في معنى ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ هو الذي « به قال الأكثرون »[2]، فهو المروي عن ابن عباس[3]، ومقاتل[4]، وقال به: الطبري[5]، والسمرقندي[6]، وابن أبي زمنين[7]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(385).

(٢) هذه عبارة ابن الجوزي في زاد المسير (135/8).

(٣) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(453).

(٤) تفسير مقاتل (312/3).

(٥) جامع البيان (172/27).

(٦) بحر العلوم (370/3).

(٧) تفسير القرآن العزيز (337/4).

.... والواحدي[1]،

والسمعاني[2]، والبغوي[3]، وابن عطية[4]، والفخرالرازي[5]، والقرطبي[6]، والقرطبي[6]، والبيضاوي[7]، والنسفي[8]، ونظام الدين النيسابوري[9]، والخازن[10]، وابن جزي[11]، وأبوحيان[12]، وابن كثير[13]، والمحلي[14]، وابن عادل[15]، والبقاعي[16]، وأبوالسعود[17]، والشوكاني[18]،

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1059/2).

(٢) تفسير القرآن (345/5).

(٣) معالم التنزيل (280/4).

(٤) المحرر الوجيز (241/5).

(٥) التفسير الكبير 130/029).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (21/17).

(٧) أنوار التنزيل (285/5).

(٨) مدارك التنزيل (207/4).

(٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (240/6).

(١٠) لباب التأويل (16/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (88/4).

(١٢) البحر المحيط (205/8).

(١٣) تفسير القرآن العظيم (287/4).

(١٤) تفسير الجلالين ص(714).

(١٥) اللباب في علوم الكتاب (384/18).

(١٦) نظم الدرر (406/07).

(١٧) إرشاد العقل السليم (191/8).

(١٨) فتح القدير (149/5).

والألوسي[1]، .... والسعدي[2]، وابن عاشور[3]، والشنقيطي[4].
والشنقيطي[4].

قال الطبري: « ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ يقول: فوق سرر منسوجة قد أدخل بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة، ومنه: وضين النـاقة وهو البطـان من السـيور إذا نسـج بعضه على بعض مضاعفًا كحلق الدرع»[5].

وقال الشنقيطي: « ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بالذهب، وبعضهم يقول بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت، وكل نسج أحكم ودخل بعضه في بعض، تسميه العرب: وضنا، وتسمي المنسوج به موضونًا ووضينًا، ومنه الدرع الموضونة إذا أحكم نسجها ودخل بعض حلقاتها في بعض. ومن هذا القبيل نسميه البطان الذي ينسج من السيور؛ مع إدخال بعضها في بعض وضيناً »[6].

وفيمن ذكرت كلامهم إشارة إلى البقية، تدل على إجماعهم على المعنى المراد تفسيرًا أو بيانًا للآية، والله أعلم بالصواب.

---

(١) روح المعاني (135/27).
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(833).
(٣) التحرير والتنوير (293/27).
(٤) أضواء البيان (517/7).
(٥) جامع البيان (172/27).
(٦) أضواء البيان (517/7).

معنى: ﴿ عُرُبًا ﴾

140- قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الواقعة 36-37].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: ﴿ عُرُبًا ﴾ جمع عروب: وهي المتحببة إلى زوجها، ويقال: الغَنِجَة[1] »[2].

وقال المفسرون في معنى العروب أيضاً: « الحسنة التبعل، وقيل: الحسنة الكلام، وقيل: العاشقة لزوجها؛ لأن عشقها له يزيده « ميلاً إليها وشغفًا بها، وقيل: إنهن المتحببات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على مشايعته، أو أن معنى عُربا: كلامهم عربيّ »[3].

ولقد ذهب كثير من المفسرين إلى مثل ما ذهب إليه ابن قتيبة في بيان معنى الآية، فمنهم:

---

(1) الغنجة (بلغة أهل المدينة) الشكلة (بلغة أهل مكة)، انظر: النكت والعيون للماوردي (455/5).
وقال في القاموس المحيط ص(256): الغنج: الشِّكْلُ.
والشِّكْلُ: بالكسر والفتح: غنج المرأة ودَلُّها وغزلها، فهي شِكْلة. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(1318).

(2) تفسير غريب القرآن ص(387).

(3) ذكر الأقوال كلها الماورديّ في النكت والعيون (455/5).

الطبري: « وقوله ﴿عُرُبًا﴾ يقول تعالى ذكره: فجعلناهن أبكارًا غنجات متحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل، وهي جمع واحدهن عروب »[1].

وابن أبي زمنين: « ﴿عُرُبًا﴾ متحببات إلى أزواجهن »[2].

والواحدي: « ﴿عُرُبًا﴾ متحببات إلى الأزواج، عواشق لهن »[3].

والزمخشري: « ﴿عُرُبًا﴾: جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل »[4].

والبيضاوي: « ﴿عُرُبًا﴾ متحببات إلى أزواجهن، جمع عروب »[5].

والنسفي: « ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب: وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل »[6].

ونظام الدين النيسابوري: « ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب: وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل »[1].

---

(١) جامع البيان (186/27).

(٢) تفسير القرآن العزيز (339/4).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1061/02).

(٤) الكشاف (461/4).

(٥) أنوار التنـزيل (287/5).

(٦) مدارك التنـزيل (208/4).

والمحلي «﴿عُرُبًا﴾ بضم الراء وسكونها جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها عشقًا له »[2].

والبقاعي: « ﴿أَبْكَارًا﴾ أي بكارة دائمة لأنه لا تغيير في الجنة ولا نقص. ولما كان مما جرت به العادة أن البكر تتضرر من الزوج لما يلحقها من الوجع بإزالة البكارة، دل على أنه لا نكد هناك أصلاً بوجع ولا غيره بقوله ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب، وهي الغنجة المتحببة إلى زوجها »[3].

وأبوالسعود: « ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب: وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل »[4].

والألوسي: « ﴿عُرُبًا﴾ متحببات إلى أزواجهن، جمع عروب كصبور وصبُرُ، رُوي هذا عن جماعة من السلف، وفسرها جماعة أخرى بغنجات، ولا يخفى أن الغنج ألطف أسباب التحبب »[5].

والسعدي: « والعروب: هي المرأة المتحببة إلى بعلها بحسن لفظها، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سَبَتِ العقول، وودّ السامع أن

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (241/6).

(٢) تفسير الجلالين ص(715).

(٣) نظم الدرر (410/7).

(٤) إرشاد العقل السليم (194/8).

(٥) روح المعاني (142/27).

كلامها لا ينقضي، خصوصًا عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنغمات المطربة، إن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحًا وسرورًا، وإن برزت من محل إلى آخر، امتلأت ذلك الموت منها ريحًا طيبًا ونورًا، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع »[1].

وسيد قطب: « ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ لم يمسسن ﴿ عُرُبًا ﴾ متحببات إلى أزواجهن »[2].

وابن عاشور: « العروب المرأة المتحببة إلى الرجل، أو التي لها كيفية المتحببة وإن لم تقصد التحبب، بأن تكثر الضحك بمرأى الرجل أو المزاح أو اللهو أو الخضوع في القول أو اللثغ في الكلام بدون علة أو التغزل في الرجل والمساهلة في مجالسته والتدلل وإظهار معاكسة أميال الرجل لِعبًا لا جِدًّا. وإنما فسروها بالمتحببة لأنهم لما رأوا هاته الأعمال تجلب محبة الرجل للمرأة؛ ظنوا أن المرأة تفعلها لاكتساب محبة الرجل. ولذلك فسر بعضهم: العروب بأنها المغتلمة، وإنما تلك حالة من أحوال بعض العروب »[3].

والشنقيطي: « قوله: ﴿ عُرُبًا ﴾ جمع عروب، وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل، ومنه قول لبيد [4]:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(834).

(٢) سيد قطب (3464/6).

(٣) التحرير والتنوير (301/27).

(٤) البيت في شرح ديوان لبيد، للدكتور إحسان عباس ص(61)، ولكنه قال (الحدوج) بدل (الخباء)، في قصيدة مطلعها:

وفي الخباء عروب غير فاحشة   ريّا الروادف يعشى دونها البصر »[1].

وفريق من المفسرين لم يكتفوا بذكر عند بيانهم لمعنى الآية، إنما يذكرون كلَّ الأقوال الواردة؛ ما ذكره ابن قتيبة وما سبقت الإشارة إليه بعد كلام ابن قتيبة، أو يذكرون معظمها أو بعضها، فمنهم: السمرقندي[2]، والماوردي [3]، والقشيري[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، وابن عطية[7]، وابن الجوزي[8]، والقرطبي[9]، والخازن[10]، وابن جزي[11]، وأبوحيان[12]، وابن كثير[13]، والشوكاني[14]. ....

راح القطين بهجر بعدما ابتكروا   فما تواصله سلمى وما تذر

وتقدمت ترجمة لبيد.

(١) أضواء البيان (520/7).

(٢) بحر العلوم (372/3).

(٣) النكت والعيون (455/5).

(٤) لطائف الإشارات (276/3).

(٥) تفسير القرآن (350/5).

(٦) معالم التنزيل (284/4).

(٧) المحرر الوجيز (245/5).

(٨) زاد المسير (142/8).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (211/17).

(١٠) لباب التأويل (19/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (90/4).

(١٢) البحر المحيط (207/8).

(١٣) تفسير القرآن العظيم (292/4).

(١٤) فتح القدير (153/5).

قال البغوي: « ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب: أي عواشق محببات إلى أزواجهن، وقيل: غنجة، وقيل عرباً: حسنات الكلام »[1].

وقال ابن جزي: « ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب: وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته، وقيل: العواشق لأزواجهن، وقيل: هي الحسنة الكلام »[2].

الظاهر –والله أعلم– أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه من أن لفظة ﴿عُرُبًا﴾ يراد بها جمع عروب؛ وهي المتحببة إلى زوجها بحسن التبعل، بما يشمله حسن التبعل، من حسن في الأقوال والأفعال، يدل لذلك

أولاً: كون هذا هو اختيار الجمهور، صرح بذلك الألوسي بقوله عنه إنه « هو الذي عليه الأكثر »[3]، والشنقيطي قال: « هو قول الجمهور »[4].

ثانياً: دلالة اللغة العربية عليه، فإن ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب « واشتقاقه من أعرب إذا بيّن، فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن كلام » [5].

أما الذين اكتفوا بسرد الأقوال كلها أو بعضها عند تفسيرهم للآية، يلاحظ أنهم جميعًا متفقون على ذكر عدد من الأقوال، هي:

1- المتحببات إلى أزواجهن.

---

(1) معالم التنزيل (284/4) بتصرف.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (90/4) بتصرف.

(3) روح المعاني (142/27).

(4) أضواء البيان (520/7).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (211/17).

2- الحسنة التبعل.

3- الحسنة الكلام.

4- العاشقة لزوجها.

وكما هو واضح أنه لا تنافر بين الأقوال المذكورة بل كلها تؤدي معنًى واحدًا، فإن المرأة العروب: هي المتحببة إلى زوجها؛ بحسن التبعل (عمل)، وحسن الكلام (قول)، وعشقها لزوجها (محبة قلبية)، فإذا اجتمعت هذه الصفات في امرأةٍ فهي عروب، وهي صفة نساء أهل الجنة. جعلنا الله -عَزَّوَجَلَّ- وإياكم وجميع المسلمين من أهل الجنة.

وإليك كلام بعض المفسرين مما يوضح هذا الترابط الشديد بين الأقوال، يقول الماوردي -بعد ذكر أن من معاني العروب: العاشقة لزوجها- « لأن عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفًا بها »[1]، ويقول النيسابوري: « العروب: الحسنة التبعل، الفطنة بمراد الزوج كفطنة العَرَب »[2]، فكونها تفطن لمراد زوجها يعني أنها تحسن تصرفاتها وأقوالها ومشاعرها معه، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: النكت والعيون للماوردي (455/5).

(2) انظر: إيجاز البيان لابن أبي الحسن النيسابوري (238/2).

معنى: ﴿شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾

141- قال تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ٥٥﴾ [سورة الواقعة: 55].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلۡهِيمِ﴾ : الإبل يصيبها داء فلا تَروَى من الماء، يقال: بعير أهيم، وناقة هيماء »[1].

ووافقه على نفس المعنى الذي ذكره: الطبري[2]، وابن أبي زمنين[3]، والواحدي[4]، والفخر الرازي[5]، والنسفي[6]، وابن كثير[7]، والمحلي [8]، والسعدي[9]، وابن عاشور[10]، والشرقيطي [11].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(388).

(2) جامع البيان (195/27).

(3) تفسير القرآن العزيز (341/4).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1062/2).

(5) التفسير الكبير (152/29).

(6) مدارك التنـزيل (209/4).

(7) تفسير القرآن العظيم (296/4).

(8) تفسير الجلالين ص(716).

(9) تيسير الكريم الرحمن ص(834).

(10) التحرير والتنوير (311/27).

(11) أضواء البيان (315/6).

قال الشنقيطي: « وقوله ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ الهيم: جمع أهيم وهيماء وهي الناقة مثلاً التي أصابها الهيام، وهو شدة العطش بحيث لا يرويها كثرة شراب الماء، فهي تشرب كثيرًا من الماء، ولا تزال مع ذلك في شدة العطش »[1].

لكن فريقًا آخر من المفسرين -عند بيانهم لمعنى الآية- يذكرون هذا القول الذي ذكره ابن قتيبة وموافقوه، وقولاً آخر معه؛ مؤداه أن ﴿ٱلْهِيمِ﴾: « الأرض الرملة التي لا تروي الماء، وهي هيام الأرض »[2]، وكلا القولين مرويّ عن ابن عباس -رضي الله عنهما-[3]، وحكاهما معًا معنى للآية من المفسرين: السمرقندي[4]، والقشيري[5]، والسمعاني[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]، والقرطبي[9]، والبيضاوي[10]، ونظام الدين النيسابوري[11]،

(1) المرجع السابق.

(2) انظر: النكت والعيون (457/5).

(3) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(454).

(4) بحر العلوم (374/3).

(5) لطائف الإشارات (276/3).

(6) تفسير القرآن (354/5).

(7) الكشاف (462/4).

(8) المحرر الوجيز (247/5).

(9) الجامع لأحكام القرآن (214/17).

(10) أنوار التنزيل (289/5).

(11) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (242/6).

.... والخازن[1]، وابن جزي[2]، وأبوحيان[3]، وابن عادل[4]، والبقاعي[5]، وأبوالسعود[6]، والشوكاني[7]، والألوسي[8].

قال السمرقندي: « ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ يعني: كشرب الهيم وهي الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الشراب، ويقال: الأرض التي أصابتها الشمس وهي أرض سهلة من الرملة »[9].

وقال نظام الدين النيسابوري« والهيم: الإبل التي بها الهيام وإذا شربت فلا تروى، واحدها: أهيم، والمؤنث: هيماء، وجوز أن يكون جمع الهَيام بفتح الهاء: وهو الرمل الذي لا يتماسك والمعنى أنه يسلط عليهم الجوع حتى يضطروا إلى أكل الزقوم، ثم يسلط عليهم العطش إلى أن يضطروا إلى شرب الحميم كالإبل الهيم»[10].

والذي يظهر -والله أعلم- جواز حمل الآية على المعنيين، لأن كليهما وجه معروف في لغة العرب[11]، و « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة

(١) لباب التأويل (22/7).

(٢) التسهيل لعلوم التنـزيل (90/4).

(٣) البحر المحيط (207/8).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (412/18).

(٥) نظم الدرر (414/7).

(٦) إرشاد العقل السليم (196/8).

(٧) فتح القدير (154/5).

(٨) روح المعاني (146/27).

(٩) بحر العلوم (374/3).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (242/6).

(١١) انظر: لسان العرب لابن منظور (627/12).

العرب »[1]، قاعدة متبعة عند علماءِ التفسير، والمقصود منهما معًا بيان حالٍ من أحوال عذاب الكفار في النار يوم القيامة، فهم « شاربون من الحميم شربًا لا ينقطع فهو مستمرة آلامه »[2]، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).
(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (311/27).

معنى: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾

142- قال تعالى: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الواقعة: 65].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « تعجبون مما نــزل بكم في زرعكم إذا صار حطاما. ويقال ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تندمون »[1].

فابن قتيبة حمل لفظ ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ على المعنيين: تعجبون مما نــزل في الزرع، وتندمون.

وقد وافقه على نفس المعنيين المذكورين: الواحدي[2]، والسمعاني[3]، والزمخشري[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، ونظام الدين النيسابوري[7].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(388).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1062/2).

(٣) تفسير القرآن (355/5).

(٤) الكشاف (288/4).

(٥) أنوار التنــزيل (290/5).

(٦) مدارك التنــزيل (210/4).

(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (243/6).

قال الواحدي: « ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون وتندمون مما نــزل بكم ومما عملتم من الحرث »[1].

ومن المفسرين من حمل اللفظ على معنى: تعجبون رُوي ذلك عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، وقال به: الطبري[3]، وابن أبي زمنين[4]، والمحلي[5]، والبقاعي[6]، وأبوالسعود[7]، والألوسي[8].

فقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: « ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ فصرتم تعجبون من يبوسته وهلاكه »[9].

ومن المفسرين من زاد على المعنيين المذكورين غيرها، فقيل « تفكهون: تحزنون، وقيل: تلاومون »[10]، منهم البغوي[11]، وابن عطية[12]،

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1062/2).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(3) جامع البيان (198/27).

(4) تفسير القرآن العزيز (342/4).

(5) تفسير الجلالين ص(716).

(6) نظم الدرر (418/7).

(7) إرشاد العقل السليم (198/8).

(8) روح المعاني (148/27).

(9) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(10) ذكرهما الماوردي مع بقية الأقوال المذكورة، انظر النكت والعيون (461/5).

(11) معالم التنــزيل (287/4).

(12) المحرر الوجيز (249/5).

.... والقرطبي[1]، والخازن[2]، وابن جزي[3]، وأبوحيان[4]، وابن وابن كثير[5]، وابن عادل[6]، والشوكاني[7]، وابن عاشور[8].

والذي يظهر -والله أعلم- أنه لا مانع من حمل اللفظ على المعاني الواردة، فكلها « متقاربة »[9]، فعلى معنى (تتعجبون) يكون المراد: « تعجبون مما نــزل بزرعكم، وأصله من التفكه بالحديث إذا حدث الرجل الرجل بالحديث يعجب منه ويلهى به، فكذلك ذلك، وكأن معنى الكلام فأقمتم تتعجبون يعجب بعضكم بعضًا مما نــزل بكم »[10]. وعلى معنى (تندمون) فالمراد: « تندمون على ما سلف منكم من معصية الله تعالى التي أوجبت لكم عقوبته حتى نالكم في زرعكم ما نالكم » [11]. وعلى معنى (تلاومون) أي: « تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله تعالى التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم »[12].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (219/17).
(2) لباب التأويل (23/7).
(3) التسهيل لعلوم التنـزيل (91/4).
(4) البحر المحيط (211/8).
(5) تفسير القرآن العظيم (297/4).
(6) اللباب في علوم الكتاب (421/18).
(7) فتح القدير (157/5).
(8) التحرير والتنوير (322/27).
(9) انظر: التسهيل لعلوم التنـزيل لابن جزي (91/4).
(10) انظر: جامع البيان للطبري (198/27).
(11) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (216/9).
(12) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (219/17).

فهم يعجبون ويحزنون ويندمون ويتلاومون، فلا مانع من إرادة جميع المعاني، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾

143- قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ٦٦﴾ [سورة الواقعة: 66].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: معذبون، من قوله -عز وجل-: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان: 65]. أي: هَلَكة »[1].

وما ذهب إليه ابن قتيبة من أن (مغرمون) معناها: معذبون، قد رُوي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، قال به الطبري[3]، والسمرقندي[4]، وابن أبي زمنين[5]، والقرطبي[6]، والألوسي[7]، وابن عاشور[8].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(388).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(3) جامع البيان (199/27).

(4) بحر العلوم (375/3).

(5) تفسير القرآن العزيز (266/4).

(6) الجامع لأحكام القرآن (219/17).

(7) روح المعاني (148/27).

(8) التحرير والتنوير (323/27).

وحمل بعض المفسرين لفظ ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ على معنى: « الملزمون غرامة ما أنفقنا في الزرع، وقد صار ذلك غرمًا علينا، فالمغرم من ذهب إنفاقه بغير عوض»[1]. ومثله قال: الواحدي[2]، والمحلي[3].

وعدد غير قليل من المفسرين ذكروا المعنيين معًا عند تفسيرهم للآية، منهم: السمعاني[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، وابن عطية[7]، والفخر الرازي[8]، الرازي[8]، والبيضاوي[9]، والنسفي[10]، ونظام الدين النيسابوري[11]، والخازن[12]، وابن جزي[13]، وأبوحيان[14]، وابن كثير[15]، والبقاعي[1]، وأبوالسعود[2]، والشوكاني[3].

---

(١) قاله القشيري في لطائف الإشارات (278/3).
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1063/2).
(٣) تفسير الجلالين ص(716).
(٤) تفسير القرآن (356/5).
(٥) معالم التنزيل (288/4).
(٦) الكشاف (464/4).
(٧) المحرر الوجيز (249/5).
(٨) التفسير الكبير (159/29).
(٩) أنوار التنزيل (290/5).
(١٠) مدارك التنزيل (210/4).
(١١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (243/6).
(١٢) لباب التأويل (23/7).
(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (91/4).
(١٤) البحر المحيط (211/8).
(١٥) تفسير القرآن العظيم (297/4).

قال الزمخشري: « ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: لملزمون غرامة ما أنفقنا، ومهلكون لهلاك رزقنا؛ من الغرام: وهو الهلاك »(4).

وقال ابن عطية: « والمعنى يحتمل أن يكون إنا لمعذبون؛ من الغرام وهو أشد العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان: 65]، ويحتمل أن يكون إنا لمحملون الغرم أي: غرمنا في النفقة وذهب زرعنا »(5).

والذي يظهر -والله أعلم- صحة حمل اللفظ على المعنيين فهما مترابطان في بيان معنى الآية، فالأول مبني على دلالة آية أخرى من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان: 65]، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير وأحسنها(6)، والثاني: مبني على المعنى المتبادر المعروف للغرم في لغة العرب من « أداء شيء لزم من قبل كفالة، ولزوم نائبة في

---

(١) نظم الدرر (419/7).

(٢) إرشاد العقل السليم (198/8).

(٣) فتح القدير (157/5).

(٤) الكشاف (464/4).

(٥) المحرر الوجيز (249/5).

(٦) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

ماله من غير جناية »[1]، و « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب » [2] قاعدة مهمة يبنى عليها فهم المعنى هنا.

وعليه فلا مانع من إرادة المعنيين معًا: فغرمهم بضياع ما أنفقوه على زرعهم هلاك معًا: فغرمهم بضياع ما أنفقوه على زرعهم هلاك وعذاب لهم نتيجة معاصيهم وكفرهم، والله أعلم بالصواب.

---

(١) هذه عبارة الفراهيدي في كتاب العين (418/4)، وانظر أيضًا: لسان العرب لابن منظور (436/12).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾

144- قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ [سورة الواقعة 73].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ يعني: المسافرين، سمّوا بذلك: لنـــزولهم القواء، وهو القفر. وقال أبوعبيدة: « المقوي: الذي لا زاد معه؛ يقال: أقوى الرجل؛ إذا نفد زاده ».

ولا أرى التفسير إلا الأول، ولا أرى الذي لا زاد معه أولى بالنار ولا أحوج إليها من الذي معه الزاد، بل صاحب [الزاد][1] أولى بها، وإليها أحوج »[2].

الذي ذهب إليه ابن قتيبة، من أن لفظ ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ يراد به: المسافرون، هو المروي عن ابن عباس[3] -رضي الله عنهما-، ومقاتل[4]، وقال به: الطبري[5]، والسمرقندي[6]، وابن أبي زمنين[7]،

---

(١) سقطت هذه لكلمة من الطبعة التي اعتمدت عليها مع حاجة السياق إليها فاستدركتها من طبعة أجرى انظر: غريب القرآن طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق أحمد صقر ص(451).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(389).

(٣) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(٤) تفسير مقاتل (317/3).

(٥) جامع البيان (201/27).

(٦) بحر العلوم (375/3).

(٧) تفسير القرآن العزيز (343/4).

.... والقشيري[1]، والواحدي[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، وأبوحيان[5]، والمحلي[6]، وسيد قطب[7]، والشنقيطي[8].

قال البغوي: « ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المسافرين، والمقوي النازل في الأرض القواء وهي القفر الخالية البعيدة من العمران، يقال: أقوت الدار: إذا خلت من سكانها، والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم، وذلك أنهم يوفدونها ليلاً لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضّلال، وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين »[9].

وقال الشنقيطي: « وقوله تعالى: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: منفعة للنازلين بالقواء من الأرض وهو الخلاء والفلاة التي ليس بها أحد، وهم المسافرون؛ لأنهم ينتفعون بالنار انتفاعًا عظيمًا في الاستدفاء بها والاستضاءة وإصلاح الزاد.

---

(١) لطائف الإشارات (279/3).
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1063/2).
(٣) تفسير القرآن (357/5).
(٤) معالم التنزيل (288/4).
(٥) البحر المحيط (212/8).
(٦) تفسير الجلالين ص(717).
(٧) في ظلال القرآن (3470/6).
(٨) أضواء البيان (536/7).
(٩) معالم التنزيل (288/4).

وقد تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ واردًا للامتنان. وبه تعلم أنه لا يعتبر مفهومًا للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان أي وهي متاع أيضًا لغير المقوين من الحاضرين بالعمران، وكل شيء خلا من الناس يقال له أقوى؛ فالرجل إذا كان في الخلاء يقال له أقوى، والدار إذا خلت من أهلها قيل لها أقوت، ومنه قول نابغة ذبيان:

يا دار مية بالعلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأبد[1]

وقول عنترة:

حييت من طلل تقدم عهده   أقوى وأقفر بعد أم الهيْثم[2]

وقيل: للمقوين؛ أي للجائعين، وقيل غير ذلك، والذي عليه الجمهور هو ما ذكرنا »[3].

وقيل في معنى: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ أقوال أخر، منها: « المستمتعين من حاضر ومسافر[4]، وقيل: للجائعين في إصلاح طعامهم[5]، وقيل: للضعفاء والمساكين، والمساكين، مأخوذ من قولهم قد أقوت الدار، إذا خلت من أهلها[1] »[2].

---

(1) البيت هو مطلع معلقة النابغة الذبياني، وهو زياد بن معاوية بن ذبيان الغطفابي، من شعراء الجاهلية المشهورين، مات قبل مبعث النبي ﷺ، والعلياء والسند موضعان وأولهما أوسعهما. انظر: المعلقات العشر ص(263).

(2) البيت في معلقة عنترة بن شداد العبسي، من فحول شعراء الجاهلية وفرسانهم، عربيّ الأب، حبشي الأم. انظر: شرح المعلقات السبعة ص(108).

(3) أضواء البيان (536/7).

(4) حكاه الماوردي عن مجاهد.

(5) حكاه الماوردي عن ابن زيد.

وقيل: « المقوي من الأضداد، يقال للفقيد مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، والمعنى: أن فيها متاع للأغنياء والفقراء جميعًا، لا غنى لأحد عنها »[3].

قال الزمخشري: « ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للذين ينـــزلون القواء، وهي القفر، أو الذين ضلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام، يقال: أقويت من أيام، أي لم آكل شيئًا»[4]. ومثل عبارته قال: البيضاوي[5]، والنسفي[6]، وابن جزي[7]، وابن عاشور[8].

ومنهم من ذكر كل الأقوال أو معظمها عند تفسيره للآية دون ترجيح قول منها على الآخر، منهم: الماوردي[9]، وابن الجوزي[10]، والقرطبي[11]، والخازن[12]، والألوسي[1].

---

(١) حكاه الماوردي عن ابن عيسى.

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (461/5).

(٣) حكاه البغوي عن قطرب، انظر: معالم التنـــزيل (288/4).

(٤) الكشاف (289/4).

(٥) أنوار التنـــزيل (291/5).

(٦) مدارك التنـــزيل (211/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنـــزيل (92/4).

(٨) التحرير والتنوير (327/27).

(٩) النكت والعيون (461/5).

(١٠) زاد المسير (149/8).

(١١) الجامع لأحكام القرآن (221/17).

(١٢) لباب التأويل (24/7).

والذي يظهر –والله أعلم– صحة حمل لفظ ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ على جميع المعاني الواردة عن المفسرين، وذلك لأمور:

1- أن من فسر ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ بالمسافرين جعل اشتقاق اللفظ من: « الأرض القواء، يعني الخلاء والفلاة التي ليس فيها أحد »[2]، والمسافر في أثناء سفره يقطع أراضي وفيافٍ خالية من البشر غالبًا؛ وهي الأرض القواء، فصح أن يقال عن المسافرين (مقوين).

2- من فسّر ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ بأنهم الجائعون، أو الفقراء والمساكين، جعل اشتقاق اللفظ من قوله: « أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئًا»[3]. فصح إطلاق ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ على الجائعين عمومًا أو الفقراء والمساكين خصوصًا لخلو بطونهم من الطعام.

3- من حمل لفظ ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ على أنه يراد به المستمتعين المنتفعين بالنار عمومًا؛ فإن مؤديهم إلى ذلك « ما تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ واردًا للامتنان. وعليه لا يعتبر مفهومًا للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان، أي: وهي متاع أيضًا لغير المقوين من الحاضرين بالعمران »[4].

---

(1) روح المعاني (159/27).

(2) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (536/7).

(3) انظر: معالم التنـزيل للبغوي (288/4).

(4) انظر: مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص(241)، وأضواء البيان له (536/7).

وإنما خص المسافرين بالذكر لأن « أهل البوادي والأسفار منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدونه ليلاً لتهرب منهم السباع، ويعتدي بها الضال، وغير ذلك من المنافع »[1].

4- ومن حمل لفظ ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ على صحة إطلاقه على الغني والفقير، فإنهم اعتبروه من الأضداد « يقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حال القوة، والمعنى أن فيها متاعًا للأغنياء والفقراء جميعًا لا غنى لأحد عنها »[2].

5- وعمومًا فقد صرّحوا بأن « الآية تصلح للجميع؛ لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم، والغني والفقير »[3].

6- فائدتان:

أ - يقول الفخر الرازي: « قدم -سبحانه وتعالى- كونها تذكرة على كونها متاعًا ليعلم أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم »[4].

ب- يقول ابن القيم: « وخص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تنبيهًا لعباده -والله أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون

(1) انظر: معالم التنـزيل للبغوي (288/4).

(2) المرجع السابق.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (221/17)، وحكاه عن المهروي.

(4) انظر: التفسير الكبير للرازي (160/29).

وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين وأنهم عابروا سبيل وأبناء سفر »[1].

جـ- يقول السعدي: « وخص الله تعالى المسافرين لأن نفع المسافر أعظم من غيره، ولعل السبب في ذلك لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين يولد هو مسافر إلى ربه، فهذه النار جعلها الله متاعًا للمسافرين في هذه الدار، وتذكرة لهم بدار القرار »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر: بدائع التفسير لابن القيم (356/4).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(835).

معنى: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾

145- قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الواقعة: 83-87].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مملوكين أذلاء، من قولك: دنت له بالطاعة. وقال أبوعبيدة: ﴿مَدِينِينَ﴾: مجزيين ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي: تردون النفس »[1].

يظهر أن ابن قتيبة يرى احتمال حمل اللفظ على المعنيين م(مملوكين أو مجزيين).

والذي لوحظ من خلال الدراسة أن غالبية المفسرين دارت تفسيراهم حول ثلاثة معانٍ رئيسة، هي: (مملوكين ومجزيين ومحاسبين)، ما بين مفرد منهم وقارن لأكثر من معنى، وعلى رأسهم إمامهم الصحابي الجليل عبدالله بن عباس[2] -رضي الله عنهما-، وروي عن مقاتل[3]، وقول الطبري[1]، والسمرقندي[2]، وابن أبي

(١) تفسير غريب القرآن ص(389).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(٣) تفسير مقاتل (318/3).

زمنين[3]، وابن عطية[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، و الفخر الرازي[7]، والقرطبي[8]، والبيضاوي[9]، ونظام الدين النيسابوري[10]، والخازن[11]، وأبي حيان[12]، وابن عادل[13]، والبقاعي[14]، والشوكاني[15]، والسعدي[16]، وابن عاشور[17].

---

(١) جامع البيان (210/27).

(٢) بحر العلوم (377/3).

(٣) تفسير القرآن العزيز (345/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1064/2).

(٥) تفسير القرآن (361/5).

(٦) معالم التنـزيل (291/4).

(٧) التفسير الكبير (174/29).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (231/17).

(٩) أنوار التنـزيل (293/5).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (245/6).

(١١) لباب التأويل (27/7).

(١٢) البحر المحيط (214/8)، وانظر: (139/1) عند تفسير سورة الفاتحة.

(١٣) اللباب في علوم الكتاب (444/18).

(١٤) نظم الدرر (428/7).

(١٥) فتح القدير (161/5).

(١٦) تيسير الكريم الرحمن ص(836).

(١٧) التحرير والتنوير (345/27).

قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم؛ من قولهم كما تدين تدان، ومن قول الله تعالى : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [سورة الفاتحة: 4] »[1].

وقال السمرقندي: « ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ يعني: غير محاسبين، ويقال: غير مملوكين أذلاء، ويقال: غير مجزيين »[2].

وقال ابن أبي زمنين: « ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير محاسبين» [3].

وقال الواحدي: « ﴿مَدِينِينَ﴾ مملوكين ومجزيين »[4].

وقال البغوي: « ﴿مَدِينِينَ﴾ مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين »[5].

وثَمَّ أقوال أخرى في بيان معنى الآية؛ فقيل: « مبعوثين، أو مصدّقين، أو مقهورين، أو موقنين »[6].

وقيل أيضًا: « مربوبين »[7]،..

وقيل: « مقيمين »[8]، وقيل: « معذبين »[1].

---

(١) جامع البيان (210/27).

(٢) بحر العلوم (377/3) بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العزيز (345/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1064/2).

(٥) معالم التنزيل (291/4).

(٦) ذكرها الماروي إضافة إلى الأقوال الثلاث السابقة، انظر: النكت والعيون (465/5) بتصرف.

(٧) انظر: الكشاف للزمخشري (468/4).

(٨) انظر: التفسير الكبير للرازي (174/29).

والذي يظهر -والله أعلم- حمل اللفظ على المعاني الثلاثة الرئيسة (مملوكين، مجزيين، محاسبين)، لأنها « ألصق بمعنى الآية »[2] و « عند التحقيق ترجع إلى كلام واحد »[3]، ولأنه قول « أكثر المفسرين »[4]، وعليه « جمهور المتقدمين والمتأخرين من المفسرين »[5]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) ذكره ابن كثير مع أقوال أخر، انظر: تفسير القرآن العظيم (301/4).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (161/5).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (174/29).

(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي (291/4).

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (345/27).

معنى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾

146- قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [سورة الحديد: 16].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: ألم يحن، يقال: أنى الشيء يأني؛ إذا حان »(1).

وهذا المعنى الذي قاله ابن قتيبة ذهب إليه غالبية المفسرين، منهم: الطبري(2)، وابن أبي زمنين(3)، والماوردي(4)، والقشيري(5)، والواحدي(6)، والسمعاني(7)، وابن عطية(8)،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(390).

(2) جامع البيان (228/27).

(3) تفسير القرآن العزيز (352/4).

(4) النكت والعيون (478/5).

(5) لطائف الإشارات (289/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1068/2).

(7) تفسير القرآن (372/5).

(8) المحرر الوجيز (265/5).

....

والقرطبي[1]، والخازن[2]، وابن جزي[3]، وأبوحيان[4]، والمحلي[5]، وابن عاشور[6]، والشنقيطي[7].

وقال غيرهم: « ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾ ألم يجئ » هذا قول السمرقندي[8]، والزمخشري[9]، والبيضاوي[10]، والنسفي[11]، ونظام الدين النيسابوري[12].

والذي يظهر –والله أعلم– أنه لا مانع من إرادة المعنيين، وإن كان الأول أوضح في الدلالة؛ « وأن ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾ يعني: يحن »[13].

وعلى المعنى الآخر: « تأتي بمعنى (متى) نحو: أنى جئت »[1] فكأن معنى الآية عليه: ألم يجئ الوقت الذي تخشع فيه القلوب.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (248/17).

(2) لباب التأويل (34/7).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (97/4).

(4) البحر المحيط (222/8).

(5) تفسير الجلالين ص(721).

(6) التحرير والتنوير (390/27).

(7) أضواء البيان (547/7).

(8) بحر العلوم (384/3).

(9) الكشاف (475/4).

(10) أنوار التنزيل (300/5).

(11) مدارك التنزيل (217/4).

(12) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (256/6).

(13) انظر: تاج العروس للزبيدي (106/27) بتصرف.

وما أجمل ما جمع به الشنقيطي بين المعنيين؛ فقال: « والمعنى على كلا القولين: أنه حـان للمؤمنين، وأنى لهم أن تخشـع قلوبهم لذكر الله تعالى، أي جاء الحين والأوان لذلك، لكثرة ما تردد عليهم من زواجـر القـرآن الكـريم ومواعظـه »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (31/1).

(2) أضواء البيان (547/7).

معنى: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾

147- قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةً وَرَحۡمَةً وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾ [سورة الحديد: 27].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أمرناهم بها إلا ابتغاء رضوان الله تعالى، أي أمرنا منها بما يرضي الله –عز وجل– ، لا غير ذلك »[1].

وهذا الذي قاله ابن قتيبة؛ قد رُوي عن مقاتل[2]، وقاله: الطبري[3]، والسمرقندي[1]، ....
والواحدي[2]، والبغوي[3]، ونظام الدين النيسابوري[4].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(391).
(2) تفسير مقاتل (327/3).
(3) جامع البيان (238/27).

وأما فريق آخر، منهم: ابن أبي زمنين[5]، والزمخشري[6]، وابن عطية[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، والخازن[10]، وابن جزي[11]، وأبوالسعود[12]، وابن عاشور[13]، فيرون أن معنى الآية: « ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي: لم نكتبها عليهم، إنما ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تعالى ليتقربوا بها إلى الله تعالى، ففرضها الله تعالى عليهم حين ابتدعوها »[14].

ولكن جمعًا آخر جمعوا القولين معًا عند تفسير الآية، على اعتبار احتمالهما معًا معنى للآية، فقد رُوي القولان عن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس[15] –

---

(١) بحر العلوم (389/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1071/2).

(٣) معالم التنـزيل (300/4).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (262/6).

(٥) تفسير القرآن العزيز (356/4).

(٦) الكشاف (480/4).

(٧) المحرر الوجيز (270/5).

(٨) أنوار التنـزيل (305/5).

(٩) مدارك التنـزيل (221/4).

(١٠) لباب التأويل (38/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنـزيل (100/4).

(١٢) إرشاد العقل السليم (213/8).

(١٣) التحرير والتنوير (424/27).

(١٤) هذه عبارة ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (356/4) بتصرف.

(١٥) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(459).

رضي الله عنهما-، وقالهما الفخر الرازي[1]، والقرطبي[2]، وأبوحيان[3]، وابن وابن كثير[4]، وابن عادل[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7].

فمثلاً قال ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله تعالى، والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك، إنما كتبنا عليهم رضوان الله »[8].

والذي يظهر -في ضوء دراسة أقوال المفسرين- أن لا مانع من إرادة القولين تفسيرًا للآية، فإن الأول وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه؛ مبني على أن الاستثناء متصل، وعليه يكون المعنى: « أنا ما تعبدناهم إلا على وجه ابتغاء مرضاة الله تعالى »[9]. والآخر مبني على أن الاستثناء منقطع، وعليه يكون تقدير الكلام: الكلام: ما كتبنا عليهم الرهبانية، لكن فعلوها من تلقاء أنفسهم وابتدعوها ابتغاء رضوان الله تعالى، ففرضها الله تعالى عليهم[10].

---

(١) التفسير الكبير (214/29).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (263/17).

(٣) البحر المحيط (227/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (316/4).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (505/18).

(٦) فتح القدير (178/5).

(٧) روح المعاني (191/27).

(٨) تفسير القرآن العظيم (316/4) بتصرف.

(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (263/17).

(١٠) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (4356)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (263/17)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (100/4).

وفي ظل القاعدة المتبعة عند أهل التفسير: « أن الآية إن كانت تحمل على عدة معان كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾

148- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ [سورة المجادلة: 2-3].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « وقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يتوهم قوم: أن الظهار لا يُحسب ولا يقع حتى يتكرر اللفظ به؛ لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾، وقد أجمع الناس على أن الظهار يقع بلفظ واحد.

فأما تأويل قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ فإن أهل الجاهلية كانوا يطلّقون بالظّهار؛ فجعل الله تعالى حكم الظّهار في الإسلام خلاف حكمه عندهم في

الجاهلية، وأنــزل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ في الجاهلية ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ لما كانوا يقولونه من هذا الكلام »[1].

فابن قتيبة يرى إذًا أن المراد بـ ﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: يعودون إلى ما كانوا يقولونه من كلام في جاهليتهم قبل إسلامهم. حيث كان الظهار في الجاهلية عندهم طلاقًا، فاعتبر تلفظهم به بعد إسلامهم عودة لما كانوا عليه سابقًا.

ولقد اتفق مع ابن قتيبة في ردّ القول بالتكرار؛ أي: أن الظهار لا يُحسب ولا يقع حتى يتكرر اللفظ به، من المفسرين: السمرقندي، حيث قال عنه إنه: « خلاف جميع أهل العلم »[2]، ووصفه ابن عطية[3]، والفخر الرازي[4]، وابن جزي[5]، بأنه: «ضعيف»، ونقل ابن الجوزي عن الزجاج قوله عنه بأنه « قول من لا يدري اللغة »[6]. وقال عنه ابن كثير إنه « قول باطل »[7].

وقال الفخر الرازي عن القول بأن المراد من العود: هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار [8]، بأن « هذا القول ضعيف، لأنه تعالى ذكر

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(392).

(2) انظر: بحر العلوم (7/28).

(3) انظر: المحرر الوجيز (273/5).

(4) انظر: التفسير الكبير (218/29).

(5) انظر: التسهيل لعلوم التنـزيل (10/4).

(6) انظر: زاد المسير (182/8).

(7) انظر: تفسير القرآن العظيم (320/4).

(8) حكاه البغوي ضمن أقوال و لم يرجحه، انظر: معالم التنـزيل (304/4).

الظهار وذكر العودة بعده بكلمة (ثم) وهذا يقتضي أن يكون المراد من العود شيئًا غير الظهار، فإن قالوا: المراد والذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الإسلام، والعرب تضمر لفظ (كان)، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [سورة البقرة: 102] أي: ما كانت تتلوا الشياطين، قلنا: الإضمار خلاف الأصل[1] »[2].

وقال الطبري في تفسير الآية: « وقوله ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ اختلف أهل العلم في معنى العود لما قال المظاهر؛ فقال بعضهم: هو الرجوع في تحريم ما حرم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظاهره فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها وقال آخرون نحو هذا القول إلا أنهم قالوا: إمساكه إياها بعد تظهيره منها وتركه فراقها عود منه لما قال؛ عزم على الوطء أو لم يعزم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى اللام في قوله لما قالوا بمعنى إلى أو في، لأن معنى الكلام: ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه، وإن قيل معناه: ثم يعودون إلى تحليل ما حرموا أو في تحليل ما حرموا فصواب، لأن كل ذلك عود له، فتأويل الكلام: ثم يعودون لتحليل ما حرموا على أنفسهم مما أحله الله تعالى لهم »[3] فهذا قول.

---

(1) وهي قاعدة: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، فإن حمل الآية على الاستقلال مقدم لأجل موافقة الأصل. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (421/2).

(2) التفسير الكبير (218/29).

(3) جامع البيان (7/28).

واختار الواحدي أن في الآية تقديمًا وتأخيراً، فقال: « ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ في الآية تقديم وتأخير؛ تقديرها: والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون، أي: على المظاهر عتق رقبة لقوله لامرأته أنت عليّ كظهر أمي ثم يعود إلى استباحة الوطء ولا تحل له قبل الكفارة »[1].

وقال السمعاني: « ومذهب الشافعي –رحمه الله– في العود: أنه يمسكها على النكاح عقيب الظهار ولا يطلقها، قال: وإنما يكون هذا عودًا؛ لأن الظهار قصد التحريم، فإذا مضى وقت عقيب الظهار و لم يحرمها على نفسه بالطلاق؛ فهو عائد عما قال. وأما مذهب أبي حنيفة –رحمه الله– فإنه قال: العود هو أن يعزم على إمساكها، فإذا فعل ذلك فقد تحقق العود . والفرق بين هذا وبين قول الشافعي أنه إذا مضى عقيب الظهار وقت يمكنه أن يطلقها فيه و لم يطلق فهو عائد، وإن لم يعزم على إمساكها، وعند أبي حنيفة ما لم يعزم على إمساكها لا يكون عائدًا »[2].

وجمع عدد من المفسرين معظم الأقوال أو بعضها عند تفسيرهم للآية، دون تحديد أحدها راجحًا، فمنهم:

السمرقندي[3]، والبغوي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[1]، وابن الجوزي[2]، والفخر الرازي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وابن جزي[6]، جزي[6]، وابن كثير[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9].

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1074/2).

(٢) تفسير القرآن (383/5).

(٣) بحر العلوم (392/3).

(٤) معالم التنزيل (304/4).

(٥) الكشاف (484/4).

وقد ردّ ابن عطية القول بالتقديم والتأخير، أي كان تقديرها: (فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون) بأنه: « يفسد نظر الآية، وغير قوي »[10].

وعليه فيظهر –والله أعلم– أن الراجح الذي يصح حمل معنى الآية عليه القول الذي قاله « جماعة كثيرة من أهل العلم »[11]، و « ذهب إليه أكثر المجتهدين »[12]، وهو القول بأن المراد بالعود « الرجوع في تحريم ما حرم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظاهره فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها وقال آخرون نحو هذا القول إلا أنهم قالوا إمساكه إياها بعد تظهيره منها وتركه فراقها عود منه لما قال عزم على الوطء أو لم يعزم»[13].

---

(١) المحرر الوجيز (273/5).

(٢) زاد المسير (182/8).

(٣) التفسير الكبير (218/29).

(٤) أنوار التنـزيل (307/5).

(٥) مدارك التنـزيل (222/4).

(٦) التسهيل لعلوم التنـزيل (101/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (320/4).

(٨) فتح القدير (182/5).

(٩) روح المعاني (4/28).

(١٠) انظر: المحرر الوجيز (273/5).

(١١) انظر: المرجع السابق.

(١٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (218/29).

(١٣) انظر: جامع البيان للطبري (7/28).

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال معنى اللام في قوله ﴿لِمَا قَالُواْ﴾ بمعنى: إلى أو في لأن معنى الكلام ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه، وإن قيل معناه ثم يعودون إلى تحليل ما حرموا أو في تحليل ما حرموا فصواب لأن كل ذلك عود له فتأويل الكلام ثم يعودون لتحليل ما حرموا على أنفسهم مما أحله الله لهم»[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المرجع السابق.

معنى: ﴿أَوۡجَفۡتُمۡ﴾

149- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ [سورة الحشر: 6].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ من الإيجاف، يقال: وجف الفرس والبعير وأوجفته، ومثله: الإيضاع؛ وهو الإسراع »[1].

وهذا المعنى نفسه ذكره جمهور المفسرين، منهم: السمرقندي[2]، والماوردي[3]، والواحدي[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، والفخر الرازي[7]، والقرطبي[8]، ....

(1) تفسير غريب القرآن ص(394).

(2) بحر العلوم (404/3).

(3) النكت والعيون (503/5).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1082/2).

(5) معالم التنزيل (316/4).

(6) الكشاف (501/4).

(7) التفسير الكبير (247/29).

(8) الجامع لأحكام القرآن (10/18).

والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، والخازن[3]، وابن جزي[4]، والمحلي[5]، وابن عادل[6]، والبقاعي[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10].

قال الماوردي: « والإيجاف: الإيضاع في السير، وهو الإسراع »[11].

وقال الواحدي: « ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ أي: ما حملتم خيلكم ولا إبلكم على الوجيف إليه وهو السير السريع، والمعنى: لم تركبوا إليه خيلاً ولا إبلاً، ولا قطعتم إليه شقة، فهو خالص لرسول الله ﷺ يعمل فيه ما أحب، وليس كالغنيمة التي تكون للغانمين »[12].

---

(١) أنوار التنـزيل (318/5).

(٢) مدارك التنـزيل (230/4).

(٣) لباب التأويل (59/7).

(٤) التسهيل لعلوم التنـزيل (107/4).

(٥) تفسير الجلالين ص(730).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (573/18).

(٧) نظم الدرر (517/7).

(٨) إرشاد العقل السليم (227/8).

(٩) فتح القدير (197/5).

(١٠) روح المعاني (45/28).

(١١) النكت والعيون (503/5).

(١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1082/2).

وقال البغوي: « ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ﴾ وضعتم ﴿عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ يقال: وجف الفرس والبعير يَجِفُ وجيفًا؛ وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم »[1].

وما جاء عن المفسرين مؤيد بكلام أهل اللغة في بيان معنى الإيجاف والإيضاع، فإنهما مترادفان، فقالوا في الإيجاف: « الوجف: سرعة السير، وجف البعير والفرس يجف وجفا ووجيفًا: أسرع، وأوجف دابته: إذا حثها وراكب البعير يوضع، وراكب الفرس يوجف وقيل: الوجيف يصلح للبعير والفرس »[2].

وفي الإيضاع قالوا: « وضع البعير وأوضعه راكبه إذا حمله على سرعة السير وهو ضرب من سير الإبل دون الشد؛ قيل هو فوق الخبب »[3].

فتبين بما تقدم بيانه اتفاقهم على المعنى، وموافقة قول أهل اللغة، وصحة حمل معنى الآية عليه، والله أعلم بالصواب.

(١) معالم التنـزيل (316/4).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (352/9) بتصرف.

(٣) المرجع السابق (399/8) بتصرف.

معنى: تلقون وتسرون بالمودة

150- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ [سورة الممتحنة: 1].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي: تلقون إليهم المودة، وكذلك: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾، والمعنى: كيف تستسرون بمودتكم لهم مني، وأنا أعلم بما تضمرون وما تظهرون »[1].

فابن قتيبة يرى أن المراد بالآية: الإسرار بالمودة إلى الكفار ومحاولة إخفائها، وهذا أحد المعنيين الواردين في تفسيرها، وقد وافقه عليه من المفسرين، الطبري[2]، والسمرقندي[3]،..

(1) تفسير غريب القرآن ص(396).

(2) جامع البيان (58/28).

(3) بحر العلوم (413/3).

وابن أبي زمنين[1]، والسمعاني[2]، والبغوي[3]، والفخر الرازي[4]، وابن كثير[5]، والألوسي[6]، والسعدي[7].

قال الطبري: « وقوله ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ : تسرون أيها المؤمنون بالمودة إلى المشركين بالله ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ يقول وأنا أعلم أيضًا منكم ما أعلنه بعضكم لبعض ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول جل ثناؤه: ومن يسر منكم إلى المشركين بالمودة أيها المؤمنون ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل التي جعلها الله تعالى طريقًا إلى الجنة ومحجة إليها »[8].

---

(١) تفسير القرآن العزيز (375/4).

(٢) تفسير القرآن (414/5).

(٣) معالم التنـزيل (329/4).

(٤) التفسير الكبير (259/29).

(٥) تفسير القرآن العظيم (348/4).

(٦) روح المعاني (68/28).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص(855).

(٨) جامع البيان (58/28).

والمعنى الآخر المحتمل للآية: « تعلمونهم سرًا بأحوال النبي ﷺ لمودة بينكم وبينهم »[1]، وقال به معنىً للآية: القرطبي[2]، والمحلي[3]، والشوكاني[4].

وعدد منهم جعلوا القولين معًا محتملين لمعنى الآية، منهم: الماوردي [5]، والزمخشري [6]، والبيضاوي [7]، والنسفي [8]، وأبوالسعود [9].

قال الماوردي: « وفي قوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ وجهان:

أحدهما: تعلمونهم سرًا أن بينكم وبينهم مودة، الثاني: تعلمونهم سرًا بأحوال النبي ﷺ بمودة بينكم وبينهم »[10].

والذي يظهر –والله أعلم– من تأمل المعنيين صحة اعتبارها معًا معنىً للآية لشمول لفظ الآية لهما، على قاعدة أن « الآية إن كانت تحتمل معان كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعًا »[11]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) حكاه الماوردي مع القول الأول أيضًا في النكت والعيون (517/5).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (52/18).

(٣) تفسير الجلالين ص(735).

(٤) فتح القدير (210/5).

(٥) النكت والعيون (517/5).

(٦) الكشاف (511/4).

(٧) أنوار التنـزيل (326/5).

(٨) مدارك التنـزيل (236/4).

(٩) إرشاد العقل السليم (236/8).

(١٠) النكت والعيون (517/5).

(١١) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿ظَٰهِرِينَ﴾

151- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [سورة الصف: 14].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين عالين عليهم، من قولك: ظهرت على فلان؛ إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرت فوقه »[1].

أن يكون معنى ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ أي غالبين عالين عليهم هو نفسه قاله أيضًا الأئمة المفسرون، منهم: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، وابن أبي زمنين[4]، والواحدي[5]، والواحدي[5]، والسمعاني[1]، والبغوي[2]، والزمخشري[3]، والفخر الرازي[4]،

(1) تفسير غريب القرآن ص(398).

(2) جامع البيان (92/28).

(3) بحر العلوم (423/3).

(4) تفسير القرآن العزيز (389/4).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1094/2).

والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي[7]، والخازن[8]، وابن جزي[9]، وأبوحيان[10]، والمحلي[11]، وابن عادل[12]، والبقاعي[13]، وأبوالسعود[14]، والشوكاني[15]، والألوسي[16]، والسعدي[17]، وابن عاشور[18].

قال الطبري: « وقوله ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ يقول فقوينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوهم الذين كفروا منهم بمحمد ﷺ لتصديقه إياهم أن عيسى –عليه السلام– عبدالله ورسوله، وتكذيبه من قال هو إله ومن

---

(1) تفسير القرآن (429/5).
(2) معالم التنزيل (339/4).
(3) الكشاف (528/4).
(4) التفسير الكبير (277/29).
(5) الجامع لأحكام القرآن (90/18).
(6) أنوار التنزيل (336/5).
(7) مدارك التنزيل (244/4).
(8) لباب التأويل (86/7).
(9) التسهيل لعلوم التنزيل (118/4).
(10) البحر المحيط (261/8).
(11) تفسير الجلالين ص(740).
(12) اللباب في علوم الكتاب (67/19).
(13) نظم الدرر (589/7).
(14) إرشاد العقل السليم (246/8).
(15) فتح القدير (223/5).
(16) روح المعاني (92/28).
(17) تيسير الكريم الرحمن ص(861).
(18) التحرير والتنوير (203/28).

قال هو ابن الله تعالى ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوهم الكافرين منهم »[1].

وقال السمرقندي: « ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ فصاروا غالبين بالنصرة والحجة »[2].

وقال البقاعي: « ولما كان الظفر بالمحبوب أحب ما يكون إذا كان أول النهار، تسبب عن تأييده قوله﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾ أي: صاروا بعدما كانوا فيه من الذل﴿ظَٰهِرِينَ﴾ أي عالين غالبين قاهرين في أقوالهم وأفعالهم لا يخافون أحدًا إلا الله ﷻ-، ولا يستخفون منه »[3].

وقال السعدي: « ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ أي: قويناهم ونصرناهم عليهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ عليهم قاهرين لهم »[4].

وأهل اللغة كلامهم وكلام أهل التفسير في فَلَك واحد يدور، فقالوا: « ظهرت على فلان أي علوته وغلبته، يقال: أظهر الله تعالى المسلمين على الكافرين أي أعلاهم عليهم »[5].

فتبين بما مرَّ بيانه صحة حمل الآية على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

---

(١) جامع البيان (92/28).

(٢) بحر العلوم (423/3).

(٣) نظم الدرر (589/7).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(861).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (471/3)، ولسان العرب، لابن منظور (526/4).

معنى: ﴿يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾

152- قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [سورة الجمعة: 5].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ أي: كتبًا، واحدها: سِفر. يريد: أن اليهود يحملون التوراة ولا يعلمون بها؛ فمثلهم كمثل حمار يحمل كتبًا من العلم وهو لا يعقلها »[1].

كل المفسرين في بيان معنى هذه الآية ذكروا نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة، فهو المروي عن ابن عباس[2] –رضي الله عنهما–، ومقاتل[3]، وقاله: الطبري[4]، والسمرقندي[5]، وابن أبي زمنين[6]، .... والواحدي[7]، والسمعاني[1]، والبغوي[2]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(399).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(471).

(3) تفسير مقاتل (360/3).

(4) جامع البيان (97/28).

(5) بحر العلوم (425/3).

(6) تفسير القرآن العزيز (391/4).

(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1096/2).

والزمخشري[3]، وابن عطية[4]، وابن الجوزي[5]، والقرطبي[6]، والبيضاوي[7]، والنسفي[8]، والخازن[9]، وابن كثير[10]، والمحلي[11]، والثعالبي[12]، وابن عادل[13]، والبقاعي[14]، وأبوالسعود[15]، والشوكاني[16]، والألوسي[17]، والسعدي[18].

قال ابن كثير: « يقول تعالى ذامًا لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ أي كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسيًا لا يدري ما عليه،

---

(١) تفسير القرآن (432/5).

(٢) معالم التنزيل (340/4).

(٣) الكشاف (531/4).

(٤) المحرر الوجيز (307/5).

(٥) زاد المسير (260/8).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (94/18).

(٧) أنوار التنزيل (338/5).

(٨) مدارك التنزيل (245/4).

(٩) لباب التأويل (87/7).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (365/4).

(١١) تفسير الجلالين ص(741).

(١٢) الجواهر الحسان (307/9).

(١٣) اللباب في علوم الكتاب (74/19).

(١٤) نظم الدرر (596/7).

(١٥) إرشاد العقل السليم (248/8).

(١٦) فتح القدير (225/5).

(١٧) روح المعاني (95/28).

(١٨) تيسير الكريم الرحمن ص(863).

وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظًا و لم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوًا حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: 179]، وقال تعالى هنا: ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ »[1].

وقال البقاعي: « ﴿يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ أي كتبًا من العلم كاشفة للأمور تنفع الألباء، جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه، ولما كان المثل الجامع لهما – وهو وجه الشبه– شخصًا مثقلاً متعبًا جدًا بشيء لا نفع له به أصلاً فهو ضرر عليه صرف لا يدرك ما هو حامله غير أنه متعب ولا يدري أصخر هو أم كتب، أنتج قوله معبراً بالأداة التي هي لجامع الذم ترهيباً للآدميين من أن يتهاونوا بشيء من أحكام فيكونوا أسوأ مثلاً من أهل الكتاب فيكنوا دون الحمار؛ لأن رسولهم ﷺ أعظم وكتابهم أعلى وأفخم »[2].

وقال السعدي: « لما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين بعث فيها النبي الأمي، وما خصهم الله من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحد، وهم الأمة الأمية فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء

---

(1) تفسير القرآن العظيم (365/4).

(2) نظم الدرر (596/7).

الربانيون، والأحبار المتقدمون، ذكر أن الذين حملهم الله تعالى التوراة من اليهود والنصارى، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بها فلم يحملوها و لم يقوموا بما حملوا به أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفاراً من كتب العلم، فهل يستفيد الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل تلحقه فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء أهل الكتاب، الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجلّه وأعظمه الأمر باتباع محمد ﷺ، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه، من التوراة إلا الخيبة والخسران، وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم »[1].

فتبين بما تم عرضه من أقوال الأئمة المفسرين، ومن أشرت إليهم اختصارًا، إجماعهم على معنى الآية، ومثل هذا الإجماع قاعدة[2] يعتد به في معرفة المعنى المراد للآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(863).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

معنى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾

153- قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾ [سورة المنافقون: 2].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ أي: استتروا بالحلف؛ كلما ظهـــر النبي ﷺ على شيء منهم يوجب معاقبتهم؛ حلفـوا كـــاذبين »[1].

الذي يظهر -والله أعلم- من خلال دراسة أقوال الأئمة المفسرين في بيان معنى الآية اتفاقهم في تفسيرها وإن اختلفت العبارات قليلاً بل لا يكاد يكون اختلافًا، فهم متفقون أن لفظ (الأيمان) المذكور في الآية يراد به الحلف؛ وخصوصاً الحلف الكاذب، حيث إن المنافقين يلجأون إلى هذا الحلف، وهم بالفعل مذنبون ليبعدوا التهمة والشبهة عن أنفسهم، فهم بالحلف الكاذب استتروا فكأن حلفهم الكاذب ترساً يتترسون خلفه، ويظنون أنه نافعهم.

فهذا المعنى بألفاظه ونحوها مروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، ومقاتل[3]، وقاله: الطبري[1]، والسمرقندي[2]، وابن أبي زمنين[3]، والواحدي[4]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(401).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(462).

(3) تفسير مقاتل (363/3).

والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن الجوزي[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]، والبيضاوي[11]، والنسفي[12]، والخازن[13]، وابن جزي[14]، وأبوحيان[15]، وابن كثير[16]، والمحلي[17]، وابن عادل[18]، ....
والبقاعي[19]، وأبوالسعود[20]، والشوكاني[21]، والألوسي[1]، والسعدي[2].

---

(١) جامع البيان (106/28).

(٢) بحر العلوم (428/3).

(٣) تفسير القرآن العزيز (394/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1098/2).

(٥) تفسير القرآن (391/5).

(٦) معالم التنزيل (347/4).

(٧) الكشاف (495/4).

(٨) زاد المسير (197/8).

(٩) التفسير الكبير (13/30).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (123/18).

(١١) أنوار التنزيل (341/5).

(١٢) مدارك التنزيل (247/4).

(١٣) لباب التأويل (97/7).

(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل (105/4).

(١٥) البحر المحيط (267/8).

(١٦) تفسير القرآن العظيم (369/4).

(١٧) تفسير الجلالين ص(743).

(١٨) اللباب في علوم الكتاب (104/19).

(١٩) نظم الدرر (607/7).

(٢٠) إرشاد العقل السليم (251/8).

(٢١) فتح القدير (192/5).

وهاك بعض أقوالهم ليتضح المقال:

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره اتخذ المنافقون أيمانهم جنة وهي حلفهم وقوله جنة سترة يستترون بها كما يستتر المستجن بجنته في حرب وقتال فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم ويدفعون بها عنها »[3].

وقال ابن أبي زمنين: « ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ اجتنوا بها، أي: استتروا حتى لا يقتلوا ولا تسبى ذراريهم »[4].

وقال الخازن: « ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ أي: سترة يستترون بها من القتل، ومعنى أيمانهم: ما أخبر الله تعالى عنهم من حلفهم إنهم لمنكم وقولهم نشهد إنك لرسول الله »[5].

وقال السعدي: « ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ أي: ترساً يتترسون بها، من نسبتهم إلى النفاق »[6].

فظهر بما ذكرت اتفاقهم على حمل الآية على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

---

(١) روح المعاني (109/28).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(864).

(٣) جامع البيان(106/28).

(٤) تفسير القرآن العظيم (394/4).

(٥) لباب التأويل (97/7).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(864).

معنى: ﴿فِتۡنَةٞ﴾

154- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [سورة التغابن 15].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: «﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ أي إغرام، كما يقال: فُتن فلان بالمرأة وشُغِفَ بها [أي أغرم بها][1]، وأصل الفتنة: البلوى والاختبار »[2].

وبدراسة أقوال المفسرين تبين أن بيانهم لمعنى الفتنة في هذه الآية دار حول أشهر معاني الفتنة؛ وهو: الابتلاء والامتحان والاختبار.

قال الطبري: « القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ يقول تعالى ذكره ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة، يعني بلاء عليكم في الدنيا »[3].

---

(1) إضافة توضيحية وجدتها في زاد المسير لابن الجوزي (285/8).

(2) تفسير غريب القرآن ص(402).

(3) جامع البيان (126/28).

وقال ابن أبي زمنين: « ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار؛ لينظر كيف تعملون »[1].

وقال الماوردي: « ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما: بلاء، الثاني: محنة »[2].

وقال البغوي: « ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قال بعضهم: لما ذكر الله تعالى العداوة أدخل فيه (من) للتبعيض فقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ لأن كلهم ليسوا بأعداء، و لم يذكر (من) في قوله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب »[3].

وقال أبوالسعود: « ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء ومحنة يوقعونكم في الإثم من حيث لا تحتسبون »[4].

---

(1) تفسير القرآن العزيز (399/4).

(2) النكت والعيون (25/6).

(3) معالم التنزيل (354/4).

(4) إرشاد العقل السليم (259/8).

ونحو أقوال من ذكرهم قال غيرهم، منهم: السمرقندي[1]، والقشيري[2]، والواحدي[3]، والزمخشري[4]، وابن العربي[5]، وابن عطية[6]، والقرطبي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، ونظام الدين النيسابوري[10]، والخازن[11]، وأبو حيان[12]، وابن كثير[13]، وابن عادل[14]، والبقاعي[15]، والشوكاني[16]، والألوسي[17].

فإن « جماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء، والامتحان »[18].

---

(١) بحر العلوم (435/3).

(٢) لطائف الإشارات (326/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1104/2).

(٤) الكشاف (551/4).

(٥) أحكام القرآن (266/4).

(٦) المحرر الوجيز (320/5).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (143/18).

(٨) أنوار التنزيل (347/5).

(٩) مدارك التنزيل (253/4).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (391/3).

(١١) لباب التأويل (105/7).

(١٢) البحر المحيط (276/8).

(١٣) تفسير القرآن العظيم (377/4).

(١٤) اللباب في علوم الكتاب (137/19).

(١٥) نظم الدرر (19/8).

(١٦) فتح القدير (238/5).

(١٧) روح المعاني (127/28).

(١٨) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (211/14).

وإن « الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار » [1].

وقد دل سبب النـــزول على المعنى المراد، فقد ذكر السيوطي [2] في لباب النقول: « عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: نـــزلت هذه الآية ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ في قوم من أهل مكة أسلموا فأبى أزواجهم وأولادهم، أن يدعوهم يأتوا المدينة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا، فهمّوا أن يعاقبوهم فأنـــزل الله تعالى ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾ الآية » [3].

وأختم بكلام الشيخ السعدي في التيسير حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ هذا تحذير من الله للمؤمنين، عن الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، فوظيفتك الحذر ممن هذه صفته، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد . فنصح

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (472/4).

(2) لباب النقول في أسباب النـــزول ص(214).

(3) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (419/5) وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرك (532/2) وقال عنه: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

تعالى عباده، أن توجب لهم هذه المحبة، الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، التي فيها محذور شرعي، ورغبهم في امتثال أوامره، وتقديم مرضاته بما عنده، من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية، والمحابّ الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية. ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ لأن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا، عفا الله عنه، ومن صفح، صفح عنه، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده بما يحبون، وينفعهم، نال محبة الله، ومحبة عباده، واستوثق له أمره »[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(868).

معنى: ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾

155- قال تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾ [سورة الطلاق: 6].

قال الإمام ابن قتيبة – رحمه الله-: « ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ أي: بقدر سعتكم، والوُجد: المقدرة والغِنى، يقال: افتقر فلان بعد وُجد »[1].

وقد رُوي هذا المعنى عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، ومقاتل[3]، وقال به: الطبري[4]، والسمرقندي[5]، وابن أبي زمنين[6]، والواحدي[7]، والسمعاني[8]، والبغوي[9]،..

(1) تفسير غريب القرآن ص(403).
(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(476).
(3) تفسير مقاتل (373/3).
(4) جامع البيان (145/28).
(5) بحر العلوم (440/3).
(6) تفسير القرآن العزيز (403/4).
(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1108/2).
(8) تفسير القرآن (465/5).
(9) معالم التنـزيل (359/4).

والزمخشري[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والخازن[6]، وابن جزي[7]، وأبوحيان[8]، وابن كثير[9]، والمحلي[10]، وابن عادل[11]، والبقاعي[12]، وأبوالسعود[13]، والشوكاني[14]، والألوسي[15]، والسعدي[16].

---

(1) الكشاف (561/4).

(2) التفسير الكبير (33/30).

(3) الجامع لأحكام القرآن (168/18).

(4) أنوار التنـزيل (352/5).

(5) مدارك التنـزيل (256/4).

(6) لباب التأويل (111/7).

(7) التسهيل لعلوم التنـزيل (128/4).

(8) البحر المحيط (280/8).

(9) تفسير القرآن العظيم (384/4).

(10) تفسير الجلالين ص(750).

(11) اللباب في علوم الكتاب (167/19).

(12) نظم الدرر (33/8).

(13) إرشاد العقل السليم (263/8).

(14) فتح القدير (245/5).

(15) روح المعاني.

(16) تيسير الكريم الرحمن ص(871).

فمثلاً قال ابن جزي: «﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ الوجد هو الطاقة والسعة في المال، فالمعنى أسكنوهن مسكنًا مما تقدرون عليه، ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها؛ وهو بمعنى واحد والضم أكثر وأشهر »[1].

وكان الماوردي قد أورد أوجهًا أخرى في بيان معنى الآية، فقال: « وفي قوله ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أربعة أوجه: أحدها: من قوتكم، الثاني: من سعيكم، الثالث: من طاقتكم، الرابع: مما تجدون »[2]، إلا أنه ختم بقوله: « ومعانيها متقاربة »[3].
»[3].

وأهل اللغة لم يخالفوا، فقالوا: « وجدت المال وُجدًا ووَجدًا، أي صرت ذا مال، والوجد: الغنى، و﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي: من سعتكم وما ملكتم »[4].

فبالاتفاق تبين المعنى المراد من الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) التسهيل لعلوم التنـزيل (128/4).

(2) حكى القول الأول عن الأعمش، والثاني عن الأخفش، والثالث عن قطرب، والرابع عن الفراء.

(3) النكت والعيون (33/6).

(4) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (110/11)، ولسان العرب لابن منظور (445/3)، وتاج العروس للزبيدي (259/9).

معنى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾

156- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [سورة التحريم: 6].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « قوله ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ أي قوا أنفسكم النار بطاعة الله ورسوله، وقوا أهليكم النار: بتعليمهم وأخذهم بما ينجيهم منها »[1].

ولقد ذكر الماوردي عند تفسيره للآية أن فيها « ثلاثة أوجه: الأول: قوا أنفسكم، وأهلوكم فليقوا أنفسهم ناراً[2].

الثاني: قوا أنفسكم ومروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيكم الله بهم[3].

الثالث: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم[4] »[5].

لكن عبارات عامة المفسرين دارت كلها حول الوجه الثالث الذي هو موافق بمعناه لما ذهب إليه ابن قتيبة، وقال به: الطبري[1]، والسمرقندي[2]، وابن أبي

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(405).

(٢) حكاه عن الضحاك.

(٣) حكاه برواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) حكاه عن علي بن أبي طالب وقتادة ومجاهد.

(٥) انظر: النكت والعيون (43/6).

زمنين[3] ، والسلمي[4] ، والقشيري[5] ، والواحدي[6] ، والسمعاني[7] ، والبغوي[8] ، والزمخشري[9] ، وابن العربي[10] ، وابن عطية[11] ، وابن الجوزي[12] ، والفخر الرازي[13] ، والقرطبي[14] ، والبيضاوي[15] ، والنسفي[16] ، ونظام الدين النيسابوري[17] ،..

والخازن[18] ، وابن جزي[19] ، وأبوحيان[20] ، وابن كثير[1] ، والمحلي[2] ، والثعالبي[3] ،

---

(١) جامع البيان (165/28).

(٢) بحر العلوم (447/3).

(٣) تفسير القرآن العزيز (7/5).

(٤) حقائق التفسير (336/2).

(٥) لطائف الإشارات (334/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1113/2).

(٧) تفسير القرآن (475/5).

(٨) معالم التنـزيل (367/4).

(٩) الكشاف (572/4).

(١٠) أحكام القرآن (300/4).

(١١) المحرر الوجيز (333/5).

(١٢) زاد المسير (312/8).

(١٣) التفسير الكبير (41/30).

(١٤) الجامع لأحكام القرآن (194/18).

(١٥) أنوار التنـزيل (357/5).

(١٦) مدارك التنـزيل (260/4).

(١٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (321/6).

(١٨) لباب التأويل (121/7).

(١٩) التسهيل لعلوم التنـزيل (132/4).

(٢٠) البحر المحيط (288/8).

والثعالبي[3] ، والبقاعي[4] ، وأبوالسعود[5] ، والشوكاني[6] ، والألوسي[7] ، والسعدي[8] .

وسأذكر عبارات بعضهم لإيضاح اتفاقهم على المعنى، بما يغني عن سرد أقوال الجميع:

قال السمرقندي: « قوله -عَجَّلَ- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ يعني: بعدوا أنفسكم عن النار بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ يعني: وقوا أهليكم ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ بتعليمهم ما ينجيهم منها »[9] .

والبغوي: « أي بالانتهاء عما هاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ يعني: مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك نارًا »[10] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (392/4).

(٢) تفسير الجلالين ص(752).

(٣) الجواهر الحسان (316/4).

(٤) نظم الدرر (51/8).

(٥) إرشاد العقل السليم (268/8).

(٦) فتح القدير (253/5).

(٧) روح المعاني (156/28).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص(874).

(٩) بحر العلوم (447/3).

(١٠) معالم التنزيل (367/4).

وابن العربي سرد الأقوال الثلاثة -كما فعل الماوردي- لكنه قال: « الثالث قوا أنفسكم بفعالكم وأهليكم بوصيتكم إياهم وهو الصحيح »[1].

وقال ابن الجوزي: « قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ وقاية النفس بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ووقاية الأهل بأن يؤمروا بالطاعة وينهوا عن المعصية »[2].

وقال البيضاوي: « ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ بالنصح والتأديب »[3].

وقال البقاعي: « ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: اجعلوا لها وقاية بالتأسي به ﷺ في أدبه مع الخلق والخالق في لينه لمن يستحق اللين من الخلق تعظيماً للخالق فعاملوه قبل كل شيء بما يعاملكم به من الأدب، وكذا كونوا مع بقية الخلق. ولما كان الإنسان راعيًا آل بيته مسؤولاً عن رعيته قال تعالى: ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ من النساء والأولاد وكل من يدخل في هذا الاسم؛ قوهم ﴿نَارٗا﴾ بالنصح والتأديب ليكونوا متخلقين بأخلاق أهل النبي ﷺ »[4].

---

(١) أحكام القرآن (300/4).

(٢) زاد المسير (312/8).

(٣) أنوار التنـزيل (357/5).

(٤) نظم الدرر (51/8).

وقال السعدي: « أي: يا من مَنَّ الله تعالى عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه؛ فـــ ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله، ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيمن تحت ولايته وتصرفه »[1].

واتضح بما عرضته إجماعهم واتفاقهم على المراد تفسيراً للآية؛ وإن اختلفت العبارات، فهو اختلاف تنوع لا تضاد، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(874).

معنى: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

157- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾ [سورة التحريم: 8].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: تنصحون فيها لله، ولا تدهنون[1] »[2].

روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير التوبة النصوح: أي « خالصًا صادقًا من قلوبكم، وهو الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والضمير على أن لا يعودوا إليه أبداً »[3].

---

(1) المداهنة كالمصانعة، وداهن: أي واربَ، وأدهن: أي غشَّ. انظر: مختار الصحاح للرازي ص(89).

(2) تفسير غريب القرآن ص(405).

(3) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(477).

وقال الطبري: « يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله توبوا إلى الله، يقول ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله وإلى ما يرضيه عنكم؛ توبة نصوحًا، يقول رجوعاً لا تعودون فيها أبداً »[1].

وقال الماوردي: « ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ فيه خمسة تأويلات: أحدها: أن التوبةالنصوح هي الصادقة الناصحة[2]، والثاني: أن النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره[3]، الثالث: أن لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها، الرابع: أن النصوح هي التي لا يحتاج معها إلى توبة، الخامس: أن يتوب من الذنب ولا يعود إليه أبداً[4]، وهي على هذه التأويلات مأخوذة من النصاحة وهي الخياطة[5].

وفي أخذها منها وجهان: أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يُحكم الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه، الثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله -عز وجل- وألصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض »[6].

وقال الزمخشري: « ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي؛ والنصح: صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، فيأتوا على

---

(1) جامع البيان (167/28).

(2) حكاه عن قتادة.

(3) حكاه عن الحسن.

(4) حكاه عن الصحابي الجليل: عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

(5) انظر: لسان العرب لابن منظور (617/2).

(6) النكت والعيون (351/6).

طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات، وذلك: أن يتوبوا عن القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمين أشدّ الاغتمام لارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح، إلى أن يعود اللبن في الضرع، موطنين أنفسهم على ذلك. وعن علي -رضي الله عنه-: أنه سمع أعرابياً يقول: اللهم إني استغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا، إنّ سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين، قال: وما التوبة؟ قال: يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب: الندامة، وللفرائض الإعادة، وردّ المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله، كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي »[1].

وقال القرطبي: « اختلف عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولاً:

فقيل: هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع؛ روى عن عمر وابن مسعود وأُبي بن كعب ومعاذ بن جبل -رضي الله عنهم- ورفعه معاذ إلى النبي ﷺ[2].

وقيل: النصوح الصادقة الناصحة[3].

وقيل: الخالصة يقال: نصح أي أخلص له القول.

وقيل: النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره[1].

---

(1) الكشاف (573/4).

(2) الأثر رفعه حذيفة لا معاذ، أخرجه عنه أبوالحسين بن المنادي في الملاحم، كما في اللآلي المصنوعة (49/1) قال السيوطي عقب إيراده بطوله: « موضوع، في إسناده مجاهيل وضعفاء، قلت: [أي السيوطي] مسلمة بن الصلت متروك، وعمر بن صبيح مشهور بالوضع. ا.هـ. وانظر أيضًا: تنزيه الشريعة للكناني (183/1).

(3) حكاه عن قتادة.

وقيل: هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها.

وقيل: هي التي لا يحتاج معها إلى توبة.

وقيل: التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع عن الذنب والاطمئنان على أنه لا يعود[2].

وقيل: ه ي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط: خوف ألا تقبل ورجاء أن تقبل وإدمان الطاعات[3].

وقيل: توبة تنصحون بها أنفسكم[4].

وقيل: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان وإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الخلان[5].

وقيل: علامة التوبة النصوح أربعة: القلة والعلة والذلة والغربة[6].

وقيل: هو أن يكون الذنب بين عينيه فلا يزال كأنه ينظر إليه[7].

وقيل: أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك[8].

---

(١) حكاه عن الحسن.

(٢) حكاه عن الكلبي.

(٣) حكاه عن سعيد بن جبير.

(٤) حكاه ن سعيد بن المسيب.

(٥) حكاه عن القرظي.

(٦) حكاه عن سفيان الثوري.

(٧) حكاه عن الفضيل بن عياض.

(٨) حكاه عن ابن السماك.

وقيل: هو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا[1].

وقيل: هي توبة لا لفقد عوض لأن من أذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلباً لرفاهيتها في الآخرة فتوبته على حفظ نفسه لا لله[2].

وقيل: التوبة النصوح هي رد المظالم واستحلال الخصوم وإدمان الطاعات[3].

وقيل: هو أن تكون لله وجهاً بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفاً بلا وجه[4].

وقيل: علامة التوبة النصوح ثلاث: قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام[5].

وقيل: هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة لينجو من آفاتها بالسلامة[6].

وقيل: لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحب توبته أحب أن يكون الناس مثله[7].

وقيل: التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبدًا لأن من صحت توبته صار محبًا لله ومن أحب الله نسي ما دون الله[1].

---

(١) حكاه عن أبي بكر الوراق.

(٢) حكاه عن أبي بكر الواسطي.

(٣) حكاه عن أبي بكر الدقاق المصري.

(٤) حكاه عن رويم.

(٥) حكاه عن ذي النون.

(٦) حكاه عن شقيق.

(٧) حكاه عن سري السقطي.

وقيل: هو أن يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح[2].

وقيل: علامتها ثلاث: مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظمأ[3].

وقيل: هي التوبة لأهل السنة والجماعة لأن المبتدع لا توبة له[4]، بدليل قوله ﷺ: « **حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب** »[5].

وقيل: أصل التوبة النصوح من الخلوص يقال: هذا عسل ناصح إذا خلص من ا لشمع.

وقيل: هي مأخوذة من النصاحة وهي الخياطة؛ وفي أخذها منها وجهان: أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه، والثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض »[6].

وقال ابن تيمية: « (نصوح) صفة للتوبة وهي مشتقة من النصح والنصيحة، وأصل ذلك هو الخلوص يقال : فلان ينصح لفلان إذا كان يريد له الخير إرادة خالصة لا غش فيها، وفلان يغشه إذا كان باطنه يريد السوء وهو يظهر إرادة

---

(١) حكاه عن الجنيد.

(٢) حكاه عن ذي الأذنين.

(٣) حكاه عن فتح الموصلي.

(٤) حكاه عن سهل بن عبدالله التستري.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (59/7) رقم (9456، 9457)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (1620).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (197/18).

الخير، كالدرهم المغشوش، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة: 91].

أي: أخلصوا لله ورسوله قصدهم وحبهم فالتوبة النصوح هي الخالصة من كل غش وإذا كانت كذلك كائنة فإن العبد إنما يعود إلى الذنب لبقايا في نفسه فمن خرج من قلبه الشبهة والشهوة لم يعد إلى الذنب، فهذه التوبة النصوح، وهي واجبة بما أمر الله تعالى، ولو تاب ا لعبد ثم عاد إلى الذنب قبل الله توبته الأولى، ثم إذا عاد استحق العقوبة، فإن تاب؛ تاب الله عليه أيضًا، ولا يجوز للمسلم إذا تاب ثم عاد أن يصر، بل يتوب ولو عاد في اليوم مائة مرة، ففي الحديث: « **ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم مائة مرة** »[1] »[2].

وقال ابن كثير: « ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات، ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح: هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه »[3].

---

(1) رواه أبوداود رقم (1516)، والترمذي رقم (3559) عن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–، وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نضرة وليس إسناده بالقوي. ا.هـــ، وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (4474).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية (57/16).

(3) تفسير القرآن العظيم (392/4).

ونظرت أيضًا فيما قاله: السمرقندي[1]، وابن أبي زمنين[2]، والسلمي[3]، والقشيري[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، وابن الجوزي[8]، والفخر والفخر الرازي[9]، والبيضاوي[10]، والنسفي[11]، والخازن[12]، وابن جزي[13]، وأبوحيان[14]، والمحلي[15]، والثعالبي[16]، وابن عادل[17]، والبقاعي[18]، وأبوالسعود[19]، والشوكاني[20]، والألوسي[1].

---

(١) بحر العلوم (447/3).

(٢) تفسير القرآن العزيز (8/5).

(٣) حقائق التفسير (338/2).

(٤) لطائف الإشارات (334/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1113/2).

(٦) تفسير القرآن (477/5).

(٧) معالم التنزيل (367/4).

(٨) زاد المسير (313/8).

(٩) التفسير الكبير (357/5).

(١٠) أنوار التنزيل (357/5).

(١١) مدارك التنزيل (261/4).

(١٢) لباب التأويل (121/7).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (132/4).

(١٤) البحر المحيط (288/8).

(١٥) تفسير الجلالين ص(753).

(١٦) الجواهر الحسان (316/4).

(١٧) اللباب في علوم الكتاب (209/19).

(١٨) نظم الدرر (53/8).

(١٩) إرشاد العقل السليم (269/8).

(٢٠) فتح القدير (254/5).

فلم تخرج عباراتهم عما قاله مَنْ ذكرت أقوالهم، وليس بقول أولى من قول في بيان المعنى، وكلها متفقة في إيضاح المراد، وإن اختلفت الألفاظ، والله أعلم بالصواب.

(١) روح المعاني (157/28).

معنى: ﴿تَفَٰوُتٍ﴾

158- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ٣﴾ [سورة الملك: 3].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي: اضطراب واختلاف، وأصله من الفوت؛ وهو: أن يفوت شيء شيئًا، فيقع الخلل ولكنه متصل بعضه ببعض »[1].

وهذا الذي ذهب إليه ابن قتيبة قد قاله أيضًا من المفسرين: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، وابن أبي زمنين[4]، والواحدي[5]، والبغوي[6]، والزمخشري[7]، وابن عطية[8]،...

(1) تفسير غريب القرآن ص(406).

(2) جامع البيان (2/29).

(3) بحر العلوم (452/3).

(4) تفسير القرآن العزيز (11/5).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1116/2).

(6) معالم التنزيل (370/4).

(7) الكشاف (480/4).

(8) المحرر الوجيز (338/5).

والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، ونظام الدين النيسابوري[3]، والخازن[4]، والثعالبي[5]، والثعالبي[5]، والبقاعي[6]، وابن عاشور[7].

وإنه قد وردن معانٍ أخر للــ (تفاوت) غير الاضطراب والاختلاف، فمثلاً:

قال الماوردي: « ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾ فيه أربعة أوجه: أحدها: من اختلاف[8]، الثاني: من عيب[9]، الثالث: من تفرق[10]، الرابع: لا يفوت بعضه ببعضًا[11] »[12].

وقال ابن عطية: «﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ معناه: من قلة تناسب، ومن خروج عن اتقان، والأمر المتفاوت هو الذي يجاوز الحدود التي توجب له زيادة أو نقصانًا »[13].

---

(١) أنوار التنزيل (263/4).

(٢) مدارك التنزيل (263/4).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (325/6).

(٤) لباب التأويل (125/7).

(٥) الجواهر الحسان (320/4).

(٦) نظم الدرر (66/8).

(٧) التحرير والتنوير (17/29).

(٨) حكاه عن قتادة.

(٩) حكاه عن السدي.

(١٠) حكاه عن ابن عباس.

(١١) حكاه عن عطاء بن أبي مسلم.

(١٢) النكت والعيون (51/6).

(١٣) المحرر الوجيز (338/5).

وقال ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي: بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل »[1].

ومع اختلاف القراءة في اللفظ، فقريء (تَفَوُّت)[2]، وقريء (تفاوت)[3]، إلا إلا « أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد »[4]، « وهما لغتان: مثل التعاهد والتعهد، والتعهد، والتحمل والتحامل، والتظهر والتظاهر، وتصاغر وتصغر، وتضاعف وتضعف، وتباعد وتبعد، كله بمعنى »[5]، واحد[6].

وقال الشوكاني: « والمعنى على القراءتين: ما ترى في خلق الرحمن من تناقض ولا تباين ولا اعوجاج ولا تخالف، بل هي مستوية مستقيمة دالة على خالقها، وإن اختلفت صورها وصفاتها فقد اتفقت من هذه الحيثية »[7].

وسواء أريد بـــ ﴿خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ المخلوقات عمومًا، أو السماوات خصوصاً؛ قال القرطبي: « والمعنى: ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وإن اختلفت صوره وصفاته،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (397/4).

(٢) (تَفَوُّت) حمزة والكسائي.

(٣) (تفاوت) بقية القراء العشرة، انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح ص(562).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (2/29).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (208/18).

(٦) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (235/14)، ولسان العرب لابن منظور (69/2).

(٧) فتح القدير (259/5).

وقيل: المراد بذلك السماوات خاصة؛ أي ما ترى في خلق السماوات من عيب وأصله من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئاً فيقع الخلل لقلة استوائها »[1].

فكل ما ورد من معانٍ عن المفسرين في بيان معنى ﴿تَفَٰوُتٍ﴾ فهي على سبيل التنوع والترادف لا على سبيل التناقض والتضاد، والله أعلم بالصواب.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (208/18).

معنى: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾

159- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الملك: 15].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ أي: جوانبها، ومنكبا الرجل: جانباه »[1].

وفسر المناكب بأنها الجوانب -متفقين مع ابن قتيبة في ذلك- من المفسرين: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، والواحدي[4]، والمحلي[5].

قال الطبري -بعد أن أورد قولاً آخر أن مناكبها يراد بها: جبالها- « وأولى القولين عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك فامشوا في نواحيها وجوانبها، وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه »[6].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(406).

(2) جامع البيان (7/29).

(3) بحر العلوم (454/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1118/2).

(5) تفسير الجلالين ص(755).

(6) جامع البيان (7/29).

والذي روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه ذكر عدة أقوال في بيان معنى ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ فقال: « نواحيها وأطرافها، ويقال: طرفها، ويقال: في جبالها وآكامها وفجاجها »[1].

وقال السمعاني: « وقوله: ﴿فَامْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: في جوانبها، ويقال: في فجاجها، ويقال: في طرقها، وقيل: في جبالها »[2].

وبمثل هذا التعداد في سرد المعاني جاءت عبارات المفسرين، منهم: البغوي[3]، والزمخشري[4]، والفخر الرازي[5]، والقرطبي[6]، والبيضاوي[7]، والنسفي[8]، ونظام الدين النيسابوري[9]، والخازن[10]، وابن جزي[11]،

---

(1) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(479).
(2) تفسير القرآن (11/6).
(3) معالم التنزيل (371/4).
(4) الكشاف (585/4).
(5) التفسير الكبير (61/30).
(6) الجامع لأحكام القرآن (215/18).
(7) أنوار التنزيل (364/5).
(8) مدارك التنزيل (265/4).
(9) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (328/6).
(10) لباب التأويل (126/7).
(11) التسهيل لعلوم التنزيل (135/4).

وأبوحيان[1]، .... وابن

وابن كثير[2]، والثعالبي[3]، وأبوالسعود[4]، والشوكاني[5].

وما حكاه أهل اللغة[6] من معانٍ للفظ المناكب لا يخرج عن دائرة ما قاله المفسرون.

والذي يظهر -والله أعلم- صحة اعتبار جميع المعاني بيانًا لمعنى الآية، فقد قال القرطبي -بعد أن أورد عددًا من الأقوال: « امشوا حيث أردتم فقد جعلتها ذلولاً لا تمتنع »[7].

وقال ابن جزي: « والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيهاً بالدواب »[8]، فلا مانع من حمل اللفظ على جميع المعاني، والله أعلم بالصواب.

---

(١) البحر المحيط (295/8).

(٢) تفسير القرآن العظيم (399/4).

(٣) الجواهر الحسان (321/4).

(٤) إرشاد العقل السليم (7/9).

(٥) فتح القدير (262/5).

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور (772/1).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (215/18).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (135/4).

معنى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾

160- قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ١٦﴾ [سورة القلم: 16].

وقول الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- أي: « سنلحق به شيئًا لا يفارقه »[1].

العقوبة التي أشار سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريم أنها ستقع على الوليد ابن المغيرة[2]، اختلفت أقوال المفسرين في تحديد ما إذا كانت العقوبة حاصلة في الدنيا أو هي ستكون يوم القيامة، وهل هي جدع الأنف أو سواد الوجه فالقشيري حدد أنها سمة على الأنف يوم القيامة، فقال: « ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أي: سنجعل له في القيامة على أنفه تشويهًا لصورته كي يعرف بها »[3].

والواحدي حدد أنها سمة على الأنف في الدنيا، فقال«﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ سنجعل على أنفه علامة باقية ما عاش؛ نخطم أنفه بالسيف يوم بدر »[4].

---

(1) انظر: تفسير غريب القرآن ص(409)، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير (334/8) حكاية عن ابن قتيبة.

(2) هذا على قول معظم المفسرين، كما حكى ذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير (77/29).

(3) لطائف الإشارات (343/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1121/2).

وذكر الماوردي عددًا من الأقوال في تفسير الآية، فقال: « ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ فيه أربعة أقاويل: أحدها: سمة سوداء، تكون على أنفسه يوم القيامة يتميز بها الكافر، كما قال تعالى:﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [سورة الرحمن: 41]، الثاني: أنه يضرب في النار على أنفه يوم القيامة[1]، الثالث: أنه إشهار ذكره بالقبائح، فيصير موسومًا بالذكر لا بالأثر، الرابع: هو ما يبتليه الله تعالى في الدنيا في نفسه وماله وولده من سوء وذل وصغار[2] »[3].

وممن سرد الأقوال أيضًا دون ترجيح: السمرقندي[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، وابن عطية[7]، والفخر الرازي[8]، والقرطبي[9]، والبيضاوي[10]، والبيضاوي[10]، والنسفي[11]،..

(1) حكاه عن الكلبي.

(2) حكاه عن ابن بحر.

(3) النكت والعيون (66/6).

(4) بحر العلوم (460/3).

(5) معالم التنزيل (379/4).

(6) الكشاف (593/4).

(7) المحرر الوجيز (348/5).

(8) التفسير الكبير (76/30).

(9) الجامع لأحكام القرآن (236/18).

(10) أنوار التنزيل (371/5).

(11) مدارك التنزيل (269/4).

وابن تيمية[1]، ونظام الدين النيسابوري[2]، والخازن[3]، وابن جزي[4]، وأبوحيان[5]، وابن كثير[6]، والثعالبي[7]، وابن عادل[8]، والبقاعي[9]، وأبوالسعود[10]، والشوكاني[11]، والألوسي[12]، وابن عاشور[13].

قال البيضاوي: « ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ بالكي ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ على الأنف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره، وقيل: هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال كقولهم: جدع أنفه، رغم أنفه، لأن السمة على الوجه سيما على الأنف شين ظاهر، أو نسود وجهه يوم القيامة »[14].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (68/16).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (336/6).

(٣) لباب التأويل (133/7).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (138/4).

(٥) البحر المحيط (305/8).

(٦) تفسير القرآن العظيم (406/4).

(٧) الجواهر الحسان (327/4).

(٨) اللباب في علوم الكتاب (283/19).

(٩) نظم الدرر (103/8).

(١٠) إرشاد العقل السليم (12/9).

(١١) فتح القدير (269/5).

(١٢) روح المعاني (29/29).

(١٣) التحرير والتنوير (77/29).

(١٤) أنوار التنزيل (371/5).

وقال ابن جزي: « ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أصل الخرطوم: أنف السبع، ثم استعير للإنسان استخفافًا به وتقبيحًا له، والمعنى: نجعل له سمة؛ وهي العلامة على خرطومه، واختلف في هذه السمة: قيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل: علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم، وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها »[1].

أو ربما يذكر المفسرون كلامًا على العموم، يُفهم منه أنه ستُجعل عليه علامة، والكلام محتمل لكل الأوجه، كما قال الطبري: « معنى ذلك سنبين أمره بيانًا واضحًا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخرطوم »[2].

وقال ابن تيمية: « ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ فيه إطلاق يتضمن الوسم في الآخرة وفي الدنيا أيضًا، فإن الله تعالى جعل للصالحين سيما، وجعل للفاجرين سيما، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة الفتح: 29] وقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [سورة محمد: 30]، [إلى أن قال:] فأخبر سبحانه أنه لابد أن يسم صاحب هذه الأخلاق الخبيثة على خرطومه وهو أنفه الذي و عضوه البارز الذي يسبق البصر إليه عند مشاهدته لتكون السيما ظاهرة من أول ما يُرى »[3].

---

(1) التسهيل لعلوم التنـزيل (138/4).

(2) جامع البيان (28/29).

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية (68/16).

وقال البقاعي: « ولما كان هذا المذكور قد أغرق في الشر فتوقع السامع جزاءه، قال معلماً أنه يجعل له من الخزي والفضائح ما يصير به شهرة بين الخلائق في الدنيا والآخرة: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ أي: نجعل ما يلحق به من العار في الدارين كالوسم الذي لا ينمحي أثره، تقول العرب: وسمه ميسم سوء، ولما كان الوسم منكئاً، وكان جعله في موضع لا يُستر أنكأ، وكان الوجه أشرف ما في الإنسان، وكان أظهر ما فيه وأكرمه الأنف، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة، قال: ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أي: الأنف الطويل جميعه وما قاربه من الحنكين وسماً متسعلياً عليه بوضوح جداً ليكون هتكه بين الناس وفضيحة لقومه وذلاً وعاراً، وكذا كان لعمري له بهذا الذكر الشنيع والذنب القبيح من الكفر وما معه، وسيكون له يوم الجمع الأعظم ما هو أشنع من هذا »[1].

والذي يظهر -والله أعلم- صحة اعتبار جميع الأقوال مجتمعة بيانًا لمعنى الآية، فإنه « لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة »[2]، « ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه منه[3] فألحقه به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة كالوسم على الخرطوم »[4]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) نظم الدرر (103/8).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (406/4).

(٣) أي: الوليد بن المغيرة.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (236/18).

معنى: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾

161- قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾ [سورة القلم: 19-20].

قال الإمام ابن قتيب-رحمه الله-: « ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ أي: سوداء كالليل محترقة، والليل هو: الصريم؛ والصبح أيضًا: صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم من صاحبه. ويقال: أصبحت وقد ذهب ما فيها من الثمر؛ فكأنه صُرم: أي قُطِع وجُزَّ »(1).

غير ما ذكره ابن قتيبة في بيان معنى الصريم، قيل أيضًا: إن « معنى ذلك فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم »(2).

وقيل أيضًا من معاني الصريم: « كالرماد الأسود »(3).

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(409).

(2) ذكره الطبري ولم يرجحه، جامع البيان (30/29).

(3) حكاه الماوردي وكذلك ابن الجوزي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، انظر: النكت والعيون (67/6)، وزاد المسير (336/8).

فالسمرقندي[1]، والسمعاني[2]، والنسفي[3] ذكروا نفس المعاني التي ذكرها ابن قتيبة.

وحدد ابن أبي زمنين البيان في معنى واحد، فقال: « ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ الصريم بمعنى المصروم، وهو الهالك الذاهب »[4].

ومعنى واحد أيضًا؛ وهو أن يراد بالصريم: « الليل المظلم الأسود » اختاره: القشيري[5]، والواحدي[6]، وابن كثير[7]، والمحلي[8]، والسعدي[9].

ولكن الماوردي عند تفسيره للآية ذكر ثلاثة معانٍ، فقال: « ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: كالرماد الأسود[10]، الثاني: كالليل المظلم، الثالث: كالمصروم الذي لم يبق فيه ثمر »[11].

---

(١) بحر العلوم (461/3).

(٢) تفسير القرآن (24/6).

(٣) مدارك التنزيل (270/4).

(٤) تفسير القرآن العزيز (21/5).

(٥) لطائف الإشارات (344/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1122/2).

(٧) تفسير القرآن العظيم (183/2) و (407/4).

(٨) تفسير الجلالين ص(758).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص(880).

(١٠) حكاه عن ابن عباس.

(١١) النكت والعيون (76/6).

وهذه الأقوال الثلاثة نفسها ذكرها جمع من المفسرين، منهم: البغوي[1]، والزمخشري[2]، وابن عطية[3]، وابن الجوزي[4]، والفخر الرازي[5]، والقرطبي[6]، والبيضاوي[7]، والخازن[8]، وابن جزي[9]، والبقاعي[10]، وأبوالسعود[11]، والشوكاني[12]، والألوسي[13].

قال البقاعي: « ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ أي كالأشجار التي صرم عنها ثمرها أو كالشيء الذي انقطع ما بينه وبين قاصده فلا وصول إليه بوجه، وقيل: كالليل المظلم الأسود، وقيل: كالرماد الأسود، ليس بها ثمرة، لأن ذلك الطائف أتلفها لم يدع

---

(١) معالم التنـزيل (379/4).

(٢) الكشاف (594/4).

(٣) المحرر الوجيز (349/5).

(٤) زاد المسير (336/8).

(٥) التفسير الكبير (78/30).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (239/18).

(٧) أنوار التنـزيل (372/5).

(٨) لباب التأويل (134/7).

(٩) التسهيل لعلوم التنـزيل (139/4).

(١٠) نظم الدرر (105/8).

(١١) إرشاد العقل السليم (15/9).

(١٢) فتح القدير (271/5).

(١٣) روح المعاني (30/29).

فيها شيئًا، لأنهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق، بضد ما كان لأبيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة في جميع أحواله »[1].

والذي يظهر -والله أعلم- صحة اعتبار جميع الأقوال بيانًا لمعنى الآية، فإن لفظة الصريم تحتمل كل المعاني المذكورة من ناحية اللغة[2]، وقال ابن عاشور: « وإيثار كلمة الصريم هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تُراد في الآية »[3]، عملاً بالقاعدة المتبعة في التفسير: أن « الآية إن كان لها معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »[4]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) نظم الدرر (105/8).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (345/3)، ولسان العرب لابن منظور (338/12).

(٣) التحرير والتنوير (82/29).

(٤) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾

162- قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾ [سورة القلم: 51].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « قال الفراء: يعتانونك أي يصيبونك بأعينهم، وذكر: أن الرجل من العرب كان يَمثُل على طريق الإبل -إذا صدرت عن الماء- فيصيب منها ما أراد بعينه، حتى يهلكه.

ولم يرد الله جل وعز -في هذا الموضع- أنهم يصيبونك بأعينهم، كما يصيب العائن بعينه ما يستحسنه ويعجب منه، وإنما أراد: أنهم ينظرون إليك -إذا قرأت القرآن- نظرًا شديدًا بالعداوة والبغضاء؛ يكاد يزلقك: أي يسقطك، كما قال الشاعر: يتقارضون -إذا التقوا في موطن- نظرًا يزيل مواطئ الأقدام[1] »[2].

---

(1) وجدت البيت في عدد من كتب التفاسير واللغة دون عزو لقائل، ومما يمكن التعلق به منها ما وجدته في تهذيب اللغة للأزهري (327/8) وتاج العروس للزبيدي (413/25)، قولهم: « وقال القتيبي: أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرًا شديدًا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك، وأنشد [أقول: ربما أنشد لنفسه أو لغيره فقد عزاه بعضهم إلى (بعض العرب) وهو من الكامل]:

يتقارضون إذا التقوا في موطن   نظرًا يزيل مواطئ الأقدام

(2) تفسير غريب القرآن ص(411)، وتأويل مختلف الحديث ص(232).

لقد وافق ابن قتيبة فيما ذهب إليه من المفسرين: السمرقندي[1]، وابن أبي زمنين[2]، والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، وابن الجوزي[6]، والخازن[7]، والمحلي [8]، وابن عاشور[9].

قال الواحدي: « ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ أي: أنهم لشدة إبغاضهم وعداوتهم لك إذا قرأت القرآن ينظرون إليك نظرًا شديدًا يكاد يصرعك ويسقطك عن مكانك »[10].

وثَمَّ قول آخر ورد عن المفسرين في بيان معنى الآية، وهو أن معنى ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ أي: « يعتانونك، ومعناه: يصيبونك بأعينهم »[11].

وذكر القولين معًا في بيان معنى الآية دون ترجيح أحدهما على الآخر، من المفسرين: الطبري[1]، والزمخشري[2]، ....

(١) بحر العلوم (465/3).
(٢) تفسير القرآن العزيز (24/5).
(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1125/2).
(٤) تفسير القرآن (32/6).
(٥) معالم التنـزيل (384/4).
(٦) زاد المسير (343/8).
(٧) لباب التأويل (141/7).
(٨) تفسير الجلالين ص(761).
(٩) التحرير والتنوير (107/29).
(١٠) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1125/2).
(١١) حكاه السمعاني في تفسير القرآن (32/6) عن الكلبي ومقاتل، والفراء.

.... والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، وابن جزي[5]، وأبوحيان [6]، والثعالبي[7]، والبقاعي[8]، وأبوالسعود[9]، والشوكاني[10].

فمثلاً قال البيضاوي: « والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شزراً بحيث يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولهم: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني؛ أي: لو أمكنه بنظره الصرع لفعله، أو أنهم يكادون يصيبونك بالعيب؛ إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ؛ فنـــزلت »[11].

لكن الذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح حمل الآية على المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه، « يدل على صحة هذا المعنى أنه -تعالى- قرن هذا النظر

---

(1) جامع البيان(46/29).

(2) الكشاف (600/4).

(3) أنوار التنـــزيل (376/5).

(4) مدارك التنـــزيل (273/4).

(5) التسهيل لعلوم التنـــزيل (141/4).

(6) البحر المحيط (311/8).

(7) الجواهر الحسان (331/4).

(8) نظم الدرر (711/8).

(9) إرشاد العقل السليم (20/9).

(10) فتح القدير (277/5).

(11) أنوار التنـــزيل (376/5).

بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيُحدّون إليه النظر بالبغضاء »[1].

وهذا جار على القاعدة الترجيحية: « القول الذي تؤيده قرينة في السياق مقدم على غيره »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) ذكر هذا الدليل: البغوي في معالم التنزيل (384/4)، وابن الجوزي في زاد المسير (343/8)، والخازن في لباب التأويل (141/7).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (299/1).

معنى: ﴿غِسۡلِينٍ﴾

163- قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٍ ٣٦﴾ [سورة الحاقة: 36].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٍ﴾ وهو فِعْلين من غسلت؛ كأنه غسالة. ويقال: هو ما يسيل من صديد أجسام المعذبين »[1].

الذي ذهب إليه ابن قتيبة في بيان معنى غسلين هو المروي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، ومقاتل[3]، وقول الطبري[4]، والسمرقندي[5]، وابن أبي زمنين[6]، والواحدي[7]، والزمخشري[8]، والفخر الرازي[9]، والبيضاوي[10]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(413).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(484).

(3) تفسير مقاتل (395/3).

(4) جامع البيان (65/29).

(5) بحر العلوم (469/3).

(6) تفسير القرآن العزيز (32/5).

(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1129/2).

(8) الكشاف (609/4).

(9) التفسير الكبير (102/30).

والبيضاوي[1]، والنسفي[2]، والبقاعي[3]، وأبي السعود[4]، والألوسي[5]، والألوسي[5]، والسعدي[6]، وابن عاشور[7].

قال الطبري: « ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا له طعام؛ كما كان لا يحض في الدنيا على طعام المسكين إلا طعام من غسلين، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار »[8].

وقال ابن أبي زمنين: « ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ يعني: غسالة أهل النار: القيح والدم »[9].

وقال الزمخشري: « والغسلين: غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم؛ فعلين من الغسل »[10].

وأورد السمعاني إضافة إلى القول السابق أن الغسلين هو: « شجرة تخرج طعاماً هو أخبث أطعمة أهل النار »[1].

---

(١) أنوار التنـزيل (383/5).

(٢) مدارك التنـزيل (276/4).

(٣) نظم الدرر (136/8).

(٤) إرشاد العقل السليم (26/9).

(٥) روح المعاني (51/29).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(884).

(٧) التحرير والتنوير (140/29).

(٨) جامع البيان (65/29).

(٩) تفسير القرآن العزيز (32/5).

(١٠) الكشاف (609/4).

وهذين القولين ذكرهما أيضًا: البغوي[2]، وابن عطية[3]، والخازن[4]، وابن جزي[5]، وابن كثير[6]، والثعالبي[7]، والشوكاني[8].

قال الخازن: « ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ يعني: صديد أهل النار، مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم، وقيل: هو شجر يأكله أهل النار »[9].

أبوحيان ذكر أن الغسلين ربما يكون هو الضريع المذكور في سورة الغاشية » في قوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [سورة الغاشية: 6] فهما شيء واحد أو متداخلان، قيل: ويجوز أن يكونا متباينين، وأخبر بكل واحد منهما عن طائفة غير الطائفة التي الآخر طعامها وإذا كان ثم غيره من الطعام، وكان الأكل غير أكل آخر، صح الحصر بالنسبة إلى اختلاف الأكلين. وأما إن كان الضريع هو الغسلين، كما قال بعضهم، فلا تناقض، إذ المحصور في الآيتين هو شيء واحد »[10].

---

(1) تفسير القرآن (41/6).
(2) معالم التنزيل (390/4).
(3) المحرر الوجيز (361/5).
(4) لباب التأويل (146/7).
(5) التسهيل لعلوم التنزيل (144/4).
(6) تفسير القرآن العظيم (417/4).
(7) الجواهر الحسان (336/4).
(8) فتح القدير (285/5).
(9) لباب التأويل (146/7).
(10) البحر المحيط (320/8).

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح حمله على أن يراد بالغسلين؛ غسالة أهل النار أي ما يجري من جراحهم من قيح وصديد ودم، فهو الأصح من ناحية اللغة[1]، وتؤيده قاعدة: حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »[2]، »[2]، بل إنه قاله « الأكثرون »[3] من المفسرين، فهو الأولى بالحمل عليه، والله والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (361/5)، ولسان العرب لابن منظور (495/11).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

(3) انظر: روح المعاني للألوسي (51/29).

معنى: ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾

164- قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [سورة المعارج: 3-4].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ يريد: معارج الملائكة، وأصل المعارج: الدرج؛ وهو مِنْ: عَرَج: إذا صعد »[1].

وقد وافق ابن قتيبة في المعنى الذي ذكره، من المفسرين: ابن أبي زمنين[2]، والزمخشري[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وابن جزي[6]، والمحلي[7]، والبقاعي[8]، وأبوالسعود[9].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(414).

(2) تفسير القرآن العزيز (34/5).

(3) الكشاف (611/4).

(4) أنوار التنزيل (386/5).

(5) مدارك التنزيل (387/5).

(6) التسهيل لعلوم التنزيل (146/4).

(7) تفسير الجلالين ص(765).

(8) نظم الدرر (145/8).

(9) إرشاد العقل السليم (29/9).

وقد أورد الماوردي -إضافة إلى القول المذكور- أقوالاً أخرى في بيان معنى الآية، فقال: « ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ فيه خمسة تأويلات: أحدها: ذي الدرجات[1]، الثاني: ذي الفواضل والنعم[2]، الثالث: ذي العظمة والعلاء، الرابع: ذي الملائكة؛ لأنهم كانوا يعرجون إليه، الخامس: أنها معارج السماء[3] »[4].

وزاد الفخر الرازي إيضاحاً لبعض المعاني، فقال: « وقوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ المعارج جمع معرج وهو المصعد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [سورة الزخرف: 33]، والمفسرون ذكروا فيها وجوهًا: أحدها: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي: ذي السماوات، وسماها معارج لأن الملائكة يعرجون فيها، وثانيها: ذي الفواضل والنعم، وذلك لأن لأياديه ووجوه إنعامه مراتب، وهي تصل إلى الناس على مراتب مختلفة، وثالثها: أن المعارج هي الدرجات التي يعطيها أولياءه في الجنة »[5].

---

(1) حكاه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(2) حكاه عن قتادة.

(3) حكاه عن مجاهد.

(4) النكت والعيون (90/6).

(5) التفسير الكبير (108/30) بتصرف.

وعليه فإن عددًا من المفسرين لم يحددوا قولاً واحدًا لبيان المعنى، وإنما يذكرون قولين أو أكثر مما سبق بيانه؛ عند تفسيرهم للآية، منهم: الطبري[1]، والسمرقندي[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، والقرطبي[5]، ونظام الدين النيسابوري[6]، والخازن[7]، وأبوحيان[8]، وابن كثير[9]، وابن عادل[10]، والشوكاني[11]، والألوسي[12]، والسعدي[13].

قال الطبري: « وقوله ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ يعني: ذا العلو والدرجات والفواضل والنعم »[14].

(١) جامع البيان (70/29).

(٢) بحر العلوم (471/3).

(٣) تفسير القرآن (45/6).

(٤) معالم التنزيل (392/4).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (281/18).

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (356/6).

(٧) لباب التأويل (148/7).

(٨) البحر المحيط (327/8).

(٩) تفسير القرآن العظيم (419/4).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب (353/19).

(١١) فتح القدير (288/5).

(١٢) روح المعاني (56/29).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(885).

(١٤) جامع البيان (70/29).

وقال نظام الدين النيسابوري: « ﴿ذِى ٱلۡمَعَارِجِ﴾ المصاعد، قيل: إنها السموات لأن الملائكة يعرجون فيها[1]، وقيل: ذي الفواضل والنعم بحسب الأرواح ومراتب الاستحقاق والاستعداد[2]، وقيل: هي الجنة لأنها درجات »[3].

»[3].

وقال السعدي: « ﴿ذِى ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ أي: ذو العلو، والجلال، والعظمة، والتدبير لسائر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة، بما جعلها على تدبيره »[4].

والذي يظهر –والله أعلم– أن ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه هو الأرجح لحمل معنى الآية عليه، وذلك: « لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة »[5]، قال تعالى: ﴿ذِى ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ وهذا ضمن قاعدة أساسية في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين، وهي: « إدخال الكلام في

---

(١) رواه الكلبي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–.

(٢) حكاه عن قتادة.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (356/6) بتصرف.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(885).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنـزيل لابن جزي (146/4).

معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عنه »[1]. فيصار إليه، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (249/1).

معنى: ﴿دَيَّارًا﴾

165- قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة نوح: 26].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿دَيَّارًا﴾ أي: أحدًا، ويقال: ما بالمنازل ديار؛ أي: ما بها أحد. وهو من الدار: أي: ليس بها نازل داراً »[1].

فابن قتيبة شرح معنى ﴿دَيَّارًا﴾ أي: أحدًا، بمعنى لا يُبقى فيها أحداً، ثم ذكر اشتقاق لفظ ﴿دَيَّارًا﴾ من الدار، أي: الذي يسكن الدار.

وقد وافق ابن قتيبة فيما ذكره من المعنى: الجصاص[2]، والماوردي[3]، والواحدي[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6].................................

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(417).

(٢) أحكام القرآن (258/4).

(٣) النكت والعيون (105/6).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1138/2).

(٥) معالم التنـزيل (400/4).

(٦) الكشاف (623/4).

والبيضاوي[1]، والخازن[2]، وابن جزي[3]، وأبوحيان[4]، وابن كثير[5]، والمحلي[6]، وأبوالسعود[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9].

قال الماوردي: « وفي قوله: ﴿دَيَّارًا﴾ وجهان: أحدها: أحدًا[10]، الثاني: من يسكن الدار[11] »[12].

فهذا الذي ذكره الماوردي هو زيادة تفصيل لما ذكره ابن قتيبة، وعليه فإن من المفسرين من حمل اللفظ على المعنى الأول فقط، وأن ﴿دَيَّارًا﴾ تعني: أحدًا،

---

(١) أنوار التنـزيل (396/5).

(٢) لباب التأويل (156/7).

(٣) التسهيل لعلوم التنـزيل (151/4).

(٤) البحر المحيط (337/8).

(٥) تفسير القرآن العظيم (428/4).

(٦) تفسير الجلالين ص(769).

(٧) إرشاد العقل السليم (41/9).

(٨) فتح القدير (301/5).

(٩) روح المعاني (79/29).

(١٠) حكاه عن الضحاك.

(١١) حكاه عن السدي.

(١٢) النكت والعيون (105/6).

وقال بهذا معنى للآية: الطبري[1]، وابن أبي زمنين[2]، ....
.... والسمعاني[3]، والنسفي[4].

قال الطبري: « قوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ ويعني بالديار من يدور في الأرض فيذهب ويجيء فيها، والعرب تقول: ما بها ديار يعني بذلك ما بها أحد »[5].

واختار فريق ثالث تفسير ﴿دَيَّارًا﴾ بأنه: ساكن الدار أو نازل الدار، مكتفين بها في بيان معنى الآية، منهم: نظام الدين النيسابوري[6]، وابن عادل[7]، عادل[7]، وابن عاشور[8].

قال ابن عادل: « والديار: نازل الدار »[9].

---

(1) جامع البيان (100/29).
(2) تفسير القرآن العزيز (42/5).
(3) تفسير القرآن (60/6).
(4) مدارك التنـزيل (285/4).
(5) جامع البيان 100/029) بتصرف.
(6) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (365/6).
(7) اللباب في علوم الكتاب (400/19).
(8) التحرير والتنوير (213/29).
(9) اللباب في علوم الكتاب (400/19).

والذي يظهر —والله أعلم– أن لا فرق بين المعنيين؛ فهما متداخلان وشارحان لبعضهما، فكونه لا يبقى من الكفار (ديار) أي: أحد، فإنه يلزم منه أن لا يكون في أي دار إنسان يسكنها، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

166- قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الجن: 6].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: ضلالاً، وأصل الرَّهق: العيب، ومنه يقال: يُرَهَّق في دينه »[1].

القول الذي ذكره ابن قتيبة ذكره أيضًا القشيري عند تفسيره للآية حيث قال: « ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي ذلةً وصغاراً؛ فالجن زادوا للإنس ذلةً ورهقاً فكانوا إذا نــزلوا يقولون: نعوذ بربّ هذا الوادي، فيتوهم الجن أنهم على شيء »[2].

كما ذكره أيضاً ابن كثير حيث قال: « فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد مخافة وأكثر تعوذًا بهم وازدادت الجن عليه جرأة »[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(418).

(2) لطائف الإشارات (356/3).

(3) تفسير القرآن العظيم (429/4).

أما القول الآخر وهو أن معنى ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾: « يعني: زاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم بقادتهم ﴿رَهَقٗا﴾ عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا، يقولون سدنا الجن والإنس »[1]، فهذا القول مروي عن ابن عباس[2]، ومقاتل[3]، وقاله الطبري[4]، والسمرقندي[5]، والواحدي[6]، والبغوي[7].

والغالبية العظمى من المفسرين ذكروا القولين معًا عند تفسير الآية، دون ترجيح أحدهما على الآخر، منهم: السمعاني[8]، والزمخشري[9]، وابن عطية [10]، والقرطبي [11]، والبيضاوي [12]، والنسفي[13]، ونظام الدين النيسابوري[14]، والخازن[1]،

---

(١) هذه عبارة البغوي في معالم التنزيل (402/4) بتصرف.

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(488).

(٣) تفسير مقاتل (406/3).

(٤) جامع البيان (108/29).

(٥) بحر العلوم (481/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1140/2).

(٧) معالم التنزيل (402/4).

(٨) تفسير القرآن (66/6).

(٩) الكشاف (626/4)

(١٠) المحرر الوجيز (380/5).

(١١) الجامع لأحكام القرآن 10/019).

(١٢) أنوار التنزيل (398/5).

(١٣) مدارك التنزيل (286/4).

(١٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (371/6).

.... وابن جزي[2]،

وأبوحيان[3]، وابن عادل[4]، والبقاعي[5]، وأبوالسعود[6]، والشوكاني[7]، والألوسي[8]، والسعدي[9].

فمثلاً قال نظام الدين النيسابوري: « أما قوله ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ فمعناه: أن الإنس لاستعاذتهم بهم زادوهم إثماً وجراءةً وطغياناً وكبراً لأنهم إذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سدنا الجن والإنس، وقيل: ضمير الفاعل للجن؛ أي: فزاد الجن الإنس خوفًا وغشيان شر بإغوائهم وإضلالهم، فإنهم لما تعوذوا بهم، ولم يتعوذوا بالله تعالى استولوا واجترءوا عليهم »[10].

إن محور الاختلاف في بيان معنى الآية هو في تحديد مراجع الضمائر (الواو) و (هم) في ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ فمن أرجع الواو إلى الجن، فهذا على المعنى الأول الذي ذكره ابن قتيبة ومن وافقه. ومن أرجع (الواو) إلى الإنس فهذا على المعنى الآخر.

---

(١) لباب التأويل (/159).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (153/4).

(٣) البحر المحيط (341/8).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (417/19).

(٥) نظم الدرر (186/8).

(٦) إرشاد العقل السليم (43/9).

(٧) فتح القدير (305/5).

(٨) روح المعاني (85/29).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص(890).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (371/6).

والذي يظهر -والله أعلم- عدم وجود ما يقوّي أحد القولين دون الآخر، فيصح اعتبارهما معًا لحمل معنى الآية عليهما، بناء على القاعدة المتبعة عند علماء التفسير؛ أنه « إن كان هناك عدة معانٍ تحتمل الآية، صح الحمل عليها جميعها»[1]. وهذا ما فعله جمهور المفسرين في حمل الآية على المعنيين معاً، وقد مرّ مرّ ذكرهم قريباً، بل إن عبارة البقاعي فيها ترابط بين المعنيين، حيث قال: « ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿كَانَ رِجَالٌ﴾ أي: ذوو قوة وبأس ﴿مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ أي: النوع الظاهر في عالم الجنس ﴿يَعُوذُونَ﴾ أي يلجأون ويعتصمون -خوفًا على أنفسهم وما معهم- إذا نـزلوا وادياً ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي: القبيل المستتر عن الأبصار فإنه كان القوم منهم إذا نـزلوا وادياً أو غيره من القفر تعبث بهم الجن في بعض الأحيان لأنه لا مانع لهم منهم من ذكر الله تعالى ولا دين صحيح، ولا كتاب من الله صريح، فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند خوفه: إني أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه أو نحو هذا فلا يرى إلا خيراً، وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته، فكان ذلك فتنة للإنس باعتقادهم في الجن غير ما هم عليه، فتبعوهم في الضلال، وفتنة الجن بأن يغتروا بأنفسهم ويقولوا سدنا: الجن والإنس، فيضلوا ويضلوا، ولذلك سبب عنه قوله: ﴿فَزَادُوهُمۡ﴾ أي: الإنس الجن باستعاذتهم هذه المرتب عليها إعاذتهم، والجن الإنس بترئيس الإنس لهم وخوفهم منهم ﴿رَهَقًا﴾ أي: ضيقاً وشدةً وغشياناً لما هم في من أحوال الضلال التي يلزم منهم الضيق والشدة »[2]، فتبين بما ذُكر صحة حمل الآية على المعنيين، والله أعلم بالصواب.

(¹) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

(²) نظم الدرر (186/8).

معنى: ﴿ٱلۡقَٰسِطُونَ﴾

167- قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾ [سورة الجن: 14-15].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿ٱلۡقَٰسِطُونَ﴾: الجائرون، يقال: قسط؛ إذا جار، وأقسط: إذا عدل »[1].

بدراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآية، تبين أن ما ذهب إليه ابن قتيبة هو قول جمهور المفسرين، فقد قاله: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، وابن أبي زمنين[4]، والماوردي[5]، والواحدي[6]، والبغوي[7]، ....

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(419).

(2) جامع البيان (113/29).

(3) بحر العلوم (482/3).

(4) تفسير القرآن العزيز (46/5).

(5) النكت والعيون (116/6).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1141/2).

(7) معالم التنزيل (403/4).

والزمخشري[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والنسفي[5]، ونظام الدين النيسابوري[6]، وأبوحيان[7]، والمحلي[8]، وابن عادل[9]، والبقاعي[10]، وأبوالسعود[11]، والشوكاني[12]، والألوسي[13]، والسعدي[14]، وابن عاشور[15].

فمثلاً قال الطبري: « يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل النفر من الجن ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ الذين قد خضعوا لله بالطاعة ﴿وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ وهم الجائرون عن الإسلام وقصد السبيل »[16].

---

(١) الكشاف (630/4).

(٢) التفسير الكبير (141/30).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (17/19).

(٤) أنوار التنزيل (399/5).

(٥) مدارك التنزيل (287/4).

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (372/6).

(٧) البحر المحيط (344/8).

(٨) تفسير الجلالين ص(771).

(٩) اللباب في علوم الكتاب (426/19).

(١٠) نظم الدرر (192/8).

(١١) إرشاد العقل السليم (45/9).

(١٢) فتح القدير (308/5).

(١٣) روح المعاني (89/29).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص(891).

(١٥) التحرير والتنوير (236/29).

(١٦) جامع البيان (113/29).

وقال ابن أبي زمنين: « القاسطون: الجائرون عن الهوى »[1].

وقال البغوي: « ﴿وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ الجائرون العادلون عن الحق »[2].

ومَنْ قال: « إن ﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ معناها: « الكافرون »[3]، أو فسَّرها بمعنى: « الظالمون »[4]، فلا يختلف قولهم عن قول الجمهور، فكلها تؤدي نفس المعنى؛ كما كما ذكر ذلك أهل اللغة[5]، بل ومصير الجور والكفر والظلم واحد وهم أنهم سيكونون ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، فلا خلاف بين المفسرين في بيان معنى الآية، وما الاختلاف المذكور إلا على سبيل تنوع العبارة لا التضاد.

وقال البقاعي: « هذه الآية من الاحتباك: ﴿ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ يدل على الكافرين، و ﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ يدل على المقسطين »[6].

والاحتباك هو: « أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه »[7]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تفسير القرآن العزيز (46/5).

(2) معالم التنزيل (403/4).

(3) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (69/6).

(4) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (382/5)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (154/4).

(5) انظر: لسان العرب لابن منظور (378/7)، ومختار الصحاح للرازي ص(223).

(6) نظم الدرر (192/8).

(7) انظر: التعريفات للجرجاني ص(25).

معنى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾

168- قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الجن: 18].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ أي السجود لله، وهو جمع مسجَد، يقال: سجدت سجوداً ومسجَداً، كما يقال: ضربت في البلاد ضربًا ومَضربًا، ثم يجمع فيقال: المساجد لله، كما يقال: المضارب في الأرض لطلب الرزق »[1].

ولقد ذكر هذا القول الذي قاله ابن قتيبة عدد من المفسرين ضمن أقوال أخرى ولم يرجحوه، منهم: السمرقندي[2]، والواحدي[3]، وابن الجوزي[4]، وأبوالسعود[5].

قال السمرقندي: « قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ يعني: السجود لله، ويقال: هي المساجد بعينها، يعني بنيت المساجد ليعبدوا الله تعالى فيها »[1].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(420).

(٢) بحر العلوم (483/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1141/2).

(٤) زاد المسير (382/8).

(٥) إرشاد العقل السليم (46/9).

وقال الواحدي: « ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني: المواضع التي يصلى فيها، وقيل: الأعضاء التي يسجد عليها، وقيل: يعني السجدات لله تعالى؛ جمع مسجَد بمعنى السجود ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أمر بالتوحيد لله تعالى في الصلاة »[2].

ثلاثة أقوال رئيسة تمركز حولها كلام المفسرين في بيان معنى الآية –غير الذي ذكره ابن قتيبة–:

الأول: أن يراد: المساجد المعروفة حيث تقام فيها الشعائر التعبدية من صلاة ونحوها[3].

الثاني: أن يراد بها أعضاء السجود، فمساجد الإنسان: أعضاؤه التي أُمر أن يسجد عليها؛ فلا يُخضعها ولا يذلها لغير خالقها[4].

الثالث: أن يكون المراد بالمساجد في الآية: البقاع كلها، وذلك أن الأرض جُعلت للنبي ﷺ مسجدًا[5].

فهذه الأقوال ذكرها كلها –أو ربما زاد بعضهم عليها أقوالاً دونها في كثرة القائلين بها سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى– من المفسرين: الماوردي[6]، ....

---

(١) بحر العلوم (483/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1141/2).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (483/3) بتصرف.

(٤) انظر: حقائق التفسير للسلمي (354/2) بتصرف.

(٥) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (54/10) بتصرف.

(٦) النكت والعيون (19/6).

والبغوي[1]، والزمخشري[2]، وابن الجوزي[3]، والفخر الرازي[4]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، ونظام الدين النيسابوري[7]، والخازن[8]، وأبوحيان[9]، وأبوالسعود[10]، والشوكاني[11]، والألوسي[12].

فمثلاً قال البغوي: « ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني: المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فأمر الله تعالى المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها[13]، وقيل: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جُعلت كلها مسجدًا للنبي ﷺ[14]، وقيل أيضًا: إن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان؛ وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان

---

(١) معالم التنزيل (404/4).

(٢) الكشاف (631/4).

(٣) زاد المسير (382/8).

(٤) التفسير الكبير (143/30).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (20/19).

(٦) أنوار التنزيل (400/5).

(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (373/6).

(٨) لباب التأويل (161/7).

(٩) البحر المحيط (345/8).

(١٠) إرشاد العقل السليم (46/9).

(١١) فتح القدير (309/5).

(١٢) روح المعاني (91/29).

(١٣) حكاه عن قتادة.

(١٤) حكاه عن الحسن.

والقدمان، يقول هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغيره[1] »[2].

وزاد الماوردي[3]، والشوكاني[4] قولاً رابعًا -إضافة إلى ما سبق-، أنه ربما ربما يكون المعنى: « ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني الصلوات ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أي: أفردوا له التوحيد وأخلصوا له العبادة »[5].

وزاد الزمخشري[6]، والفخر الرازي[7]، والقرطبي[8]، والبيضاوي[9]، والبيضاوي[9]، ونظام الدين النيسابوري[10]، وأبوالسعود[11]، والألوسي[12]

---

(١) حكاه عن سعبيد بن جبير.

(٢) معالم التنـزيل (404/4) بتصرف.

(٣) النكت والعيون (119/6).

(٤) فتح القدير (309/5).

(٥) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (54/10) وحكاه عن الحسن.

(٦) الكشاف (631/4).

(٧) التفسير الكبير (143/30).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (20/19).

(٩) أنوار التنـزيل (400/5).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (373/6).

(١١) إرشاد العقل السليم (46/9).

(١٢) روح المعاني (91/29).

قولاً خامسًا، أن يكون المراد بالمساجد في الآية: « المسجد الحرام، لأنه قبلة المساجد »[1].

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأرجح حمل معنى الآية على أن يراد: المساجد، التي هي أماكن العبادة، فهو القول الذي لم يذكر غيره الطبري بيانًا لمعنى الآية، حيث قال: « وأن المساجد لله فلا تدعوا أيها الناس مع الله أحدًا ولا تشركوا به فيها شيئًا ولكن أفردوا له التوحيد وأخلصوا له العبادة »[2].

ووصفه الفخر الرازي[3]، ونظام الدين النيسـابوري[4]؛ بأنه « قول الأكثرين».

وقال عنه القرطبي[5]، وابن عادل[6]:إنه « أظهر الأقوال ».

وأبوحيان[7]، والألوسي[8] قالا عنه: إنه هو « الظاهر ».

وأما القول بأنه يراد بلفظ المساجد في الآية: أي بقاع الأرض كلها، فالذي يظهر أنه يدخل تحت القول السابق وتبع له.

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (631/4).

(٢) جامع البيان (116/29).

(٣) التفسير الكبير (143/30).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (373/6).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (20/19).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (431/19).

(٧) البحر المحيط (345/8).

(٨) روح المعاني (91/29).

وأما القول بأنه يراد بها: أعضاء السجود من الإنسان، فهو وإن قال به عدد من المفسرين؛ إلا أنه « بعيد » عن معنى الآية، كما قال ذلك: ابن جزي[1]، وأبو حيان[2].

فتبين الأرجح في ضوء ما تم بيانه، والله أعلم بالصواب.

---

(1) التسهيل لعلوم التنـزيل (154/4).

(2) البحر المحيط (345/8).

معنى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾

169- قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [سورة المزمل: 8].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ أي: انقطع إليه، من قولك: بتلت الشيء؛ إذا قطعته »[1].

وقد وافق ابن قتيبة في تفسيره الآية بالمعنى المذكور، من المفسرين: الطبري[2]، والواحدي[3]، والزمخشري[4]، والبيضاوي[5]، والنسفي[6]، والمحلي[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10]، والسعدي[11]، وابن عاشور[1].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(422).

(٢) جامع البيان (132/29).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1145/2).

(٤) الكشاف (640/4).

(٥) أنوار التنزيل (406/5).

(٦) مدارك التنزيل (291/4).

(٧) تفسير الجلالين ص(773).

(٨) إرشاد العقل السليم (51/9).

(٩) فتح القدير (317/5).

(١٠) روح المعاني (106/29).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(893).

قال الطبري: « ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ يقول: وانقطع إليه انقطاعًا لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء وغيره،و هو من قولهم: تبتلت هذا الأمر، ومنه قيل لأم عيسى بن مريم (البتول) لانقطاعها إلى الله تعالى، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله تعالى؛ قد تبتل »[2].

وقال السعدي: « ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطع إليه، فإن الانقطاع إلى الله تعالى، والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والإتصاف بمحبة الله –عَزَّ وَجَلَّ– ، وما يقرب إليه، ويدني من رضاه »[3].

وقال ابن عاشور: « والتبتل: شدة البتل، وهو: الانقطاع. والمراد بالانقطاع المأمور به انقطاع خاص وهو الانقطاع عن الأعمال التي تمنعه من قيام الليل ومهام النهار في نشر الدعوة ومحاجّة المشركين ولذلك قيل ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله فكل عمل يقوم به النبي ﷺ من أعمال الحياة فهو لدين الله فإن طعامه وشرابه ونومه وشؤونه للاستعانة على نشر دين الله، وكذلك منعشات الروح البريئة من الإثم مثل الطيب، وتزوج النســاء، والإنس إلى أهله وأبنائه وذويه، وقد قال ﷺ: « **حُبِّب إليّ من دنياكم النساء والطيب** »[4].

---

(١) التحرير والتنوير (265/29).

(٢) جامع البيان (132/29).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(893).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (174/2) بلفظ: « **حبب إليّ النساء والطيب** » من رواية أنس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–. وقال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

وليس هو التبتل المفضي إلى الرهبانية؛ وهو الأعراض عن النساء وعن تدبير أمور الحياة لأن ذلك لا يلاقي صفة الرسالة. ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإشراك، وهو معنى الحنيفية، ولذلك عقب قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ بقوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ »[1].

وفسرها آخرون بأن معنى ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أخلص إليه إخلاصًا في الدعاء والعبادة، فهذا مروي عن مقاتل[2]، وقاله ابن أبي زمنين[3].

وجمع فريق آخر من المفسرين القولين على اعتبارهما معًا معنًى للآية، منهم: السمرقندي[4]، والسمعاني[5]، والبغوي[6]، والقرطبي[7]، والخازن[8]، وابن وابن جزي[9]، وابن كثير[10]، والثعالبي[11].

---

(١) التحرير والتنوير (265/29).

(٢) تفسير مقاتل (409/3).

(٣) تفسير القرآن العزيز (50/5).

(٤) بحر العلوم (487/3).

(٥) تفسير القرآن (80/6).

(٦) معالم التنزيل (409/4).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (44/19).

(٨) لباب التأويل (291/7).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (157/4).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (438/4).

(١١) الجواهر الحسان (353/4).

قال السمرقندي: « ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ يعني: أخلص إليه إخلاصاً في دعائك بعبادتك، ويقال: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ يعني: انقطع إليه وأصل التبتل القطع؛ ولهذا قيل لمريم العذراء: البتول لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة »[1].

»[1].

والذي يظهر -والله أعلم- أن هناك ترابطًا وثيقًا بين القولين أظهره الإمام القرطبي حين قال: « ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ التبتل الانقطاع إلى عبادة الله -عز وجل-، أي: انقطع بعبادتك إليه ولا تشرك به غيره، فمعنى الآية: انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله تعالى، وأخلِصْ له العبادة فصار التبتل مأمورًا به في القرآن منهيًا عنه في السنّة.

ومتعلق الأمر غير متعلق النهي فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبين للناس ما أنــزل إليهم، فالتبتل المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة: 5]، والتبتل المنهي عنه: هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهّب في الصوامع »[2].

فتبين ترابطهما بما يصح معه حمل معنى الآية عليهما، استنادًا إلى قاعدة « الآية إن كانت تحتمل معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »[3]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) بحر العلوم (487/3) بتصرف.

(2) الجامع لأحكام القرآن (44/19) بتصرف.

(3) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾

170- قال تعالى: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة المزمل: 16].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: شديدًا، وهو من قولك: استوْبَلْتُ البلد؛ إذا استوْخمْتَها[1]، ويقال: كلأٌ مستوبل؛ أي: لا يُستمرأ »[2].

وقد وافق ابن قتيبة فيما ذكره في بيان معنى الآية، من المفسرين: الطبري[3]، وابن أبي زمنين[4]، والسمعاني[5]،

---

(١) استوخمتها: قال ابن فارس: الواو والخاء والميم: كلمة واحدة هو الوخم؛ الوبيئ من الشيء. واستوخمت البلاد، وبلاد وخمة ووخيمة: لا توافق ساكرها. معجم مقاييس اللغة (95/6). وفي لسان العرب لابن منظور (631/12): يقال: وخم الطعام إذا ثقل فلم يستمرأ؛ فهو وخيم، واستوخمت الطعام وتوخمته إذا استوبلته وبلدة وخمة ووخيمة إذا لم يوافق سكنها، وقد استوخمتها.

(٢) تفسير غريب القرآن ص(422).

(٣) جامع البيان (136/029).

(٤) تفسير القرآن العزيز (51/5).

(٥) تفسير القرآن (82/6).

والقرطبي[1]،...............................وابن عادل[2]، والبقاعي[3]، والشوكاني[4]، والألوسي[5].

قال الطبري: « ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ يقول: فأخذناه أخذًا شديدًا فأهلكناه ومن معه جميعاً، وهو من قولهم: كلأ مستوبل إذا كان لا يستمرأ؛ وكذلك الطعام »[6].

وفريق من المفسرين اكتفى في تفسير ﴿وَبِيلٗا﴾ أي: عذابًا شديدًا؛ فهذا قاله: السمرقندي[7]، والبغوي[8]، والنسفي[9]، والخازن[10]،و ابن جزي[11]، جزي[11]، وابن كثير[12]، والمحلي[13]، والسعدي[14].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (48/19).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (475/19).

(٣) نظم الدرر (213/8).

(٤) فتح القدير (319/5).

(٥) روح المعاني (108/29).

(٦) جامع البيان (136/29).

(٧) بحر العلوم (488/3).

(٨) معالم التنـزيل (410/4).

(٩) مدارك التنـزيل (292/4).

(١٠) لباب التأويل (169/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنـزيل (158/4).

(١٢) تفسير القرآن العظيم (439/4).

(١٣) تفسير الجلالين ص0774).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص(894).

ومنهم من فسَّر ﴿وَبِيلًا﴾ بأن: « ومنه طعام الوبيل وهو الذي لا تستمرئه المعدة »؛ فهذا قاله: أبوحيان[1]، وأبوالسعود[2]، وابن عاشور[3].

والقشيري[4]، والواحدي[5] فسّرا ﴿وَبِيلًا﴾ أي: ثقيلاً.

والزمخشري فسّر ﴿وَبِيلًا﴾ بقوله: « ثقيلاً غليظًا، من قولهم: كلأوبيل وخم لا يستمرأ لثقله »[6]، ومثله قال البيضاوي[7].

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأمر كما قال الشوكاني: « المعنى متقارب »[8]، فعبارات المفسرين مترادفة، واختلافهم اختلاف تنوع لا تضاد، والله أعلم بالصواب.

---

(١) البحر المحيط (356/8).

(٢) إرشاد العقل السليم 81/3).

(٣) التحرير والتنوير (274/29).

(٤) لطائف الإشارات (361/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1146/2).

(٦) الكشاف (642/4).

(٧) أنوار التنزيل (407/5).

(٨) فتح القدير (319/5).

معنى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾

171- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [سورة المدثر: 1-5].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهّر نفسك من الذنوب، فكنّى عنه بثيابه: لأنها تشتمل عليه.

قال ابن عيينة [1]: إلبسها وبدنك طاهر. (قال): وقال الحسن[2]: يطيِّب أحدهم ثوبه، وقد أصلَّ ريحه. وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أما سمعت قول الشاعر:

إني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من خَزية أتقنّع[1]

---

(1) سفيان بن عيينة الهلالي أبومحمد، ثقة حافظ فقيه، إمام حجة، كان عالمًا ناقدًا وزاهدًا عابدًا، توفي في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة. انظر: صفة الصفوة لأبي الفرج (237/2، وتقريب التهذيب لابن حجر ص(245).

(2) الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة، الأنصاري مولاهم، يكنى أبا سعيد، ثقة فقيه فاضل، ولد في خلافة عمر -رضي الله عنه- وحنكه بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فربما غابت أمه فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشربه ، فكانوا يقولون فصاحته من بركة ذلك، توفي سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين.

انظر: صفة الصفوة لأبي الفرج (233/3)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص(1227).

وقال بعضهم: ثيابك فقصّر، فإن تقصير الثياب طهر لها »[2].

القول الذي ذهب إليه ابن قتيبة، مبني على أن المراد بالثياب النفس، والمراد بالتطهير، يعني تطهيرها من الذنوب، وهذا هو أحد المعاني الواردة عن المفسرين، فإن الماوردي قال: إن « قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه خمسة أقاويل: أحدها: أن المراد بالثياب: العمل، الثاني: القلب، الثالث: النفس، الرابع: النساء والزوجات، الخامس: الثياب الملبوسات على الظاهر »[3].

وابن الجوزي ذكر أن فيها « ثمانية أقوال:

أحدها: لا تلبسها على معصية ولا على غدر[4].

الثاني: لا تكن ثيابك من مكسب غير طاهر[5].

الثالث: طهر نفسك من الذنب[6].

الرابع: وعملك فأصلح[1].

---

(١) الصحابي غيلان بن سلمة بن معين الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف، وقد روى عنه ابن عباس شيئًا من شعره، وفد على كسرى وله معه خبر طريف. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (189/3)، وأما البيت المذكور فكثير من المفسرين نسبوه له، موردين الرواية الواردة عن ابن عباس – رضي الله عنهما–، ولم يذكره أحد ممن ترجم له، ووجدت البيت في كتاب الأغاني للأصبهاني (250/16) في قصيدة نسبها إلى (برذع بن عديّ).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(423).

(٣) النكت والعيون (135/6).

(٤) حكى هذا المعنى عن عكرمة عن ابن عباس.

(٥) حكاه عن ابن عباس أيضًا.

(٦) حكاه عن مجاهد وقتادة.

الخامس: خلقك فحسّن[2].

السادس: وثيابك فقصِّر[3].

السابع: قلبك فطهِّر[4].

الثامن: اغسل ثيابك بالماء ونقّها[5] »[6].

وتبع ابن الجوزي على التقسيم الذي ذكره كل من القرطبي[7]، والشوكاني[8].

ولكن الفخر الرازي رتَّب الأقوال المذكورة على أربعة أوجه، فقال: « اعلم أن تفسير هذه الآية يقع على أربعة أوجه:

أحدها: أن يترك لفظ الثياب والتطهير على ظاهره.

والثاني: أن يترك لفظ الثياب على حقيقته، ويحمل لفظ التطهير على مجازه.

والثالث: أن يحمل لفظ الثياب على مجازه، ويترك لفظ التطهير على حقيقته.

والرابع: أن يحمل اللفظان على المجاز.

---

(١) حكاه عن الضحاك.

(٢) حكاه عن الحسن والقرظي.

(٣) حكاه عن طاووس.

(٤) حكاه عن سعيد بن جبير.

(٥) حكاه عن ابن سيرين وابن زيد.

(٦) زاد المسير (400/8) بتصرف.

(٧) الجامع لأحكام القرآن (62/19).

(٨) فتح القدير (324/5).

أما الاحتمال الأول: وهو أن يترك لفظ الثياب، ولفظ التطهير على حقيقته، فهو أن تقول: المراد منه أنه عليه الصلاة والسلام؛ أمر بتطهير ثيابه من الأنجاس والأقذار.

الاحتمال الثاني: أن يبقى لفظ الثياب على حقيقته، ويجعل لفظ التطهير على مجازه؛ فهنا قولان: الأول: أن المراد من قوله ﴿فَطَهِّرْ﴾ أي: فقصّر الثاني: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: ينبغي أن تكون الثياب التي تلبسها مطهرة عن أن تكون مغصوبة أو محرمة، بل تكون مكتسبة من وجه حلال.

الاحتمال الثالث: أن يحمل لفظ الثياب على مجازه، ويبقى لفظ التطهير على حقيقته؛ وذلك لأن العرب ما كانوا يتنظفون وقت الاستنجاء، فأمر عليه الصلاة والسلام بذلك التنظيف، ويجعل اللفظ كناية عن النفس.

الاحتمال الرابع: هو أن يحمل لفظ الثياب ولفظ التطهير على المجاز، وذكروا على هذا الاحتمال وجوهًا؛ الأول: وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة، أو: وخلقك فحسّن الثاني: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أمر له ﷺ بالاحتراز عن الآثام والأوزار »[1].

ونظام الدين النيسابوري[2]، والخازن[3] تبعوا التقسيم الذي ذكره الفخر الفخر الرازي.

---

(1) التفسير الكبير (169/30) بتصرف.

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (386/6).

(3) لباب التأويل (173/7).

وجمع غفير من المفسرين يكتفون بإيراد عدد من الأقوال في تفسير الآية دون محاولة لترتيب أو تقسيم معين، على اعتبار أن كل وجه محتمل للآية، منهم: الطبري([1])، والسمرقندي([2])، وابن أبي زمنين([3])، والقشيري([4])، والسمعاني([5])، والبغوي([6])، والزمخشري([7])، وابن عطية([8])، والبيضاوي([9])، والنسفي([10])، وابن جزي([11])، وأبوحيان([12])، وابن كثير([13])، وابن عادل([14])، والألوسي([15])، وابن عاشور([16]).

---

(1) جامع البيان (144/29).

(2) بحر العلوم (491/3).

(3) تفسير القرآن العزيز (54/5).

(4) لطائف الإشارات (364/3).

(5) تفسير القرآن (89/6).

(6) معالم التنزيل (413/4).

(7) الكشاف (647/4).

(8) المحرر الوجيز (392/5).

(9) أنوار التنزيل (411/5).

(10) مدارك التنزيل (294/4).

(11) التسهيل لعلوم التنزيل (160/4).

(12) البحر المحيط (362/8).

(13) تفسير القرآن العظيم (441/4).

(14) اللباب في علوم الكتاب (494/19).

(15) روح المعاني (117/29).

(16) التحرير والتنوير (296/29).

إلا أن منهم من أشار صراحة إلى أن القول بأن: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ يراد بها: أي طهّر نفسك من الذنوب، فكنى عن النفس بالثياب؛ هو: « قول عليه أكثر السلف »[1]، و « قال كثير من المفسرين »[2]، وقاله « الجمهور »[3].

وأضعف الأقوال المذكورة؛ القول بأنه يراد بالثياب « النساء »، فقد قال عنه: الفخر الرازي[4]، وابن عادل[5]، والألوسي[6]، إنه « بعيد، لأنه على هذا هذا الوجه لا يحسن اتصال الآية بما قبلها »[7].

وباستثناء القول أن يراد بالثياب: النساء، فإن بقية الأقوال الأخرى تصلح، و « ليس بممتنع أن تحمل الآية على العموم ». قال ذلك: ابن عطية[8]، والقرطبي[9]، وابن عاشور[10].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (144/29).

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (28/4) عند تفسير سورة المائدة، وأحكام القرآن لابن العربي (340/4)، والتفسير الكبير للرازي (169/30).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (392/5)، والبحر المحيط لأبي حيان (362/8)، وروح المعاني للألوسي (117/29).

(٤) التفسير الكبير (169/30).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (494/19).

(٦) وروح المعاني (117/29).

(٧) انظر: التفسير الكبير للرازي (169/30).

(٨) المحرر الوجيز (392/5).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (62/19).

(١٠) التحرير والتنوير (296/29).

وما أحسن ما قاله السعدي في ربطه بين المعنى المجازي للثياب والمعنى الحقيقي، بقوله: « ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ يحتمل أن المراد بالثياب، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق، وعجب وتكبر وغفلة، وغير ذلك مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته، ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصًا الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها؛ شرط من شروطها، أي من شروط صحتها، ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصًا عند الدخول في الصلوات، وإذا كان مأمورًا بطهارة الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن »[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(895).

معنى: ﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾

172- قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [سورة القيامة: 3-4].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « هذا ردّ من الله تعالى عليهم، وذلك أنهم ظنوا أن الله تعالى لا ينشر الموتى، ولا يقدر على جمع العظام البالية، فقال: بلى، فاعلموا أنّا نقدر على ردّ السلاميات[1] على صغرها، ونؤلف بينها حتى يستوي البنان، ومَنْ قَدَر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر »[2].

الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى الآية، قال ورجّحه تفسيرًا للآية من المفسرين: ابن عطية[3]، والفخر الرازي[4]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]،

---

(١) السلامى عظام صغار على طول الإصبع أو قريب منها في كل يد ورجل أربع سلاميات أو ثلاث. انظر: لسان العرب (298/12).

(٢) تأويل مشكل القرآن ص(204).

(٣) المحرر الوجيز (402/5).

(٤) التفسير الكبير (192/30).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (94/19).

(٦) أنوار التنزيل (420/5).

والنسفي([1])، والخازن([2])، وابن جزي([3])، وأبوحيان([4])، وابن كثير([5])، والمحلي([6])، وابن عادل([7])، والشوكاني([8])، والألوسي([9])، والسعدي([10]).

أما القول الآخر المروي عن ابن عباس([11]) -رضي الله عنهما-، ومقاتل ([12])، أن المعنى: « ﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ وهي أصابع يديه ورجليه فنجعلها شيئًا واحدًا كخف البعير أو حافر الحمار، فلا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسّن خلقه »([13]). هذا القول حكى عنه عدد من المفسرين أنه « قول مشهور في التفاسير »([14])،

---

(1) مدارك التنزيل (299/4).

(2) لباب التأويل (183/7).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (164/4).

(4) البحر المحيط (376/8).

(5) تفسير القرآن العظيم (449/4).

(6) تفسير الجلالين ص(779).

(7) اللباب في علوم الكتاب (547/19).

(8) فتح القدير (336/5).

(9) روح المعاني (137/29).

(10) تيسير الكريم الرحمن ص(898).

(11) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(493).

(12) تفسير مقاتل (421/3).

(13) هذه عبارة الطبري في جامع البيان (175/29).

(14) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (102/6).

وأنه « قول أكثر المفسرين »(1)، أو « قول جمهور المفسرين »(2)، أو « قول عامّة المفسرين »(3)، أو إنه قول « كلِّ المفسرين »(4).

ولكن مع ذلك من حكى هذا الكلام من المفسرين يكون: إما قد أورد القولين معًا، وحكى ما حكى من كلام عن المفسرين، ثم يشير إلى أن القول الأول -وهو قول ابن قتيبة وموافقيه- وأن المراد بـــ ﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ أي: « نقدر على ردّ السلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتى يستوي البنيان، ومن قدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر » أنه هو:

« الأحرى مع رصف الكلام » كما قال ذلك ابن عطية(5).

ووصفه الفخر الرازي بأنه « الأقرب إلى الصواب »(6)، وكذا قال الخازن(7).

---

(1) انظر: معالم التنـزيل للبغوي (421/4).

(2) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (403/5)، والبحر المحيط لأبي حيان (376/8)، وفتح القدير للشوكاني (336/5)، وروح المعاني للآلوسي (137/29).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (94/19)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (547/19).

(4) انظر: تتمة أضواء البيان لعطية سالم (372/8).

(5) المحرر الوجيز (402/5).

(6) التفسير الكبير (192/30).

(7) لباب التأويل (183/7).

وقال القرطبي: إنه « أشبه بمساق الآية »[1]، ومثله قال ابن عادل[2].

ووصفه أبوحيان بأنه: « الظاهر، والمقصود من رصف الكلام »[3].

وابن كثير قال: إنه « الظاهر »[4].

والشوكاني قال: إنه « الأَوْلى »[5].

وقال الألوسي عنه: « لعله الأوفق بالمقام »[6].

والذي يظهر –والله أعلم– أن الأرجح حمل معنى الآية على ما قاله ابن قتيبة وموافقوه؛ لأمرين مهمّين مترابطين:

الأول: دلالة السياق واللحاق، فإن سياق آيات سورة القيامة من أولها حول يوم القيامة، وإنكار المنكرين للبعث، وإثبات قدرة الله تعالى على إعادة خلق العظام الصغيرة من الإنسان فضلاً عن الكبيرة. وقاعدة: « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عنه »[7] تؤيد ذلك.

الثاني: وهو مبني على الأول؛ أنه قد دلت الآية التي في أواخر سورة يس على إنكار الكفار واستبعادهم للبعث، وهي قوله تعالى ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (94/19).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (547/19).

(٣) البحر المحيط (376/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (449/4).

(٥) وفتح القدير (336/5).

(٦) روح المعاني (137/29).

(٧) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1) وقواعد التفسير لخالد السبت (249/1).

رَمِيمٌ ﴾ [سورة يس: 78] ونفس المعنى هو الدائر في آيات سورة القيامة هنا، فهذا من تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أفضل طرق التفسير وأحسنها([1]).

قال السعدي: « ثم أخبر أن بعض المعاندين يكذبون بيوم القيامة، فقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بعد الموت، كما قال: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يس: 78].فاستبعد من جهله وعدوانه، قدرة الله تعالى على خلق عظامه التي هي عماد البدن، فردّ عليه بقوله ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾، أي: أطراف أصابعه وعظامه، وذلك مستلزم لخلق جمع أجزاء البدن، لأنه إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره لقدرة الله تعالى قصورًا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه، لأن إرادته وقصده التكذيب بما أمامه من البعث »([2])، والله أعلم بالصواب.

([1]) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص 0127).

([2]) تيسير الكريم الرحمن ص(898).

معنى: ﴿فَاقِرَةٌ﴾

173- قال تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة القيامة: 25].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « والـ ﴿فَاقِرَةٌ﴾: الداهية، يقال: إنها من (فقار الظهر) كأنها تكسره، تقول: فقرت الرجل؛ إذا كسرت فقاره. كما تقول: رأسته؛ إذا ضربت رأسه، وبطنته؛ إذا ضربت بطنه »[1].

وقد وافقه في المعنى المذكور من المفسرين: الطبري[2]، والسمرقندي [3]، وابن أبي زمنين[4]، والقشيري[5]، والواحدي[6]، والسمعاني[7]، والزمخشري[8]، والبيضاوي[9]،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(427).

(2) جامع البيان (194/29).

(3) بحر العلوم (501/3).

(4) تفسير القرآن العزيز (65/5).

(5) لطائف الإشارات (370/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1155/2).

(7) تفسير القرآن (108/6).

(8) الكشاف (664/4).

(9) أنوار التنـزيل (423/5).

.... والنسفي[1]،
وابن جزي[2]، وأبوحيان[3]، والمحلي[4]، وابن عادل[5]، والبقاعي[6]، وأبوالسعود[7]، والألوسي[8]،و ابن عاشور[9].

قال الطبري: « وقوله ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: تعلم أنه يفعل بها داهية، والفاقرة: الداهية »[10].

وقال الزمخشري: « ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظهر، كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير »[11].

وقال أبوالسعود: « ﴿تَظُنُّ﴾ يتوقع أربابها ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة تقصم فقار الظهر »[1].

---

(١) مدارك التنـزيل (301/4).
(٢) التسهيل لعلوم التنـزيل (165/4).
(٣) البحر المحيط (380/8).
(٤) تفسير الجلالين ص(780).
(٥) اللباب في علوم الكتاب (568/19).
(٦) نظم الدرر (253/8).
(٧) إرشاد العقل السليم (68/9).
(٨) روح المعاني (146/29).
(٩) التحرير والتنوير (356/29).
(١٠) جامع البيان (194/29).
(١١) الكشاف (664/4).

وأورد الماوردي زيادة على ذلك عددًا من المعاني، فقال: « ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ فيه أربعة وجوه: أحدها: أن الفاقرة الداهية[2]، الثاني: الشر[3]، الثالث: الهلاك[4]، الرابع: دخول النار[5] »[6].

ونفس الأقوال المذكورة ذكرها أيضاً تفسير للآية: البغوي[7]، والقرطبي[8]، وابن كثير[9]، والشوكاني[10].

والذي يظهر -والله أعلم- من خلال ما تم بيانه: أن الأمر كما قال القرطبي: أن « المعنى متقارب »[11].

فكل الألفاظ فيها دلالة على العذاب الشديد الواقع يوم القيامة على المعذبين، أعاذنا الله تعالى وعباده المؤمنين من عذاب جهنم.

---

(١) إرشاد العقل السليم (68/9).

(٢) حكاه عن مجاهد.

(٣) حكاه عن قتادة.

(٤) حكاه عن السدي.

(٥) حكاه عن ابن زيد.

(٦) النكت والعيون (157/6).

(٧) معالم التنزيل (424/4).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (110/19).

(٩) تفسير القرآن العظيم (451/4).

(١٠) فتح القدير (339/5).

(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (110/19).

فائدة:

والآيات مشـــتملة على وجه بلاغي؛ هو : الاحتباك، قال البقاعي: « فالآية من الاحتباك: ذكر النظر في الأولى دليل على ضده في الثانية، وذكر الفاقرة في الثانية دليل على ضدها في الأولى »[1].

والاحتباك عند أهل البلاغة: « هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه »[2]، والله أعلم بالصواب.

(1) نظم الدرر (253/8).

(2) انظر: التعريفات للجرجاني ص(25).

معنى: ﴿أَمۡشَاجٍ﴾

174- قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الإنسان: 2].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿أَمۡشَاجٖ﴾ أخلاط، يقال: مشجته فهو مشيج، يريد: اختلاط ماء الرجل بماء المرأة »[1].

فهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة تفسيرًا للآية قد رُوي عن مقاتل[2]، وقاله الشافعي[3] أيضًا قبل ابن قتيبة، وهو قول: الطبري[4]، والسمرقندي[5]، وابن أبي زمنين[6]، والواحدي[7]، والفخر الرازي[8]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(429).

(٢) تفسير مقاتل (426/3).

(٣) أحكام القرآن (188/2).

(٤) جامع البيان (203/29).

(٥) بحر العلوم (503/3).

(٦) تفسير القرآن العزيز (69/5).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1157/2).

(٨) التفسير الكبير (209/30).

.... والنسفي[1]، ونظام الدين النيسابوري[2]، النيسابوري[2]، وأبي حيان[3]، وابن كثير[4]، والمحلي[5]، والبقاعي[6]، والألوسي[7]، وابن عاشور[8].

قال الطبري: « وأشبه الأقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ نطفة الرجل ونطفة المرأة؛ لأن الله تعالى وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجًا وهي علقة »[9].

وقال السمرقندي: « ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ يعني: مختلطًا ماء الرجل وماء المرأة، لا يكون الولد إلا منهما جميعًا »[10].

---

(١) مدارك التنزيل (302/4).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (417/6).

(٣) البحر المحيط (383/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (454/4).

(٥) تفسير الجلالين ص(781).

(٦) نظم الدرر (261/8).

(٧) روح المعاني (152/29).

(٨) التحرير والتنوير (373/29).

(٩) جامع البيان (203/29).

(١٠) بحر العلوم (503/3).

وقال ابن كثير: « ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: أخلاط، والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه في بعض، فالأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة »[1].

وذكر الماوردي أقوالاً أُخرى إضافة إلى ما ذكره ابن قتيبة، فقال: « وفي الأمشاج أربعة أقاويل: أحدها: أنه الأخلاط، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة[2]. الثاني أن الأمشاج الألوان، فنطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء[3]. الثالث: أن الأمشاج الأطوار، وهو أن الخلق يكون طورًا نطفة، وطورًا علقة، وطورًا مضغة، ثم طورًا عظيمًا، ثم يكسى العظم لحمًا[4]. الرابع: أن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة[5] »[6].

وسلك عدد من المفسرين نفس الطريقة في إيراد الأقوال معًا -كلها أو بعضها- دون ترجيح أحدها معنى للآية، منهم: والقشيري[7]، والسمعاني[8]، والبغوي[9]، والزمخشري[1]، ....

---

(١) تفسير القرآن العظيم (454/4) بتصرف.

(٢) حكاه عن الحسن وعكرمة.

(٣) حكاه عن ابن عباس ومجاهد.

(٤) حكاه عن قتادة.

(٥) حكاه عن ابن مسعود.

(٦) النكت والعيون (162/6) بتصرف.

(٧) لطائف الإشارات (373/3).

(٨) تفسير القرآن (112/6).

(٩) معالم التنـزيل (426/4).

.... وابن عطية[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والخازن[5]، وابن جزي[6]، وابن عادل[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9].

قال القشيري: « ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط من بين الرجل والمرأة، ويقال: طَوْرًا نطفة، وطورًا علقة، وطورًا عَظْمًا، وطورًا لحمًا »[10].

وقال ابن جزي: « ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: أخلاط، واختلف في معنى الأخلاط هنا؛ فقيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل: اختلاط ماء الرجل والمرأة، وقيل: معناه ألوان وأطوار أي يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة »[11].

---

(١) الكشاف (666/4).

(٢) المحرر الوجيز (408/5).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (120/19).

(٤) أنوار التنـزيل (425/5).

(٥) لباب التأويل (417/6).

(٦) التسهيل لعلوم التنـزيل (166/4).

(٧) الباب في علوم الكتاب (7/20).

(٨) إرشاد العقل السليم (70/9).

(٩) فتح القدير (344/5).

(١٠) لطائف الإشارات (373/3).

(١١) التسهيل لعلوم التنـزيل (166/4) بتصرف.

وقد ردّ الإمام الطبري قول من قال إن المراد بالأمشاج: الأطوار، حيث قال: « وهي [أي النطفة] إذا انتقلت فصارت علقة فقد استحالت عن معنى النطفق فكيف تكون نطفة أمشاجًا وهي علقة »[1].

ونفس المعنى أكّده الفخر الرازي مع الإشارة إلى الراجح، فقال: « الأولى هو أن المراد اختلاط نطفة الرجل والمرأة، لأن الله تعالى وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا صارت علقة فلم يبق فيها وصف أنها نطفة »[2].

وأما الأقوال الأخرى فإنها محتملة على « المعنى المختار لدى كثير من أهل اللغة »[3] في تعريف الأمشاج: « وأنها الأخلاط »[4]، فطالما أنها محمولة « على على المعروف من لغة العرب »[5]، وكلها « محتملة لمعنى الآية »[6]، فيصح حملها عليها، والله أعلم بالصواب.

---

(1) جامع البيان (203/29).

(2) التفسير الكبير (209/30).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (120/19).

(4) انظر: لسان العرب لابن منظور (367/2)، ومختار الصحاح للرازي ص(261).

(5) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

(6) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿مُسْتَطِيرًا﴾

175- قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الإنسان: 7].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: فاشيًا منتشرًا، يقال: استطار الحريق؛ إذا انتشر، واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء »[1].

كل المفسرين إلا قليلاً على المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، وأن معنى ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي: فاشيًا منتشرًا، فقد روي هذا عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، ومقاتل[3]، وقاله: الطبري[4]، والسمرقندي[5]، والواحدي[6]، والبغوي[7]،...

....

(١) تفسير غريب القرآن ص(429).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(495).

(٣) تفسير مقاتل (427/3).

(٤) جامع البيان (209/29).

(٥) بحر العلوم (504/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1158/2).

(٧) معالم التنـزيل (428/4).

والزمخشري[1]، وابن عطية[2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، ونظام الدين النيسابوري[5]، والخازن[6]، وابن جزي[7]، وأبوحيان[8]، وابن كثير[9]، كثير[9]، والمحلي[10]، وابن عادل[11]، والبقاعي[12]، وأبوالسعود[13]، والشوكاني[14]، والألوسي[15]، والسعدي[16]، وابن عاشور[17].

---

(١) الكشاف (668/4).

(٢) المحرر الوجيز (410/5).

(٣) أنوار التنـزيل (427/5).

(٤) مدارك التنـزيل (303/4).

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (412/6).

(٦) لباب التأويل (191/7).

(٧) التسهيل لعلوم التنـزيل (167/4).

(٨) البحر المحيط (384/8).

(٩) تفسير القرآن العظيم (455/4).

(١٠) تفسير الجلالين ص(782).

(١١) اللباب في علوم الكتاب (21/20).

(١٢) نظم الدرر (267/8).

(١٣) إرشاد العقل السليم (72/9).

(١٤) فتح القدر (347/5).

(١٥) روح المعاني (155/29).

(١٦) تيسير الكريم الرحمن ص(901).

(١٧) التحرير والتنوير (383/29).

وقيل في معنى ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أقوال آخر، فقال ابن أبي زمنين: « ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي: قاسيًا »[1].

وحكى الماوردي معنى ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ وقال: إن فيها وجهان: « أحدهما: فاشيًا[2] [يعني نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة]، الثاني: ممتدًا[3] »[4].

وقد جمع القشيري عند تفسير للآية، المعاني الثلاثة كلها، فقال: « ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: فاشياً، منتشراً، ممتداً »[5].

وحكى الأقوال أيضًا كلها أو بعضها دون ترجيح بينها: السمعاني[6]، والفخر الرازي[7]، والقرطبي[8].

فالظاهر -والله أعلم- حمل الآية على المعنى الذي ذكره ابن قتيبة وموافقوه، وأن ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ تعني: فاشيًا منتشرًا؛ وذلك لكونه: أولاً: قول جمهور المفسرين،

---

(١) تفسير القرآن العزيز (70/5).

(٢) حكاه عن ابن عباس والأخفش.

(٣) حكاه عن الفراء.

(٤) النكت والعيون (166/6).

(٥) لطائف الإشارات (375/3).

(٦) تفسير القرآن (115/6).

(٧) التفسير الكبير (669/30).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (128/19).

و « قول الجمهور مقدم على غيره »[1]، حسب ما هو مقرر في قواعد الترجيح عند المفسرين.

وثانيًا: أنه الوجه الأصح من ناحية اللغة، فقد قال أهل اللغة: « واستطار الغبار إذا انتشر في الهواء، وصبح مستطير: ساطع منتشر، واستطار الفجر وغيره إذا انتشر في الأفق ضوءه فهو مستطير »[2]، ومعلوم أن « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »[3] قاعدة معتبرة عند أهل الفن.

وإن كان لا يمنع إرادة المعاني الأخرى، بأن أهوال يوم القيامة ممتدة وقاسية، ولكن الأصح هو ما سبق ذكره، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور (513/4).

(3) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2)، وقواعد التفسير لخالد السبت (215/1).

معنى: ﴿أُقِّتَتْ﴾

176- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ١١﴾ [سورة المرسلات: 11].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ جُمعت لوقت، وهو: يوم القيامة »[1].

تفسير هذه الآية بأنه يراد بها أن الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم جُعِلَ لها وقت للاجتماع لفصل القضاء، وهو يوم القيامة؛ هذا المعنى هو ما أجمع عليه جمهور المفسرين، وعلى رأسهم إمامهم الصحابي الجليل عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- حيث روي عنه أنه فسّر: « ﴿أُقِّتَتْ﴾ يعني: جُمعت »[2]، ورُوي كذلك عن مقاتل[3]، وقاله: الطبري[4]، والقشيري[5]، والواحدي[6]، والسمعاني[7]،...

(١) تفسير غريب القرآن ص(431).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(497).

(٣) تفسير مقاتل (435/3).

(٤) جامع البيان (233/29).

(٥) لطائف الإشارات (381/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1162/2).

(٧) تفسير القرآن (127/6).

والبغوي([1])، والزمخشري([2])، وابن عطية([3])، والفخر الرازي([4])، والقرطبي([5])، والقرطبي([5])، والبيضاوي([6])، والنسفي([7])، والخازن([8])، وابن جزي([9])، وأبوحيان([10])، والمحلي([11])، والثعالبي([12])، والبقاعي([13])، وأبوالسعود([14])، والشوكاني([15])، والألوسي([16]).

قال الواحدي: « ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ جُمعت لوقت وهو يوم القيامة »([17]).

---

(١) معالم التنزيل (433/4).

(٢) الكشاف (679/4).

(٣) المحرر الوجيز (418/5).

(٤) التفسير الكبير (237/30).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (157/19).

(٦) أنوار التنزيل (433/5).

(٧) مدارك التنزيل (307/4).

(٨) لباب التأويل (196/7).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (171/4).

(١٠) البحر المحيط (396/8).

(١١) تفسير الجلالين ص(784).

(١٢) الجواهر الحسان (377/4).

(١٣) نظم الدرر (284/8).

(١٤) إرشاد العقل السليم (78/9).

(١٥) فتح القدير (357/5).

(١٦) روح المعاني (172/29).

(١٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1162/2).

وقال الخازن: « ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ وقريء وقتت بالواو ومعناهما واحد، أي: جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم »[1].

وقال البقاعي: « ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي: بلّغها الذي لا قدير سواه؛ بأيسر أمر ميقَاتَها الذي كانت تنتظره، وهو وقت قطع الأسباب، وإيقاع الرحمة والثواب للأحباب، وللأعداء النقمة والعقاب، بشهادتهم بعد جمعهم على الأمم بما كان من الجواب »[2].

وحُكِيَ في معنى الآية أقوال أخرى، فأورد السمرقندي قولين آخرين؛ إضافة إلى قول الجمهور، فذكر الثلاثة كلها، فقال: « ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ يعني: جُمعت[3]، وقيل: ﴿أُقِّتَتْ﴾ أي: أوعدت[4]، وقيل: أجلت[5] »[6].

ومثله قال الماوردي[7]، وابن كثير[8].

---

(1) لباب التأويل (196/7).

(2) نظم الدرر (284/8).

(3) وهو قول ابن عباس كما سبقت الإشارة إليه.

(4) حكاه عن إبراهيم النخعي .

(5) حكاه عن مجاهد.

(6) بحر العلوم (510/3) بتصرف.

(7) النكت والعيون (177/6).

(8) تفسير القرآن العظيم (460/4).

والذي يظهر -والله أعلم- إجماعهم على المعنى الأول، والذي قد دلت عليه آية أخرى من كتاب الله تعالى؛ هي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: 109]، فهذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أفضل أنواع التفسير وأحسنها[1]، وقد أجمعوا عليه، وإجماع « الجمهور على المعنى »[2] دليل دليل رجحانه، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (288/1).

معنى: ﴿كِفَاتًا﴾

177- قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المرسلات: 25-26].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أي: تضمكم فيها، والكَفْت: الضم، يقال: أكفتُ إليك كذا؛ أي أضُمُّه إليك. وكانوا يسمّون بقيع الغرقد (كَفْتَةً) لأنها مقبرة تضمُّ الموتى »[1].

جمهور المفسرين أوردوا نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، فقد روي عن ابن عباس[2] -رضي الله عنهما-، ومقاتل[3]، وقاله: الطبري[4]، وابن أبي زمنين[5]، والقشيري[6]، والواحدي[7]، والبغوي[8]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(432).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(497).

(٣) تفسير مقاتل (437/3).

(٤) جامع البيان (236/29).

(٥) تفسير القرآن العزيز (79/5).

(٦) لطائف الإشارات (381/3).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1163/2).

(٨) معالم التنزيل (434/4).

.... والزمخشري[1]، والفخر الرازي[2]، والقرطبي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والخازن[6]، وابن جزي[7]، والمحلي[8]، والثعالبي[9]، وابن عادل[10]، والبقاعي[11]، وأبوالسعود[12]، والسعدي[13]، وابن عاشور[14].

يقول الطبري: « وإنما معنى الكلام ألم نجعل الأرض كفات أحيائكم وأمواتكم، تكفت أحياءكم في المساكن والمنازل فتضمهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم في بطونها في القبور فيدفنون فيها »[15].

---

(١) الكشاف (680/4).
(٢) التفسير الكبير (240/30).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (161/19).
(٤) أنوار التنـزيل (434/5).
(٥) مدارك التنـزيل (308/4).
(٦) لباب التأويل (197/7).
(٧) التسهيل لعلوم التنـزيل (171/4).
(٨) تفسير الجلالين ص(785).
(٩) الجواهر الحسان (378/4).
(١٠) اللباب في علوم الكتاب (75/20).
(١١) نظم الدرر(286/8).
(١٢) إرشاد العقل السليم (80/9).
(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(904).
(١٤) التحرير والتنوير (432/29).
(١٥) جامع البيان (236/29).

وقال البغوي: « ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ وعاء ومعنى الكفت الضم والجمع، يقال: كفت الشيء إذا ضمه وجمعه »[1].

وقال الخازن: « يعني تكفتهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم، وتكفتهم أمواتًا في بطونها في قبورهم »[2].

وفسرها بعض المفسرين بأقوال أخرى إضافة إلى قول الجمهور، فمثلاً قال السمرقندي: « ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ يعني: أوعية للخلق، ويقال موضع القرار، ويقال بتوتًا ومنـــزلاً ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ يعني: ظهرها منازل الأحياء وبطنها منازل الأموات، ويقال: يعني ويضمكم فيها، والكفت الضم »[3].

وقال السمعاني: « ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أي: كفتًا، وقيل مجمعاً، فالكفت هو الضم، ومعنى الكفات هاهنا: هو أن الأرض تضم الخلق أحياء وأمواتًا، فالضم في حال الحياة هو باكتنافهم واستقرارهم على ظهرها، وبعد الممات باكتنافهم في بطنها وهو القبور، وكان بقيع الغرقد يسمى الكفتة وعن الخليل بن أحمد [4]: أن الكفت هو التقلب، وقوله ﴿كِفَاتًا﴾ أي: متلقباً »[5].

---

(١) معالم التنـزيل (434/4).

(٢) لباب التاويل (197/7).

(٣) بحر العلوم (511/3).

(٤) انظر: العين للفراهيدي (341/5).

(٥) تفسير القرآن (129/6).

وإن كان أهل اللغة قد أجمعوا في بيان معنى الكفت أنه الضم، فقال في لسان العرب: « وكفت الشيء يكفته، وكفتَهُ: ضمَّهُ وقبضه، ويقال: كفته الله، أي قبضه الله »[1].

وفي مختار الصحاح: « ك ف ت كفته ضمَّه إليه، وبابه ضرب، والكفات: الموضع الذي يكفت فيه الشيء؛ أي يُضم »[2].

والذي حكاه السمعاني عن الخليل بن أحمد: أن الكفت هو التقليب، فهذا المعنى لا يصح هنا؛ بدلالة السياق، فقد قال تعالى: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ فإن صح ذكر التقليب للأحياء، بأن المراد يتقلبون في أنحاء الأرض، فلا يصح هذا المعنى مع ذكر الأموات، وبناء على القاعدة الترجيحية: « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عن ذلك »[3]. فصح ما ذهب إليه الجمهور في بيان معنى الآية، كما أن إجماعهم قاعدة ترجيحية[4] معتبرة يصار إليها في الترجيح بين الأقوال، والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (79/2).

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي ص(239).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1).

(٤) المرجع السابق (288/1).

معنى: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾

178- قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة النبأ: 14].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ يعني: السحاب، يقال: شبهت بمعاصير الجواري، والمُعْصِر: الجارية التي دنت من الحيض »[1].

والذي قاله ابن قتيبة من أن المعصرات يراد بها السحاب؛ قد ذهب إليه أيضاً من المفسرين: الطبري[2]، والواحدي[3]، وابن عطية[4]، والقرطبي[5]، والمحلي[6]، والبقاعي[7]، والسعدي[8]، وابن عاشور[9].

وقد يراد بالمعصرات: الرياح، فمن المفسرين من حمل معنى الآية على أنه قد يراد بها: السحاب أو الرياح، فمن المفسرين من حمل معنى الآية على أنه قد يراد

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(434).

(2) جامع البيان (4/30).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1166/2).

(4) المحرر الوجيز (424/5).

(5) الجامع لأحكام القرآن (172/19).

(6) تفسير الجلالين ص(787).

(7) نظم الدرر (298/8).

(8) تيسير الكريم الرحمن ص(906).

(9) التحرير والتنوير (25/30).

بها: السحاب أو الرياح، منهم: السمرقندي[1]، وابن أبي زمنين[2]، والفخر الرازي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، وأبوالسعود[6]، والألوسي[7].

وثَمَّ قول يبين المعصرات ربما يراد بها: السماء، وعليه فإن عددا من المفسرين اعتبروا الأقوال الثلاثة: السحاب، الرياح، السماء، محتملة كلها لمعنى الآية، منهم الماوردي[8]، والبغوي[9]، والزمخشري[10]، والخازن[11]، وابن جزي[12]، وأبوحيان[13]، وابن عادل[14]، والشوكاني[15].

---

(١) بحر العلوم (515/4).

(٢) تفسير القرآن العزيز (83/5).

(٣) التفسير الكبير (8/31).

(٤) أنوار التنــزيل (439/5).

(٥) مدارك التنــزيل (310/4).

(٦) إرشاد العقل السليم (88/9).

(٧) روح المعاني (10/30).

(٨) النكت والعيون (184/6).

(٩) معالم التنــزيل (437/4).

(١٠) الكشاف (686/4).

(١١) لباب التأويل (200/7).

(١٢) التسهيل لعلوم التنــزيل (173/4).

(١٣) البحر المحيط (403/8).

(١٤) اللباب في علوم الكتاب (97/20).

(١٥) فتح القدير (364/5).

وقد ردّ السمعاني[1]، وابن كثير[2]، القول بأنه يراد بالمعصرات السماء؛ بأنه « غريب »، لأن « الأغلب من نـــزول الغيث من السحاب دون غيره »[3].
»[3].

واستدل الفخر الرازي بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [سورة الروم: 48] على أن المعصرات يراد بها: الرياح[4]، ولكن استدلال ابن كثير بهذه الآية نفسها على أن المعصرات يراد بها السحاب، حيث قال: « والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [سورة الروم: 48] »[5].

أقول: والذي يظهر –والله أعلم– أن « قول الجمهور »[6]، وهو « أصح الأقوال »[7]، حمل معنى الآية على أن يراد بالمعصرات: السحاب، لدلالة الآيات على ذلك، منها آية سورة الروم المذكورة قريبًا، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ

---

(1) تفسير القرآن (137/6).
(2) تفسير القرآن العظيم (463/4).
(3) انظر: جامع البيان للطبري (4/30).
(4) التفسير الكبير (8/31).
(5) تفسير القرآن العظيم (363/4).
(6) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (424/5).
(7) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (172/19).

ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [سورة الأعراف: 57]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [سورة فاطر: 9]، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن « أفضل أنواع التفسير وأحسنها » [1]، وقال الطبري: « وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذُكرت، والرياح لا ماء فيها فينــزل منها، وإنما ينــزل بها، وكان يصح أن تكون الرياح لو كانت القراءة وأنــزلنا بالمعصرات فإن قال: فإن السماء قد يجوز أن تكون مرادًا بها، قيل: إن ذلك وإن كان كذلك؛ فإن الأغلب من نــزول الغيث من السحاب دون غيره »[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(2) جامع البيان (4/30).

معنى: ﴿مَفَازًا﴾

179- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾ [سورة النبأ: 31].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع الفوز »[1].

وذكر أن المراد بـــ ﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع الفوز، وهو الجنة ونعيمها، موافقين لابن قتيبة، من المفسرين: الطبري[2]، والسلمي[3]، والسمعاني[4]، والفخر الرازي[5]، والقرطبي[6]، وابن جزي[7]، وأبوحيان[8]، والمحلي[9].

قال الطبري: « ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ منجى من النار إلى الجنة، ومخلصاً منها لهم إليها وظفراً بما طلبوا »[1].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(435).

(٢) جامع البيان (17/30).

(٣) حقائق التفسير (369/2).

(٤) تفسير القرآن (141/6).

(٥) التفسير الكبير (19/31).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (183/19).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (174/4).

(٨) البحر المحيط (407/8).

(٩) تفسير الجلالين ص(788).

وقال ابن جزي: « ﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع فوز يعني الجنة »[2].

وروي عن مقاتل في بيان معنى ﴿مَفَازًا﴾: « يعني النجاة من ذلك العذاب الذي سماه للطاغين »[3]، وحكاه معنى للآية أيضاً: ابن أبي زمنين[4]، والشوكاني[5].

لكن عددًا أكبر من المفسرين اعتبروا القولين معاً صالحَيْن لحمل معنى الآية عليهما، منهم: الماوردي[6]، والواحدي[7]، والبغوي[8]، والبيضاوي[9]، والنسفي[10]، ونظام الدين النيسابوري[11]، والخازن[12]، وابن عادل[13]، والبقاعي[14]، والألوسي[1]، والسعدي[2]، وابن عاشور[3].

---

(1) جامع البيان (17/30).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (174/4).

(3) تفسير مقاتل (443/3).

(4) تفسير القرآن العزيز (85/5).

(5) فتح القدير (368/5).

(6) النكت والعيون (188/6).

(7) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (167/2).

(8) معالم التنزيل (439/4).

(9) أنوار التنزيل (442/5).

(10) مدارك التنزيل (312/4).

(11) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (434/6).

(12) لباب التأويل (202/7).

(13) اللباب في علوم الكتاب (115/20).

(14) نظم الدرر (303/8).

قال النسفي: « ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مفعل من الفوز يصلح مصدراً؛ أي نجاةً من كل مكروه وظفراً بكل محبوب، ويصلح للمكان وهو الجنة »[4].

وقال الخازن: « قوله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ أي: فوزًا، أي نجاة من العذاب، وقيل: فوزًا بما طلبوه من نعيم الجنة، ويحتمل أن يفسر الفوز بالأمرين جميعًا، لأنهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب، وفازوا بما حصل لهم من النعيم »[5].

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح هو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه، وأن ﴿مَفَازًا﴾ يراد بها موضع الفوز وهو الجنة، لأن وصولهم إلى الجنة معناه نجاتهم لزامًا بفضل الله تعالى من العذاب، وقد أوضح هذا المعنى وفصّله الفخر الرازي، حيث قال: « و ﴿مَفَازًا﴾ يحتمل أن يكون مصدرًا بمعنى فوزًا وظفرًا بالبغية، ويحتمل أن يكون موضع فوز، والفوز يحتمل أن يكون المراد منه فوزًا بالمطلوب، وأن يكون المراد منه فوزًا بالنجاة من العذاب، وأن يكون المراد مجموع الأمرين، وعندي أن تفسيره بالفوز بالمطلوب أولى من تفسيره بالفوز بالنجاة من العذاب ومن تفسيره بالفوز بمجموع الأمرين أعني النجاة من الهلاك والوصول إلى المطلوب، وذلك لأنه تعالى فسر المفاز بما بعده وهو قوله ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ فيكون المراد

---

(١) روح المعاني (18/30).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(907).

(٣) التحرير والتنوير (46/30).

(٤) مدارك التنـزيل (312/4).

(٥) لباب التأويل (202/7).

من المفاز هذا القدر. فإن قيل: الخلاص من الهلاك أهم من حصول اللذة، فلم أهمل الأهم وذكر غير الأهم؟ قلنا: لأن الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز باللذة والخير، أما الفـوز باللذة والخير فيسـتلزم الخلاص من الهلاك، فكـان ذكر هذا أولى »[1]، والله أعلم بالصواب.

(1) التفسير الكبير (19/31).

معنى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا﴾

180- قال تعالى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا ١﴾ [سورة النازعات: 1].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا﴾ يقال: هي الملائكة تنـــزع النفوس إغراقًا؛ كما يغرق النازع في القوس »(1).

تفسير النازعات بأنه يراد بها: الملائكة؛ قد رُوي هذا القول عن ابن عباس(2) –رضي الله عنهما–، وقاله: الواحدي(3)، والخازن(4)، والمحلي(5)، والسعدي(6).

وهذا القول قد ذكره الغالبية العظمى من المفسرين كأول معنى يذكرونه، ويذكرون بعده أقوالاً أخرى، منهم: الطبري(7)، والسمرقندي(8)،

(1) تفسير غريب القرآن ص(437).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(500).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1169/2).

(4) لباب التأويل (204/7).

(5) تفسير الجلالين ص(789).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(908).

(7) جامع البيان (27/30).

(8) بحر العلوم (519/3).

والماوردي[1]، والقشيري[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]، والقرطبي[7]، والنسفي[8]، وابن جزي[9]، وأبوحيان[10]، وابن كثير[11]، وابن عادل[12]، وابن عاشور[13].

ويأتي بعده في المرتبة من حيث عدد الموردين له القول: إن ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ هي: « النجوم تنـــزع من أفق إلى أفق » أورده الطبري[14]، وابن أبي زمنين[15]، والماوردي[16]، والقشيري[17]،

---

(١) النكت والعيون (192/6).

(٢) لطائف الإشارات (388/3).

(٣) تفسير القرآن (145/6).

(٤) معالم التنـزيل (441/4).

(٥) الكشاف (693/4).

(٦) المحرر الوجيز (430/5).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(٨) مدارك التنـزيل (313/4).

(٩) التسهيل لعلوم التنـزيل (175/4).

(١٠) البحر المحيط (411/8).

(١١) تفسير القرآن العظيم (467/4).

(١٢) اللباب في علوم الكتاب (121/20).

(١٣) التحرير والتنوير (62/30).

(١٤) جامع البيان (27/30).

(١٥) تفسير القرآن العزيز (88/5).

(١٦) النكت والعيون (192/6).

(١٧) لطائف الإشارات (388/3).

.... والسمعاني[1]، والبغوي[2]،

والزمخشري[3]، وابن عطية[4]، والقرطبي[5]، والبيضاوي[6]، والنسفي [7]،

والنسفي[7]، وأبوحيان[8]، وابن كثير[9]، وابن عادل[10]، وابن عاشور[11].

عاشور[11].

وأقوال أخرى وردت في بيان معنى الآية، منها: أن المراد بالنازعات « هو الموت ينـــزع النفوس » فقد أورده الطبري[12] ضمن ما أورد من أقوال، وأيضًا الماوردي[13]، والبغوي[14]، وابن عطية[15]، والقرطبي[1]، وابن كثير[2]، وابن

وابن عادل[3].

---

(١) تفسير القرآن (145/6).

(٢) معالم التـنـزيل (441/4).

(٣) الكشاف (693/4).

(٤) المحرر الوجيز (430/5).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(٦) أنوار التـنـزيل (445/5).

(٧) مدارك التـنـزيل (313/4).

(٨) البحر المحيط (411/8).

(٩) تفسير القرآن العظيم (467/4).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب (121/20).

(١١) التحرير والتنوير (62/30).

(١٢) جامع البيان (27/30).

(١٣) النكت والعيون (192/6).

(١٤) معالم التـنـزيل (441/4).

(١٥) المحرر الوجيز (430/5).

وقيل: إن المراد بـــ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ « هو ملك الموت وحده، ينـــزع روح الكافر حتى إذا بلغ ترقوته غرقه في حلقه، فيعذبه في حياته قبل أن يميته »، فهذا قد رُوي عن مقاتل[4]، وحكاه السمرقندي[5]، والبغوي[6]، والبيضاوي[7].

وقال آخرون: « هي القسيّ تنـــزع بالسهم » حكاه الطبري[8]، والماوردي[9]، والسمعاني[10]، وابن عطية[11]، والقرطبي[12]، وأبوحيان[13].

وقيل: « هم الغزاة الرماة » ذكره البغوي[14]، والزمخشري[1]، والقرطبي[2]، وأبوحيان[3]، وابن عادل[4]، وابن عاشور[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(٢) تفسير القرآن العظيم (467/4).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (121/20).

(٤) تفسير مقاتل (445/3).

(٥) بحر العلوم (519/3).

(٦) معالم التـنـزيل (441/4).

(٧) أنوار التـنـزيل (445/5).

(٨) جامع البيان (27/30).

(٩) النكت والعيون (192/6).

(١٠) تفسير القرآن (145/6).

(١١) المحرر الوجيز (430/5).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(١٣) البحر المحيط (411/8).

(١٤) معالم التـنـزيل (441/4).

وقيل المراد: « خيل الغزاة التي تنــزع في أعنتها نــزعًا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها » ذكره القرطبي(6)، وقاله النسفي(7)، وكذلك ابن عادل(8).

وقيل: هي « الوحش تنــزع من الكلأ وتنفر » حكاه الماوردي(9)، وأبوحيان(10).

والذي يظهر -والله أعلم- صحة إرادة عموم المعاني الواردة، كما قال الإمام الطبري: « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقًا و لم يخصص نازعة دون نازعة، فكل نازعة غرقًا فداخلة في قَسَمه؛ مَلَكاً كان أو موتاً، أو نجماً، أو قوساً، أو غير ذلك، والمعنى: والنازعات إغراقاً كما يغرق النازع في القوس »(11). وقال القرطبي: « وأراد بالإغراق: المبالغة في النــزع، وهو سائر في جميع وجوه تأويلها »(12)، وهذا على القاعدة

---

(1) الكشاف (693/4).

(2) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(3) البحر المحيط (411/8).

(4) اللباب في علوم الكتاب (121/20).

(5) التحرير والتنوير (62/30).

(6) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(7) مدارك التنــزيل (313/4).

(8) اللباب في علوم الكتاب (121/20).

(9) في النكت والعيون (192/6) عن يحيى بن سلام.

(10) البحر المحيط (411/8).

(11) جامع البيان (27/30).

(12) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

المتبعة عند علماء التفسير « أن الآية إن كانت تحمل معانٍ كلها صحيحة، صحّ الحمل عليها جميعها »[1]، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1) بتصرف.

معنى: ﴿فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾

181- قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠﴾ [سورة النازعات: 10].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾ أي: أول أمرنا، يقال: رجع فلان في حافرته، وعلى حافرته، أي رجع من حيث جاء »[1].

ونفس التفسير الذي ذكره ابن قتيبة، قاله أيضًا بيانًا لمعنى الآية، من المفسرين: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، وابن أبي زمنين[4]، والقشيري[5]، والواحدي[6]، والزمخشري[7]، والفخر الرازي[8]، والنسفي[9]، ونظام الدين

(1) تفسير غريب القرآن ص(438).

(2) جامع البيان (33/30).

(3) بحر العلوم (520/3).

(4) تفسير القرآن العزيز (89/5).

(5) لطائف الإشارات (389/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1170/2).

(7) الكشاف (694/4).

(8) التفسير الكبير (314/4).

(9) مدارك التنزيل (314/4).

النيسابوري[1]، والمحلي[2]، والبقاعي[3]، وأبوالسعود[4]، والألوسي[5]، والسعدي[6]، وابن عاشور[7].

« وقال بعضهم: الحافرة وجه الأرض التي تحفر فيها قبورهم، سميت الحافرة بمعنى المحفورة، كقوله تعالى: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة: 21] »[8].

« وقال آخرون: الحافرة: النار وما أكثر أسماءها: هي النار، وهي الجحيم، وهي سقر، وهي جهنم، وهي الهاوية، وهي الحافرة، وهي لظى، وهي الحطمة »[9].

والأقوال الثلاثة حكاها مجتمعة عند بيانه لمعنى الآية، من المفسرين: والماوردي[10]، والبغوي[11]، وابن عطية[12]، والقرطبي[13]، .... والخازن[1]، وابن جزي[2]، وأبوحيان[3]، وابن كثير[4].

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (440/6).

(2) تفسير الجلالين ص(789).

(3) نظم الدرر (311/8).

(4) إرشاد العقل السليم (97/9).

(5) روح المعاني (27/30).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(909).

(7) التحرير والتنوير (69/30).

(8) هذه عبارة البغوي في معالم التنزيل (443/4).

(9) حكاه الطبري في جامع البيان (33/30).

(10) النكت والعيون (195/6).

(11) معالم التنزيل (443/4).

(12) المحرر الوجيز (432/5).

(13) الجامع لأحكام القرآن (196/19).

والذي يظهر –والله أعلم– أن القول الثالث: وهو أن الحافرة اسم من أسماء النار؛ بعيد، لوجود قرينة في السياق تردّه وهي قوله تعالى في الآية ﴿لَمَرْدُودُونَ﴾ ويراد به الرجوع، والرجوع يكون لمكان قدم منه الشخص وليس لمكان سيقدُم عليه، والاستدلال على القول الراجح، أوردّ وتضعيف القول المرجوح بدلالة قرينة في السياق؛ قاعدة مهمة متبعة في الترجيح[5] بين الأقوال عند علماء التفسير.

والقولان الآخران محتملان في بيان معنى الآية لصحتهما من ناحية اللغة « والعرب تقول: أتيت فلانًا ثم رجعت على حافرتي؛ أي طريقتي الذي أصعدت فيه خاص، فإن رجع على غيره لم يقل ذلك، وقيل: الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فسماها الحافرة، والمعنى: يريد المحفورة؛ كما قال تعالى: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [سورة الطارق: 6] »[6]، و « حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »[7] قاعدة في الترجيح عند المفسرين، والله أعلم بالصواب.

---

(1) لباب التأويل (206/7).

(2) التسهيل لعلوم التنـزيل (176/4).

(3) البحر المحيط (413/8).

(4) تفسير القرآن العظيم (468/4).

(5) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (299/1).

(6) انظر: لسان العرب لابن منظور (205/4).

(7) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2)، وقواعد التفسير لخالد السبت (215/1).

معنى: ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

182- قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة عبس: 37].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: يصرفه ويصده عن قرابته، ومنه يقال: اغْنِ عني وجهك؛ أي: اصرفه. واغْنِ عني السفيه »[1].

لقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في بيان معنى الآية قوله: « ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: عمل يشغله عن غيره »[2].

ورُوي عن مقاتل في تفسيرها: « يعني إذا وكل بكل إنسان ما يشغله عن هؤلاء الأقرباء »[3].

وقال الطبري: « ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يقول: أمر يغنيه ويشغله عن شأن غيره »[4].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(440).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(5029).

(3) تفسير مقاتل (454/3).

(4) جامع البيان (61/30).

وقال السمرقندي: « ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ يعني: لكل إنسان شغل يشغله عن هؤلاء »[1].

وقال ابن أبي زمنين: « المعنى: يصرفه ويصدّه عن قرابته، يقال: أغن عني وجهك؛ أي: اصرفه »[2].

وأقوال بقية المفسرين في بيان معنى الآية لا تختلف ولا تبتعد عمّا ذكرت، فمنهم: الماوردي[3]، والقشيري[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، والفخر الرازي[8]، والقرطبي[9]، والبيضاوي[10]، ونظام الدين النيسابوري[11]، والخازن[12]، وابن جزي[13]، وأبو حيان[14]، ....

---

(1) بحر العلوم (527/3).

(2) تفسير القرآن العزيز (97/5).

(3) النكت والعيون (209/6).

(4) لطائف الإشارات (395/3).

(5) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1175/2).

(6) تفسير القرآن (162/6).

(7) معالم التنزيل (449/4).

(8) التفسير الكبير (59/31).

(9) الجامع لأحكام القرآن (224/19).

(10) أنوار التنزيل (454/5).

(11) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (449/6).

(12) لباب التأويل (211/7).

(13) التسهيل لعلوم التنزيل (211/4).

(14) البحر المحيط (421/8).

وابن كثير[1]، والمحلي[2]، وابن عادل[3]، وأبوالسعود[4]، والألوسي[5]، والسعدي[6]، وابن عاشور[7].

والذي يظهر من عرض ودراسة أقوال المفسرين في تفسير الآية أن اختلافهم فيها على سبيل تنوع الألفاظ لا الاختلاف والتضاد، وكل عباراتهم اجتمعت على أداء المعنى المراد، فاتفقوا في بيان المعنى، والله أعلم بالصواب.

---

(1) تفسير القرآن العظيم (474/4).

(2) تفسير الجلالين ص(793).

(3) اللباب في علوم الكتاب (171/20).

(4) إرشاد العقل السليم (113/9).

(5) روح المعاني (48/30).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(911).

(7) التحرير والتنوير (136/30).

معنى: ﴿كُشِطَتۡ﴾

183- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ [سورة التكوير: 11].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ أي: نـزعت فطويت كما يقشط الغطاء عن الشيء »[1].

وبدراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآية تبين تقاربها وتشابهها، فقد قال الطبري: « ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ يقول تعالى ذكره وإذا السماء نـزعت وجذبت ثم طويت والقشط والكشط بمعنى واحد وذلك تحويل من العرب الكاف قافًا لتقارب مخرجيهما، كما قيل للكافور قافور، وللقسط كسط، وذلك كثير في كلامهم إذا تقارب مخرج الحرفين أبدلوا من كل واحد منهما صاحبه »[2].

وقال ابن أبي زمنين: « ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ أي: طويت، يقال: كشطت السقف؛ أي: قلعته، فكأن المعنى: قُلعت فطويت »[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(448).

(2) جامع البيان (73/30)، وانظر مسألة تحويل الكاف قافًا لتقارب مخرجيهما: تهذيب اللغة للأزهري (7/10)، ولسان العرب لابن منظور (387/7)، ومختار الصحاح للرازي ص(238).

(3) تفسير القرآن العزيز (100/5).

وقال الواحدي: « ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ قُلعت، كما يكشط الغطاء عن الشيء »[1].

وقال البقاعي: « ﴿كُشِطَتۡ﴾ أي: قلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة، وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها، كما يكشط الإهاب عما هو ساتر له ومحيط به مع شدة الالتزاق به؛ لأن ذلك يوم الكشف والإظهار »[2].

وقال السعدي: « ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ أي: أزيلت، كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [سورة الفرقان: 25]، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ﴾ [سورة الأنبياء: 104]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [سورة الزمر: 67] »[3].

وأقوال غير من ذكرت من المفسرين لا تبعد عن أقوال من ذكرت، فمنهم: السمرقندي[4]، والماوردي[1]، والقشيري[2]، والسمعاني[3]، والبغوي[4]،

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1178/2).

(2) نظم الدرر (339/8).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(912).

(4) بحر العلوم (529/3).

والزمخشري[5]، والفخر الرازي[6]، والقرطبي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، والخازن[10]، وابن جزي[11]، وأبوحيان[12]، وابن كثير[13]، والمحلي[14]، وابن عادل[15]، وأبوالسعود[16]، والشوكاني[17]، والألوسي[18]، .... وابن عاشور[19].

وظهر بذلك أن اختلافهم اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وكل عباراتهم أدّت إلى نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، فاتفقوا بذلك، والله أعلم بالصواب.

---

(١) النكت والعيون (215/6).

(٢) لطائف الإشارات (397/3).

(٣) تفسير القرآن (168/6).

(٤) معالم التنـزيل (452/4).

(٥) الكشاف (709/4).

(٦) التفسير الكبير (65/31).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (235/19).

(٨) أنوار التنـزيل (457/5).

(٩) مدارك التنـزيل (319/4).

(١٠) لباب التأويل (214/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنـزيل (181/4).

(١٢) البحر المحيط (425/8).

(١٣) تفسير القرآن العظيم (479/4).

(١٤) تفسير الجلالين ص(794).

(١٥) اللباب في علوم الكتاب (184/20).

(١٦) إرشاد العقل السليم (116/9).

(١٧) فتح القدير (389/5).

(١٨) روح المعاني (56/30).

(١٩) التحرير والتنوير (149/30).

معنى: ﴿بُعۡثِرَتۡ﴾

184- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ [سورة الانفطار: 4].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿بُعۡثِرَتۡ﴾: قُلبت وأُخرج ما فيها، يقال: بعثرتُ المتاع وبحثرته؛ إذا جعلت أسفله أعلاه » [1].

والغالبية العظمى من المفسرين، إن لم يكن كلهم تشابهت أقوالهم وتقاربت في بيان معنى الآية، سأذكر أقوال بعضهم، وأشير إلى الباقين طلباً للاختصار والإفادة، فقال البغوي: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ بحثرت وقلب ترابها، وبعث من فيها من الموتى أحياء، يقال: بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه » [2].

أعلاه » [2].

وقال البيضاوي: « ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ قلب ترابها وأخرج موتاها، وقيل إنه مركب من بعث و (راء) الإثارة كبسمل، ونظيره: بحثر لفظًا ومعنى » [3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(443).

(2) معامل التنـزيل (455/4).

(3) أنوار التنـزيل (460/5).

وقال البقاعي: « ﴿بُعۡثِرَتۡ﴾ أي: نبش ترابها على أسهل وجه عن أهلها فقاموا أحياء كما كانوا، فرأوا ما أفظعهم وهالهم وروّعهم »[1].

وقال أبوالسعود: « ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ أي: قُلب وأخرج موتاها، ونظيره بحثر لفظًا ومعنى، وهما مركبان من البعث والبحث مع (راء) ضمت إليهما»[2].

وقال السعدي: « وبعثرت القبور بأن أخرج ما فيها من الأموات »[3].

وعبارات غيرهم ليست ببعيدة عنهم، منهم: الطبري[4]، والسمرقندي[5]، وابن أبي زمنين[6]، والماوردي[7]، والقشيري[8]، والواحدي[9]، والسمعاني[10]، والفخر الرازي[11]، والقرطبي[12]، والنسفي[13]، ....

---

(1) نظم الدرر (348/8).

(2) إرشاد العقل السليم (120/9).

(3) تيسير الكريم الرحمن (120/9).

(4) جامع البيان (85/30).

(5) بحر العلوم (532/3).

(6) تفسير القرآن العزيز (203/5).

(7) النكت والعيون (220/6).

(8) لطائف الإشارات (399/3).

(9) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (118/2).

(10) تفسير القرآن (172/6).

(11) التفسير الكبير (65/32).

(12) الجامع لأحكام القرآن (244/19).

(13) مدارك التنزيل (321/4).

والخازن[1]، وابن جزي[2]، وأبوحيان[3]، وابن كثير[4]، والمحلي[5]، وابن عادل[6]، عادل[6]، والشوكاني[7]، وابن عاشور[8].

فإجماع « الجمهور »[9] على معنى للآية، علامة رجحانه وصحته، والله أعلم بالصواب.

---

(1) لباب التأويل (216/7).

(2) التسهيل لعلوم التنـزيل (182/4).

(3) البحر المحيط (427/8).

(4) تفسير القرآن العظيم (482/4).

(5) تفسير الجلالين ص(795).

(6) اللباب في علوم الكتاب (497/20).

(7) فتح القدير (395/5).

(8) التحرير والتنوير (172/30).

(9) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

معنى: «المطففين»

185- قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة المطففين: 1-3].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « (المطفف): الذي لا يوفي الكيل، يقال: إناء طفّان؛ إذا لم يكن مملوءًا »[1].

المعنى الذي ذكره ابن قتيبة في تعريف المطففين؛ قد أجمع عليه المفسرون، منهم: الطبري[2]، والسمرقندي[3]، والسلمي[4]، والقشيري[5]، والواحدي[6]، والبغوي[7]، والزمخشري[8]، وابن عطية[9]، والفخر الرازي[10]، .... والقرطبي[1]، والبيضاوي[2]، والنسفي[3]،

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(444).

(٢) جامع البيان (90/30).

(٣) بحر العلوم (534/3).

(٤) حقائق التفسير (380/2).

(٥) لطائف الإشارات (401/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1182/2).

(٧) معالم التنزيل (457/4).

(٨) الكشاف (719/4).

(٩) المحرر الوجيز (449/5).

(١٠) التفسير الكبير (80/31).

والخازن[4]، وابن جزي[5]، وأبوحيان[6]، وابن عادل[7]، والبقاعي[8]، وأبوالسعود[9]، والشوكاني[10]، والألوسي[11]، وابن عاشور[12].

قال الطبري: « ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يطففون؛ يعني للذين ينقصون الناس ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف وهو القليل النزر، والمطفف: المقلل حق صاحب الحق عمّا له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن»[13].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (25/19).

(2) أنوار التنزيل (463/5).

(3) مدارك التنزيل (322/4).

(4) لباب التأويل (218/7).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (183/4).

(6) البحر المحيط (430/8).

(7) اللباب في علوم الكتاب (205/20).

(8) نظم الدرر (354/8).

(9) إرشاد العقل السليم (124/9).

(10) فتح القدير (398/5).

(11) روح المعاني (68/30).

(12) التحرير والتنوير (189/30).

(13) جامع البيان (90/30).

وقال ابن عطية: « والمطفف: الذي ينقص الناس حقوقهم، والتطفيف: النقصان أصله في الشيء الطفيف وهو النـــزر، والمطفف إنما يأخذ بالميزان شيئًا طفيفًا »[1].

وقال ابن الجوزي: « قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنـــزل الله تعالى ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك[2] »[3].

وقال الشوكاني: « والمطفف: المنقص، وحقيقته الأخذ في الكيل أو الوزن شيئًا طفيفاً، أي: نـــزراً حقيراً، قال أهل اللغة: المطفف مأخوذ من الطفف وهو القليل، فالمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن »[4].

فتبين بما ذكر من إجماعهم الراجحُ في بيان معنى الآية، وذلك لأمور، منها:

أنه من تفسير القرآن بالقرآن، فإن قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ « قد فسره ما بعده في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ »[1].

---

(١) المحرر الوجيز (449/5).

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه (748/2) رقم (2223)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (38/2) رقم (2240) بلفظ « **أبخس الناس كيلاً** » وقال: حديث صحيح و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) زاد المسير (52/9).

(٤) فتح القدير (398/5).

وتفسير القرآن بالقرآن « أفضل أنواع التفسير وأحسنها »[2].

وهذا المعنى مؤيد بالحديث الذي رواه ابن عباس -رضي الله عنهما-: « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنـــزل الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك »[3].

كذلك كون اللغة العربية تؤيد المعنى المذكور، فقد قالوا: « ويقال: هذا طفّ المكيال وطفافه إذا قارب ملأه ولما يملأ، ولهذا قيل للذي يسيء الكيل ولا يوفيه مطفف، يعني أنه إنما يبلغ به الطفاف »[4]، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد السالم (454/8).

(٢) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (222/9).

معنى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾

186- قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة المطففين: 27-28].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ يقال: أرفع شراب في الجنة، ويقال: يمزج بماء ينـــزل من تسنيم؛ أي من علو، وأصل هذا من (سنام البعير)، ومنه (تسنيم القبور)، وهذا أعجب إليّ؛ لقول المسيَّب بن عَلَس في وصف امرأة:

كأن بريقتها – للمزا ج من ثلج تسنيم شيبت – عقاراً [1]

أراد: كأن بريقتها عقارًا شيبت للمزاج من ثلج تسنيم؛ يريد جبلاً »[2].

يلاحظ أن ابن قتيبة قد عرض القولين الواردين في بيان معنى الآية، ثم رجّح أن المراد بالتسنيم: أي الماء النازل من علو، وقد وافقه على ذلك كل من:

---

(1) قائل البيت هو: المسيّب بن علس بن مالك بن عمرو بن جماعة بن ظبيعة الشاعر، وقيل اسمه: زهير. انظر: الإكمال لابن ماكولا (41/1)، ونـــزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (178/2)، و لم أقف على بيته المذكور.

(2) تفسير غريب القرآن ص(445).

الطبري[1]، ....

والقشيري[2]، وابن عاشور[3].

قال ابن عاشور: « ووجهوا هذه التسمية بأن هذه العين تصبّ على جنانهم من علوّ فكأنها سنام »[4].

ويرى فريق من المفسرين أن معنى (تسنيم): هو أرفع شراب في الجنة، منهم: السمعاني[5]، وابن جزي[6]، وأبوحيان[7]، والمحلي[8].

قال السمعاني: « هو أشرف شراب لأهل الجنة، يشربه المقربون صرفًا، ويمزج للأبرار »[9].

وقال ابن جزي: « تسنيم: اسم لعين في الجنة، يشرب منها المقربون صرفاً، ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار هم أصحاب اليمين »[10].

---

(1) جامع البيان (108/30).

(2) لطائف الإشارات (404/3).

(3) التحرير والتنوير (208/30).

(4) المرجع السابق.

(5) تفسير القرآن (183/6).

(6) التسهيل لعلوم التنـزيل (185/4).

(7) البحر المحيط (434/8).

(8) تفسير الجلالين ص(798).

(9) تفسير القرآن (183/6) وحكاه عن ابن مسعود وعلقمة.

(10) التسهيل لعلوم التنـزيل (185/4).

واكتفى جمع من المفسرين بإيراد القولين معًا عند تفسيرهم للآية، منهم: والزمخشري[1]، وابن عطية[2]، والفخر الرازي[3]، والبيضاوي[4]، والنسفي[5]، والخازن[6]، وابن عادل[7]، وأبوالسعود[8]، والألوسي[9].

قال النسفي: « ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ ومزاج الرحيق ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾ هو علم لعين بعينها؛ سميت بالتسنيم لأنها أرفع شراب في الجنة، أو لأنها تأتيهم من فوق وتنصب في أوانيهم »[10].

وأما مَنْ جعل المعنيين مترابطين جدًا، فمنهم: السمرقندي[11]، والواحدي[12]، والبغوي[13]، والقرطبي[1]، وابن كثير[2]، .... والبقاعي[3]، والشوكاني[4].

---

(1) الكشاف (724/4).

(2) المحرر الوجيز (453/5).

(3) التفسير الكبير (91/31).

(4) أنوار التنزيل (466/5).

(5) مدارك التنزيل (325/4).

(6) لباب التأويل (222/7).

(7) اللباب في علوم الكتاب (222/20).

(8) إرشاد العقل السليم (129/9).

(9) روح المعاني (76/30).

(10) مدارك التنزيل (325/4) بتصرف يسير.

(11) بحر العلوم (536/3).

(12) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1184/2).

(13) معالم التنزيل (461/4).

قال الواحدي: « ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾ وهو عين ماء تجري في جنة عدن، وهي أعلى الجنان »[5].

وقال القرطبي: « ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: ومزاج ذلك الرحيق ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾ وهو شراب ينصب عليهم من علو، وهو أشرف شراب في الجنة، وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع، فهي عين ماء تجري من علو إلى أسفل »[6].

والذي يظهر -والله أعلم- صحة اعتبار المعنيين معًا بترابطهما معنًى للآية، فمعلوم أن الجنة درجات عالية، ولا مانع أن تكون التسنيم هي أشرف العيون في الجنة، ويكون موقعها في مكان عالٍ، فاجتمع المعنيان بناءً على قاعدة: « الآية إن كانت تحمل على عدة معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »[7]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (266/19).

(٢) تفسير القرآن العظيم (488/4).

(٣) نظم الدرر (364/8).

(٤) فتح القدير (403/5).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1184/2).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (266/19).

(٧) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: «الشفق»

187- قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾ [سورة الانشقاق: 16].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « (الشفق) الحمرة التي تُرى بعد مغيب الشمس »[1].

وجمهور المفسرين على هذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة في تفسير الشفق، منهم: الطبري[2]، وابن أبي زمنين[3]،و القشيري[4]، والواحدي[5]، والسمعاني[6]، والبغوي[7]، وابن عطية[8]، والفخر الرازي[9]، والقرطبي[10]، والقرطبي[10]، ....

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(446).

(٢) جامع البيان (119/30).

(٣) تفسير القرآن العزيز (113/5).

(٤) لطائف الإشارات (406/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1187/2).

(٦) تفسير القرآن (191/6).

(٧) معالم التنزيل (464/4).

(٨) المحرر الوجيز (458/5).

(٩) التفسير الكبير (99/31).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (274/19).

والخازن[1]، وابن جزي[2]، وأبوحيان[3]، وابن كثير[4]، والمحلي[5]،و والمحلي[5]،و ابن عادل[6]، والبقاعي[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10]، وابن عاشور[11].

قال الطبري: « وهذا قسم؛ اقسم ربنا تعالى بالشفق، والشفق الحمرة في الأفق من ناحية المغرب من الشمس »[12].

وقال ابن جزي: « ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس »[13].

وقال ابن عاشور: « والشفق: اسم للحمرة التي تظهر في أفق مغرب الشمس إثر غروبها »[1].

---

(1) لباب التأويل (225/7).

(2) التسهيل لعلوم التنـزيل (187/4).

(3) البحر المحيط (439/8).

(4) تفسير القرآن العظيم (490/4).

(5) تفسير الجلالين ص(800).

(6) اللباب في علوم الكتاب (234/20).

(7) نظم الدرر (372/8).

(8) إرشاد العقل السليم (133/9).

(9) فتح القدير (407/5).

(10) روح المعاني (81/30).

(11) التحرير والتنوير (226/30).

(12) جامع البيان (119/30).

(13) التسهيل لعلوم التنـزيل (187/4).

وروي غير ذلك في بيان المراد بالشفق، فقيل: إنه « النهار، وقيل: الشمس[2]، وقيل: ما بقي من النهار[3]، وقيل: السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض[4]، وقيل: إنه البياض[5] »[6].

ولكن هذه الأقوال جميعها لا تقوى أمام إجماع جمهور الصحابة والتابعين وأهل اللغة والفقهاء على القول الأول والذي ذكره وذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه، فقد حُكِيَ هذا القول عن « عمر[7]، وابنه[8]، وابن مسعود[9]، وعبادة[10]، وأبي قتادة[11]، وجابر بن عبدالله[1]، وابن عباس[2]، وأبي هريرة[3]،

---

(١) التحرير والتنوير (226/30).

(٢) حُكي القولان عن مجاهد.

(٣) روي عن عكرمة.

(٤) قاله أبوجعفر محمد بن علي.

(٥) قاله عمر بن عبدالعزيز.

(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (65/9).

(٧) عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين، الفاروق، أبوحفص، استشهد بالمدينة النبوية سنة 23هـ. الإصابة (518/2).

(٨) عبدالله بن عمر بن الخطاب، أبو عبدالرحمن، أسلم مع أبيه وهاجر وهو ابن عشر سنين، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ، توفي سنة 73هـ. الإصابة (347/2).

(٩) عبدالله بن مسعود الهذلي، أبو عبدالرحمن، أسلم قديماً وشهد بدراً، لازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه، أول من جهر بالقرآن الكريم بمكة المكرمة، توفي بالمدينة النبوية سنة 32هـ. الإصابة (368/2).

(١٠) عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي، كان أحد النقباء بالعقبة، شهد بدراً وما بعدها، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، توفي سنة 45هـ. الإصابة (268/2).

(١١) أبوقتادة، الحارث بن ربعي الأنصاري، فارس النبي ﷺ ، شهد أُحداً وما بعدها، توفي بالمدينة النبوية سنة 54هـ. الإصابة (278/1).

وأنس[4]، وابن المسيب[5]، وابن جبير[6]، وطاووس[7]،

....

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري، أحد المكثرين عن النبي ﷺ ، له ولأبيه صحبة، كان مع من شهد العقبة، قال: لم أشهد بدراً ولا أُحداً منعني أبي، فلما قتل لم أتخلف، توفي سنة 78هـ. الإصابة (213/1).

(٢) عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي، ابن عمّ رسول الله ﷺ ، في الصحيح عنه: أن النبي ﷺ ضمه إليه وقال: (اللهم علمه الحكمة)، عن مجاهد: كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه، توفي بالطائف سنة 68هـ. الإصابة (330/2).

(٣) أبوهريرة: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، ، قدم على النبي ﷺ عام خيبر ، ولازمه وأكثر من الرواية عنه، توفي بالمدينة النبوية سنة 57هـ. الإصابة (403/2).

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ ، وأحد المكثرين من الرواية، وفضائله ومناقبه كثيرة جدا، توفي سنة 91هـ. الإصابة (71/1).

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن، الإمام العلم، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، يقول ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، توفي سنة 93هـ. سير أعلام النبلاء (217/4).

(٦) سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أبو محمد ويقال أبو عبد الله الأسدي مولاهم الكوفي أحد الأعلام، جهبذ العلماء، قتل على يد الحجاج الثقفي سنة 95هـ. سير أعلام النبلاء (321/4).

(٧) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن، كان رأسا في العلم والعمل من سادات التابعين وأدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير، وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106هـ. طبقات المفسرين ص(12).

ومكحول[1]، ومالك [2]، والأوزاعي[3]، وأبي يوسف[4]، والشافعي[5]، وأبي عبيد[6]،

.... وأحمد[1] »[2].

---

(١) مكحول الشامي تابعي جليل القدر إمام أهل الشام في زمانه، يقول طفت الأرض كلها في طلب العلم، وكان له وجاهة عند الناس مهما أمر به من شيء يفعل، توفي سنة 113هـ. البداية والنهاية (1916/2).

(٢) مالك بن أنس الحِميري ثم الأصبحي المدني أبوعبدالله، حجّة الأمة، إمام دار الهجرة، طلب العلم صغيراً، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، قال الإمام الشافعي: إذا ذُكر العلماء فمالكٌ النجم، توفي سنة 199هـ. نـزهة الفضلاء (614/2).

(٣) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، أبو عمرو، واحد زمانه وإمام عصره وأوانه، كان يسكن بمحلة الأوزاع بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات، سنة 151هـ. سير أعلام النبلاء (107/7).

(٤) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة وهو المقدم من أصحابه وولى القضاء لثلاثة خلفاء المهدي والهادي والرشيد، توفي ببغداد سنة 182هـ. الجواهر المضية في طبقات الحنفية (220/2).

(٥) أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس القرشي، الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة، صنف التصانيف ودون العلم وبعد صيته وتكاثر عليه الطلبة، وقد أجمع العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدله وزهده وورعه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه، توفي سنة 204هـ، سير أعلام النبلاء (5/10).

(٦) أبوعبيد القاسم بن سلام كان فاضلا في دينه وعلمه، ربانيا متقنا في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والعربية والأخبار، حسن الرواية صحيح النقل، أقام ببغداد مدة طويلة ثم ولى القضاء بطرسوس ثم خرج إلى مكة، في سنة تسع عشرة ومائتين وأقام بها وتوفي بها سنة 214هـ. صفة الصفوة (130/4).

وقول أهل اللغة في ذلك: « والشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الأخيرة »[3].

وعليه واستنادًا إلى قاعدة: « تفسير جمهور السلف مقدم على غيره »[4]، وقاعدة « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »[5]، يترجح المعنى المُجمع عليه، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، الإمام الشهير ناصر السنة، صاحب المسند والزهد وغيرها، الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، تعرض لفتنة خلق القرآن فصبر وثبته الله عز وجل في المحنة، قال علي بن المديني: إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين، أبوبكر يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة، توفي ببغداد عام 241هـ. الزهد ص(10)، سير أعلام النبلاء (177/11).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (65/9).

(٣) هذه عبارة الفراهيدي في كتاب العين (45/5)، وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (261/8)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (198/3)، ولسان العرب لابن منظور (180/10)، ومختار الصحاح للرازي ص(144).

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

(٥) المرجع السابق (369/2).

معنى: «الطارق»

188- قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [سورة الطارق: 1-3].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « (الطارق): النجم؛ سمي بذلك: لأنه يطرق -أي يطلع- ليلاً، وكلّ من أتاك ليلاً فقد طرقك »(1).

ولقد فسّر الطارق بأنه يراد به النجم، وأنّه سمّي بالطارق لأنه يطلع ليلاً ويختفي نهاراً، على اعتبار ما هو معروف أن كل من أتى في الليل سمّي طارقاً، عدد من المفسرين -متفقين مع ابن قتيبة في المعنى المذكور- منهم: الطبري(2)، والسمرقندي(3)، والماوردي(4)، والقشيري(5)، والواحدي(6)، والسمعاني(7)، والسمعاني(7)، والبغوي(8)،

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(449).

(2) جامع البيان (141/30).

(3) بحر العلوم (546/3).

(4) النكت والعيون (245/6).

(5) لطائف الإشارات (412/3).

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1192/2).

(7) تفسير القرآن (202/6).

(8) معالم التنزيل (472/4).

.... وابن

عطية[1]، والقرطبي[2]، والخازن[3]، وابن جزي[4]،

وابن كثير[5]، والمحلي[6]، وابن عادل[7]، وأبوالسعود[8]،

والشوكاني[9]، والألوسي[10]، وابن عاشور[11].

قال الطبري: « أقسم ربنا بالسماء وبالطارق الذي يطرق ليلاً من النجوم المضيئة ويختفى نهاراً، وكل ما جاء ليلاً فقد طرق »[12].

وقال الواحدي: « ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ يعني: النجوم كلها لأن طلوعها

بالليل،وكل ما أتى ليلاً فهو طارق، وقد فسّر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [سورة الطارق: 3] »[1].

---

(1) المحرر الوجيز (464/5).

(2) الجامع لأحكام القرآن (1/20).

(3) لباب التأويل (232/7).

(4) التسهيل لعلوم التنـزيل (191/4).

(5) تفسير القرآن العظيم (498/4).

(6) تفسير الجلالين ص(802).

(7) اللباب في علوم الكتاب (259/20).

(8) إرشاد العقل السليم (140/9).

(9) فتح القدير (418/5).

(10) روح المعاني (94/30).

(11) التحرير والتنوير (258/30).

(12) جامع البيان (141/30).

وقال ابن عاشور: « ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾ وصف مشتق من الطروق، وهو المجيء ليلاً، لأن عادة العرب أن النازل بالحي ليلاً يطرق شيئًا من حجر أو وتد؛ إشعاراً لرب البيت أن تزيلاً نـــزل به، لأن نـــزوله يقضي بأن يضيقوه، فأطلق الطروق على النـــزول ليلاً مجازًا مرسلاً، فغلب الطروق على القدوم ليلاً »[2].

وأضاف الزمخشري[3] وتبعه الفخر الرازي[4]، والنسفي[5]، وأبوحيان[6]، في بيان معنى الطارق، إضافة على « أنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلاً: طارق »، قال: « أو لأنه يطرق الجني، أو يصكّه »[7].

والذي يظهر –والله أعلم– أن المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه، وأن وصف النجم بالطارق على اعتبار المعروف في لغة العرب: أن الطارق هو الذي يأتي في الليل، ولأن النجوم تظهر في الليل وتختفي في النهار هو الأصح لغة[8]، وأهم منه ما ورد من تفسير الطارق بالقادم ليلاً في الحديث الذي رواه

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1192/2).
(2) التحرير والتنوير (258/30).
(3) الكشاف (735/4).
(4) التفسير الكبير (114/31).
(5) مدارك التنـزيل (330/4).
(6) البحر المحيط (447/8).
(7) انظر: الكشاف للزمخشري (735/4).
(8) انظر: لسان العرب لابن منظور (218/10).

جابر بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: **نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً**[1]. فثبوت الحديث وصحته في الدلالة على معنىً مرجّح له على ما خالفه[2]، وكون هذا المعنى مما هو معروف في لغة العرب، فيجب الحمل عليه[3]، وقد أجمع عليه جمهور جمهور السلف فهو مقدم على ما خالفه[4]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (638/2) في أبواب العمرة، باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة.

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (206/1).

(٣) المرجع السابق (369/2).

(٤) المرجع السابق (288/1).

الضريع والغسلين

189- قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [سورة الغاشية 6-7].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « وقوله ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾، وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [سورة الحاقة: 35-36]، فإن النار دركات، والجنة درجات، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات، فمن أهل النار من طعامه الزقوم، ومنهم مَنْ طعامه غسلين، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد.

والضريع: نبت يكون بالحجاز؛ يقال لِرَطْبه: الشِّبرق، لا يُسمن ولا يُشبع.

قال امرؤ القيس[1]:

فأتبعتُهُم طَرْفي وقد حال دونهم

غوارب رمل ذي ألاءٍ وشبرق

وأما قولهم: كيف يكون في النار نبت وشجر، والنار تأكلهما؟

---

(1) امرؤ القيس واسمه جندح بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، كان أبوه ملكاً على بني أسد، فنشأ أميراً، ثم ألف التنقل مع نفر من أصحابه للهو والصيد، ولما قُتل أبوه، أراد الأخذ بالثأر، فلم يجد من يعينه، حتى سار إلى القسطنطينية، فلم يستطع القيصر مساعدته، فعاد خائبًا في شتاء عام 72 ق. هـ (540م) وأصيب بالجدري ومات.

انظر: طبقات فحول الشعراء للجمحي (51/1)، وشرح المعلقات السبع للزوزني ص(7).

فإنه لم يُرد فيما يرى أهل النظر -والله أعلم- أن الضريع بعينه ينبت في النار، ولا أنهم يأكلونه، والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس، وإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هُزْلا.

فأراد أن هؤلاء قوم يقتاتون ما لا يشبعهم، وضرب الضريع لهم مثلاً، أو يعذَّبون بالجوع كما يُعذَّب من قوته الضريع »[1].

ولقد ذهب عدد من المفسرين في الجمع بين الضريع والغسلين إلى مثل ما ذكره ابن قتيبة، وأن العذاب في النار أبواب فمنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الغسلين إلخ، فممن ذكر ذلك: الزمخشري[2]، والبيضاوي[3]، والنسفي[4]، ونظام الدين النيسابوري[5]، والخازن[6]، وأبوحيان[7]، وابن عادل[8]، وأبوالسعود[9]، والشوكاني[10].

(1) تأويل مشكل القرآن ص(86).
(2) الكشاف (745/4).
(3) أنوار التنزيل (334/4).
(4) مدارك التنزيل (334/4).
(5) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (489/6).
(6) لباب التأويل (238/7).
(7) البحر المحيط (457/8).
(8) اللباب في علوم الكتاب (295/20).
(9) إرشاد العقل السليم (149/9).
(10) فتح القدير (429/5).

قال الزمخشري: « فإن قلت: كيف قيل ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ وفي الحاقة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: 36]، قلت: العذاب ألوان، والمعذبون طبقات؛ فمنهم أكلة الزقوم(1)، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع »(2).

»(2).

وقال الشوكاني: « وقد تقدم في سورة الحاقة ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ والغسلين غير الضريع، وجمع الآيتين: بأن النار دركات؛ فمنهم من طعامه الضريع، ومنهم من طعامه الغسلين »(3).

وقيل: « إنه ربما يكون هذا في حال والآخر في حال »(4)، وهذا القول فيما يظهر داخل تحت القول الأول، فيكون من عذاب أهل النار أنهم في أحوال يأكلون الغسلين، وفي أحوال يأكلون الضريع وهكذا.

وثَمَّ رأي « أن الضريع والغسلين واحد »(5).

---

(1) الوارد في قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝٦٢﴾ [الصافات: 62] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [سورة الدخان: 43-44].

(2) الكشاف (745/4).

(3) فتح القدير (429/5).

(4) ذكره ابن جزي ولم يرجحه، انظر: التسهيل لعلوم التنـزل (195/4).

(5) ذكره السمعاني ولم يرجحه، انظر: تفسير القرآن (216/6).

وعليه فإن من المفسرين مَنْ ذكر القولين معًا تفسيرًا وبيانًا لمعنى الآية، منهم: السمعاني ([1])، وابن عطية ([2])، .... والفخر الرازي ([3])، والقرطبي ([4])، والألوسي ([5]).

والذي يظهر -والله أعلم- أنه « يجوز أن تحمل الآيتان على الحالتين »([6])، »([6])، فإذا كان الضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فإنه أيضًا « الغسلين طعام لا ينفع، ولا يغنيهم من شيء، فإن الكل بمعنى واحد »([7])، والله أعلم بالصواب.

---

(1) المرجع السابق.

(2) المحرر الوجيز (362/5).

(3) التفسير الكبير (139/31).

(4) الجامع لأحكام القرآن (30/20).

(5) روح المعاني (113/30).

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (30/20).

(7) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (216/6).

معنى: ﴿كَبَدٍ﴾

190- قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة البلد: 4].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿فِى كَبَدٍ﴾ في شدة غلبة ومكابدة لأمور الدنيا والآخرة »[1].

لقد وافق الإمام ابن قتيبة على ما ذهب إليه بيانًا لمعنى ﴿فِى كَبَدٍ﴾ جم غفير من المفسرين، منهم: الطبري[2]، وابن أبي زمنين[3]، والواحدي[4]، وابن عطية[5]، والفخر الرازي[6]، والقرطبي[7]، والبيضاوي[8]، والنسفي[9]، وابن تيمية[10]، وابن جزي[11]، وأبوحيان[1]، والمحلي[2]، والبقاعي[3]، وأبوالسعود[4]، والشوكاني[5]، والألوسي[6].

(1) تفسير غريب القرآن ص(454).

(2) جامع البيان (196/30).

(3) تفسير القرآن العزيز (133/5).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1203/2).

(5) المحرر الوجيز (484/5).

(6) التفسير الكبير (165/31).

(7) الجامع لأحكام القرآن (62/20).

(8) أنوار التنـزيل (492/5).

(9) مدارك التنـزيل (340/4).

(10) مجموع فتاوى ابن تيمية/ التفسير (316/13).

(11) التسهيل لعلوم التنـزيل (200/4).

قال الطبري: « وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك أنه خلق يكابد الأمور ويعالجها، فقوله ﴿فِي كَبَدٍ﴾ معناه في شدة »(7).

وقال الألوسي: « ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: في تعب ومشقة فإنه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى حين نـــزعها وما وراءه، يقال: كبد الرجل كبدًا فهو أكبد؛ إذا وجعته كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة لمقاساة الشدائد »(8).

وثَمَّ أقوال أخرى في تفسير الآية، منها: يقال: « ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ يعني: معتدل الخلق والقامة، وقيل: منتصباً قائماً على رجلين »(9).

و « يقال: خلقه في بطن أمه منتصبًا رأسه، فإذا أذن الله تعالى أن يخرج من بطن أمّه، تنكّس رأسه عند خروجه »(10).

(1) البحر المحيط (470/8).
(2) تفسير الجلالين ص(808).
(3) نظم الدرر (428/8).
(4) إرشاد العقل السليم (161/9).
(5) فتح القدير (443/5).
(6) روح المعاني (135/30).
(7) جامع البيان (196/30).
(8) روح المعاني (135/30).
(9) ذكرهما السمرقندي في بحر العلوم (559/3).
(10) ذكره القشيري في لطائف الإشارات (422/3).

ومنها: يقال: « ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني: آدم -عليه السلام- ﴿فِي كَبَدٍ﴾ أي: في وسط السماء »[1].

والذي يظهر -والله أعلم- أن القول الأول هو « الصحيح »[2]، وهو « اللائق بالآية »[3]، وهو « الظاهر »[4].

أما الأقوال الأخرى فقد ردّها ووصفها بأنها « ضعيفة » ابن جزي[5]، وأبوحيان[6]، والألوسي[7]، وقال ابن عاشور: « لا يساعد عليها السياق »[8].

»[8].

وتبين بهذا رجحان ما ذهب إليه ابن قتيبة و « الأكثرون »[9]، فقول «الجمهور مقدم على غيره»[10]، ولأنه هو « المعروف في كلام العرب من معاني الكبد »[1]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (128/9) عن ابن زيد.

(2) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (484/5)، والتسهيل لعلوم التنـزيل لابن جزي (200/4).

(3) انظر: التفسير الكبير للرازي (165/31).

(4) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (470/8).

(5) التسهيل لعلوم التنـزيل (200/4).

(6) البحر المحيط (470/8).

(7) روح المعاني (135/30).

(8) التحرير والتنوير (352/30).

(9) انظر: التفسير الكبير للرازي (165/31).

(10) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).



(1) انظر: جامع البيان للطبري (196/30)، وانظر: قاعدة: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب » قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿دَسَّىٰهَا﴾

191- قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الشمس: 9-10].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿دَسَّىٰهَا﴾ أي: دسّ نفسه –أي أخفاها– بالفجور والمعصية.

والأصل من (دست) فقلبت السين ياء، كما قالوا: قصّيت أظفاري؛ أي: قصصتها »[1].

والموافقون لابن قتيبة على المعنى المذكور، منهم: السمرقندي[2]، والبيضاوي[3]، وابن تيمية[4]، وابن جزي[5]، والمحلي[6]، والبقاعي[7]، وأبوالسعود[8]، والشوكاني[1]، والسعدي[2]، وابن عاشور[3].

---

(1) تفسير غريب القرآن ص(456).

(2) بحر العلوم (563/3).

(3) أنوار التنـزيل (496/5).

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية/ التفسير (231/16).

(5) التسهيل لعلوم التنـزيل (202/4).

(6) تفسير الجلالين ص(810).

(7) نظم الدرر (441/8).

(8) إرشاد العقل السليم (164/9).

قال السعدي: « أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليس حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب والذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها »(4).

وقال ابن عاشور: « ومعنى ﴿دَسَّىٰهَا﴾ حال بينها وبين فعل الخير، وأصل فعل دسّى: دسّ، إذا أدخل شيئًا تحت شيء فأخفاه، فأبدلوا الحرف المضاعف ياء طلبًا للتخفيف »(5).

ويرى فريق آخر من المفسرين أن معنى ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ يعني: « وقد خاب في طلبته فلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح من دساها، يعني من دس الله نفسه فأخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله تعالى »(6).

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس(7) -رضي الله عنهما-، .... وقول الطبري(1)، وابن أبي زمنين(2)، والواحدي(3)، والفخر الرازي(4)، والخازن(5)، وأبوحيان(6)، وابن عادل(7).

---

(١) فتح القدير (449/5).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(926).

(٣) التحرير والتنوير (371/30).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(926).

(٥) التحرير والتنوير (371/30).

(٦) هذه عبارة الطبري في جامع البيان (212/30).

(٧) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(512).

ومن المفسرين من لم يرجح قولاً دون قول، وإنما ذكر القولين معاً على اعتبار احتمالهما لمعنى الآية، منهم: القشيري[8]، والسمعاني[9]، والبغوي[10]، وابن عطية[11]، والقرطبي[12]، والنسفي[13]، ونظام الدين النيسابوري[14]، وابن كثير[15].

فمثلاً قال ابن كثير: « ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله -عَزَّوَجَلَّ-، وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه »[16].

---

(١) جامع البيان (212/30).

(٢) تفسير القرآن العزيز (137/5).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1207/2).

(٤) التفسير الكبير (176/31).

(٥) لباب التأويل (252/7).

(٦) البحر المحيط (475/8).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (362/20).

(٨) لطائف الإشارات (425/3).

(٩) تفسير القرآن (233/6).

(١٠) معالم التنزيل (493/4).

(١١) المحرر الوجيز (488/5).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (77/20).

(١٣) مدارك التنزيل (342/4).

(١٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (508/6).

(١٥) تفسير القرآن العظيم (517/4).

(١٦) المرجع السابق.

الذي يظهر -والله أعلم- أن الآية يصح حملها على المعنيين معاً، فعلى القول الأول وأن فعل التزكية أو التدسية عائد إلى النفس؛ أي: كل نفس، وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [سورة الشمس: 8]، وقال في السورة التي قبلها وهي سورة البلد ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [سورة البلد: 10]، فربنا تبارك وتعالى قد بيّن لعباده طريق الخير وطريق الشر، طريق التقوى وطريق الفجور، وعلى الإنسان العمل والمجاهدة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت: 69]، فبهذا يصح حمل الآية على هذا الوجه.

وعلى القول الآخر المبني على نسبة فعل التزكية والتدسية إلى الله تبارك وتعالى، فهو يؤيده حديث: « **اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكّاها أنت وليها ومولاها** »(1).

وبناء على ما سبق وكون الأوجه المذكورة « كلها صحيحة، صح حمل معنى الآية عليها »(2)، والله أعلم بالصواب.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (2088/4) حديث رقم (2722) من حديث زيد بن أرقم -رضي الله عنه-.

(2) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿سَجَىٰ﴾

192- قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ [سورة الضحى: 1-2].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: إذا سكن، وذلك عند تناهي ظلامه وركوده »(1).

ولقد وافق ابن قتيبة على القول الذي ذهب إليه في تفسير ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ من المفسرين: الطبري(2)، والواحدي(3)، وابن عطية(4)، ونظام الدين

(1) تفسير غريب القرآن ص(459).
(2) جامع البيان (229/30).
(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1210/2).
(4) المحرر الوجيز (493/5).

النيسابوري[1]، وابن جزي[2]، والمحلي[3]، وابن عادل[4]، وأبوالسعود[5]، والشوكاني[6]، والألوسي[7].

قال الطبري: « وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: معناه: والليل إذا سكن وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج؛ إذا كان ساكنًا. ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم   وبحرك ساج ما يواري الدعامصا[8]

»[9].

وقال ابن عطية: « ﴿سَجَىٰ﴾ معناه: سكن واستقر ليلاً تاماً »[10].

وثم تأويلات أخرى في بيان معنى الآية، منها: « أقبل[1]، وقيل: إذا أظلم[2]، وقيل: إذا استوى[3]، وقيل: إذا ذهب[4] »[5].

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (514/6).

(٢) التسهيل لعلوم التنـزيل (204/4).

(٣) تفسير الجلالين ص(811).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (380/20).

(٥) إرشاد العقل السليم (169/9).

(٦) فتح القدير (457/5).

(٧) روح المعاني (153/30).

(٨) البيت في ديوان الأعشى ص(109)، ولكنه قال:

أتوعدني أن جاش بحر ابن عمكم   وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

وتقدمت ترجمة الأعشى.

(٩) جامع البيان (229/30).

(١٠) المحرر الوجيز (493/5).

وزاد القرطبي أقوالاً حيث ذكر أن من معاني ﴿سَجَىٰ﴾: « سكن، وأظلم، وغطى »[6].

وعدد من المفسرين أيضًا اكتفى بسرد الأقوال كلها أو بعضها دون ترجيح قول بعينه بيانًا لمعنى الآية، منهم: ابن أبي زمنين[7]، والقشيري[8]، والسمعاني[9]، والبغوي[10]، والزمخشري[11]، والفخر الرازي[12]، والقرطبي[13]، والبيضاوي[14]، والخازن[15]، وأبو حيان[16]، والبقاعي[17].

---

(1) قاله سعيد بن جبير.

(2) روى عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(3) قاله مجاهد.

(4) رواه ابن حنظلة عن ابن عباس.

(5) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (291/6) بتصرف.

(6) الجامع لأحكام القرآن (91/20).

(7) تفسير القرآن العزيز (141/5).

(8) لطائف الإشارات (429/3).

(9) تفسير القرآن (242/6).

(10) معالم التنزيل (498/4).

(11) الكشاف (770/4).

(12) التفسير الكبير (188/31).

(13) الجامع لأحكام القرآن (91/20).

(14) أنوار التنزيل (501/5).

(15) لباب التأويل (258/7).

(16) البحر المحيط (480/8).

(17) نظم الدرر (453/8).

والذي يظهر -والله أعلم- أن القول « الأول أصح »[1]، وهو « الأقرب في الاشتقاق »[2]، وهو « الأشهر في اللغة »[3]، حيث قالوا: ﴿سَجَىٰ﴾ معناه: سكن ودام، كما يقال: بحر ساج، وليل ساج إذا ركد وأظلم »[4]، وقاعدة: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »[5] تؤيد ذلك، والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (493/5).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (204/4).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (380/20).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (370/14).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾

193- قال تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ [سورة الشرح: 2-3].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ أي: إثمك، وأصل الوزْرِ: ما حمله الإنسان على ظهره، فشبّه الإثم بالحمل، فجعل مكانه »(1).

ووافق ابن قتيبة من المفسرين: الطبري(2)، وابن أبي زمنين(3)، والفخر الرازي(4)، والقرطبي(5)، وأبوحيان(6)، والبقاعي(7)، والسعدي(8).

قال الطبري: « ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ يقول: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها »(9).

---

(1) تأويل مشكل القرآن ص(114).
(2) جامع البيان (234/30).
(3) تفسير القرآن العزيز (143/5).
(4) التفسير الكبير (5/32).
(5) الجامع لأحكام القرآن (105/20).
(6) البحر المحيط (484/8).
(7) نظم الدرر (461/8).
(8) تيسير الكريم الرحمن ص(929).
(9) جامع البيان (234/30).

ومما ورد في بيان معنى ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ ما قاله السمرقندي: « ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ يعني: غفرنا لك ذنبك؛ كقوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح: 2]، ويقال: غفرنا لك ذنبك أي زلتك بترك الاستثناء، ويقال: معناه ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ يعني: عصمناك من الذنوب »[1].

وما قاله الواحدي: « ﴿وَوَضَعۡنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ ما سلف منك في الجاهلية، وقيل: يعني الخطأ والسهو، وقيل: معناه حففنا عليك أعباء النبوة، والوزر في اللغة: الحمل الثقيل »[2].

وما قاله ابن عطية: « والوزر الذي وضعه الله تعالى عنه هو عند بعض المتأولين: الذي كان رسول الله ﷺ وحيرته قبل المبعث؛ إذ كان يرى سوء ما قريش فيه من عبادة الأصنام، وكان لم يتجه له من الله تعالى أمر واضح، فوضع الله تعالى عنه ذلك الثقل بنبوته وإرساله، وقيل المعنى: خففنا عليك أثقال النبوة وأعنّاك على الناس »[3].

---

(1) بحر العلوم (569/3).

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1212/2).

(3) المحرر الوجيز (496/5).

وما قاله النسفي: « ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها، وقيل: هو زلة لا تعرف بعينها وهي ترك الأفضل مع إتيان الفاضل، والأنبياء يعاتبون بمثلها، ووضعه عنه أن غفر له، والوزر الحمل الثقيل »[1].

والذي يظهر -والله أعلم- أن الراجح في بيان معنى ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ هو ما أجمع عليه « جمهور المفسرين أن الوزر هنا الذنوب، وأصله الثقل، فشبهت الذنوب به، وأن هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح: 2] »[2].

وممن ذكر هذا المعنى: السمرقندي[3]، والسمعاني[4]، والفخر الرازي[5]، والقرطبي[6]،..
والخازن[7]، وابن جزي[8]، وابن عادل[1].

---

(١) مدارك التنـزيل (346/4).

(٢) حكى إجماع الجمهور ابن عطية في المحرر الوجيز (496/5)، وابن جزي في التسهيل لعلوم التنـزيل (206/4).

(٣) بحر العلوم (569/3).

(٤) تفسير القرآن (249/6).

(٥) التفسير الكبير (5/32).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (105/20).

(٧) لباب التأويل (262/7).

(٨) التسهيل لعلوم التنـزيل (206/4).

فتبين أن ما أجمع عليه الجمهور هو الراجح في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) اللباب في علوم الكتاب (399/20).

معنى: ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾

194- قال تعالى : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦﴾ [سورة التين: 4-6].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ والسافلون: هم الضعفاء والزمنى والأطفال، ومن لا يستطيع حيلة، ولا يجد سبيلا، وتقول: سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون، كما تقول: علا يعلو فهو عالٍ وهم عالون، وهو مثل قوله سبحانه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ [سورة النحل: 70]، [وسورة الحج: 5] وأراد أن الهَرِم [1] يَخْرَفُ ويُهْتِرُ[2] وينقص خلقه، ويضعف بصره وسمعه، وتقلّ حيلته، ويعجز عن عمل الصالحات؛ فيكون أسفل من هؤلاء جميعًا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في وقت القوة والقدرة، فإنهم في حال الكبير غير منقوصين، لأنا نعلم أنّا لو لم نسلبهم القدرة والقوة لم يكونوا ينقطعون

(1) الهرم: أقصى الكبر، هَرِم يَهْرَم، فهو هرم. انظر: لسان العرب لابن منظور (607/12).
(2) الهُتــر: ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن. المرجع السابق (249/5).

عن عمل الصالحات، فنحن نجري لهم أجر ذلك ولا نمنه، أي: لا نقطعه ولا ننقصه، وهو معنى قول المفسرين »[1].

المعنى الذي ذكره ابن قتيبة روي عن مقاتل[2]، وقاله الطبري[3]، والسمرقندي[4]، وابن عطية[5]، والقرطبي[6]، والمحلي[7].

قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة قول من قال معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل »[8].

وهذا القول مبني على أن الاستثناء في ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ استثناء منقطع.

أما غالبية المفسرين فقد ذكروا القولين معاً دون ترجيح عند تفسير الآية، أعني المبني على كون الاستثناء منقطعاً، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه، والقول الآخر المبني على أن الاستثناء متصل، منهم: الماوردي[9]، والسمعاني[10]،

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص(202)، وتفسير غريب القرآن ص(461).

(٢) تفسير مقاتل (498/3).

(٣) جامع البيان (245/30).

(٤) بحر العلوم (571/3).

(٥) المحرر الوجيز (500/5).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (115/20).

(٧) تفسير الجلالين ص(813).

(٨) جامع البيان (245/30).

(٩) النكت والعيون (302/6).

والسمعاني[1]، والبغوي[2]، والزمخشري[3]، والفخر الرازي[4]، والنسفي[5]، والنسفي[5]، والخازن[6]، وابن جزي[7]، وأبوحيان[8]، وأبوالسعود[9]، والألوسي[10].

قال الماوردي: « ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة[11]، ويكون أسفل بمعنى بعد التمام، الثاني: بعد الكفر[12]، ويكون أسفل السافلين محمولاً على الدرك الأسفل من النار »[13].

وقال ابن جزي: « ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين: 4] فيه قولان: أحدهما: أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب

---

(١) تفسير القرآن (254/6).

(٢) معالم التنزيل (505/4).

(٣) الكشاف (779/4).

(٤) التفسير الكبير (12/32).

(٥) مدارك التنزيل (347/4).

(٦) لباب التأويل (266/7).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (207/4).

(٨) البحر المحيط (485/8).

(٩) إرشاد العقل السليم (176/9).

(١٠) روح المعاني (175/30).

(١١) حكاه عن الضحاك والكلبي.

(١٢) حكاه عن مجاهد وأبي العالية.

(١٣) النكت والعيون (302/6).

والقوة، وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف، فهو كقوله تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ [سورة يس: 68]، وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [سورة الروم: 54].

وقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ بعد هذا غير متصل بما قبله، والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى (لكن) لأنه خارج عن معنى الكلام الأول.

والقول الآخر: أن حسن التقويم: الفطرة على الإيمان، وأسفل سافلين: الكفر، أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل، لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين »[1].

والذي يظهر -والله أعلم- أن كلا القولين صالحين لحمل معنى الآية عليهما، والخلاف المذكور راجع إلى المسألة اللغوية هل الاستثناء متصل أو منقطع، وليس من وجه في تقوية أحد القولين على الآخر، والمعنى على كلا الحالتين يصلح أن يكون تفسيرًا وبيانًا لمعنى الآتي[2]، والله أعلم بالصواب.

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (207/4).

(2) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1)، قاعدة: الآية إن كانت تحتمل معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها.

المراد بـ: ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾

195- قال تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [سورة العلق: 17-18].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله-: « ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ هم: الشُّرط، في كلام العرب[1]، وهو مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، كأنهم يدفعون أهل النار إليها »[2].

فابن قتيبة فسّر ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ بمعناها اللغوي، وهو الدفع، فكأنه يشير إلى أن المقصود خزنة النار حيث إنهم يدفعون الكفار في النار دفعًا.

وبنفس الأسلوب، أقصد بيان المعنى اللغوي للفظ (زبانية) بما يفهم من الإشارة إلى أن المراد هم خزنة جهنم، أو ملائكة العذاب، أو الملائكة الغلاظ الشداد، فسرها: السمرقندي[3]، والبغوي[4]، والزمخشري[5]، وابن عطية[6]،

---

(1) انظر: مختار الصحاح للرازي ص(113).

(2) تفسير غريب القرآن ص(462).

(3) بحر العلوم (575/3).

(4) معالم التنزيل (508/4).

(5) الكشاف (784/4).

(6) المحرر الوجيز (503/5).

والفخر الرازي([1])، والبيضاوي([2])، والنسفي([3])، ونظام الدين النيسابوري([4])، والخازن([5])، وأبوالسعود([6])، والألوسي([7])، وابن عاشور([8]).

قال السمرقندي: « ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ يعني: ملائكة العذاب غلاظ شداد، والزبانية: أخذ من الزبن وهو الدفع، وإنما سمّوا الزبانية لأنهم يدفعون الكفار إلى النار »([9]).

وقال ابن عاشور: « وهذا الاسم مشتق من الزبن: وهو الدفع بشدة، فالزبانية الذين يزبنون الناس، أي: يدفعونهم بشدة، والمراد بهم ملائكة العذاب، ويطلق الزبانية على أعوان الشُرطة »([10]).

وروي عن مقاتل أنه قال: « ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ يعني: خزنة جهنم »([11])، وقاله ابن أبي زمنين([1])، والماوردي([2])، والسعدي([3]).

---

(١) التفسير الكبير (25/32).

(٢) أنوار التنـزيل (512/5).

(٣) مدارك التنـزيل (349/4).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (534/6).

(٥) لباب التأويل (271/7).

(٦) إرشاد العقل السليم (181/9).

(٧) روح المعاني (188/30).

(٨) التحرير والتنوير (452/30).

(٩) بحر العلوم (575/3).

(١٠) التحرير والتنوير (452/30).

(١١) تفسير مقاتل (502/3).

وابن كثير قال إن المراد بالزبانية: « ملائكة العذاب »[4].

ومن المفسرين من ذكر أن المراد بالزبانية « الملائكة الغلاظ الشداد » قاله الواحدي[5]، والسمعاني[6]، والقرطبي[7]، والمحلي[8]، وابن عادل[9]، والشوكاني[10].

فكل ما ذكر عن المفسرين مؤداه واحد، واختلافهم هنا تنوع لا تضاد، فالملائكة الغلاظ الشداد هم خزنة النار، يزبنون أهل النار، أي يدفعون إليها وفيها، « والآية التي لها عدة معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »[11]، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تفسير القرآن العزيز (148/5).

(٢) النكت والعيون (308/6).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(930).

(٤) تفسير القرآن العظيم (529/4).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1217/2).

(٦) تفسير القرآن (259/6).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (126/20).

(٨) تفسير الجلالين ص(815).

(٩) اللباب في علوم الكتاب (424/20).

(١٠) فتح القدير (470/5).

(١١) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿ٱلْقَدْرِ﴾

196- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [سورة القدر: 1-3].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: « ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: ليلة الحكم، كأنه يُقدَّر فيها الأشياء »[1].

هذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ لم أجد من وافقه عليه من المفسرين سوى: الطبري[2]، والسمعاني[3]، وابن جزي[4].

قال الطبري: « في ليلة القدر: وهي ليلة الحكم التي يقضى الله تعالى فيها قضاء السنة، وهو مصدر من قولهم: قدر الله عليّ هذا الأمر فهو يقدر قدراً »[5].

»[5].

(1) تفسير غريب القرآن ص(463).

(2) جامع البيان (258/30).

(3) تفسير القرآن (260/6).

(4) التسهيل لعلوم التنزيل (210/4).

(5) جامع البيان (258/30).

لكن الذي ورد عن الغالبية العظمى من المفسرين تفسيرهم للآية بأكثر من قول يذكرونه عند بيان معنى ﴿لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، فمثلاً قال الماوردي: « وفي تسميتها ﴿لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: لأن الله تعالى قدّر فيها إنـــزال القرآن.

الثاني: لأن الله تعالى يقدّر فيها أمور السنة، أي: يقضيها [1].

الثالث: لعظم قدرها وجلالة خطرها، من قولهم: رجل له قدر[2].

الرابع: لأن للطاعات فيها قدرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً »[3].

وقال الزمخشري: « ومعنى ليلة القدر: ليلة تقدير الأمور وقضائها، ومنه قوله تعالى ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [سورة الدخان: 4]، وقيل: سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي »[4].

وقال ابن الجوزي: « فأما ﴿لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ ففي تسميتها بذلك خمسة أقوال: أحدها: أن القدر: العظمة؛ من قولك: لفلان قدر[5]، ويشهد له قوله تعالى ﴿وَمَا

(١) حكاه عن مجاهد.

(٢) حكاه عن ابن عيسى.

(٣) النكت والعيون (312/6).

(٤) الكشاف (786/4).

(٥) حكاه عن الزهري.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [سورة الأنعام: 91] و [سورة الزمر: 67]، والثاني: أنه من الضيق؛ أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينـــزلون[1]، ويشهد له قوله تعالى ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [سورة الطلاق: 7]، والثالث: أن القدر الحكم؛ كأن الأشياء تقدر فيها [2]، والرابع: لأن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر[3]، والخامس: لأنه نـــزل فيها كتاب ذو قدر، وتنـــزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر[4] »[5].

ونحو مَنْ ذكرت أقوالهم جاءت عبارات غيرهم، منهم: ابن عطية[6]، والفخر الرازي[7]، والقرطبي[8]، والبيضاوي[9]، والنسفي [10]، ونظام الدين النيسابوري[11]، والخازن[12]، وأبو حيان[1]،

---

(١) حكاه عن الخليل بن أحمد.

(٢) حكاه عن ابن قتيبة، وقد تقدم ذكر كلام ابن قتيبة.

(٣) حكاه عن أبي بكر الوراق.

(٤) حكاه عن شيخه علي بن عبيدالله.

(٥) زاد المسير (182/9).

(٦) المحرر الوجيز (505/5).

(٧) التفسير الكبير (28/32).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (131/20).

(٩) أنوار التنـزيل (513/5).

(١٠) مدارك التنـزيل (350/4).

(١١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (536/6).

(١٢) لباب التأويل (271/7).

.... وابن عادل(2)، وأبوالسعود(3)، والشوكاني(4)، والألوسي(5)، والسعدي(6).

بل لقد جمع البقاعي عددًا من الأقوال وربط بينها، فقال: « ولما عظّمه بما ذكر، زاده عظماً بالوقت الذي اختار إنــزاله فيه، ليكون طالعه سعيدًا لما كان أثره حميداً، فقال: ﴿فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي: الليلة التي لها قدر عظيم وشرف كبير، والأعمال فيها ذات قدر وشرف، فكانت بذلك كأنها مختصة بالقدر فلا قدر لغيرها، وتسميتها بذلك لشرفها ولعظيم قدرها، أو أنه يفصل فيها من أم الكتاب مقادير الأمور، فيكتب فيها عن الله تعالى حكم ما يكون من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل، من قولهم: قدر الله عليّ هذا الأمر يقدره قدراً؛ أي: قضاه. وهي الليلة المرادة في سورة الدخان بقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ »(7).

« والواقع أن في السورة ما يدل على إرادة: القدر والرفعة، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة القدر: 2-

---

(1) البحر المحيط (492/8).

(2) اللباب في علوم الكتاب (427/20).

(3) إرشاد العقل السليم (182/9).

(4) فتح القدير (471/5).

(5) روح المعاني (191/30).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(931).

(7) نظم الدرر (491/8).

3]، فالتساؤل بهذا الأسلوب للتعظيم، كقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [سورة القارعة: 1-3] وقوله ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فيه النص صراحة على علو قدرها ورفعها، إذ أنها تعدل في الزمن فوق ثلاث وثمانين سنة وأيضًا كونها اختصت بإنـــزال القرآن فيها، ويتنـــزل الملائكة والروح فيها، وبكونها سلاماً هي حتى مطلع الفجر، لفيه الكفاية بما لم تختص وتشاركها فيه ليلة من ليالي السنة وعليه فلا مانع من أن تكون سميت بليلة القدر، لكونها محلاً لتقدير الأمور في كل سنة، وأنها بهذا وبغيره علا قدرها، وعظم شأنها »([1]).

والظاهر بناء على ما تم عرضه، صحة حمل معنى الآية على جميع الأقوال، لاستناد عدد منها على آيات أخرى من القرآن، وقد مَرَّ ما فعله بعض المفسرين من الربط بين أكثر من قول لإبراز الدلالة على ترابط الأقوال الواردة في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

---

(1) قاله الشيخ عطية محمد السالم في تتمة أضواء البيان (34/9).

معنى: ﴿كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾

197- قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥ ﴾ [سورة الفيل: 5].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « و ﴿مَّأۡكُولِۭ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن يكون المراد: أنه أخذ ما فيه من الحَب فأُكِل، وبقي هو لا حَبَّ فيه.

والآخر: أن يكون المراد: العصفَ مأكولاً للبهائم؛ كما تقول للحنطة: هذا المأكول؛ ولّما يؤكل. وللماء: هذا المشروب؛ ولَما يُشرب. يريد: أنهما مما يؤكل ويُشرب »[1].

لقد ذكر ابن قتيبة قولين من مجمل ثلاثة أقوال واردة عن المفسرين في بيان معنى الآية، فالثالث هو ما قيل فيه: « ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴾ العصف: هو ورق الزرع، ومعناه: كعصف قد أكل ما فيه، والمعنى: أن الله تعالى شبههم بالزرع الذي أكلته الدواب وراثته وتفرقت، و لم يبق من ذلك شيء، فشبّه هلاكهم بذلك »[2].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(471).

(٢) هذه عبارة السمعاني في تفسير القرآن (285/6).

وقال بهذا القول [الثالث] معنىً للآية من المفسرين: السمرقندي[1]،و ابن أبي زمنين[2]، والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والزمخشري[5]، والنسفي[6]، والمحلي[7]، وابن عاشور[8].

لكن فريقًا آخر من المفسرين جمعوا الأقوال الثلاثة عند تفسيرهم للآية، منهم: البغوي[9]، والفخر الرازي[10]، والبيضاوي[11]، والخازن[12]، وابن جزي[13]، وأبوحيان[14]، وابن كثير[15]، وأبوالسعود[16]، والشوكاني[1]، والألوسي[2].

---

(١) بحر العلوم (579/3).

(٢) تفسير القرآن العزيز (164/5).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1233/2).

(٤) تفسير القرآن (285/6).

(٥) الكشاف (806/4).

(٦) مدارك التنزيل (357/4).

(٧) تفسير الجلالين ص(822).

(٨) التحرير والتنوير (551/30).

(٩) معالم التنزيل (529/4).

(١٠) التفسير الكبير (96/32).

(١١) أنوار التنزيل (531/5).

(١٢) لباب التأويل (296/7).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (218/4).

(١٤) البحر المحيط (512/8).

(١٥) تفسير القرآن العظيم (553/4).

(١٦) إرشاد العقل السليم (201/9).

قال البيضاوي: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ كورق زرع وقع فيه الآكال؛ وهو أن يأكله الدود، أو أكل حَبَّه فيبقى صفراً منه؛ أو كتبن أكلته الدواب وراثته »[3].

وقال ابن جزي: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ العصف ورق الزرع وتبنه، والمراد أنهم صاروا رميمًا، وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه؛ الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته، فجمع الهلاك والخسة، ولكن الله تعالى كنّى عن هذا على حسن أدب القرآن، الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود، الثالث: أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقي هو لا شيء »[4].

والذي يظهر –والله أعلم– من هذا العرض لأقوال المفسرين أن الخلاف بينهم في المشهد المشبه به حالة أصحاب الفيل بعد وقوع العذاب عليهم، وإلا فإنهم متفقون في المعنى المراد: وهو هلاكهم.

وبالتالي بناء على قاعدة: « الآية إن كان لها عدة معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »[5]، وعليه فما ذكروه هو من قبيل التنوع في ذكر أنواع المشبه به، وكلها أحوال معروفة عند العرب، والله أعلم بالصواب.

---

(١) فتح القدير (469/5).

(٢) روح المعاني (237/30).

(٣) أنوار التنـزيل (531/5).

(٤) التسهيل لعلوم التنـزيل (218/4).

(٥) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).س

معنى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾

198- ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ [سورة المسد: 4].

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله-: « ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ يعني: النميمة، ومنه يقال: فلان يحطب عليّ؛ إذا أغرى به »[1].

ولقد وافق الواحديُّ ابنَ قتيبة حين قال: « ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ نقالة الحديث الماشيِّ بالنميمة »[2].

لكن فريقًا من المفسرين يرون أن المعنى على ظاهره وأنها كانت تحمل الحطب والشوك وتضعه في طريق رسول الله ﷺ، فمن اختار ذلك: الطبري[3]، وابن أبي زمنين[4]، والزمخشري[5]، وأبو حيان[6]، والمحلي[7].

قال الطبري: « وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك »[1].

»[1].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(475).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1240/2).

(٣) جامع البيان (338/30).

(٤) تفسير القرآن العزيز (171/5).

(٥) الكشاف (821/4).

(٦) البحر المحيط (526/8).

(٧) تفسير الجلالين ص(826).

وفريق آخر فسروا الآية بحملها على المعنيين المذكورين معاً، فقد روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله: « ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ نقالة النميمة، كانت تمشي بالنميمة بين المسلمين والكافرين، ويقال: كانت تأتي بالشوك فتطرحه في طريق النبي ﷺ »[2].

وهو قول السمرقندي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، وابن عطية[6]، والقرطبي[7]، والنسفي[8]، ونظام الدين النيسابوري[9]، والخازن[10]، وابن عادل[11]، والألوسي[12].

ورجّح ابن كثير أن المراد بالآية: العذاب الذي ستجده في النار يوم القيامة، فقال: « ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم يعني:

---

(١) جامع البيان (338/30).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(521).

(٣) بحر العلوم (606/3).

(٤) تفسير القرآن (300/6).

(٥) معالم التنزيل (543/4).

(٦) المحرر الوجيز (535/5).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (239/20).

(٨) مدارك التنزيل (362/4).

(٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (591/6).

(١٠) لباب التأويل (318/7).

(١١) اللباب في علوم الكتاب (554/20).

(١٢) روح المعاني (263/30).

تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه [ثم ذكر الأقوال الأخرى، إلى أن قال:] والصحيح الأول »[1].

ومثله قال السعدي حيث قال: « ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾ أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ وكانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ »[2].

وجمع الأقوال الثلاثة كلها معتبراً إياها معاً معنى للآية: البقاعي[3]، وأبوالسعود[4]، والشوكاني[5].

والذي يظهر -والله أعلم- من خلال المدارسة أن الأقوال الثلاثة مترابطة جداً، وأبرز هذا المعنى المترابط البقاعي بقوله: « وصفها بما أشار إليه ذنبها وأكمل قبيح صورها فقال: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ أي: الحاملة أقصى ما يمكن حمله من حطب جهنم بما كانت تمشي به وتبالغ فيه من حمل حطب البهت والنميمة الذي تحمل به على معاداة النبي ﷺ، وشدة أذاه وإيقاد نار الحرب والخصومة عليه ﷺ وشبهت النميمة بالحطب لأنها توقد الشر فتفرق بين الناس، كما أن الحطب يكون

---

(١) تفسير القرآن العظيم (565/4).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(937).

(٣) نظم الدرر (573/8).

(٤) إرشاد العقل السليم (211/9).

(٥) فتح القدير (512/5).

وقودًا للنار فتفرقه، وكذا بما كانت تحمل من الشوك وتنثره ليلاً في طريق النبي ﷺ لتؤذيه، وكانت تفعله بنفسها من شدة عداوتها وتباشره ليلاً لتستخفي به»[1]، فلا مانع إذًا من حمل الآية على جميع المعاني المذكورة، والله أعلم بالصواب.

---

(1) نظم الدرر (573/8).

معنى: ﴿الصَّمَدُ﴾

199- قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ [الإخلاص : 1 - 4]

قال الإمام ابن قتيبة –رحمه الله–: ((﴿الصَّمَدُ﴾: السيد الذي قد انتهى سُؤدَدُه، لأن الناس يَصْمِدُونه(1) في جوائحهم. قال الشاعر(2): خذها حُذيف فأنت السيد الصمد)) (3).

فهذا ما قاله ابن قتيبة وقد وافقه فيه من المفسرين: الطبري(4)، والزمخشري(5)،

.... وابن

(1) يصمدونه: يقصدونه، قال أهل اللغة: ((صمده يصمده: قصده والصمد بالتحريك: السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل: الذي يَصمد إليه في الحوائج: أي يُقصد)) انظر: لسان العرب لابن منظور (258/3)، ومختار الصحاح للرازي ص(155).

(2) هذا البيت لعمرو بن الأسلع العبسي يذكر حذيفة بن بدر الفزاري وكان قد قتله هو والحارث بن زهير جميعاً تعاوراه بسيفيهما فقتلاه، وأوله: يمته الرمح شزراً ثم قلت له. انظر اللآلي في شرح أمالي القالي 932/2 ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري 277/15.

(3) تفسير غريب القرآن ص(476).

(4) جامع البيان (344/30).

(5) الكشاف (823/4).

عطية(1)، والقرطبي(2)، والبيضاوي(3)، والنسفي(4)، وابن جزي(5)، والمحلي(6)، وابن عادل(7)، والشوكاني(8)، والسعدي(9)، وابن عاشور(10).
عاشور(10).

قال الطبري: ((الصمد عند العرب: هو السيد الذي يصمد إليه الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسحي أشرافها)) (11).

والقرطبي ذكر أولاً المعنى الذي وافق فيه ابن قتيبة، ثم ذكر عدة أقوال، وختم بأن: ((الصحيح منها ما شهد له الاشتقاق وهو القول الأول)) (12).

والنسفي قال: ((﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وهو السيد المصمود إليه في الحوائج، والمعنى: هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم،

---

(1) المحرر الوجيز (536/5).
(2) الجامع لأحكام القرآن (245/20).
(3) أنوار التنــزيل (548/5).
(4) مدارك التنــزيل (363/4).
(5) التسهيل لعلوم التنــزيل (224/4).
(6) تفسير الجلالين ص(826).
(7) اللباب في علوم الكتاب (560/20).
(8) فتح القدير (516/5).
(9) تيسير الكريم الرحمن ص(937).
(10) التحرير والتنوير (344/30).
(11) جامع البيان (344/30).
(12) الجامع لأحكام القرآن (245/20).

وهو واحد لا شريك له، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه، وهو الغني عنهم)) [1].

وقال المحلي: ((﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر، أي المقصود في الحوائج على الدوام)) [2].

وقال السعدي: ((﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود من جميع الحوائج، فأهل العلم العلوي والسفلي، مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي كمل في حلمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه)) [3].

وعبارات أخرى وردت عن المفسرين في بيان المعنى جمعها الماوردي، فقال: ((﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أن الصمد المصمت الذي لا جوف له[4].

الثاني: هو الذي لا يأكل ولا يشرب[5].

الثالث: أنه الباقي الذي لا يفنى[1].

(١) مدارك التنزيل (363/4).

(٢) تفسير الجلالين ص(826).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(937).

(٤) قاله الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير.

(٥) قاله الشعبي.

الرابع: هو الذي لم يلد ولم يولد[2].

الخامس: أنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم[3].

السادس. أنه السيد الذي قد انتهى سؤدده[4].

السابع: أنه الكامل الذي لا عيب فيه[5].

الثامن: أنه المقصود إليه في الرغائب، والمستغاث به في المصائب[6].

التاسع: أنه المستغني عن كل أحد[7].

العاشر: أنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد[8]))[9].

وفريق غير قليل من المفسرين يذكرون بعض أو معظم الأقوال المذكورة، بنفس العبارات أو مرادف لها أو قريب منها عند تفسيرهم للآية، منهم:

---

(١) قاله قتادة.

(٢) قاله محمد بن كعب.

(٣) قاله ابن عباس.

(٤) قاله أبو وائل وسفيان.

(٥) قاله مقاتل.

(٦) قاله السدي.

(٧) قاله أبو هريرة ﷺ.

(٨) قاله الحسين بن فضيل.

(٩) النكت والعيون (371/6).

السمرقندي[1]، وابن أبي زمنين[2]، والواحدي[3]، والسمعاني[4]، والبغوي[5]، والفخر الرازي[6]، ونظام الدين النيسابوري[7]، والخازن[8]، وأبو وأبو حيان[9]، وابن كثير[10]، وأبو السعود[11]، والألوسي[12].

قال الواحدي: ((﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ السيد الذي انتهى إليه السؤدد، وقيل: الصمد الذي لا جوف له لا يأكل ولا يشرب، وقيل: هو المقصود إليه في الرغائب)) [13].

وقال السمعاني: ((وقوله ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه الذي يصمد إليه في الحوائج، والآخر: أنه هو الذي انتهى في السؤدد وبلغ كماله، والقول الثالث:

---

(١) بحر العلوم (608/3).

(٢) تفسير القرآن العزيز (172/5).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1248/2).

(٤) تفسير القرآن (303/6).

(٥) معالم التنزيل (544/4).

(٦) التفسير الكبير (165/32).

(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (595/6).

(٨) لباب التأويل (321/7).

(٩) البحر المحيط (529/8).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (571/4).

(١١) إرشاد العقل السليم (212/9).

(١٢) روح المعاني (273/30).

(١٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1241/2).

أنه الذي ليس له جوف أي لا يأكل، والقول الرابع: أن تفسيره قوله ((لم يلد و لم يولد))، وقيل: إنه الباقي الذي لا يغنى، وقيل: إنه الدائم الذي لا يزول)) [1].

وبعد هذا العرض يظهر –والله أعلم– أن ((الأولى بتأويل الكلمة المعنى المعروف من كلام من نــزل القرآن بلسانه)) [2]، والذي قاله أهل اللسان العربي: ((صمده يصمده: قصده والصمد بالتحريك: السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل: الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد)) [3]، ((والدليل على صحة هذا التفسير: ما روى ابن عباس رضي الله عنهما (أنه لما نــزلت هذه الآية قالوا: ما الصمد؟ قال عليه السلام: هو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج)) [4]، وهو القول الذي ((يشهد له الاشتقاق)) [5]، وقد ((أطبق أهل اللغة وجمهور أهل التفسير)) [6] على صحة القول المذكور، والله أعلم بالصواب.

فاللهم يا صمد،، اللهم يا صمد،، اللهم يا صمد،، يا واحد يا أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، لك الحمد إنك على كل شيء قدير، اللهم لك الحمد كما يحمد ربنا نفسه، ليس في كمثله شيء في حمده، وكما

---

(1) تفسير القرآن (303/6).

(2) انظر: جامع البيان للطبري (344/30).

(3) انظر: لسان العرب لابن منظور (258/3)، ومختار الصحاح للرازي ص(155).

(4) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (165/32).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (245/20).

(6) انظر: فتح القدير للشوكاني (516/5).

يحمده حملة عرشه والملائكة والمقربون، وكما يحمده النبيون والمرسلون والصدّيقون والشهداء والصالحون، عدد ما أحاط به علمه، وخط به قلمه، وأحصاه كتابه، وبلغ فيه لطفه، أدركه بصره، ووسعته رحمته، وقهره ملكه، ورضيته نفسه، اللهم لك الحمد بما خلقتنا وكفيتنا وهديتنا وأطعمتنا أسقيتنا وسترتنا وآويتنا وعلمتنا، وفرّجت عنا، لك الحمد بالإيمان لك الحمد بالإسلام لك الحمد بالقرآن لك الحمد بالأهل والمال والمعافاة.

كبتَّ عدونا وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، بل أعطيتنا من قبل أن نسألك، فبإحسانك المتقدم نتوسل إليك، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو شاهد أو غائب، أو حي أو ميت، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد على رضاك، ولك الحمد على حمدنا إياك، اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، اللهم لك الحمد تتابع برّك، واتصل خيرك، كمل عطاؤك، وعمّت فواضلك، وتمت نوافلك، وبرّ قسمك، وصدق وعدك، وحق على أعدائك وعيدك، و لم تبق حاجة لنا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، لك الحمد أنت أحق من ذُكر، وأحق من شُكر، وأحق من حُمد، وأحق من عُبد، وأنصر من ابتغى، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استُرحم، وأكرم من قُصد، أنت الملك لا شريك لك، والأحد الذي لا نِدَّ لك، كل شيء هالك إلا وجهك، لن تطاع إلا بإذنك، ولن تُعصى إلا بعلمك، تطاع فتشكر، تُعصى فتغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حلت دون النفوس، وأخذت بالنواصي، وكتبت الآثار، ونسخت الآجال، القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرّمت، والدين ما شرعت، والخلق خلقت، والأمر أمرك، وأنت الله الرؤوف الرحيم.

اللهم ذا العرش المجيد، والركن الشديد، يا فعّالاً لما تريد، أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت بكل شيء عليم، لك الحمد أنت الذي خلقتنا من عدم، وأسبغت علينا وافر النعم، كبّرتنا من صغر، وقويتنا من ضعف، وأطعمتنا من جوع، وسقيتنا من ظمأ، وسترتنا من عورة، وشفيتنا من مرض، وهديتنا من ضلالة، وعلمتنا من جهالة، وحببت إلينا الإيمان، وعلمتنا قراءة القرآن، وكثرت حولنا الأحباب والإخوان.

اللهم لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فكم من كائد كادنا فمنعته، وكم من ماكر مكر بنا فدفعته، وذكرتنا قبل أن نذكرك، وذكرتنا ونحن نذكرك، وذكرتنا بعد أن نذكرك، اللهم لك الحمد لا ينبغي لأحد غيرك، ولا يجزي عليه سواك، لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق.

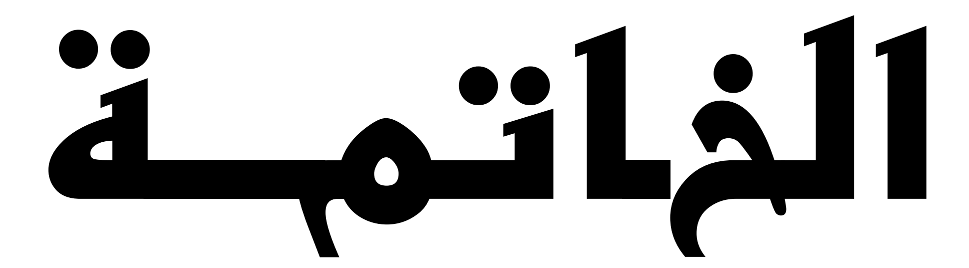
اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم لك الحمد خيراً مما نقول، وفوق ما نقول، ومثل ما نقول، عز جاهك، وجل ثناؤك، وتقدست أسماؤك، في السماء ملكك، وفي الأرض سلطانك، وفي البحر عظمتك، وفي كل شيء حكمتك وآيتك، أنت رب العالمين، لا إله إلا أنت.

اللهم صلّ وسلم على حامل لواء العز في بني لؤي، وصاحب الطود المنيف في عبد مناف بن قصي، صاحب الغرّة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل.

اللهم صلّ على صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، وصاحب الشفاعة في اليوم الموعود.

اللهم صلّ وسلّم على من هديت به البشرية، وأنرت به أفكار الإنســانية، وزعزعت به أركان الوثنية، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



الخاتمــة

بعد هذه الجولة الممتعة مع أقوال وآراء الإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري -رحمه الله- فإني أحمد الله جل شأنه، وأُثني عليه بما هو أهله، ولا أحصي ثناءً عليه، فسبحانه جل وعلا كما أثنى على نفسه .. ففي الختام أسأل الله تعالى أن يبارك لي في هذا البحث، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ولقد عشت معه ليالي وأيامًا، كانت مملوءة بالفوائد العلمية والعوائد الإيمانية، فإني أَخلُص إلى عدد من النتائج، أهمها:

- أن الإمام ابن قتيبة - رحمه الله- من أئمة التفسير وعلماء التأويل، بل هو من المتفننين في هذا الباب ومن المبرزين فيه، ولم يكن هذا لولا فضل الله تعالى عليه أولاً، ثم ما تميز به ابن قتيبة من علم وافر، وفهم ثاقب، وإدراك واسع.

- الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- إمام سلفي، وعالم أثري، فقد سار على منهج السلف، وأخذ بمعتقدهم، وقال بقولهم، ونافح عنهم وذب، وجادل عنهم ورد، فما ألصق به من البدع هو منها بريء، وكلامه شاهد عيان على ر د هذا عنه.

- كان الإمام ابن قتيبة من الأئمة الغيورين على كتاب الله تعالى، والذ ابّين عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وله في هذا الميدان القدح المعلى، وكتابه: (تأويل مشكل القرآن) يُعد أصلاً في بابه، وسابقًا في مضماره، وأولاً في ميدانه، وجزلاً في سبكه، وأصلاً في أسلوبه.

- كان ابن قتيبة - رحمه الله- من الأئمة الذين يعتنون بإيصال المعلومة مباشرة، بعبارة وجيزة، وكلمات قليلة، فهو من أهل العلم الذين يمتازون بالاختصار، وترك الإسهاب والإطالة، والناظر في كلام ابن قتيبة المنقول في طيات هذا البحث يجد هذا واضحًا جليًا، وهذه فضيلة تذكر لهذا الإمام، وميزة تميز بها، يُشكر عليها، وهكذا كان المحققون من أهل العلم.

- يظهر في هذا البحث اعتناء الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في تفسيره للألفاظ القرآنية بالقرآن الكريم.

- كذلك نظهر عنايته -رحمه الله- بالسنة النبوية في تفسير القرآن الكريم، فما إن يجد حديثاً إلا يورده قائلاً به أو مستشهداً به.

- يُلاحظ أيضًا اعتناءه بأقوال الصحابة - ﷺ- في تفسير كلام ربنا جل وعلا، غير أننا لا نستطيع إثبات أكثر من هذا، فما بين أيدينا من نصوص تفسيرية له -رحمه الله- لا يجعلنا نتبين هل كان الإمام ابن قتيبة من الأئمة الذين يرون وجوب الأخذ بقول الصحابي وعدم تعديه إلى غيره؟ أم كان ممن يجوز مخالفة الصحابي في تفسيره كلام الله - ﷻ- ؟ فهذا مما لا نستطيع الجزم بشيء فيه، فلعل الله تعالى أن ييسر الوقوف على ما يدل على إثبات شيء من هذا.

- كما أنه -رحمه الله- لم يكن ممن له عناية بالغة بالسند فيما ينسبه للصحابة الكرام من أقوال، بل كان يضيف القول من غير ذكر للسند غالب اً، ومن غير بيان لصحة ما نقل عنهم أو ضعفه.

- ويظهر كذلك وبكل وضوح اعتناء الإمام بالشواهد الشعرية لما يذكره من معنى للفظة القرآنية المباركة، وهذا لما كان يمتلكه -رحمه الله- من مخزون أدبي واسع، وكيف لا! وهو صاحب كتاب (الشعر والشعراء) الذي أظهر فيه

شخصيته الفذة وعلميته القوية، واطلاعه الواسع، مع ما ح بله الله تعالى من فهم لما يقوله الشعراء، وتسطّره الأدباء.

- يمتاز الإمام ابن قتيبة - رحمه الله- بمعرفة واسعة للسان العربي ومصنفاته، تدل على تقدمه في هذا المضمار، وهذا لا شك أنه يضفي على كتابته قوة، وعلى آرائه قبولاً.

- وجدت الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- غير معتنٍ بالقراءات، فإيراده لها قليل جدًا، ولا يخفى ما للقراءات من أهمية عظمى، ومنزلة كبرى في علم التفسير.

- يُعد الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- في نظري — من مدرسة أهل اللغة في تفسير القرآن الكريم، كأمثال الفراء والزجاج وغيرهم من أئمة اللغة الذين كانت لهم عناية واضحة وجهد بارز في تفسير كلام الله تعالى.

- لم يكن الإمام ابن قتيبة - رحمه الله- من أولئك المصنفين المعتمدين في تفسيرهم على روايات بني إسرائيل مع كون كتب التفسير طافحةً بها، ومع هذا فهو -في مقدار الدراسة- لم يذكرها أو يعرّج عليها، وهذا يدل على علميته الواسعة وتأصيله في هذا العلم، كما أن هذا شأن أهل التحقيق والتدقيق العاملين بوصية رسول الله ﷺ في هذا الباب.

- وأخيرًا إن النظر في أقوال العلماء، ودراستها، ومقارنتها، بالنظر في أدلة كل قول ومدى قوته ورجحانه على غيره؛ هذا النوع من الدراسة ينمّ ي في الباحث ملكة مناقشة الآراء المختلفة، وسبر أغوارها، والحكم عليها.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم إلى الله - ﷻ- بالحمد والثناء على ما منَّ به عليّ من إتمام كتابة هذا البحث، فلله - ﷻ- وحده الفضل والمنة، وأسأله -ﷻ-

أن يغفر لي ما فيه من خطأ وزلل، وأن يتقبل مني، ويجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم.

كتبت وقد أيقنت لا شك أنني ستفنى يـدي يومًا ويبقى كتابيا

وأيقنت أن الله سائلها غدًا فياليت شعري ما يكون جوابيا

***

يا ناظر الخط فاستغفر لمن كتبا فقد كفتك يداه النسخ والتعبا [1]

***

والله المسؤول أن يحقق لنا ولإخواننا ما فيه نفعنا ونفعهم في ديننا ودنيانا وأخرانا، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واعف عنا إنك أنت العفو الكريم الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

(١) استفدت الأبيات المذكورة من كتاب: بلاد شنقيط، المنارة والرباط، للخليل النحوي، ص(236)، و لم يحدد قائلي الأبيات.

الفهارس

فهرس الآيات

الآيــــة	رقمها	الصفحة
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾		
﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾	159	415
المائدة		
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾	19	101
﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	41	325
﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	48	3-2
﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾	109	-239 717
الأنعام		
﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	25	179
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾	91	796
﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	125	325
الأعراف		
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾	57	726
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾	64	251
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾	150	411
﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾	179	610

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾	186	325
الأنفال		
﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	2	164
﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾	12	437
التوبة		
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	91	635
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	105	503
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾	-124 125	-165 -166 167
يونس		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾	22	266
﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾	28	338
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	57	3
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾	73	251
هود		
﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾	20	325
﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾	44	250

الآيــــة	رقمها	الصفحة
إبراهيم		
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾	7	10
﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾	10	179
الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	9	3
النحل		
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	1	394
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	44	3
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾	53	9
﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾	70	788
﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾	89	3
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٠٨)﴾	108	325
الإسراء		
﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾	24	10
﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾	92	194
الكهف		
﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾	29	537
﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾	47	230
﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨)﴾	48	220-222

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾	49	517
﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾	57	324
﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا (٩٧)﴾	97	408
﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾	101	325
مريم		
﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)﴾	24	104
﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾	58	162
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	38	-219 222
طـــه		
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا (١٠٧)﴾	-105 107	-229 551
﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾	114	495
الأنبياء		
﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾	1	394
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ (٤٧)﴾	47	448
﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾	79	303
﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾	104	744
الحج		
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ	2	74

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	5	78
﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾	5	83
﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾	5	788
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	14	88
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾	25	90
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾	40	438
المؤمنون		
﴿خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ۝١٧﴾	17	94
﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤١﴾	41	96
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٤٤﴾	44	98
﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾	50	102
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا	51	105

الآيـــة	رقمها	الصفحة
تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾		
﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾	71	461
النـــــور		
﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾	15	109
﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾	17	112
﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾	21	113
﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾	22	116
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾	35	-119 121
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾	39	125
﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾	60	-128 285
الفرقان		
﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾	12	131
﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾	18	138
﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا﴾	19	142

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ ﴾	25	744
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾	30	147
﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣ ﴾	43	150
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٥٣ ﴾	53	153
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤ ﴾	54	156
﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾	65	-570 572
﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾	-68 69	159
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ ﴾	73	161
الشعراء		
﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	16	474
﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ ﴾	54	169
﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥ ﴾	-91 95	172
﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠ ﴾	-119 120	251
﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥ ﴾	135	180
﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦	-136	175

الآيــــة	رقمها	الصفحة
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾	138	
﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾	148	181
﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾	149	185
﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾	-167 168	188
﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾	184	190
﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	187	192
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾	-192 194	495
النمل		
﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾	7	195
﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾	10	198
﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾	17	201
﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	25	205
﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾	39	208
﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾	44	211
﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾	60	214

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾	66	216
﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	82	224
﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	87	230
﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	88	-227 550
القصص		
﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾	15	232
﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾	23	236
﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾	66	238
﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾	76	242
﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾	76	-187 246
العنكبوت		
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	249
﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾	18	3
﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾	45	252
﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	259
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	69	779
الروم		

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	339
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	15	261
﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	36	263
﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	265
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾	48	-194 725
﴿ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾	54	791
لقمان		
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾	7	166
﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾	16	270
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	32	273
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾	33	276
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾	59	279

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
السجدة		
﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ﴾	10	292
﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ ﴾	12	222
﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ ﴾	15	162
﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧ ﴾	27	296
الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾	70-71	290-2
سبأ		
﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	9	194
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ ﴾	10	300
﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾	13	308
﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ ﴾	18	311
فاطر		

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾	8	152
﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾	9	726
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾	10	314
﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾﴾	11	305
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾﴾	27	316-319
﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾	45	88
يـــس		
﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾﴾	7	324
﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾﴾	9	322
﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾	14	327
﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾	39	330
﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾	57	334
﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾	59	338
﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾	68	791
﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾	78	701
﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم	80	341

الآيـــة	رقمها	الصفحة
الزمر		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَابِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (٢١) ﴾	21	381
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	23	166
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) ﴾	29	383
﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٥١) ﴾	-50 51	480
﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) ﴾	63	387
﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾	67	744
﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾	67	796
غافر		
﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) ﴾	3	390
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ	13	414

الآيـــة	رقمها	الصفحة
رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾		
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾	18	392
﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾	-70 72	485
فصلت		
﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾	47	395
الشورى		
﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾	11	398
الزخرف		
﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾	13	403
﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾	33	406
﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	55	409
﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾	61	412
﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ	-74	417

الآيـــة	رقمها	الصفحة
وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾	75	
الدخان		
﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾	4	796
﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾	47	-420 484
ا لجاثية		
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾	9-7	167
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾	18	421
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾	23	325
﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	25	180
﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾	28	424
الأحقاف		
﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾﴾	4	427
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾	27	430
محمد		
﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ	4	432

الآيـــة	رقمها	الصفحة
وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾		
﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾	6	440
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾	15	-443 488
﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾	30	648
﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾	35	446
الفتح		
﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	2	785
﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾	20	450
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾	24	451
﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾	25	454
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ	29	-457 648

الآيـــة	رقمها	الصفحة
فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾		
الحجرات		
﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾	7	460
﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾	11	463
﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾	14	448
ق		
﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾	5	467
﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾	10	471
﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾	17	473
الذاريات		
﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾	9-8	469
﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾	14	359
﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾	26	476
﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾	59	478
الطور		
﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾	10-9	-229 -230 550
﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾	13	482
﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾	23	486

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾	15	525
﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٢٤﴾	24	530
﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾	37	533
﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾	41	-484-646
﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾	44	538
﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾	66	541
﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾	76	543
الواقعة		
﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥﴾	15	552
﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾	-17-19	489
﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾	-36-37	555
﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥﴾	55	562
﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾	65	566
﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾	66	570
﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾	73	574
﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾	-83-87	581
الحديد		
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾	16	585

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18)﴾	18	268
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (27)﴾	27	588
المجادلة		
﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3)﴾	3-2	592
الحشر		
﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)﴾	6	598
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	10	12
الممتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ	1	601

الآيـــة	رقمها	الصفحة
بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾		
الصف		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	604
الجمعة		
﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾	5	608
المنافقون		
﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾	2	612
التغابن		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾	-14 15	-616 619
﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾	17	268
الطلاق		
﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾	6	621
﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾	7	797

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾	6	624
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨)﴾	8	629
الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣)﴾	3	638
﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾	7-8	-134 137
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾	15	642
القلم		
﴿لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾	4	178
﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)﴾	16	645
﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)﴾	-19 20	650
﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١)﴾	51	654
الحاقة		

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾	5-1	690
﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾	30	359
﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	31	359
القيامة		
﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾	4-3	697
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾	16-18	495
﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾	25	702
الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾	2	706
﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾	7	711
المرسلات		
﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾﴾	11	715
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾	25-26	719
النبأ		
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾	14	723
﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾	20	231-548-551
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾	31	727
﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾	32	730

فهرس الأحاديث

فهرس الأشعار (حسب القافية)

فهرس الأعلام المترجم لهم

الأعـــــلام	الصفحة
أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس	74
أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني	763
إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه أبو يعقوب	45
الأسود بن يعفر النهشلي	372
الأصمعي عبدالملك بن قريب بن عبدالملك أبوسعيد	100
الأعشى ميمون بن قيس بن جندل	84
الآلوسي محمود بن عبدالله الحسيني	75
امرؤ القيس	768
أنس بن مالك بن النضر الأنصاري	761
الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد	762
برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي	109
البغوي محيي السنّة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد	90
البيضاوي عبدالله بن عمر بن محمد	83
تأبط شرًا ثابت بن جابر	246
الثعالبي عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف	76
الثوري أبو عبد الله سفيان بن سعيد	117
جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري	761
الجصاص أبوبكر أحمد بن علي الرازي	110
جلال الدين المحلي محمد بن أحمد بن محمد	84
الحسن بن أبي الحسن البصري	691
الخازن	217

الأعـــــلام	الصفحة

الأعـــــلام	الصفحة
عبدالله بن عمر بن الخطاب	760
عبدالله بن مسعود الهذلي	760
عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير	48
عمر بن الخطاب	760
غيلان بن سلمة بن معين الثقفي	760
الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين	80
الفراء أبوزكريا يحيى بن زياد عبدالله الأسدي	135
قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف	48
قتادة بن دعامة السدوسي	84
القرطبي محمد بن أحمد بن فرْح	77
لبيد بن ربيعة	335
مالك بن أنس الحِميري الأصبحي أبوعبدالله	762
المأمون أبو العباس عبد الله	15
الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب	111
المتوكل على الله أبو الفضل جعفر	16
مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي	110
محمد الطاهر بن محمد بن عاشور	133
محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد الزيادي	46
محمد بن سلام الجمحي البصري	46
المستعين بالله أبو العباس أحمد	16
المعتز بالله أبو عبد الله محمد	16

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع

1 أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، الوفاة: 1307هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1978م، تحقيق: عبدالجبار زكار.

2 أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

3 أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، الوفاة:370 ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1405هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

4 أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة – دراسة نقدية تحليلية هادفة- د.خالد كبير علال، حاصل على دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي من جامعة الجزائر- دار الإمام مالك، الطبعة الأولى- البليدة- الجزائر- 1426هـ/2005م.

5 إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، الوفاة: 951هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

6 الإرشاد في معرفة علماء الحديث، الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى، الوفاة : 446هـ، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة : الأولى، 1409هـ، تحقيق: د.محمد سعيد عمر إدريس.

7 الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي، والكتاب مطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة، دار صادر – بيروت. وهي نسخة مصورة عن الطبعة الأولى 1328هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

8 أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الوفاة: 456هـ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، الطبعة: الثانية، 1987م، تحقيق: د.إحسان عباس.

9 أسماء الكتب، عبد اللطيف بن محمد رياض زادة، الوفاة : 1087هـ، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الثالثة، 1403هـ - 1983م، تحقيق: د.محمد التونجي.

10 أشراط الساعة، يوسف بن عبدالله الوابل، الطبعة الثالثة، 1411هـ– 1991م، دار ابن الجوزي، الدمام.

11 الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار صادر – بيروت. وهي نسخة مصورة عن الطبعة الأولى 1328هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

12 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، 1415هـ – 1995م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

13 الأعلام (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي، الطبعة الرابعة، كانون الثاني

(يناير) 1979م، دار العلم للملايين – بيروت.

14 الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق : علي مهنا وسمير جابر.

15 الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية – بيروت – 1411هـ، الطبعة: الأولى.

16 الأنساب، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني ، الوفاة: 562هـ ، دار الفكر – بيروت – 1998م، الطبعة : الأولى، تحقيق: عبدالله عمر البارودي.

17 أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني ، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونة، إشراف : مكتب البحوث والدراسات، عدد الأجزاء: 5، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفكر – بيروت.

18 إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، دراسة وتحقيق: د.علي بن سليمان العبيد، الطبعة الأولى ، 1418هـ–1997م، مكتبة التوبة – الرياض.

19 إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا بن محمد أمين الوفاة: 1339هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1413هـ – 1992م.

20 بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه وخرّج أحاديثه: يسيري السيد محمد، الطبعة الأولى، ربيع الثاني 1414هـ-1993م، دار ابن الجوزي - الدمام.

21 البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، طبعة جديدة منقحة (في مجلدين)، قوبلت على عدة نسخ خطية، وفيها زيادات سقطت من الطبعات المتداولة، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ودار ابن حزم للطبا عة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان.

22 بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، الوفاة: 660هـ، دار الفكر، تحقيق: د.سهيل زكار.

23 بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الوفاة: 911هـ ، دار النشر : المكتبة العصرية - لبنان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

24 بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987م.

25 البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، الوفاة: 817هـ، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت — 1407هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المصري.

26 تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني، دار الكتب العلمية — بيروت، 1410 هـ-1990م، الطبعة: الأولى، تحقيق:

سيد كسروي حسن.

27 تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الوفاة: 748هـ، دار الكتاب العربي — بيروت ، 1407هـ - 1987م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمرى.

28 التاريخ الإسلامي (الجزء الخاص بالدولة العباسية)، محمود شاكر، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1983م، المكتب الإسلامي - بيروت.

29 تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، الطبعة الأولى، 1401هـ / 1981م، دار النفائس — بيروت، تحقيق: د.إحسان حقي.

30 تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي ، الوفاة: 403هـ، مطبعة المدني — القاهرة، الطبعة : الثانية، 1408هـ- 1988م، تحقيق: عزت العطار الحسيني.

31 تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية — بيروت.

32 تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار الفكر — بيروت ، 1995هـ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

33 تاريخ المساجد الشهيرة، عبدالله سالم نجيب، بحث منشور على الإنترنت مكون من 258 صفحة بواسطة البرنامج الحاسوبي (وورد).

34 تأويل مشكل القرآن، الإمام أبي محم د عبدالله بن مسلم بن قتيبة، إعداد

ودراسة: الدكتور عمر محمد سعيد عبدالعزيز، إشراف ومراجعة : الدكتور عبدالصبور شاهين، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م، الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة.

35 التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997م.

36 التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، الوفاة : 623هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت، 1987م، تحقيق : عزيز الله العطاري.

37 تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، الوفاة: 748هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.

38 تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، الوفاة: 748هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.

39 تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

40 تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم وما انفرد كل واحد منهما، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري الحاكم ، الوفاة : 405هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان – بيروت، 1407هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

41 التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي - لبنان - 1403هـ- 1983م، الطبعة: الرابعة.

42 التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الوفاة : 816هـ ، دار الكتاب العربي – بيروت، 1405هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : إبراهيم الأبياري.

43 تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، الوفاة: 745هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422هـ -2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي ، د.أحمد النجولي الجمل.

44 تفسير البغوي، البغوي الوفاة : 516هـ، دار المعرفة - بيروت، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.

45 تفسير الجلالين، اسم المؤلف: الإمامين/ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.

46 تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، اسم الم ؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر : دار الفكر - بيروت 1399هـ /1979م.

47 تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

48 تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي، الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، دار ابن حزم - بيروت ، 1416هـ/ 1996م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الدكتور عبد الله بن

إبراهيم الوهبي.

49 تفسير القرآن العزيز، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، الوفاة : 399هـ، الفاروق الحديثة - مصر ، 1423هـ - 2002م، الطبعة : الأولى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمد بن مصطفى الكنز.

50 تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر - بيروت، 1401هـ.

51 تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار الوطن – الرياض، 1418هـ- 1997م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم.

52 تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مكتبة الرشد – الرياض ، 1410هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.مصطفى مسلم محمد.

53 تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1420هـ-2000م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن.

54 التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الوفاة: 604هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة: الأولى.

55 تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، 1416هـ -

1996م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران.

56 تفسير غريب القرآن، الإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، شرح ومراجعة الشيخ: إبراهيم محمد رمضان، بإشراف مكتب الدراسات والبحوث العربية الإسلامية، الطبعة الأولي، 1411هـ - 1991م، منشورات دار ومكتبة الهلال — بيروت.

57 تفسير مجاهد، اسم المؤلف: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج الوفاة: 104هـ، دار النشر: المنشورات العلمية - بيروت، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.

58 تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، الوفاة: 150هـ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - 1424هـ - 2003م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.

59 تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الرشيد - سوريا، 1406هـ - 1986م، الطبعة: الأولى، تحقيق : محمد عوامة.

60 التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي ، الوفاة: 629هـ، دار الكتب العلمية — بيروت، 1408هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

61 تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي ، دار الكتب العلمية — لبنان.

62 تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي ، الوفاة: 676هـ،

دار الفكر – بيروت، 1996م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

63 تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الوفاة: 852هـ، دار الفكر – بيروت، 1404هـ - 1984م، الطبعة: الأولى.

64 تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، الوفاة : 742هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1400هـ - 1980م، الطبعة : الأولى، تحقيق: د.بشار عواد معروف.

65 تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

66 توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي ، الوفاة : 842هـ ، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1993م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي.

67 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1421هـ- 2000م، تحقيق: ابن عثيمين.

68 الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار الفكر – 1395هـ - 1975م، الطبعة: الأولى، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد.

69 جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن

خالد الطبري، الوفاة: 310هـ، دار الفكر - بيروت، 1405هـ.

70 الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الوفاة: 671م، دار الشعب – القاهرة.

71 الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الوفاة: 463هـ، مكتبة المعارف - الرياض – 1403هـ، تحقيق: د.محمود الطحان.

72 الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، الوفاة: 327هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 1371هـ - 1952هـ، الطبعة: الأولى.

73 الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الوفاة: 875هـ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

74 الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد ، الوفاة: 775هـ، دار النشر : مير محمد كتب خانه – كراتشي.

75 حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، (متن الشاطبية)، القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي، ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزعبي، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989، دار المطبوعات الحديثة - جدة.

76 حسن المحاضرة في تاريخ م صر والقاهرة، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1387هـ-1967م، دار

إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

77 الحطة في ذكر الصحاح الستة، أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي ، الوفاة : 1307هـ، دار الكتب التعليمية – بير وت، 1405هـ/1985م، الطبعة: الأولى.

78 حقائق التفسير أو تفسير السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1421هـ – 2001م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: سيد عمران.

79 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، 1405هـ، الطبعة: الرابعة.

80 الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، دار الفكر المعاصر – بيروت، 1991م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد رضوان الداية.

81 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الـ تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م، دار القلم – دمشق.

82 الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت، 1993م.

83 درء تعارض العقل و النقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الوفاة: 728هـ، دار الكتب العلمية – بيروت،

1417هـ - 1997م، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن.

84 الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، الوفاة: 799هـ، دار الكتب العلمية — بيروت.

85 ديوان الأعشى، المؤلف: الأعشى، دار النشر : بدون ، سنة الطبع: بدون.

86 ديوان ثابت بن جابر، المؤلف : ثابت بن جابر، دار النشر : بدون، سنة الطبع: بدون.

87 الذاكرة التاريخية للأمة، د.جاسم سلطان، بحث ضمن سلسلة القا دة ومشروع النهضة منشور على الإنترنت مكون من 114صفحة بواسطة البرنامج الحاسوبي (وورد).

88 رفع الإصر عن قضاة مصر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد — المشهور بابن حجر — العسقلاني، الوفاة: 852هـ، مكتبة الخانجي — القاهرة، 1418هـ - 1998م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د.علي محمد عمر.

89 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي — بيروت.

90 زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نشر : المكتب الإسلامي - بيروت، 1404هـ، الطبعة: الثالثة.

91 سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي

السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

92 سير أعلام النبلاء، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبين الوفاة: 748هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1413هـ ، الطبعة : التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

93 شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، الوفاة: 1089هـ، دار بن كثير – دمشق ، 1406هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط.

94 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، الوفاة: 769هـ، دار الفكر – سوريا ، 1405هـ 1985م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

95 شرح المعلقات السبع، أبو عبدالله الحسين الزوزني، الطبعة ا لثالثة، 1979م، مكتبة المعارف – بيروت.

96 شرح ديوان الأعشى، تحقيق: كامل سليمان، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني – بيروت.

97 شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم لـه : الدكتور إحسان عبدالقدوس، 1962م، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء – الكويت.

98 شرح شعلة على الشاطبية المسمى (كنز المعاني شرح حرز الأماني)، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي، الطبعة الأولى، طبع على نفقة

الاتحاد العام لجماعة القراء.

99 شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتقديم: أ.د. عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار، الطبعة الأولى 1415هـ-1995م، دار الوطن - الرياض.

100 صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ، 1407هـ - 1987م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.

101 صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

102 صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار المعرفة - بيروت، 1399هـ - 1979م، الطبعة : الثانية، تحقيق: محمود فاخوري ، د.محمد رواس قلعه جي.

103 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

104 طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين ، الوفاة: 521هـ ، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.

105 طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي. الوفاة: القرن الحادي عشر، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، 1417هـ- 1997م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.

106 طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، دار المدني - جدة ، تحقيق: محمود محمد شاكر.

107 العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الوفاة: 748هـــ ، مطبعة حكومة الكويت – الكويت، 1984م، الطبعة:الثانية، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد.

108 العصر العباسي الأول، الدكتور شوقي ضيف، الطبعة السادسة عشرة، دار المعارف.

109 العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف.

110 عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الثانية، 1474هـــ-1955م، مطبعة البابي الحلبي – بمصر.

111 علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ : عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، الطبعة الأولى، 1398هـــ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

112 غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الوفاة: 838هـــ، دار النشر: بدون.

113 غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الوفاة : 276هـــ، مطبعة العاني – بغداد، 1397م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د.عبدالله الجبوري.

114 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.

115 فهرسة ابن خير الاشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة

الأموي، الوفاة: 575هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، 1419هـ - 1998م، الطبعة: الطبعة الأولى، تحقيق: محمد فؤاد منصور.

116 الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، الوفاة : 385هـ ، دار المعرفة – بيروت، 1398هـ – 1978م.

117 القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الطبعة الثانية، 1407هـ-1987م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

118 القراءات العشر المتواترة - من طريقي الشاطبية والدرة، إشراف الشيخ : محمد كريِّم راجح، الطبعة الأولى، 1412هـ- 1992م، مكتبة دار المهاجر للنشر والتوزيع.

119 الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، الوفاة: 748هـ ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو – جدة، 1413هـ - 1992م، الطبعة: الأولى، تحقيق : محمد عوامة.

120 الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي ال كرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، الوفاة: 630هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1415هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الله القاضي.

121 كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق : د مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي.

122 الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم

محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

123 الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الوفاة: 427 هـ - 1035م، دار إحياء التراث العربي - بيروت — لبنان، 1422هـ-2002م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

124 اللآلي في شرح أمالي القالي، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، الوفاة: 496هـ، دار الكتب العلمية — بير وت، 1417هـ - 1997م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العزيز الميمني.

125 اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، الوفاة: 630هـ، دار صادر — بيروت، 1400هـ - 1980م.

126 اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل ا لدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1419 هـ -1998م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

127 لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.

128 لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الوفاة: 852هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، 1406هـ - 1986م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: دائرة المعرف النظامية — الهند.

129 مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه: محمد، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام 1416هـ-1995م.

130 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد ع بد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الوفاة: 546هـ ، دار الكتب العلمية — لبنان ، 1413هـ- 1993م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

131 مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون — بيروت، 1415هـ - 1995م، طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.

132 مختصر التحفة الإثني عشرية، اختصره وهذبه العلامة : محمود شكري الألوسي، المتوفى بعد سنة 1303هـ، اعتنى بطبعه: مكتبة الحقيقة — استانبول — تركيا ، عام 1418هـ - 1997م

133 مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبوالبركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، الوفاة: 710هـ، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - ميدان الأزهر - القاهرة.

134 مرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، الوفاة: 768هـ، دار الكتاب الإسلامي — القاهرة، 1413هـ

- 1993م.

135 المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،
الوفاة: 405 هـ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1411هـ - 1990م،
الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

136 معاني القرآن، أبوزكريا يحيى بن زياد الفرّاء، الطبعة الثانية 1980م، عالم الكتب - بيروت.

137 معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، الوفاة: 626هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1411هـ - 1991م، الطبعة: الأولى.

138 معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الوفاة: 626هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1411 هـ - 1991م، الطبعة: الأولى.

139 معجم البلدان، أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي ، الوفاة: 626هـ، دار الفكر - بيروت.

140 معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إليان سركيس، مطبعة سركيس بمصر، 1346هـ-1928م.

141 المعجم المفرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، أحمد بن

علي العسقلاني ، الوفاة: 852هـ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1418هـ-1998م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد شكور الميادييني.

142 معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، الوفاة: 748هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1404هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس.

143 المعلقات العشر، شرح ودراسة وتحليل: الدكتور مفيد قميحة، الطبعة الأولى، 1991م، دار الفكر اللباني.

144 المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الوفاة: 748هـ، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.

145 المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الوفاة: 748هـ، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.

146 مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، الوفاة : 808هـ، دار القلم – بيروت، 1984م، الطبعة: الخامسة.

147 من أعلام الحركة الإسلامية، المستشار : عبدالله العقيل، 1420هـ-2000م، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

148 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، الوفاة: 597هـ، الطبعة: الأولى، 1358هـ، دار صادر – بيروت.

149 ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، الوفاة: 748هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1995م، الطبعة : الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.

150 النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، الوفاة: 874هـ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر.

151 نزهة الألباب في الألقاب، احمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني، مكتبة الرشد – الرياض، 1409هـ- 1989م، الطبعة : الأولى، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري.

152 نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد حسن عقيل موسى، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م، دار الأندلس للنشر والتوزيع - جدة.

153 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الح سن إبراهيم بن عمر البقاعي، الوفاة: 855هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1415هـ - 1995م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

154 النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، الوفاة: 450هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: لا يوجد، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

155 نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، الوفاة: 733هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، 1424هـ - 2004م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة.

156 هدية العارفين أسماء المؤلفين وآ ثار المصنفين،: إسماعيل باشا البغدادي ، الوفاة: 1339هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1413هـ – 1992م.

157 الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ- 2000م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.

158 الوجيز في تفسير الكتاب ا لعزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن . الوفاة: 468هـ ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق ، بيروت ، 1415هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

159 وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، الوفاة: 681هـ، دار الثقافة – لبنان، تحقيق : إحسان عباس.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع		الصفحة
	القسم الثاني: دراسة أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير من أول سورة الحج إلى نهاية القرآن الكريم	73
1	المراد بالذهول في ((تذهل كل مرضعة))	74
2	معنى ((مخلقة و غير مخلقة))	78
3	معنى ((و ترى الأرض هامدة))	83
4	مرجع الضمير في ((ينصره))	86
5	معنى ((و من يرد فيه بإلحاد))	90
6	معنى ((طرائق))	94
7	معنى ((فجعلناهم غثاء))	96
8	معنى ((تترا))	98
9	معنى ((ذات قرار ومعين))..............................	102
10	من المراد بـــ((يأأيها الرسل))	105
11	معنى ((تلقونه))......................................	109
12	معنى ((ما زكى))......................................	113
13	معنى ((أن يؤتوا)).....................................	116
14	المراد بــــــ ((المشكاة))............................	119
15	معنى ((كوكب دري))...................................	121
16	معنى ((كسراب بقيعة))................................	125
17	المراد بـــ((القواعد من النساء))	128
18	معنى ((سمعوا لها تغيظاً و زفيراً))	131
19	معنى ((بورا))..	138

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع		الصفحة

الموضوع		الصفحة

	الموضوع	الصفحة

	الموضوع	الصفحة

	الموضوع	الصفحة

	الموضوع	الصفحة

	الموضوع	الصفحة
158	معنى ((تفاوت))..	638
159	معنى ((مناكبها))	642
160	معنى ((سنسمهُ على الخرطوم))..........................	645
161	معنى ((كالصريم))......................................	650
162	معنى ((ليزلقونك))......................................	654
163	معنى ((غسلين))	658
164	معنى ((المعارج)).......................................	662
165	معنى ((ديّاراً))..	666
166	معنى ((فزادوهم رهقاً))..................................	669
167	معنى ((القاسطون)).....................................	673
168	معنى ((و أنّ المساجد لله)).............................	676
169	معنى ((و تبتل إليه تبتيلاً))..............................	682
170	معنى ((أخذاً وبيلاً))......................................	687
171	معنى ((و ثيابكَ فطهر)).................................	690

	الموضوع	الصفحة

	الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

9